معارف السنن

شرح

سنن الترمذي

الجزء السادس

هو شرح لجامع الترمذي ألف بضوء ما أفاده الحافظ الحجة المحدث الكبير إمام العصر الشيخ محمد أنور شاه الكشميري، رحمه الله مع غرر نقول جهابذة الأمة في شروح الحديث

تأليف

محدث العصر العلامة

الشيخ السيد محمد يوسف بن السيد محمد زكريا الحسيني البنوري

نور الله مرقده المتوفى ١٣٩٧ھ

الناشر

ايج ـ ايم ـ سعيد كمپنى

أدب منزل باكستان چوك ـ كراتشي

قد طبع في ايجوكيشنل پريس كراتشي ـ الباكستان ـ ١٤١٣ھ

بسم الله الرحمن الرحيم

قصيدة للمؤلف فى "معارف السنن"

تغرد طير بالهنا والتبسم … فنبه قلباً غافلاً بالترنم
تباشير بشر أو نسائم رحمة … تهب على قلب عميد متيم
فقمت سريعاً فى نشاط و همة … وجهد بليغ منتج لم يعقم
فأوضحت من توفيق ربى مسائلاً … رخيم الحواشى مثل وشى منمنم
وألفت فى شرح الحديث معارفاً … فراقت جمالا مثل بدر وأنجم
وكم من صعاب بت فيها مفكراً … لتذليلها بالبحث غير مكتم
وكم من مظان بت فيها مسهداً … وأصبحت فيها هائماً كالمبرسم
فأودعت فيها من لآل ثمينة … نتائج بحث فوق در منظم
نتائج فكر من علوم أكابر … بجمع وترتيب ونظم مسجم
وكابدت فيها إذ ظفرت بفرصة … من الوقت حتى صرت مثل المتيم
ودع عنك علما غير علم نبينا … وهاك حديثاً من نبى مكرم
ودونك شرحاً كيف يحلو بيانه … ويجلو علوماً للرسول المعظم
ودونك شرحاً كاشفاً سنن الهدى … بشرح مبين واضح غير مبهم
وهاك علوماً من علوم أئمة … ببحث متين ثم قول محتم
أئمـة دين ثم فقـه وحكمة … نجوم سماء ثم ما شئت فاحكم
وهاك علوما من علوم محقق … إمام عظيم فى المعالى مقدم
وشيخ كبير كان غرة عصره … وقدوة أعيان أعز وأعـلم
وحبر وبحر فى العلوم بأسرها … وكوكب فضل فى السماء ومرزم
إمام كبير لم تر العين مثله … ولم تر عيناه مثيلاً فأنعـم
ونعمان دهر فى التفقه غائصاً … وسفيان عصر فى الحديث المفخم
فأنعم بشيخ أى شيخ بدهره … وأكرم بحبر ثم بحر وأكرم
فخذ من علوم الشاه أنور شيخنا … إمام لعصر العلم والدين معظم
وأنفاسه أنوار فيض وعلمه … كعرف شذى نفحه فى تنسم
ووافى البخارى عنده فيض بارى … وفاز أبو عيسى بشرح كأنجم
كتاب أبى عيسى كتاب مبارك … مطوبى لسفر كالنبى(١) المكلم
فيقدرها من غاص بحراً بجهده … وكابد فى أمثالها بالتقـدم
وأرجو من الله الثواب مجازياً … لشرح حديث للنبى المعظم
ولست أبالى حين جازى إلهنا … بمدح رجال أو بنقد مهجم
وهل فى الدنى للعلم والدين والتقى … بناء مديح شـامخ لم يهـدم
لحى الله دنيـانا فـالمت قلوبنـا … بعجب وغمط ثم حب التعظم
فلله حـمـداً دائـمـاً متـواصـلاً … جليلاً جزيلاً كالهبـا لم يختم
وصلى على ختم النبيين كلهم … ختام خصال الخير غير مقدم

---

(١) إشارة إلى قول الترمذى نفسه فى كتابه هذا: "من كان فى بيته هذا الكتاب فكأنما فى بيته نبى يتكلم اه".

بسم الله الرحمن الرحيم

(أبواب الحج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم)

ـــ: أبواب الحج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :ـــ

الحج فى اللغة : القصد إلى معظم ، قاله الخليل كما فى " الفتح" ، وقاله الليث كما فى " شرح المهذب" ، وقال الأزهرى : القصد مرة بعد أخرى ، وقيل : مطلق القصد . وأما فى الشرع فهو : القصد إلى زيارة البيت الحرام على وجه التعظيم بأعمال مخصوصة ، وهو بالفتح والكسر لغتان ، وبهما قرئ فى التنزيل فى السبعة . وقال الطبرى : الكسر لنجد ، والفتح لغيرهم ، وفى " أمالى الهجرى" : أكثر العرب يكسرون الحاء ، وعن الحسين الجعفى : إن الفتح الإسم والكسر المصدر ، وعن غيره عكسه . ووجوب الحج معلوم بالضرورة والإنكار من ضروريات الدين والتأويل فيها سواء فى الإكفار ، وأجمعوا على أنه لا يتكرر إلا بعارض كالنذر ، هذا ملخص ما فى " الفتح" و" العمدة " بزيادة.

وفرض فى السنة السادسة من الهجرة وعليه الجمهور ، لأنها نزل فيها قوله تعالى : (وأتموا الحج والعمرة لله) ، وهذا يبتنى على أن المراد بالاتمام ابتداء الفرض ، ويؤيده قراءة علقمة ومسروق وابراهيم النخعى بلفظ : و" أقيموا " أخرجه الطبرى بأسانيد صحيحة عنهم ، وقيل : المراد بالإتمام الإكمال بعد الشروع ، وهذا يقتضى تقدم فرضه قبل ذلك ، وقد وقع قصة ضمام بن ثعلبة ، وكان قدومه على ما ذكر الواقدى سنة خمس ، وذكر محمد بن حبيب مثله ، وقال الطرطوشى : كان قدومه سنة تسع ، وذكر القرطبى : أنه فرض سنة خمس من الهجرة ، وقال الماوردى : سنة ثمان ، وقال إمام الحرمين : سنة

(باب ما جاء في حرمة مكة)

حدثنا قتيبة بن سعيد نا الليث بن سعد عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي شريح العدوي أنه قال لعمرو بن سعيد - وهو يبعث البعوث إلى مكة - : ائذن لي أيها الأمير ! أحدثك قولاً قام به رسول الله ﷺ الغد من يوم الفتح ،

تسع أو عشر، وقيل: سنة سبع، وقيل : قبل الهجرة وهو شاذ ، هذا ملخص ما في " العمدة " و" الفتح" . وقيل: في السنة التاسعة .

ويرد على الأول أنه ﷺ حج في العاشرة فكيف تأخر لو كان فرضه في السادسة . ولهم أن يجيبوا : بأن الأداء لا يجب على الفور وهذا مذهب محمد بن الحسن من أئمتنا ورواية عن أبي حنيفة ، وقال أبو يوسف : يجب على الفور، وهو أصح الروايتين عن أبي حنيفة كما في " البحر" عن " الخلاصة " ،فليس بصحيح ما يقوله النووي أنه لا نص لأبي حنيفة في ذلك . والأول : مذهب الشافعي والأوزاعي والثوري ، ونقله الماوردي عن ابن عباس وأنس وجابر وعطاء وطاؤس ، والثاني : مذهب مالك وأحمد والمزني ، وروى عن أحمد الأول أيضاً ، واختاره البغداديون من أصحاب مالك ، هذا ملخص ما في " المجموع" و" قواعد ابن رشد " وشرح " المقنع" .

— : باب ما جاء في حرمة مكة :—

قال الحجازيون - مالك والشافعي وأحمد - : إن للمدينة حرماً مثل حرم مكة، فيحرم صيد المدينة وقطع شجرها ، ثم فيه جزاء مثل ما بمكة ، وقيل : الجزاء أخذ السلب . قال ابن قدامة : يحرم صيد المدينة وقطع شجرها ، وبه قال مالك والشافعي وأكثر أهل العلم . وقال أبو حنيفة : لا يحرم . ثم من فعل مما

سمعته أذناى و وعاه قلبي وأبصرته عيناى حين تكلم به : أنه حمد الله وأثنى عليه ثم قال : « إن مكـة حرمها الله ولم يحرمهـا الناس ، ولا يحل لإمرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً أو يعضد بها شجـرة ، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله ﷺ فيها، فقولوا له : إن الله أذن لرسوله ﷺ ولم يأذن لك .

حرم عليه شيئاً أثم ولا جزاء عليه فى رواية لأحمد ، وهو قول مالك والشافعى فى الجديد وأكثر أهل العلم ، وفى رواية لأحمد ، وهو قول الشافعى فى القديم وابن أبى ذئب، واختاره ابن المنذر . . . . فيـه الجزاء ، وهو كما فى حرم مكة . وقيل : الجزاء فى حرم المدينة أخذ السلب لحديث صححه مسلم عن سعد ابن أبى وقاص . . . قال القاضى : لم يقل بعد الصحابـة إلا الشافعى فى القديم انتهى مختصراً من " الفتح " (٤ ـ ٧١) . ومذهب أبى حنيفـة هو مذهب سفيان الثورى وابن المبارك وأبى يوسف ومحمد ، وراجع لأدلتهم " العمدة " (٥ ـ ١٣٦) .

وبالجملة فمذهب أبى حنيفة أنـه ليس حكم حرم المدينة مثل حكم مكة ، وأما حرم مكة ففيه مسألتان :

المسألة الأولى : قطع شجر حرمها ، والضابطة فيه عند أبى حنيفة لزوم الجزاء بقطع شجرة نابتة بنفسها، لامنبتة ولا من جنسها غير جافة ولا منكسرة، ولم يكن إذخراً ولا حشيشاً يابساً قال ابن الهمام فى " الفتح " : وحاصل وجوه المسألـة : أن النابت فى الحرم إما إذخر أو غيره ، وقد جف أو انكسر ، أو ليس واحد منها ، فلا شيئ فى الأول ، وأما الثانى : وهو ما ليس واحداً منها إما أن يكون أنبته الناس أولا ؟ فالأول : لا شيئ فيه أيضاً سواء كان من جنس ما يستنبت عادة أو لا ، والثانى : وهو ما لا ينبته الناس بل نبت بنفسه . .

وإنما أذن لى فيها ساعــة من النهار ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها

ففيه الجزاء ، فما فيه الجزاء هو ما نبت بنفسه وليس من جنس ما ينبته الناس ولا منكسراً ولا جافاً ولا إذخراً آه . ثم إنه قال ابن المنذر : أجمع العلماء على تحريم قطع شجر الحرم ، ثم اختلفوا فى جزائه ، فعند أبى حنيفة والشافعى فيه الجزاء على اختلاف فى التفصيل ، وعند مالك لا جزاء عليــه ، وراجع " العمدة " (٤ — ٥٨٩) للتفصيل .

والمسألة الثانية : حكم الملتجئ إلى الحرم ، فالذى جنى فيما دون النفس خارج الحرم ثم التجأ إلى الحرم فلا يأمن فى الحرم ، فإن الأطراف جارية مجرى الأحوال ، فيقتص منه بخلاف الحدود ، وذلك كمن سرق ثم التجأ إلى الحرم . والذى قتل نفساً خارج الحرم ثم دخله كان آمناً لا يقتل فيه ، ولكنه يلجأ إلى الخروج فلا يطعم ولا يسقى حتى يضطر إلى الخروج ، وإن فعل شيئاً من ذلك فى الحرم يقام عليه الحد . وقال الحجازيون : إن الفار بدم لا يعيذه الحرم ، وحديث الباب فى هذه المسألة لأبى حنيفة . وحكى القرطبى أن ابن الجوزى حكى الإجماع فيمن جنى فى الحرم أنه يقاد منه ، وفيمن جنى خارجه ثم لجأ إليه عن أبى حنيفة وأحمد : أنه لا يقام عليه ، ومذهب مالك والشافعى أنه يقام عليه ، ونقل ابن حزم عن جماعة من الصحابة المنع ، ثم قال : ولا مخالف لهم من الصحابة ، ثم نقل عن جماعة من التابعين موافقتهم ، ثم شنع على مالك والشافعى فقال : قد خالفا فى هذا هؤلاء الصحابة والكتاب والسنة ، حكاه فى " العمدة " (١ — ٥٤٤) ، وراجعها لمزيد البيان .

قوله : ساعة من النهار ، كان مقدار هذه الساعة ما بين طلوع الشمس إلى العصر ، كما فى " مسند أحمد " حكاه فى " العمدة " و" الفتح " من كتاب العلم

بالأمس، وليبلغ الشاهد الغائب» . فقيل لأبى شريح : ما قال لك عمرو بن سعيد ؟

وكتاب الحج . ورواية أحمد هذه من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده . فكان ذلك يوم فتح مكة ، وكان قتل من قتل بإذن النبى ﷺ كابن أخطل ، وقع فى هذا الوقت الذى أبيح فيه القتال ، قاله العينى . فليس المراد بالساعة : الوقت القليل من الزمان بل أريد به اليوم .

قوله : عمرو بن سعيد .

عمرو بن سعيد هذا كان والياً على المدينة من جهة يزيد بن معاوية ، وكان يجهز لقتال عبد الله بن الزبير معاونةً ليزيد، وعمرو بن سعيد هذا هو : ابن العاصى بن أمية القرشى الأموى ، يعرف : " بالأشدق " ، وملقب بـ : لطيم الشيطان ، يكنى : أبا أمية، قتله عبد الملك بن مروان بعد أن آمنه سنة سبعين ، كما هو مذكور تفصيله فى " البداية والنهاية " لابن كثير فى الجزء الثامن ، وقصة قتاله عبد الله بن الزبير معروفة ، وملخصها : إن معاوية لما عهد بالخلافة بعده لابنه يزيد، فبايعه الناس إلا أربعة، منهم الحسين بن على وابن الزبير رضى الله عنهما ، ثم الإمام الحسين رضى الله عنه سار إلى الكوفة بإصرار أهلها ، فوقع ماوقع . وأما ابن الزبير فاعتصم بحرم مكة ، ويسمى : عائذ البيت ، وغلب على أمر مكة ، فكان يزيد يأمر ولاته على المدينة أن يجهزوا لقتاله الجيوش إلى أن أدى ذلك وأمثاله لخلع أهل المدينة بيعة يزيد ، فأنتج ذلك وقعة الحرة بالمدينة ، فقتل فيها مئون من الصحابة وأبنائهم وافتض فيها ألف عذراء على مايقال ، ووقع شر عظيم وفساد كبير على ما يحدثناه التاريخ ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . وذلك سنة ثلاث وستين من الهجرة النبوية على صاحبها الصلوات والتحية .

ويزيد لاريب فى كونه فاسقاً ، ولعلماء السلف فى يزيد وقتله الإمام الحسين خلاف فى اللعن والتوقف . قال ابن الصلاح : فى يزيد ثلاث فرق ، فرقة تحبه ، وفرقة تسبه وتلعنه ، وفرقة متوسطة لاتتولاه ولا تلعنه ، قال : وهذه الفرقة هى المصيبة الخ . ويقول ابن العماد فى "الشذرات" بعد نقله : ولا أظن الفرقة الأولى توجد اليوم . وعلى الجملـة فما نقل عن قتلـه الحسين والمتحاملين عليه يدل على الزندقة وانحلال الإيمان من قلوبهم وتهاونهم بمنصب النبوة ، وما أعظم ذلك ! ثم ذكر كلمة التفتازانى فى شرح "النسفية" من نقل الاتفاق على جواز اللعن ، وإن رضا يزيد بقتله واستبشاره بذلك وإهانته أهل بيت رسول الله ﷺ مما تواتر معناه وإن كان تفصيله آحاداً ، ثم نقل عن الحافظ ابن عساكر أنه نسب إلى يزيد قصيدة ، منها :

ليت أشياخى ببدر شهدوا • جزع الخزرج من وقع الأسل

لعبت هاشم بالملك فلا • ملك جاءه ولا وحي نزل

قال : فإن صحت عنه فهو كافر بلاريب (١) . وبعد تفصيل قال : قال اليافعى : وأما حكم من قتل الحسين أو أمر بقتله ممن استحل ذلك فهو كافر ، وإن لم يستحل ففاسق فاجر والله أعلم اهـ . ونقل ابن كثير فى "البداية والنهاية" (٨ — ٢٢٣) عن الإمام أحمد : لعن يزيد ، وإنه اختارها جماعة ، وإنه انتصر لذلك ابن الجوزى فى مصنف مفرد ، وابن تيمية فى "منهاجه" يذكر هذه الرواية عن أحمد أيضاً ، ويقول : ولكنها رواية منقطعة اهـ .

---

(١) يقول الحافظ ابن كثير فى "البداية والنهاية" (٨ — ٢٢٤) : فهذا إن قاله يزيد بن معاوية فلعنة الله عليه ولعنة اللاعنين . وإن لم يكن قاله فلعنة الله على من وضعه عليه ليشنع به عليه اهـ ، منه .

قــال : أنا أعــلم منك بذلك ، يا أبا شــريح ! إن الحــرم لا يعيــذ

والبيت الأول من شعر ابن الزبعرى ، والثانى يذكر ابن كثير أنه من زيادة بعض الروافض والله أعلم .

وبالجملة فلا يتمسك بقول عمرو بن سعيد هذا . قال الشيخ : وقد رأيت فى بعض الكتب من أخبار عمرو بن سعيد هذا : أن رجلاً كان اشتراه النبى ﷺ من جد وأعتقه ، وكان للمعتق هذا حفيد ، فدعاه عمرو بن سعيد يوماً وقال له : أنت مولى من ؟ قال : أنا مولى رسول الله ﷺ ، فضربه عمرو بسوطه ، ثم دعاه مرةً أخرى وقال له كما قال سابقاً ، فأجابه بما كان أجابه من قبل ، فضربه كذلك ، فإذا كان هذا حال الرجل فكيف يستدل بقوله ؟ قال الراقم : ولم أقف عليه فيما عندى من المآخذ .

قوله : أنا أعلم منك. كذب فيه ، فإن أبا شريح صحابى جليل ، يروى خطبته ﷺ كلمةً كلمةً ، سمعها ووعاها ، وأبصره ﷺ عيناه حين يخاطب ، فكيف يكون هو أعلم بها منه ؟ فلا يمكن الإستدلال بقوله . قال ابن حزم : لا كرامة للطيم الشيطان أن يكون أعلم من صاحب رسول الله ﷺ ، حكاه العينى ، وقد أجابه أبو شريح كما فى " مسند أحمد " : فقلت لعمرو : قد كنت شاهداً وكنتَ غائباً ، وقد أمرنا أن يبلغ شاهدنا غائبنا ، و قد بلغتك ، حكاه العينى أيضاً . ويقول الحافظ فى " الفتح " (١ — ١٧٧) : وقد تصرف عمرو فى الجواب وأتى بكلام ظاهره حق لكن أراد به الباطل ، فإن الصحابى أنكر عليه نصب الحرب على مكة ، فأجابه بأنها لا يمنع من إقامة القصاص وهو صحيح إلا أن ابن الزبير لم يرتكب أمراً يجب عليه فيه شيئ من ذلك اهـ .

عاصياً ولا فاراً بدم ولا فاراً بخربة »

قال أبو عيسى : ويروى « بخزيــة » . وفى الباب عن أبى هريرة وابن عباس . قال أبو عيسى حديث أبى شريح حديث حسن صحيح ، وأبو شريح الخزاعى اسمه : خويلد بن عمرو العدوى الكعبى . ومعنى قوله : « ولا فاراً بخربة » يعنى : جناية ، يقول : من جنى جناية أو أصاب دماً ثم جاء إلى الحرم فإنه يقام عليه الحد .

(باب ما جاء فى ثواب الحج والعمرة)

حدثنا : قتيبة بن سعيد وأبو سعيد الأشج قالا نا أبو خالد الأحمر عن عمرو ابن قيس عن عاصم عن شقيق عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ : « تابعوا

قوله : عاصياً الخ . لم يكن عبد الله الزبير عاصياً فى عدم بيعة يزيد ولا فاراً بدم . قال ابن بطال : وابن الزبير رضى الله عنه أولى بالخلافة من يزيد وعبد الملك عند علماء السنة . لأنــه بويع لابن الزبير قبل هؤلاء الخ ، كما فى " العمدة " (١ ــ ٥٤١) .

و" الخربة " : بفتح المعجمة وسكون الراء ، وثبت تفسيرها بالسرقة فى رواية المستملى ، كما فى " العمدة " و" الفتح " .

تنبيه : راجع " العمدة " و " الفتح " لبقية أبحاث الحديث وفوائده من العلم ومن المناسك .

ــ: باب ما جاء فى ثواب الحج والعمرة :ــ

ذكر صاحب " البحر" : إن الحج يكفر الصغائر ولا يقطع فيه بتكفير

بين الحج والعمرة ، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة ، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة » .

وفى الباب عن عمر وعامر بن ربيعة وأبى هريرة و عبد الله بن حبشى وأم سلمة وجابر .

قال أبو عيسى : حديث ابن مسعود حديث حسن صحيح غريب من حديث عبد الله بن مسعود .

الكبائر ، كما ذكره فى أواخر الجزء الثانى ، وأطال فيه البحث والتحقيق واستوفى أقوال العلماء ، وإلى التكفير يظهر جنوحه . وراجعه (٢ — ٢٣٨) من (باب الإحرام فى الوقوف على عرفات) . ويقول الحافظ فى " الفتح " (٣ — ٣٠٣) فى شرح قوله : « رجع كيوم ولدته أمه » . ظاهره غفران الصغائر والكبائر ، والتبعات وهو من أقوى الشواهد لحديث العباس بن المرداس المصرح بذلك - يريد ما أخرجه ابن ماجه ، وفيه : « ثم أعاد الدعاء بالمزدلفة فأجيب حتى الدماء والمظالم » ، وأخرجه أبو داود أيضاً ، وفيه كنانة بن عباس، قال البخارى :لا يصح، وذكره ابن حبان فى الثقات ،راجع " التهذيب " ، قال : وله شواهد من حديث ابن عمر فى " تفسير الطبرى " آه .

والكير — بالكسر — : الزق الذى ينفخ فيه ، وأما الموضع الذى يوقد فيه الفحم من حانوت الحداد والصائغ فهو : الكور ، بضم الكاف . وقيل بالعكس ، وقيل: لا فرق بينهما ،.والقول الأول قول صاحب " المحكم " ، وأكثر أهل اللغة على أن الكير حانوت الحداد والصائغ . وهذه الأقوال كلها ذكرها البدر العينى فى " العمدة " (٥ — ١٤٢) والحافظ فى " الفتح" (٤ — ٧٦) .

« والحج المبرور» قالوا : هو الحج الخالص من الجنايات . قال فى

حدثنا : ابن أبي عمر نا سفيان بن عيينة عن منصور عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من حج فلم يرفث ولم يفسق غفر له ما تقدم من ذنبه» .

قال أبو عيسى : حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح . وأبو حازم كوفي ، وهو الأشجعي ، واسمه : سلمان مولى عزة الأشجعية .

" العمدة " (١ — ٢١٩) : والمبرور هو الذي لا يخالطه إثم، ومنه : " برت يمينه " إذا سلم من الحنث ، وقيل : هو المقبول ، ومن علامات القبول أنه إذا رجع يكون حاله خيراً من حال الذي قبله، وقيل : هو الذي لا رياء فيه ، وقيل : هو الذي لا تتعقبه معصية ، وهما داخلان فيما قبلهما آه . والذي رجحه النووي: أنه الذي لا يخالطه شئ من الإثم . وقال القرطبي : الأقوال في تفسيره متقاربة ، وهي أن الحج الذي وفيت أحكامه ووقع موقعاً لما طلب من المكلف على الوجه الأكمل ، حكاه في " الفتح" (٣ — ٣٠٢) . والذي يظهر لي أن يفسر الحج المبرور بقوله تعالى: (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج○) ، فمن كان حجه بهذه الصفة فهو المبرور، ويؤيده حديث الباب حيث قال فيه : «ومن حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه» والله أعلم .

قوله : «فلم يرفث» في حديث أبي هريرة ، فالرفث الكلام الفاحش بحضور النساء . قال الأزهري: الرفث اسم جامع لكل شئ مما يريد الرجل من المرأة . وقال ابن سيدة : الرفث الجماع ، وقال غيره : ويطلق على التعريض به وعلى الفحش في القول . قال عياض : هذا من قول الله تعالى : (فلا رفث ولا فسوق) . والجمهور على أن المراد به في الآية : الجماع اه . قال الحافظ: والذي يظهر أن المراد في الحديث ما هو أعم من ذلك ، وإليه نحا القرطبي

(باب ما جاء من التغليظ فى ترك الحج)

حدثنا : محمد بن يحيي القطعي البصري نا مسلم بن ابراهيم نا هلال بن

وهو المراد بقوله فى الصيام : « فإذا كان صوم أحدكم فلا يرفث » .

ثم " الرفث " مثلثة الفاء فى الماضى ، والأفصح الفتح فى الماضى والضم فى المستقبل ، هذا ملخص ما فى " العمــدة " (٤ ــ ٤٩٢) و " الفتح " (٣ ــ ٣٠٢) .

وحديث أبى هريرة فى الباب ينهى عن الفسوق والرفث فى الحج ، مع أن الفسق منهى عنه فى الشريعة فى كل حين ، ووجه ذلك أن فى الحاجة فيه زيادة تقبيح وتشنيع وزيادة تأكيد بأن الحج أبعد الأعمال من الفسق ، كما أفاده الشيخ .

والفسق فى اللغة : الفتق والخروج ، وفى اصطلاح الشريعــة : المعصية والخروج عن الطاعة . قال فى " النهاية " و " اللسان " : أصل الفسق : الخروج عن الاستقامة والجور ، وبه سمى العاصى : فاسقاً ، وسميت الفأرة : فويسقة ـ تصغير فاسقة ـ لخروجها من جحرها على الناس وإفسادها اهـ .

أقول : ولما كان حقيقة الحج عبادة بحيث يكون العابد كأنه مستغرق فى حبه ولا يرى إلا محبوبه ، وكأنه غفل عن كل شئ غيره كما يدل عليه ظاهر حاله من الإحرام وأعماله من الطواف والسعى والهاً باكياً ملبياً داعياً ، فإذن تنافى هذه الحالة أن يكون فيها من الفسوق والرفث ، وكل ما ينافى تلك الحقيقة فمن أجل ذلك ورد ذلك التعبير .

ـــ: باب ما جاء من التغليظ فى ترك الحج :ـــ

حديث الباب أخرجه الترمذى من طريق هلال بن عبد الله ، وهو مجهول

عبد الله مولى ربيعة بن عمرو بن مسلم الباهلي نا أبو إسحاق الهمداني عن الحارث عن علي قال : قال رسول الله ﷺ : « من ملك زاداً و راحلــةً تبلغه إلى بيت الله ولم يحج فلا عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً ، وذلك أن الله يقول في كتابه : (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ○) .

عند الترمذي ، ومنكر الحديث عند البخاري ، وغير متابع على حديثــه عند العقيلي ، كما في " الميزان " ، ولكن يقول الذهبي في " ميزانه " : قد جاء بإسناد أصلح من هذا اهـ . وقد أورده ابن الجوزي في " الموضوعات " ، قال القاضي العز بن جماعة في مناسكه : لا التفات إلى قول ابن الجوزي : " إن حديث علي موضوع " ، وكيف يصفه بالوضع وقد أخرجــه الترمذي في " جامعه " . والحديث مؤول على من يستحل تركه أو لا يعتقد وجوبه ا هـ . ويقول الحافظ العراقي : الحديث خرج مخرج تحذير وتخويف من تركــه مع قدرته كقوله : ليس بمؤمن من فعل كذا ، وليس منا من فعل كذا ، أو أراد من استحل تركه مع قدرته اهـ . وللحديث شواهد من حديث أبي أمامة عند سعيد ابن منصور في " سننه " ، وأحمد في كتاب الإيمان ، وأبي يعلى والبيهقي من طرق شريك عن ليث بن أبي سليم عن أبي سابط عن أبي أمامة ، ورواه سفيان مرسلاً عن ابن سابط عند أحمد في الإيمان وابن أبي شيبة . قال المنذري : طريق أبي أمامة على فيها أصلح من هذه اهـ .

ومن حديث أبي هريرة مرفوعاً عن ابن عدي : « من مات ولم يحج حجة الإسلام في غير وجع أو حاجــة ظاهرة أو سلطان جائر فليمت أي الميتتين شاء ، إما يهودياً أو نصرانياً » ، وفيه عبد الرحمن القطامي عن أبي المهزم ، وهما متروكان ، وله طرق أخرى موقوفة صحيحة عند سعيد بن منصور والبيهقي عن عمر بن الخطاب أنه قال : « ليمت يهودياً أو نصرانياً » ، يقولها ثلاث مرات ،

قال أبو عيسى : هذا حديث غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وفى إسناده مقال . وهلال بن عبد الله مجهول . والحارث يضعف فى الحديث .

رجل مات ولم يحج وعنده لذلك سعة خليت سبيله » ، وهذا لفظ البيهقى ، فيقول الحافظ فى " التلخيص " (ص — ٢٠٣) : وإذا انضم هذا الموقوف الى مرسل ابن سابط علم أن لهذا الحديث أصلا ، ومحمله على من استحق الترك ، وتبين بذلك خطأ من ادعى أنه موضوع والله أعلم . هذا ملخص ما فى " تعقبات السيوطى " و " تلخيص الحافظ " و " قوت المغتذى " .

قال الراقم عفا الله عنه : والسر فى جعله موته موت اليهودى والنصرانى أن الله سبحانه وتعالى جعل حج بيت الله الحرام من أعظم شعائر الملة الإبراهيمية ، ولاريب أن اليهود والنصارى يعادون ذلك ويخالفونه ، فالمسلمون يعرفون بمثل إقامة هذه الشعيرة ، وبها تظهر شوكتهم بكل معنى الكلمة . فترك ركن عظيم هو من شعائر الملة مثل هذا من أركان الإسلام مع القدرة والاستطاعة يكاد يكون خروجاً عن الملة ولحوقاً باليهود والنصارى التاركين المخالفين لهذا الشعار العظيم ، وإذا رأيت أن اليهود والنصارى يصلون ولايحجون كما أن المشركين كانوا يحجون ولا يصلون فالتشبه التام يحصل باليهود والنصارى فى ترك الحج ، كما أن التشبه الكامل بالمشركين وعامة الكفار يحصل بترك الصلاة ، ومن أجل هذا وقع تشبيه تاركها بالمشرك والكافر فى لسان الشرع ، والله أعلم .

(باب ما جاء فى ايجاب الحج بالزاد و الراحلة)

حدثنا : يوسف بن عيسى نا وكيع نا ابراهيم بن يزيد عن محمد بن عباد ابن جعفر عن ابن عمر قال : « جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله : ما يوجب الحج ؟ قال : الزاد والراحلة » .

— : باب ما جاء فى إيجاب الحج بالزاد و الراحلة : —

التاء فى الراحلة ليست للتأنيث بل للنقل من الوصفية إلى الإسمية . ويقول ابن الأثير : للمبالغة ، فقال : الراحلة من الإبل : البعير القوى على الأسفار والأحمال ، والذكر والأنثى فيه سواء ، والهاء للمبالغة ، وهى التى يختارها الرجل لمركبه ورحله على النجابة وتمام الخلق وحسن المنظر ، فإذا كانت فى جماعة الإبل عرفت اهـ . وقال ابن قتيبة إمام غريب الحديث واللغة : إنها تستعمل فى الأنثى خاصة ، كذلك فهمه الأزهرى من تفسير ابن قتيبة للراحلة ، كما ذكره صاحب " اللسان " .

وحديث الباب حسنه الترمذى مع أن فيه " ابراهيم بن يزيد " ، ضعيف عند الأكثر ، ولذا قيل : إن تحسين الترمذى فيه تساهل ، ولعله حسنه باعتبار شواهده ، كذا أفاده الشيخ . والظاهر أن رأى الترمذى فيه أنه حسن ، ولذا حسن روايته ، يدل عليه قوله : وقد تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه . وقال فيه أحمد والنسائى : متروك الحديث . والحديث أخرجه الشافعى وابن ماجه والدارقطنى أيضاً ، كما فى " التلخيص " ، وفيه حديث ابن عباس عند ابن ماجه والدار قطنى وحديث جابر وحديث على أبى طالب وابن مسعود وعائشة وعمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، كلها عند الدار قطنى ، وكلها ضعيف ، كما حكاه فى " التلخيص " عن عبد الحق . وقال أبوبكر بن المنذر :

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن ، والعمل عليه عند أهل العلم : أن الرجل إذا ملك زاداً وراحلةً وجب عليه الحج . وابراهيم بن يزيد هو الخوزى المكى ، وقد تكلم فيه بعض أهل العلم من قبل حفظه .

ولا يثبت الحديث فى ذلك مسنداً . والصحيح من الروايات رواية الحسن المرسلة ، وقد رواها سعيد بن منصور والبيهقى . قيل : يا رسول الله ما السبيل ؟ — أى فى الآية — قال : « الزاد والراحلة » . هذا ملخص ما فى " التلخيص " و" نصب الراية " ، ومن شاء المزيد فليراجع " نصب الراية " (٣ — ٧ وما بعدها) ، ولكن الطرق فى مثلها إذا تعددت أحدثت قوةً كما صرحوا بذلك فى مواضع .

قوله : إذا ملك الخ . أجمعوا على أن شرط وجوب الحج الاستطاعة بالبدن والمال مع الأمن ، وإنما اختلفوا فى تفصيل الاستطاعة بالبدن والمال . فقال أبوحنيفة والشافعى وأحمد : إن من شرط ذلك الزاد والراحلة ، وهو قول ابن عباس وابن عمر والفاروق . وقال مالك : من استطاع المشى فليس وجود الراحلة من شرط الوجوب فى حقه بل يجب عليه الحج ، وكذلك الزاد عنده ليس من شرط الاستطاعـــة إذا كان ممن يمكنه الاكتساب فى طريقه ولو بالسؤال ، كما فى " بداية المجتهد " لابن رشد ، وقيده غيره بمن عادته السؤال . والأول مذهب الجمهور ، ونقله ابن المنذر عن الحسن البصرى ومجاهد وسعيد بن جبير واسحاق أيضاً . وبه قال الثورى وعبد العزيز بن أبى سلمة وابن حبيب وسحنون من أصحاب مالك . قال البغوى : وهو قول العلماء ، وقال الترمذى : والعمل عليه عند أهل العلم ، ومذهب مالك ذهب إليه داود أيضاً .

وبالجملة الأول هو مذهب جمهور أهل العلم من الصحابة والتابعين والأئمة

(باب ما جاء : كم فرض الحج ؟)

حدثنا : أبو سعيد الأشج نا منصور بن وردان الكوفى عن على بن عبد الأعلى عن أبيه عن أبى البخترى عن على بن أبى طالب قال : « لمانزلت : (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ○) قالوا : يا رسول ! أفى كل عام ؟ فسكت ، فقالوا : يا رسول الله ! أفى كل عام ؟

المتبوعين ، والحديث المرفوع وإن لم يصح غير أنه صح فيه مرسل الحسن وموقوف الفاروق كما تقدم ، وتلقى الأمة الحديث المروى فى الباب وأمثاله من جملة وجوه الصحة وإن لم يصح من جهة الإسناد فيه مرفوع ، وحجة مالك فى المسألة عموم الآية أى : (من استطاع إليه سبيلاً ○) ، وعدم صحة خبر مرفوع فيه ، وعدم وجود إجماع على تخصيص الآية ، هذا ملخص ما فى " قواعد ابن رشد " و" المغنى " لابن قدامة (٣ ــ ١٦٩) و" شرح المهذب " (٧ ــ ٧٨) و" تفسير القرطبى " (٤ ــ ١٤٧) و" تفسير الخازن " (١ ــ ٢٦١) و" الزرقانى على المؤطأ " ، وراجع " العمدة " (٤ ــ ٤٨٢) لإيضاح بعض الأطراف .

ــ: باب ما جاء : كم فرض الحج :ــ

أجمعوا على أن الحج فرض فى العمرمرة واحدة ، وممن نقل الإجماع على ذلك النووى فى شرح " مسلم " ، فقال : وأجمعت الأمة على أن الحج لايجب فى العمر إلامرة واحدة بأصل الشرع ، وقد تجب زيادة بالنذر آه .

و" أبو البخترى " بفتح الباء وسكون الخاء المعجمة هو : سعيد بن فيروز ابن أبى عمران الطائى مولاهم الكوفى ، تابعى جليل ، مات فى الجماجم سنة

قال : لا ، ولو قلت : "نعم" لوجبت، فأنزل الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ○) » .

وفى الباب عن ابن عباس وأبى هريرة . قال أبو عيسى : حديث على حديث حسن غريب من هذا الوجه ، واسم أبى البخترى : سعيد بن أبى عمران ، وهو سعيد بن فيروز .

---

٨٣ ــ ﻫ ، وكان كثير الحديث ، وروايتــه عن عمر وعلى وزيد بن ثابت وأبى سعيد وعائشة وأبى ذر مرسل . فإذن حديث الباب فيــه انقطاع حيث لم يثبت سماعه عن على . أنظر " التهذيب " .

وأما بضم الباء الموحدة وسكون الحاء المهملة فشاعر إسلامى مشهور ، وهو : أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائى البحترى ، من أشعر أهل عصره إن لم يكن أشعرهم المتوفى سنة ١١٩ ــ ﻫ بالرقة ، ويقال : لشعره سلاسل الذهب ، وهو فى الطبقة العلياء ، وقيل لأبى العلاء المعرى : أى الثلاثة أشعر : أبو تمام ، أم البحترى ، أم المتنبى ؟ فقال : أبو تمام والمتنبى حكيمان ، وإنما الشاعر البحترى . وراجع " وفيات القاضى ابن خلكان " لترجمته .

وكنت سألت إمام العصر شيخنا رحمه الله صاحب " الأمالى على الترمذى " : أى الديوان من دواوين الشعر يكفى إذا أراد أحد أن يكتفى به دون غيره ؟ فقال : " ديوان البحترى " ! فوجدته كما قال رحمه الله تعالى .

قوله : لو قلت : " نعم " لوجبت .

قال النووى فى شرح " مسلم " (١ ــ ٤٣٢) : فيــه دليل للمذهب الصحيح أنه ﷺ كان له أن يجتهد فى الأحكام الشرعية ولا يشترط فى حكمه

(باب ما جاء : كم حج النبي صلى الله عليه وسلم ؟)

حدثنا : عبد الله بن أبي زياد نا زيد بن حباب عن سفيان عن جعفر بن محمد عن أبيـــه عن جابر بن عبد الله : « إن النبي ﷺ حج ثلاث حجج ،

أن يكون بوحي ، وقيل : يشترط ، وهذا القائل يجيب عن هذا الحديث بأنه لعله أوحي إليه ذلك اه .

ــ: باب ما جاء : كم حج النبي صلى الله عليه وسلم ؟ :ــ

حجته ﷺ بعد الهجرة إلى المدينة واحدة ، وأما حجـــته بعد النبوة قبل الهجرة وبعدها فيقول الحافظ ابن كثير في " البداية والنهاية " (٥ — ١٠٩): ولكن حج قبل الهجرة مرات قبل النبوة وبعدها اه . وفي (٥ — ١١٠) . . . « فإنه عليه الصلاة والسلام كان بعد الرسالة يحضر مواسم الحج ويدعو الناس إلى الله عزوجل ويقول : « من رجل يؤويني حتى أبلغ كلام ربي فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي عزوجل ، حتى قيض الله جماعة الأنصار يلقونه ليلة العقبة أي عشية يوم النحر عند جمرة العقبة ثلاث سنين متتاليات حتى إذا كان آخر سنة بايعوه ليلة العقبة الثانية ، وهي ثالث اجتماعه لهم به آه » . وقد أنكره بعض من لا خبرة لـــه بالأحاديث من أبناء العصر ، وهذا يكفي للرد عليه . وبالجملة رواية الترمذي في الباب على حجتين قبل الهجرة ، ولكن روايتـــه ليست محفوظة عندهم ، ولعل المعتمد ما حققه ونقحه ابن كثير والله أعلم .

وأما قبل النبوة فالحجج ثابتة عنه ﷺ غير أنا لا ندري عددها ، ويدل على ذلك ما في " صحيح مسلم " (١ — ٤٠١) (باب حجة النبي ﷺ) من حديث جبير بن مطعم قال : « أضللت بعيراً لي فذهبت أطلبه يوم عرفة فرأيت

حجتين قبل أن يهاجر، وحجة بعد ما هاجر، ومعها عمـرة، فساق ثلاثة وستين بدنة، وجاء علي من اليمن ببقيتها، فيها جمل لأبي جهل، في أنفه برة من

رسول الله ﷺ واقفاً مع الناس بعرفة، فقلت: والله إن هذا لمن الحمس. فما شأنه ههنا؟ وكانت قريش تعد من الحمس. قال الشيخ: ولعل عمله ﷺ هذا من الوقوف بعرفات كان بمقتضى فطرته السليمة. قال القرطبي في "تفسيره" (٤ ـ ١٤٣): وقد حج النبي ﷺ قبل حج الفرض، وقد وقف بعرفة ولم يغير من شرع ابراهيم ماغيروا حتى كانت قريش تقف بالمشعر الحرام الخ، يريد أنه ﷺ لم يتبع قريشاً في ذلك بل اقتفى شرع ابراهيم عليـه السلام وفاق بقية الناس من العرب، فإن القريش كانوا يحجون كل عام، وكانوا يكتفون بالوقوف على مزدلفة ولايخرجون منها إلى عرفات، والناس كلهم من عدا قريش يبلغون عرفات ويقفون بها

ثم إن قوله: "معها عمرة" في حديث جابر في الباب يدل صراحة على أنـه ﷺ كان قارناً في حجة الوداع، وهذا يفيدنا في مسألة أفضلية القران كما سيأتي قريباً.

قوله: فساق ثلاثة وستين بدنة.

والسر في نحره ﷺ ثلاثاً وستين بدنة ما ذكروا: أن عمره ﷺ كان بلغ ثلاثاً وستين سنـة، وكان علي رضي الله عنه جاء من اليمن بسبع وثلاثين تتمـة المائة، ونحر منها على اثنتين وثلاثين بدنـة، قيل: وكان عمره رضي الله عنه إذ ذاك اثنتين وثلاثين عاماً، وخمس منها نحرها النبي ﷺ. وثبت في الصحيح في (باب من يتصدق بجلال البدن) من حديث علي: «أن النبي ﷺ أهدى مائة بدنة الخ»، وثبت في حديث جابر الطويل عند "مسلم": «فنحر ثلاثاً وستين بيـده ثم

أعطى علياً فنحر ما غبر» الحديث. ووقع فى رواية ابن اسحاق عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عند أبى داود فى حديث على : «نحر النبى ﷺ ثلاثين بدنة وأمرنى فنحرت سائرها» وكذا فى حديث ابن أبى ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس عند أحمد (١ ــ ٣١٤) ، وبإسناد آخر عنده (١ ــ ٢٦٠) مثله ، وكلاهما ضعيف

وطريق الجمع على ما ذكره البدر العينى والحافظ العسقلانى : «إن النبى ﷺ نحر ثلاثين ثم أمر علياً أن ينحر فنحر سبعاً وثلاثين مثلاً ، ثم نحر النبى ﷺ ثلاثاً وستين، هذا طريق يتأتى ذلك، قالا : وإلا فالذى رواه مسلم أصح، والله أعلم . أنظر " العمدة " (٤ ــ ٧٣٠) و " الفتح " (٣ ــ ٤٤٣) . وكونها على وفق عمره ﷺ ذكره ابن حبان وغيره ، كما فى " تاريخ ابن كثير" (٥ ــ ٨٨) . وكون البدن التى نحرها على رضى الله عنه كانت وفق عمره لم أقف على من ذكره . وولادة على رضى الله عنه على الصحيح كما فى " الإصابة " بعشر سنين قبل البعثة ، فيكون عمره رضى الله عنه فى حجة الوداع ثلاثاً وثلاثين سنة ، وتوفى سنة أربعين من الهجرة، فوافق عمره عمر رسول الله ﷺ . واختار ابن القيم منحى آخر فى حديث أحمد وأبى داود فقال : هذا غلط ، انقلب على الراوى، فإن الذى نحر ثلاثين هو على ، فإن النبى ﷺ نحر سبعاً بيده لم يشاهده على ولا جابر، ثم نحر ثلاثاً وستين أخرى، فبقى من المائة ثلاثين فنحرها على الخ ، وكانت البدن يزدلفن إليه ﷺ للنحر ويتسابقن ، كما ثبت ذلك فى حديث عبد الله بن قرط عند أبى داود فى (باب الهدى إذا عطب قبل أن يبلغ) وفيه : «وقرب لرسول الله ﷺ بدنات خمس أوست فطفقن يزدلفن إليه بأيتهن يبدأ» الحديث. فيتحمل أن تكون تلك الحال فى سائر البدن ، ولم أره صريحاً والله أعلم . وهذا من جملة معجزاته ﷺ . وفى

فضمة فنحرها ، فأمر رسول الله ﷺ من كل بدنة ببضعة، فطبخت وشرب من مرقها »

رواية لأبي داود : « إنه ﷺ نحر خمس بدنة » ، وتعرض المحدثون إلى إعلالها .

قال شيخنا : ومحمله عندي أنه نحر ثلاثاً وستين في مجلس ثم في آخر نحر خمساً فلا منافاة بين الروايتين . ويقول صاحب " الهدى" : فإن المائة لم تقرب إليه جملة، وإنما كانت تقرب إليه إرسالاً ، فقرب منهن إليه خمس بدنات رسلاً ، وكان ذلك الرسل يبادرن ويتقربن إليه ليبدأ بكل واحدة منهن ا هـ . ولم أقف على من أعل الحديث، والله أعلم .

قوله : وشرب من مرقها .

هذا يدل صراحةً على أنه ﷺ كان قارناً ، فإنه لا يجوز للمهدى أن يأكل من دم الجناية ، ويؤيد الحنفية في أن دم القران والتمتع دم شكر ، ويجوز له الأكل منه لا دم جبر كما يقوله الشافعي ، ولا يجوز عنده أن يأكل من دم الجبر .

واعلم أن الدماء نوعان : (١) دم المتعة والقران والأضحية وهدى التطوع إذا بلغ محله . (٢) دم النذر والكفارات والإحصار .

فالأول : يجوز له الأكل منه بل يستحب ، والثاني : لا يأكل منه، هذا هو تنقيح مذهب إمامنا . وقد استدل بهذا الحديث صاحب " الهداية "

قال أبو عيسى : هذا حديث غريب من حديث سفيان ، لا نعرفـه إلا من حديث زيد بن حباب ، ورأيت عبد الله بن عبد الرحمن روى هذا الحديث فى كتبه عن عبد الله بن أبى زياد .

وسألت محمداً عن هذا فلم يعرفه من حديث الثورى عن جعفر عن أبيه عن جابر عن النبى ﷺ ، ورأيته لا يعد هذا الحديث محفوظاً ، وقال : إنما يروى عن الثورى عن أبى اسحاق عن مجاهد مرسل .

للمذهب ، وأما عند الشافعى فيجب الدم فى التمتع والقران ، وذلك الدم دم جبران لسقوط الميقات وبعض الأعمال كما فى " شرح المهذب (٧ ـ ١٦٣) . ثم الأصح عند الشافعية أنه كان قارناً فى آخره ، فكيف أكل من هداياه وكان فيها دم القران أيضاً ، فلم يكن إذن كلها هدايا تطوع وأضحية حتى يستحب الأكل منها جميعاً والله أعلم .

فائدة : البدنة بفتحتين وجمعها : بدن ، بالضم ، ولا يختص عندنا بالإبل كما هو عند الشافعى بل يعم البقر أيضاً . والبدن التى جاء بها على من اليمن كان اشتراها ، ولعله بأمره ﷺ ، ولم تكن من الصدقة ، نبه عليه النووى .

والبرة ـ بضم الباء وفتح الراء المهملة المخففة ـ : الحلقة فى أنف البعير ، وأصلها بروة مثل فروة ، جمعها : برى ، وبراة ، وبرين . وفى البرة يشد الخطـام .

وقوله : من فضة ، وقع للبيهقى كما فى "قوت المغتذى" : « من ذهب » ، فيحتمل إن صح أن يكون بعضها منـه ، وهو اختلاف بين ابن اسحاق وابن المنهال فى الرواية فى حديث ابن عباس عند أبى داود . ثم إن فى حديث ابن عباس

حدثنا : اسحاق بن منصور نا حبان بن هلال نا همام نا قتادة قال : قلت لأنس بن مالك : « كم حج النبي ﷺ ؟ قال : حجةً واحدةً ، واعتمر أربع عمر ، عمرة فى ذى القعدة ، وعمرة الحديبية ، وعمرة مع حجته ، وعمرة الجعرانة إذ قسم غنيمة حنين » .

عند أبي داود فى (باب الهدى) : « إن رسول الله ﷺ أهدى عام الحديبية فى هدايا رسول الله جملاً كان لأبى جهل الخ » فعلم منه أنه لم يبق إلى حجة الوداع حيث نحر فى جملة هدى الحديبية ، وأيضاً جمل أبى جهل يصل إلى اليمن ، وهذا بعيد والله أعلم .

وقوله : « فشرب من مرقها » ، قال النووى : لما كان الأكل من كل واحدة سنة وفى الأكل من كل كلفة جعلت فى قدر لتطبخ ويؤكل من مرق كلها اه ملخصاً . والبضعة ـ بفتح الباء لا غير ـ : قطعة من اللحم . وعبد الله ابن عبد الرحمن هو : أبو محمد التميمى الدارمى السمرقندى صاحب " المسند "، المتوفى سنة ٢٥٥ ـ هـ ، رحل وطوف وسمع النضر بن شميل ويزيد بن هارون وطبقتها ، وفيه يقول رجاء بن مرجى : ما أريت أعلم بالحديث منه ، ولما نعى إلى الإمام البخارى استرجع وبكى وأنشد :

إن عشت تفجع بالأحبة كلهم * وبقاء نفسك لا أبالك أفجع

يروى عنه البخارى خارج " الصحيح " ، ومسلم والترمذى وأبو داود ومن أصحاب الأمهات ، وكان يضرب به المثل فى الحلم والدراية والحفظ والعبادة والزهد ، وراجع ترجمته من " تاريخ الخطيب " و " التهذيب " .

قوله : أربع عمر . ثلاث منها كانت فى ذى القعدة إحرامها وأفعالها ،

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح . وحبان بن هلال أبوحبيب البصرى هو جليل ثقة ، وثقه يحيى بن سعيد القطان .

(باب ما جاء : كم اعتمر النبى صلى الله عليه وسلم ؟)

حدثنا : قتيبــة نا داود بن عبد الرحمن العطار عن عمرو بن دينار عن عكرمــة عن ابن عباس : « إن رسول الله ﷺ اعتمر أربع عمـر : عمرة

وأما التى فى حجة الوداع فكان إحرامها فى ذى القعدة وأعمالها فى ذى الحجة ، وفيه أيضاً حديث عائشة عند ابن ماجــه بإسناد صحيح : « لم يعتمر رسول الله ﷺ إلا فى ذى القعدة » ، وحديث أنس عند الترمذى متفق عليه من رواية الشيخين، وحديث أبى هريرة عند البيهقى وغيره مثله ، وراجع لمزيد البحث والتفصيل " العمدة " (٥ ـ ٧ إلى ١٠) و" الفتح" (٤ ــ ٤٧٧) و " فتح القدير" من (باب الفوات) .

ــ: باب ما جاء : كم اعتمر النبى صلى الله عليه وسلم ؟ :ــ

خرج رسول الله ﷺ معتمراً عام الحديبية فأحصر عنهــا فنحر الهدى هناك وحلق وأحل ، وفى مثلــه يقول الحنفية : من أحرم بالعمرة فأحصر فيهدى وينحر ويقضى من العام المقبل . وقال الحجازيون: لا قضاء إذا أحصر بالعذر السماوى، واختلف فيه العلماء سلفاً وخلفاً فيما يقع به الإحصار، فقال أبو حنيفة وأصحابه أبو يوسف ومحمد وزفر وسفيان الثورى : أنــه يقع بكل حابس من مرض أو عدو أو كسر أو عرج أو ذهاب نفقة ونحوها مما يمنعه عن الوصول إلى البيت الحرام ، وروى ذلك عن ابن مسعود وزيد بن ثابت وابن عباس وابن الزبير وعلقمة وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير ومجاهد والنخعى

الحديبية ، وعمر الثانية من قابل : عمرة القصاص فى ذى القعدة ، وعمرة الثالثة من الجعرانة ، والرابعة التى مع حجته » .

وفى الباب عن أنس وعبد الله بن عمـــرو وابن عمر . قال أبو عيسى : حديث ابن عباس حديث غريب . وروى ابن عيينة هذا الحديث عن عمرو بن

وعطاء ومقاتل بن حيان ، وقال مالك والشافعى وأحمد والليث: أنه لا يكون إلا بالعدو ، وفى قوله تعالى: (فإن أحصرتم ، الآية) وقع التعبير بالإحصار ، وقد ذكر أئمة اللغة كالفراء والكسائى والأخفش وأبى عبيدة وابن السكيت والقتبى وغيرهم : أن الإحصار المنع بالمرض ، بل يقول أبو جعفر النحاس: على ذلك جميع أهل اللغة ، وليراجع لأدلة الفريقين " العمدة " (٥ ــ ٣٨) و " أحكام القرآن " للجصاص و " فتح القدير" لابن الهمام ، وليس هذا موضع إنهاء البيان . والذى تقدم من الشافعى القول بالقضاء فى الحج والعمرة إذا شرع فيهما نفلاً ولم يتمهما فإنما ذلك بعد الشروع فيهما ، ثم إنها سميت عمرة القضاء عند العراقيين بالقضاء لأجل أنها كانت قضاء من العام الماضى ، وقال الحجازيون لوقوع القضاء أى الصلح فيها ، ويفيدهم لفظ البخارى : « إنه ﷺ قاضاهم الخ » أى صالحهم ، وهذا اللفظ رواه البخارى فى حديث ابن عمر فى المغازى (باب عمرة القضاء) وفى كتاب الصلح (باب الصلح مع المشركين) ، وفى حديث البراء فى المغازى .

قوله : عمرة القصاص الخ وتسمى : عمرة القضاء ، كما ذكر آنفاً ، قال البدر العينى فى " العمدة " (٥ ــ ٨) : وتسمى : عمرة القضاء ، وعمرة القضية ، وعمرة القصاص ، فسميت : بالقضاء والقضية لأنه ﷺ قاضى أهل

دينار عن عكرمـــة : « إن النبي ﷺ اعتمر أربع عمر » ولم يذكر فيـــه عن ابن عباس .

حدثنا : بذلك سعيد بن عبد الرحمن المخزومي نا سفيان بن عيينة عن عمرو ابن دينار عن عكرمة عن النبي ﷺ فذكر نحوه .

مكة على الاعتمار من قابل، ولأن المسلمين قضوها عن عمرة الحديبية . وسميت : عمرة القصاص إذ فيها نزل : (الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص ○) أو من القصاص بمعنى : أخذ الحق ، كأنهم اقتصوا حقهم في العام القابل انتهى ملخصاً . ووقع في رواية أبي داود في هذا الحديث : « والثانية حين تواطئوا على عمرة من قابل » ، وفي لفظ ابن ماجه : « وعمرة القضاء من قابل » ، والأسانيد كلها جياد ، واختلف تعبير الرواة في هذه الثانية

ثم إن ابن الهمام يقول : عمرة القضاء هي قضاء عن الحديبية ، هذا مذهب أبي حنيفة ، وذهب مالك إلى أنها مستأنفة لا قضاء عنها ، وتسمية الصحابـــة وجميع السلف إياها بـ : "عمرة القضاء" ظاهر في خلافه ، والتسمية بـ "عمرة القضية " لا ينفيه فإنها كانت نتيجة للمقاضاة في الأولى، فيصح كل تعبير، غير أن التعبير بالقضاء يثبت كونها قضاءً بلا معارض انتهى ملخصاً ومختصراً بلفظي وراجعه ، وكانت في السنة السابعة .

وعمرة الجعرانة وقعت بعد الرجوع من حنين في الثامنة ، فهذه ثلاث عمر متواليات ، ولم يخرج ﷺ في التاسعـــة بل أمر أبا بكر بالخروج وجعله أميراً للحج .

(باب ما جاء : فى أى موضع أحرم النبى صلى الله عليه وسلم)

حدثنا : ابن أبى عمرنا سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه عن

ـ: باب ما جاء : فى أى موضع أحرم النبى صلى الله عليه وسلم ؟ :ـ

اعلم : إن حقيقة الإحرام عندنا ليس مجرد النية بالقلب ، بل يجب معها ضم القول بالتلبية أو الفعل بسوق الهدى للقران والتمتع أودم الجزاء ، فإذا لحقه صار محرماً . قال فى متن " الهداية " : ولايصير شارعاً فى الإحرام بمجرد النية مالم يأت بالتلبية اه . وفى " البحر " : والمراد بالتلبية شرط من خصوصيات النسك سواء كان تلبية أو ذكراً يقصد به التعظيم أوسوق الهدى أو تقليد البدن اه . وأما حكم التلبيـة ففيها أقوال فى المذاهب ، وراجعها من " فتح البارى " (٣ ــ ٣٢٦) و" العمدة " (٤ ــ ٥٣٢)

وملخص ذلك أنها سنة عند الشافعى وأحمد ، واجبة عند مالك وأصحابه ، يجب بتركها الدم . فرض عند أبى حنيفة والثورى غير أنه يكفى الذكر المشعر بالتعظيم بدله عندنا ، وفى " قواعد ابن رشد " : مذهب مالك كالشافعى فى إجزاء النية من غير التلبية ، وشرح " المهذب " (٧ ــ ٢٢٥) : ولا يجب فى التلبية ذكر الحج والعمرة أو أحدهما . فإذن جاز للقارن أن يذكرهما فيها أو أحدهما أولا يذكرهما فيها ، وليحفظ هذا فإنه يفيدنا فى الجمع بين كونه قارناً وبين روايات إهلاله بالحج ، بل لولم يذكرهما أصلاً فيها أجزأه اعتباراً بالصلاة ، كما فى " الهداية " ، وكذا النووى فى شرح المهذب " (٧ ــ ٢٢٥) : قال الشافعى والأصحاب : الإعتبار بالنية ، فلو لبى بحج ونوى عمرة فهو معتمر ،

وإن لبى بعمرة ونوى حجاً فهو حاج ، وإن لبى بأحدهما ونوى القران فقارن آه .

ثم السنة فى صيغة التلبية ما هو المأثور فى حديث ابن عمر المخرج فى الأمهات الست: « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لاشريك لك » . وفى حديث عائشة عند البخارى وحديث عبد الله عند النسائى من غير: " الملك ، لاشريك لك " وجازت الزيادة عليها عندنا بماثبت عن الصحابة كما فى " الهداية " ، وراجع لتفصيل المذاهب فيــه "العمدة" (٤ ــ ٥٣٣) و" الفتح" (٣ ــ٣٢٥) ويأتى فى بابها انشاء الله تعالى .

ويسن الوقف فى المواضع الأربعة . قال الشيخ : أقول : وقد أشرت إليها برمز الفصل ، وهكذا المتوارث سماعاً ، ولم أر التصريح هكذا فى كتاب غير أنه ذكر القارى فى شرح المناسك . ويستحسن الوقف على "والملك". ويكفى فى التلبية كل ذكر مشعر بالتعظيم كما فى " الهداية " مع زيادة تعميمها بالفارسية والعربيــة ، لأن باب الحج أوسع من باب الصلاة حتى يقام غير الذكر مقام الذكر كتقليد البدن ، فكذا غير التلبية وغير العربية ، كما فى " الهداية " . نعم لايتأدى به السنة . وأما حقيقة الإحرام عند الشافعية فكلماتهم فيها مضطربة لايمكن تنقيحها ، واعترف به الإمام الشيخ عزالدين بن عبد السلام الشافعى سلطان العلماء (١)، فيقول ابن دقيق العيد كما فى " الفتح " (٣ ــ٣١٨) : إن

---

(١) هو: شيخ الإسلام سلطان العلماء عبد العزيز بن عبد السلام السلمى الدمشقى ثم المصرى الشافعى ، المولود سنة ٥٧٨ ــ ه والمتوفى سنة ٦٦٠ ــ ه ، وهو كما يقول فيه ابن السبكى فى " طبقاته " : لم يرمثل نفسه ، ولارآى من رآى مثله علماً وورعاً وقياماً فى الحق وشجاعة وقوة جنان وسلاطة لسان .

ابن عبد السلام كان يستشكل معرفـة حقيقة الإحرام يعنى على مذهب الشافعى ويرد على من يقول : أنه النية ؟ لأن النية شرط فى الحج الذى إحرامه ركنـه وشرط الشئ غيره ، ويعترض على من يقول : إنه التلبية بأنها ليست ركناً . . . قال الحافظ : والذى يظهر أنه مجموع الصفـة الحاصلة من تجرد وتلبية ونحو ذلك اهـ .

ثم الحج فرائضه عندنا ثلاثة : الإحرام وهو شرط ، ووقوف عرفات ، وطواف الإفاضة ، أى أكثره ، وهو أربعة أشواط ، وبقية الثلاثة واجبـة يجبر تركها بالدم ، كما فى كتب فروعنا ، وهما ركنان ، وقال الشافعية كما فى " منهاج النووى " : أركان الحج خمسة : الإحرام ، والوقوف ، والطواف والسعى ، والحلق ، إذا جعلناه نسكاً . وذكر فى شرح " المهذب " قولين فى مبيت مزدلفة سنة ووجوباً . ثم فى قول الوجوب يجبر تركه بالدم ، فلم يكن فرضاً عندهم . أنظر شرح " المهذب " (٨ — ١٢٤) . وعند مالك أربعـة بزيادة السعى كما فى " إرشاد السالك " ، وبه قال أحمد وإسحاق .

ويقول فيه ابن الحاجب : هو أفقه من الغزالى ، ويقول غيره : بلغ رتبـة الإجتهاد . ومن أصحابه الحافظ ابن دقيق العيد ، وهو الذى لقبـه : سلطان العلماء ، وكان صاحب مكاشفات وكرامات ، كان بايع على يد الشيخ شهاب الدين السهروردى ، وهو الذى حث ملك مصر على محاربة التتار ، وقال : أخرجوا وأنا أضمن لكم النصر على الله ، كما ذكره ابن السبكى ، وقد توسع فى ترجمته بما يستحقه فى " طبقاته " فى الجزء الخامس ، وأثنى عليه الذهبى فى " العبر " وابن كثير فى " البداية والنهاية " .

جابر بن عبد الله قال : «لما أراد النبي ﷺ الحج أذن في الناس ، فاجتمعوا ، فلما أتى البيداء أحرم» .

وفي الباب عن ابن عمر وأنس والمسور بن مخرمة . قال أبو عيسى : حديث جابر حديث حسن صحيح .

وأما الواجبات عندنا فكثيرة تزيد على عشرين استوفاها من المتون "نور الإيضاح" للشرنبلالي ، ومن الشروح "رد المحتار" لابن عابدين ، وكتب المناسك المفردة .

وما عداها سنن وآداب ، والشافعية أثبتوا الواجبات في الحج وأنكروها في الصلاة حيث أطلقوا في كثير من الصور الوجوب ، ثم قالوا بجبرانها بالدم المالكية والشافعية والحنابلة كلهم ، كذلك أثبتوا هذه المرتبة بين الفرض والسنة وقد سبق تفصيل ذلك أيضاً .

قوله : فلما أتى البيداء أحرم .

اعلم : إنه يلبي بعد ركعتي الطواف متصلاً في موضع صلاته ، كما ذكره في "العمدة" (٤ — ٥٢٠) من مذهب الأئمة الأربعة وأصحابهم جميعاً : أن يهل إثر ركعتي الطواف في مصلاه . وفي "قواعد ابن رشد" : واستحب العلماء أن يكون ابتداء المحرم بالتلبية بإثر صلاة يصليها ، فكان مالك يستحب ذلك بإثر نافلة . والمسألة خلافية قديمة بين الصحابة ، فقال طائفة : أهل ﷺ في مصلاه ، وطائفة : حين استوت به راحلته ، وطائفة : حين علا البيداء ، وقد أزال الإشكال ما رواه أبو داود والحاكم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس كما يأتي .

وقد اتفق فقهاء الأمصار على جواز جميع ذلك ، وإنمـا الخلاف فى الأفضل كما فى " الفتح " (٣ ـ ٣١٨) . ثم رأيت فى " المواهب " وشرحه : والصحيح من مذهب الشافعى ومالك والجمهور أن الأفضل أن يحرم إذا انبعثت به راحلته آه . واختلفت الروايات فى موضع التلبية ، وحديث جابر فى الباب يخالفه حديث ابن عمر فى الباب ، وحديث ابن عباس عند أبى داود فى (باب وقت الإحرام) (١ ـ ٢٤٦) وفيه : « وأيم الله لقد أوجب فى مصلاه ، وأهل حين استقلت به ناقتـه ، وأهل حين علا على شرف البيداء » . فجاء اختلاف الصحابة على حسب علمهم وسماعهم ، وكان ابن عباس أعلمهم بذلك . فحديث ابن عباس يفيد زيادة علم ليس عند غيره ، وهو مثبت فيقدم على سائر الروايات المختلفة فى وقتها ، ورواه الحاكم كما فى " الفتح " ، كلاهما من طريق سعيد بن جبير عنه ، وأخرجه الحاكم من وجه آخر من طريق عطاء عن ابن عباس نحوه دون القصة كما فى " الفتح " . قال الطحاوى بعد رواية حديث ابن عباس : فبين ابن عباس الوجه الذى جاء فيه اختلافهم ، وأن إهلال النبى ﷺ الذى ابتدأ الحج ودخل فيه كان فى مصلاه ، فبهذا نأخذ . . . . وهو قول أبى حنيفة وأبى يوسف ومحمد رحمهم الله تعالى . وحديث ابن عباس رواه الترمذى أيضاً ، ورواه أحمد وأبو داود والطحاوى والحاكم والبيهقى ، ورواه الترمذى مختصراً كلهم من طريق خصيف وهو ابن عبد الرحمن الجزرى بالخاء المعجمة مصغراً . قال فى " التقريب " : صدوق سيئ الحفظ ، وهو من رواة الأربعة ، وفى شرح " المواهب " : ضعفه الجمهور ووثقه ابن معين وأبو زرعة ، وراجع كلمات الجرح والتعديل فيه من " الميزان " و " التهذيب " ، وربما يكون القول الوسط ما يقوله الشيخ من تحسين روايته ، ويضعفه المنذرى والنووى ، ولكن سكوت أبى داود دليل صلاحيته للعمل ، ونقل الحافظ إياه فى " الفتح " من غير كلام ، بل فى موضع الاحتجاج على الأقل دليل تحسينه ،

حدثنا : قتيبة بن سعيد نا حاتم بن اسماعيل عن موسى بن عقبة عن سالم ابن عبد الله بن عمر عن ابن عمر قال : « البيداء التى يكذبون فيها على رسول الله ﷺ ، والله ! ما أهل رسول الله ﷺ إلا من عند المسجد من عند الشجرة » .

قال أبو عيسى : وهذا حديث حسن صحيح .

وفيه ابن اسحاق أيضاً ، لكنه صرح بالسماع عند أبى داود والحاكم ، وقد رواه الواقدى بإسناد له عن ابن عباس ، كما فى " البداية والنهاية " (٥ — ١١٨) عن البيهقى ، والواقدى ربما يصلح للمتابعة ، علا أن احتجاج مثل أبى حنيفة ومحمد والطحاوى أضمن لتقويته عند هؤلاء الأئمة .

ثم إن المسألـــة بسيطة فى نفسها ، وقال محمد فى " مؤطئـــه " : والكل حسن اهـ . وقد يظهر بعد إمعان النظر أن ابن عمر إنما ينفى تأخير الإهلال إلى البيداء ، ومحط كلامه : أنه ﷺ أهل حين استقلت به راحلته قبل وصوله إلى البيداء ، فإن كان أهل قبل انبعاث راحلته فلا ينافى ذلك ، فالحاصل أنه ينفى القول بالتأخير إلى الوصول إلى البيداء ، ولا ينفى القول بالتقديم والله أعلم .

ثم إن حديث خصيف هذا سكت عليه أبو داود ، وصححه الحاكم على شرط مسلم ، وقرره الذهبى فى " تلخيصه " ، واحتج به الحافظ فى " الفتح " ، فإذن أقل أحواله أن يكون حسناً .

و" البيداء " قال البدر والشهاب : البيداء هذه فوق علمى ذى الحليفة لمن صعد من الوادى ، قاله أبو عبيد البكرى اهـ . وقال النووى : سميت " بيداء " لأنه ليس فيها بناء ولا أثر ، وكل مفازة تسمى : بيداء

و" الشجرة " اسم بالغلبة لذى الحليفة على قرب ستة أميال من المدينة ، قال

النووى فى شرح " مسلم " فى بيانها : التى كانت هناك وكانت عند المسجد ، وحققه السمهودى فى " الوفاء " (٢ ــ ١٦٢) بما ملخصه : أن المراد بالشجرة هى السمرة التى ذكر فى حديث ابن عمر : « إن النبى ﷺ كان ينزل تحتها بذى الحليفة » فى الصحيح ، وكان يصلى إليها ، ثم بنى هناك مسجد سمى : بـ " مسجد الشجرة " ، وهى : " مسجد ذى الحليفة " .

ثم إن تسمية ابن عمر قولهم بالكذب لزعمه خلاف الواقع ، والكذب عند أهل السنة إخبار خلاف الواقع ، سواء كان عن تعمد أوغلط أوسهو ، ومثله ما فى الحديث : « كذب أبو عبادة » فى حديث أبى داود . وحديث ابن عمر هذا أصله فى " الصحيحين " ، ورواه مسلم أيضاً بإسناد الترمذى ونحو لفظه ، غير أنه زاد : « حين قام به بعيره » ، فإذن لم يكن حجة إلا للقائلين بالتلبية حين انبعثت بـه راحلته ، دون القائلين بها فى المصلى عقيب الصلاة . ثم رأيت فى " العمدة " (١ ــ ٦٣٢) فى كتاب العلم نقلاً عن الكرمانى الحنفى فى المناسك : وهى ــ أى ذو الحليفة ــ الشجرة اھ . وتسمى اليوم: " بئر على " كما فى " الوفا " (٢ ــ ١٦٢) . وقال الحافظ فى " الفتح " (٣ ــ ٣٠٤) : وبها مسجد ـ يعرف بـ : " مسجد الشجرة " ـ خراب ، وبها بئر يقال لها: بئر على اھ . وهى نسبة إلى على من الأعراب البدويين ، دون على كرم الله وجهه .

ثم إنه كم كانت الصحابة فى حجة الوداع؟ فقال القسطلانى فى " المواهب" وخرج معه عليه الصلاة والسلام تسعون ألفاً ، ويقال : مائة ألف وأربعة عشر ألفاً ، ويقال : أكثر من ذلك كما حكاه البيهقى . قال شارحـه الزرقانى : وهذا كما ترى فى عدة من خرج معـه . وأما الذين حجوا فأكثر كالمقيمين بمكة . والذين أتوا من اليمن مع على وأبى موسى آھ . وفى " اللمعات " على ما فى " التعليق الصبيح " : ويروى: « مائة وأربعة عشر ألفاً » ، وفى رواية :

(باب ما جاء : متى أحرم النبى صلى الله عليه وسلم ؟)

حدثنا : قتيبة بن سعيد نا عبد السلام بن حرب عن خصيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : « إن النبى ﷺ أهل فى دبر الصلاة » .

قال أبو عيسى: هذا حديث غريب ، لا نعرف أحداً رواه غير عبد السلام ابن حرب ، وهو الذى يستحبه أهل العلم : أن يحرم الرجل فى دبر الصلاة .

« مائة وأربعة وعشرون ألفاً » . وفى " المرقاة " : وقيل : مائة وثلاثون ألفاً اه . وسميت حجة الوداع : حجة الإسلام ، وحجة البلاغ ، وحجة الكمال ، وحجة التمام ، كما فى " العمدة " (٨ — ٤١٤) والزرقانى على " المواهب " و" تاريخ ابن كثير " وغيرها .

—: باب ما جاء: متى أحرم النبى صلى الله عليه وسلم ؟ :—

حديث الباب فيه مقال من جهة خصيف بن عبد الرحمن الجزرى، وقد وثقه جماعة كما فى " التهذيب" وغيره ، وصححه الحاكم على شرط مسلم فى " المستدرك " (١ — ٤٥١) ، وسكت عليه الذهبى فى " تلخيصه " ، وأخرجه النسائى فى " صغراه " فى الجزء الثانى فى (باب العمل بالإهلال) مختصراً بإسناد الترمذى ومتنه ، وفى شرح " المهذب" : قد خالف البيهقى فى خصيف كثيرون من الحفاظ والأئمة المتقدمين فى هذا الشأن ، فوثقه يحى بن معين إمام الجرح والتعديل ، وأبو حاتم وأبو زرعة ومحمد بن سعد ، وقال النسائى: صالح اه . حكاه الحافظ علاء الدين فى "الجوهر النقى" ، وعبد السلام ابن حرب ثقة من رجال الشيخين ، فلا يضر تفرده بالرواية عن خصيف ، وقال ابن عدى كما فى " التهذيب " : ولخصيف نسخ وأحاديث كثيرة ، وإذا

(باب ما جاء في افراد الحج)

حدثنا : أبو مصعب قراءةً عن مالك بن أنس عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة : « إن رسول الله ﷺ أفرد الحج » .

حدث عن خصيف ثقة فلا بأس بحديثه ورواياته آه .

وبالجملة فالحديث صالح للاحتجاج إن شاء الله ، وقد حكى البيهقى فى " سننه " (٥ ــ ٣٧) متابعة الواقدى له أيضاً ، كما قدمناه أيضاً عن ابن كثير ، وفى هذا القدر كفاية ، وتقدم بحث ما يتعلق به فى الباب السابق .

تنبيه : هذا الباب لم يتعرض إليه فى " العرف الشذي" .

ــ: باب ما جاء فى إفرادِ الحج :ــ

اعلم أن الإحرام للحج والعمرة على أقسام كثيرة مذكورة فى كتب الفقه . قال فى " العمدة " (٤ ــ ٥٦٠) : والمحرمون عشرة : مفرد بالحج ، مفرد بالعمرة ، قارن متمتع ، قارن مطلق ، متطوع بحج ، متطوع بعمرة ، متطوع بقران ، متمتع ، مطلق ، معلق يعنى كإحرام فلان ، والكل جائز عند أهل العلم كافةً إلا ما روى عن أميرى المؤمنين عمر وعثمان : أنهما كانا ينهيان عن التمتع ، وقيل: كان نهى تنزيه، وقيل: إنما نهيا عن فسخ الحج إلى العمرة بأن ذلك كان خاصاً بالصحابة اهـ . وقد ذكر الشيخ فى إملائه على "جامع الترمذى" منها ثمانية ، وهى: قسم للعمرة، وقسمان للإفراد ، وثلاثة أقسام للقران، وقسمان للتمتع . وتفاصيلها وأحكامها وشرائطها محلها كتب الفقه وكتب المناسك . فقال: فمنها العمرة المفردة ، ومنها الحج المفرد . ومنها الحج ثم العمرة بعده فى ذلك السفر، وهذه صورة حج الإفراد أيضاً، ومنها القران، وهو المقارنة فى الإحرام

بين العمرة والحج من الميقات ، ولو أدخل العمرة على الحج بعد ما أحرم للحج فقط كان قراناً ولكنه مكروه ، قال فيه فى " البحر الرائق " : قارن مسيئ وللقران قسم آخر ، وهو أن يدخل الحج على العمرة بعد ما أحرم للعمرة فقط ، ثم الإحلال منهما للقارن بالإحلال من الحج اتفاقاً .

ثم قال الشافعية بتداخل أفعال العمرة فى أفعال الحج من السعى والطواف، فلم يبق فرق فى أفعال القارن وغيره إلا فى النية ، بل قالوا : إن تعدد السعى للقارن بدعة خلاف السنة ، وعندنا للقارن يجب السعيان والطوافان . نعم لم يقولوا بالبدعة فى تعدد الطواف . واختلف فى صحة عمرة القارن قبل أشهر الحج وعدمها ، والصحيح صحتها، فروى عن محمد كما فى "الفتح" و"البحر" و" رد المحتار" : أنه لو طاف لعمرته فى رمضان فهو قارن ولا دم عليه إن لم يطف لعمرته فى أشهر الحج . وفى " المحيط " على ما حكاه ابن عابدين أنه لا يشترط فى القران فعل أكثر أشواط العمرة فى الحج اهـ . ومال إليه شارح " اللباب" ، كما فى " منحة الخالق " ، ووجه عدم وجوب الهدى بعدم وقوعه على الوجه المسنون ، ولكن بحث فيه المحقق فى " الفتح" وقال : إن الحق اشتراط فعل أكثر العمرة فى أشهر الحج . والله أعلم .

ومنها التمتع : والشرط فيه أن تقع العمرة أو أكثر أشواطها فى أشهر الحج . وهو قسمان : بسوق الهدى ، ومن غير سوق الهدى. فالمتمتع السائق الهدى لا يتحلل بعد الفراغ من أفعال العمرة وإنما يتحلل يوم النحر . هذا مذهب أبى حنيفة وأحمد ، وعند مالك والشافعى : فالسائق وغيره سواء فى التحلل كما فى شرح "مسلم" وغيره . وأما غير السائق الهدى فيتحلل بعد العمرة ولا يبقى محرماً ، ثم يحرم بالحج. ثم ظاهر ما فى " الهداية " وعامة كتبنا أن التحلل فى الوسط بعد الفراغ منها واجب ، فظاهر المتون كلها عدم التخيير فى بقائه

محرماً ، ولكن نبه الشارحون - كابن الهمام وابن نجيم - بأنه ليس الأمر كذلك ، وإنه مخير بينه وبين بقائه محرماً بها إلى أن يدخل إحرام الحج ، وحكاه صاحب " العناية على الهداية " عن شيخ الإسلام خواهر زاده .

ثم ههنا خلاف آخر مشهور : وهو أن القران والتمتع والإفراد كلها عبادات متفق عليها بين الأمة ، وإنما الخلاف في الأفضلية . فالأفضل على ما قال أبو حنيفة : القران ، ثم التمتع ، ثم الإفراد . وقال مالك والشافعي : الإفراد ، ثم التمتع ، ثم القران . وقال أحمد : التمتع بغير سوق الهدى ثم الإفراد ، ثم القران . وصرح العلماء بأن الخلاف في الأفضلية ، والوفاق في جواز الكل ، منهم ابن قدامة في " المغنى " ، والنووي في شرح " المهذب " وغيره ، والعيني في " العمدة " والحافظ في " الفتح " وغير واحد . ثم المذكور هنا من المذاهب والترتيب هو المشهور عند أربابها ، فعن الشافعي رواية أفضلية التمتع كما في شرح " المهذب " ، وكذا عن مالك رواية التمتع ، وعن الشافعي أفضلية القران في قول ، كما في شرح " مسلم " للنووي ، وعن مالك رواية أن القران أفضل من التمتع ، بل ذكر الزرقاني أنه المعتمد من مذهب مالك . وعن أحمد في رواية المروزي أن القران إن ساق الهدى ، وإن لم يسق الهدى فالتمتع أفضل ، كما في " المغنى " (٣ — ٢٣٢) . ومذهب أبي حنيفة هو مذهب سفيان الثوري وإسحاق والمزني وابن المنذر وأبي إسحاق المروزي كما في شرح " المهذب " (٧ — ١٥٢) ، واختاره ابن حزم كما في شرح " المهذب " (٧ — ١٥٩) . وحكى القاضي عياض عن بعض العلماء أن الأنواع الثلاثة سواء في الأفضلية ، والخلاف قديم من عهد الصحابة والتابعين .

ثم ههنا بحث آخر : أن الإفراد الذي هو أفضل من القران عند الشافعي وغيره هل هو الحج المفرد فقط ، أو حج وبعده عمرة ؟ وهذا أيضاً يسمى :

إفراداً فى الإصطلاح ، فالتحقيق على أن الثانى هو المراد ، وممن صرح بذلك النووى فى شرح " المهذب " فى موضعين ، وصرح بأن القران أفضل من إفراد الحج من غير عمرة بلا خلاف . قال : ولو جعلت حجته ﷺ مفردة لزم منه أن لا يكون اعتمر تلك السنة ، ولم يقل أحد أن الحج وحده أفضل من القران . أنظر شرح " المهذب " (٧ ـ ١٦٠) ومثله فى " الفتح " (٣ ـ ٢٤٠) . ويقول المحقق ابن الهمام فى " الفتح " فى (باب القران) : المراد بالإفراد فى الخلافيـة أن يتأتى بكل منهما منفرداً . . . . أما مع الإقتصار على إحداهما فلا شك أن القران أفضل بلا خلاف اهـ . قال فى " العنايـة " : وجعل نظير هذا الاختلاف اختلافهم فى أن يصلى أربع ركعات بتحريمة واحدة أفضل أم بتحريمتين أفضل ؟ اهـ . وأما الإفراد بأن يحج ويعتمر فى عام واحد فى سفرين فنص الإمام محمد بن الحسن فى " مؤطئه " بأن هذا أفضل من القران كما صرح به فى آخر (باب القران) . وقال أيضاً : حجة كوفية وعمرة كوفية أفضل ، حكاه المحقق فى " الفتح " وكذا صاحب " العناية " وغيرهما . ثم خاض فيـه المصنفون هل هو مختاره فقط ، أوهو قوله وقول شيخيه أبى حنيفة وأبى يوسف أيضاً ؟ ولكن وقع فى روايته تصريح بقوله : أفضل عندى ، واحتج به صاحب " العناية " بأنه عنده خاصة .

ومناط الخلاف فى الأولوية إنما هو اختلاف الروايات فى حجته ﷺ ، هل هو كان مفرداً ، أوقارناً ، أومتمتعاً ؟ كما صرح به ابن الهام فى " الفتح " ، والنووى فى " المجموع " وشرح " مسلم " ، وابن رشد فى " قواعده " ، وغير واحد ، بعد الاتفاق على أن الصحابة كان من كل قسم ، وادعت كل طائفة أن حجته ﷺ كانت كذلك مما رجحت فقال مالك والشافعى: إنه ﷺ كان مفرداً بحجته، وقال أبوحنيفة : إنه كان قارناً، وقال أحمد بن حنبل: إنه ﷺ

كان قارناً غير أنه تمنى التمتع من غير سوق الهدى ، كما فى رواية الشيخين : « لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لما سقت الهدى ولأحللت » : من حديث جابر ، كما فى " البخارى " فى (باب تقضى الحائض المناسك) ومسلم فى (باب وجوه الإحرام) ، وأيضاً عند مسلم فى حديث جابر الطويل ، وعنده من حديث عائشة ، وأخرجه البخارى فى (باب عمرة التنعيم) ، وفى التمنى أيضاً من حديث جابر .

وأما الشافعية فيقولون : إنه ﷺ ابتدأ أولاً فى الحج مفرداً ثم قارن ، فكان قارناً مآلاً لا ابتداءً ، وإنما قارن آخراً لرد زعم الجاهلية ، حيث كانوا يزعمون العمرة فى أشهر الحج من أفجر الفجور . وسيأتى البحث عنه قريباً إن شاء الله تعالى . قال النووى فى شرح " المهذب " (٧ — ١٩٥) : والصواب الذى نعتقده أنه ﷺ أحرم أولاً بالحج مفرداً ثم أدخل عليه العمرة فصار قارناً . وإدخال العمرة على الحج جائز فى أحد القولين عندنا ، وعلى الأصح : لا يجوز لنا وجاز للنبى ﷺ تلك السنة للحاجة اهـ . وفى " الفتح " (٣ — ٣٤٠) : ويؤيده أنه ﷺ لم يعتمر فى تلك السنة بعد الحج . ولا شك أن القران أفضل من الإفراد لا يعتمر فى سنته عندنا اهـ . وإنما اضطر الشافعية إلى القول بذلك لكثرة الروايات فى قرانه ﷺ حتى لم يمكن لهم إنكارها ، ثم قالوا بإدخاله ﷺ العمرة على الحج ، مع أن الروايات الصريحة فى قرانه ﷺ من بدأ الأمر آبية عن تأويلهم كل الإباء . والعجب من مثل الحافظ ابن حجر حيثساير الشافعية فى تأويلهم وأغمض عن كثير من الروايات وهذا بعيد عن مثله .

ثم اختلف الشافعية بينهم فى أن الإفراد الذى هو أفضل من القران هل هو الحج وحده فقط أو الحج ثم بعده العمرة ؟ ولعلهم رجحوا هذا القسم الثانى دون الأول ، كما تقدم قريباً أنه صرح به النووى والحافظ ابن حجر

وغيرهما ، فهو المذهب عندهم من غير شك . وشذ من الشافعية القاضي حسين والمتولى بترجيح الإفراد ولو لم يعتمر فى تلك السنة ، كما نقله فى " الفتح " . ولا شك أنه قول لهما، وليس هو قولاً فى "المهذب" أصلاً ، وما ينقله الحافظ عن الفاروق وعبد الله بن مسعود : « إن النبي ﷺ أتم لحجكم وعمرتكم أن تنشؤا لكل منهما سفراً » ، فليس يدل على أفضلية الإفراد على القران وإن ادعى الحافظ ذلك ، وإنما يدل على أنهما فى سفرين أتم منهما فى سفر واحد ، وهذا هو الذى صرح محمد بأفضليته على القران ، فالرد بمثله من مثل الحافظ على كلام النووى بعيد عن الإنصاف، فرحم الله من أنصف ولم يتعسف، وقد كشف الغطاء عنــه الإمام أبو جعفر الطحاوى فى " شرح معانى الآثار" بما لا يبقى فيه مجال للعثار، والله ولى التوفيق والعصمة .

ثم إن الصحابة رضوان الله عليهم كذلك اختلفوا فى حجته ﷺ ، فبعضهم يقول : إنه قارن ، وبعضهم : إنه متمتع، وبعضهم : إنه مفرد ، ولكن رواة القران من الصحابة سبعة عشر بالأسانيد الجياد ، كما سيأتى قريباً ، بل يزيد عددهم . ورواة التمتع خمسة ، وهم : ابن عمر عند الشيخين، وعلى عندهما، ولكنه أدل على القران منه على التمتع ، وسعد بن أبى وقاص عند مسلم، وابن عباس عند الترمذى ، وعمــران بن حصين عند البخارى ومسلم ، ولفظ " مسلم " : « إن رسول الله ﷺ جمع بين حجة وعمرة » . ورواة الإفراد أربعة : ابن عمر عند الشيخين، وجابر بن عبد الله عندهما ، وعائشة عندهما ، وابن عباس عند مسلم ، بل اختلفت الرواية من صحابى كجابر وعائشة وابن عمر ، وروى عنهم التمتع والقران ، ثم على وابن عمر وابن عباس وجابر وسعد ابن أبى وقاص وعائشة، كلهم رووا عنه ﷺ أنه قارن . والذين لم يختلف عنهم القول والنقل فى رواية القران فهم : عمر وأنس والبراء بن عازب وعبد الله بن

عمرو والهرماس بن زياد وأبو طلحة الأنصارى وعبد الله بن أبى أوفى وعمران ابن حصين وأبو قتادة وحفصة وأم سلمة ـ أما المؤمنين ـ رضى الله عنهم أجمعين ، ويأتى البيان الشافى قريباً . فقد اختلف على جابر رضى الله عنه واختلف على عائشة ، فحديثها فى الباب صريح فى إفراده ﷺ بالحج . وصح عنها : « أنه ﷺ اعتمر مع حجته » ، وأسانيد هذه الروايات كلها صحاح وحسان .

فائدة : قال النووى فى شرح " مسلم " وفى شرح " المهذب" (٧ ـ ١٦١) والعينى فى " العمدة " (٤ ـ ٥٣٩) : قال القاضى عياض : قد أكثر الناس الكلام على هذه الأحاديث ، فمن مجيد منصف ، ومن مقصر متكلف ، ومن مطيل مكثر ، ومن مقتصر مختصر ، وأوسعهم نفساً فى ذلك أبو جعفر الطحاوى الحنفى ، فإنه تكلم فى ذلك فى زيادة على ألف ورقة ، وتكلم معه فى ذلك أبوجعفر الطبرى ، ثم أبو عبد الله بن أبى صفرة ، ثم أخوه المهلب والقاضى أبو عبد الله بن المرابط والقاضى أبو الحسن بن القصار البغدادى والحافظ أبوعمر ابن عبد البر وغيرهم اه . ومثله فى " المواهب " وشرحه . وقال فى تأليف الطحاوى ذلك ، كما ذكر عنه جماعة من العلماء منهم عياض الخ . وأيضاً فى شرح " مسلم " (١ ـ ٣٩٤) فى (باب حجة النبى ﷺ) . قال القاضى : وقد تكلم الناس على ما فيه من الفقه وأكثروا ، وصنف فيه أبو بكر ابن المنذر جزءً كبيراً ، وخرج فيه من الفقه مائة ونيفاً وخمسين نوعاً ، ولو تقصى ليزيد على هذا العدد قريب منه اه . وكذلك أفرد فى هذا الموضوع ابن حزم فى مجلد ضخم كما فى شرح " المهذب" ، وكذا أطال فيه فى شرح " المحلى " . وقد ألف فى المناسك الإمام محمد بن شجاع الثلجى كتاباً فى نيف وستين جزءاً كبيراً دقيقاً كما يذكره صاحب " توجيه النظر فى مصطلح أهل

الأثر" فى بحث متشابه الأسماء .

تنبيه : تأليف الطحاوى ذلك يكون على الأقل فى حجم " شرح معانى الآثار"، وبكل أسف نقول: لم نقف على هذا الكتاب القيم فى خزائن الآستانة ومكاتيب مصر والحجاز، فلا ندرى أين هذه الدرة اليتيمة ؟ ومتى أضاعتها يد الحدثان ؟ والإمام الطحاوى يكاد يكون وحيداً فى فقهاء الأمة فى كثرة التآليف فى عهده وكثير من العصور اللاحقة ، ويكاد يكون وحيداً فى التوسع فى الرواية مع الجمع بين الفقه ودقة النظر، وبصر نافذ فى حل المشكلات وشأو بعيد فى الأصول والفروع ، لا يجاريه قرناؤه وإن كانوا أمثال ابن نصر وابن المنذر وابن خزيمة وابن جرير ومن عداهم فضلاً عن أقرانه ع :

• فى طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل •

ثم إنه بسط الكلام فى عدة أوراق فى كتابه " شرح معانى الآثار" ، وتجد فيها نفائس لا تجدها فى غير هذه المادة الزاخرة بين يديك بكل تنقيح وتحقيق ، غير أنه اختار أمراً فى إحرامه ﷺ بما يقرب من تأويل الشافعية بأنه أهل أولاً بعمرة ثم لم يتحلل منها إلى أن أدخل عليها الحج يوم التروية، وحكاه الحافظ فى " الفتح" (٣ ــ ٣٤٢) فقال : ومن العلماء من جمع بين الأحاديث على نمط آخر مع موافقته على أنه كان قارناً كالطحاوى وابن حبان وغيرهما ، ثم ذكر ذلك . ويقول شيخنا كما فى " العرف الشذى" : أنه سها الحافظ فى مراده ، وكلام الطحاوى يشتمل على قطعتين : القطعة الأولى جمع فيها روايات الصحابة المختلفة ، فقال فيها بالإدخال . والثانية : فى تحقيق إحرامه ﷺ فى الواقع، ففى هذه القطعة الثانية هو يصرح بأنه ﷺ كان قارناً فى بدأ إحرامه ، قلبى بما فى " العرف الشذى" بعد أن أمعنت نظرى فى ما قاله

الطحاوى ، فلا ندرى ماذا وقع من الضابط من سهو واختلاط والله أعلم .

والذى قاله النووى وغيره فى الجمع بين الروايات ومال إليه الحافظ فى "الفتح": أنه أهل بالحج مفرداً ثم أدخل عليه العمرة ، وهذا إدخال العمرة على الحج ، وعليه أكثر الشافعية ، وحملوا روايات التمتع على التمتع اللغوى بما يشمل القران ، وقيل : وعليه تعبير القرآن .

ثم قال علـماء المذاهب الأربعة - منهم الشيخ ابن الهمام - فى " الفتح" (٢ ــ ٢١٨) فى (باب التمتع) والحافظ ابن حجر فى " فتح البارى" (٣ ــ ٣٣٤) وابن القيم فى " الهدى" وغيرهم : إن التمتع الوارد فى التنزيل العزيز فى قوله تعالى: (فمن تمتع بالعمرة إلى الحج، الآية) أريد به التمتع اللغوى، وهو التمتع بأداء النسكين فى سفر واحد ، وهذا أعم من التمتع المصطلح والقران المصطلح، فيشملها . ويقول الحافظ فى " الفتح" : وادعى ابن عبد البر أنـــه لا خلاف بين العلماء فى ذلك . وقال بعضهم : بل التمتع فى روايات الصحابة أيضاً من هذا القبيل ، وقاله غير واحد منهم ابن القيم فى " الهدى" ، وهو أحد وجهى الجواب عن أحاديث التمتع . والثانى : أنه ﷺ أمرهم بالتمتع ، وعلى هذا ورد إضافـــة التمتع إليه ﷺ ، ويضاف الفعل إلى الآمر به ، قاله الشافعى فى اختلاف الحديث ، ثم تبعه الخطابى وعياض والنووى وغيرهم .

قال الشيخ : وظنى أن المذكور فى الآيـــة ربما يكون ما هو مصطلح الفقهاء ، ولفظ " القرآن " : (فمن تمتع بالعمرة إلى الحج ۝) يشير إليه .

قال الراقم : ويظهر من البحث عن كلماتهم : أن الأولى أن يقال على مصطلح أهل الأصول : أن الآية نص فى التمتع العرفى المصطلح، وظاهر فى القران يعنى يشمل بظاهره وعمومـــه القران أيضاً وإن لم يكن مسوقاً له . أنظر

" أحكام الجصاص " و " فتح الباري " من المناسك والتفسير من مظانه ، و " روح المعاني " و " المظهري " . واختار القاضي ثناء الله الحنفي في تفسيره " المظهري " منهجاً آخر فقال : والتحقيق أنه ﷺ كان قارناً ، وأن القران أفضل من التمتع إن ساق الهدى ، والتمتع أفضل إن لم يسق الهدى ، وكل منهما أفضل من الإفراد اهـ . (والقاضي ثناء الله من كبار المحققين ، له كتاب " منار الأحكام " في بيان أدلة المذاهب الأربعة من الأحاديث ، ومشى على طريق المحدثين ، وهو من أكابر أصحاب الشيخ ولي الله الدهلوي ، توفي سنة ١٢٢٥ هـ ، وكان الشاه عبد العزيز الدهلوي يلقبه بـ : " بيهقي العصر " لغزارة توسعه في علوم الحديث ورواياته ، وكتابه " منار الأحكام " لم يطبع ، وهو كثير الإحالة عليه في تفسيره " المظهري " ، وسما تفسيره "المظهري" تيمناً وتلميحاً باسم مرشده وشيخ طريقته الشيخ " مظهر جان جانان " قدس الله أرواحهما ، وهذا التفسير من أفراد تفاسير الأمة ، ولا سيما في تحقيق المذاهب وسرد أدلتها بكلام منقح في غاية من الحسن ، وبالأسف إنه لم يطبع إلا أجزاء منه (١) . ولم يزد طبعه على ثلاثة ، ومنهاج تعبيزه وتنقيحه منهاج الشيخ عبد العلي بحر العلوم في " رسائل الأركان " ، غير أنه إمام في الحديث والفقه ، كما أن بحر العلوم إمام في العلوم العقلية وأصول الفقه ، رحمنا الله وإياهم جميعاً) .

وقال الشيخ في اختلاف روايات الصحابة في حجته ﷺ بأن : من قال : " كان متمتعاً " فأراد به التمتع اللغوي ، وأريد به القران ، كما أوله به بعض العلماء ، وروايات الإفراد مؤولة كما يأتي ، فبقي أنه كان قارناً ، وصرح به في روايات كثيرة .

---

(١) هذا حاله قبل ثلاثين سنة عند تأليف هذا المقام ، وقد طبع التفسير كله في عشرة أجزاء بدهلي بالهند قبل أعوام ، وهو موجود عندنا الآن ، منه .

فمنها : حديث جابر كما تقدم فى (باب ما جاء : كم حج النبى ﷺ ؟) وفيه : « وحجة بعد ما هاجر معها عمرة » ، وقد أخرجه ابن ماجه والدارقطنى والبيهقى ، وتكلم فيه البخارى والترمذى من جهـــة زيد بن حباب ، ولم يعده البخارى محفوظاً .

قلت : تابع زيد بن حباب عبد الله بن داود الحربى عند ابن ماجه عن سفيان الثورى ، ويقول ابن كثير فى " البدايـــة والنهاية " (٥ ــ ١٣٤) : وهذه طريق لم يقف عليه الترمذى ولا البيهقى ، وربما ولا البخارى حيث تكلم فى زيد بن الحباب ظاناً أنه انفرد به وليس كذلك . ولجابر حديث آخر عند أحمد والترمذى : « إن رسول الله ﷺ قرن الحج والعمرة وطاف لهما طوافاً واحداً » ، وفيه " الحجاج بن أرطاة " ، وحسنه الترمذى وصححه فى بعض النسخ ، كما يقول ابن كثير ، ورواه ابن حبان فى " صحيحه " أيضاً . وقال ابن القيم : وحديثه لا ينزل عن درجة الحسن ما لم يتفرد بشئ أو يخالف الثقات .

قال الراقم : وتابعه عبد الرحمن بن عثمان بن خيثم عن أبى الزبير عن جابر عند البزار فى " مسنده " كما ساقه ابن كثير فى " البداية والنهاية " ، ولم أر من ترجمه ، وليس هو من رجال " التهذيب " ، ولا " الميزان " و " اللسان " و " التعجيل " .

ومنها : حديث جابر فى " صحيح البخارى " من أواخره ، وفيه تصريح بحجته وعمرته ، وهو ما فى " الصحيح " فى كتاب التمنى (٢ ــ ١٠٧٤) ، وفى المناسك فى (باب تقضى الحائض المناسك كلها إلا الطواف بالبيت آه) ، وفى (باب عمرة التنعيم) من حديث جابر ، وفيه : « قالت عائشة يا رسول الله ! أتنطلقون بحجـــة وعمـرة وأنطلق بحجة » ، وهو نص فى غير الإفراد ،

فيحتمل القران والتمتع جميعاً . ورواه البخارى أصل حديثه مطولاً ومختصراً فى ستة مواضع أخر ، غير أن هذا اللفظ فى هذه المواضع الثلاثـة والحديث نفسه متفق عليه ، ولكنه وقع فى غير مظانه .

ومنها : حديث أنس فى " الصحيحين "، وفيه : « ثم أهل بحج وعمرة » البخارى فى (باب نحر البدن قائمة) وغيره ، ومسلم فى (باب جواز التمتع) وفى (باب الإفراد والقران) . ذكر ابن الهمام فى " الفتح " : إن فى بعض طرقه : « كنت آخذاً بزمام ناقة رسول الله ﷺ وهى تقصع بجرتها ولعابها يسيل على ، وهو يقول : لبيك بحجة وعمرة معاً » . ويشير إليه فى " الهدى " أيضاً بقوله : « ولكن ما عذرهم . . . » وفى خبر : « من تحت بطن ناقته » ، وأقرب إليه من غيره . . . . « يسمعه يقول : لبيك بحجـة وعمرة » اهـ . وعند أحمد من طريق حميد الطويل عنه: « . . . وقال : لبيك بعمرة وحج ، وإنى لعند فخذ ناقته اليسرى» . وأيضاً عنه أنه قال : « إنى ردف أبى طلحة وإن ركبته لتمس ركبة رسول الله ﷺ وهو يلبى بالحج والعمرة » ، كما فى رواية البزار على ما ساقه ابن كثير ، وهو عند الطحاوى من طريق أبى قلابة وحميد بن هلال عنه قال : « كنت ردف أبى طلحة وركبتى تمس ركبـة النبى ﷺ ، فلم يزالوا يصرخون بهما جميعاً » ، وفى " الصحيح " من (باب الإرتداف فى الغزو والحج) عن أنس قال : « كنت رديف أبى طلحة وإنهـم ليصرخون بهما جميعاً : الحج والعمرة » فرواه مختصراً . وفى " الكنز " (٣ — ٣٢) عن أنس : « إنه كان عند ناقة رسول الله ﷺ يهل بالحج والعمرة جميعاً » (ابن النجارى) . وعند أحمد من طريق سالم بن أبى الجعد عنه : « والله إن رجلى لتمس رجل رسول الله ﷺ ، وإنه ليهل بهما جميعاً » .

نعم عند البيهقى فى حديث ابن عمر : « وإنى كنت تحت ناقة رسول الله

ﷺ يمسنى لعابها ، أسمعه يلبى بالحج» . ولا ريب أن المثبت يقدم لزيادته فى العلم ، علاأن القارن يكفى له التلبية بأحدهما أيضاً . وفى رواية " الصحيحين" - واللفظ لمسلم (١ — ٤٠٥) - : عن بكر بن عبد الله المزنى عن أنس قال : « سمعت النبى ﷺ يلبى بالحج والعمرة جميعاً » ، قال بكر : فحدثت بذلك ابن عمر؟ فقال : لبى بالحج وحده ، فلقيت أنساً فحدثتـه بقول ابن عمر ، فقال أنس : « ما تعدونا إلا صبياناً ، سمعت رسول الله ﷺ يقـول : لبيك عمرة وحجاً » .

وقد ذكر ابن حزم وغيره أن عمر أنس فى حجة الوداع كان نحو عشرين سنة ، ولا يزيد سن ابن عمر على سنه إلا نحو سنة ، فبطل به زعم ابن الجوزى فى " التحقيق " أنه كان صبياً حينئذ ، فلعله لم يفهم الحال . ثم إن ستة عشر رجلاً من الثقات كلهم يروون عن أنس: « أنه ﷺ لبى بحج وعمرة » . كما ذكر هؤلاء ابن حزم كما فى " العمدة " ، وابن كثير فى " البدايـة والنهاية " مع تخريج رواياتهم ، وكذا ابن القيم فى " الهدى" ، وابن عبد الهادى الحنبلى فى " تنقيح التحقيق " .

وهم : الحسن البصرى ، وأبوقلابة عبد الله بن زيد الجرمى ، وحميد بن هلال البصرى ، وحميد بن عبد الرحمن الطويل ، وقتادة بن دعامة السدوسى ، ويحى بن سعيد الأنصارى ، ويحى بن أبى اسحاق الحضرمى ، وثابت البنانى ، وبكر بن عبد الله المزنى ، وعبد العزيز بن صهيب ، وسليمان بن طرخان التيمى ، وزيد بن أسلم ، ومصعب بن سليم ، وأبو أسماء الصيقل ، وأبو قدامة ، وأبو قزعة سويد بن حجير البصرى . وزاد ابن كثير : سالم بن أبى الجعد ، وعلى بن زيد بن جدعان . فإذن هؤلاء ثمانية عشر رجلاً من التابعين . وفى " العمدة " عن مصعب بن عبد الله عن أنس أيضاً ، وهو ابن أبى أمية المخزومى ،

صدوق من رجال " ابن ماجه " ، فبلغ عديدهم عشرين إلا واحداً .

فحديث أبي قلابة عند أحمد والشيخين وغيرهم ، وحديث بكر بن عبد الله كذلك عند أحمد والشيخين ، وحديث يحي بن أبي اسحاق وعبد العزيز وحميد الطويل عند مسلم والنسائي وأبي داود ، وأيضاً حديث حميد عند أحمد بإسناد ثلاثي على شرط الشيخين ، وحديث حميد بن هلال عند البزار والطحاوي . ويقول ابن كثير في إسناد البزار : إسناد جيد قوي على شرط الصحيح ، ولم يخرجوه . وحديث ثابت عند أحمد والطحاوي والعدني ، وحديث يحي بن سعيد عند الإمام أبي يوسف ، كما في " الهدى " و" فتح القدير " ، وحديث الحسن عند أحمد والنسائي والبزار، وحديث سالم عند أحمد وإسناده جيد كما يقوله ابن كثير وتقدم لفظه قريباً . وحديث قتادة عند أحمد والشيخين ، وفيه : « وعمرته مع حجته » ، وحديث سويد بن حجير عند أحمد والطحاوي وابن حزم بإسناد جيد ، وحديث مصعب بن سليم عند أحمد والعدني ، وحديث مصعب بن عبد الله عند العدني في " مسنده " كما في " العمدة " ، وحديث زيد بن أسلم عند البزار والبيهقي ، ويقول ابن كثير في إسناد البزار : إسناد صحيح على شرط "الصحيح" ولم يخرجوه . وحديث سليمان عند البزار أيضاً على شرط "الصحيح"، وحديث علي بن زيد عند البزار ، وحديث أبي أسماء الصيقل عند أحمد والنسائي والطحاوي ، وحديث أبي قدامة ـ واسمه محمد بن عبيد الحنفي كما في " تعجيل المنفعة " وذكره ابن حبان في الثقات ـ عند أحمد ، قال : « قلت لأنس : بأي كان رسول الله ﷺ يلبي ؟ فقال : سمعته سبع مرات يلبي بعمرة وحجة » . قال ابن كثير : تفرد به الإمام أحمد وهو إسناد جيد قوي ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة . هذا ملخص ما في " العمدة "و " البداية والنهاية " و" الهدى" و" الجوهر النقي " وغيرها مع المراجعة إلى أصولها في الغالب ، وضم

كلام بعضهم إلى بعض .

وبالجملة تواتر عن أنس رضى الله عنــه برواية نحو عشرين من ثقات التابعين أنه سمع النبي ﷺ بلبي بحج وعمرة ، ولم يسمعه مرة بل مرات ، وأنس فى ذلك اليوم رديف أبى طلحة إلى جنب رسول الله ﷺ ، بحيث إن رجلــه تمس رجل النبي ﷺ ، فمن أولى بحفظ كلامه من كان أقرب الناس إليه ولصيقه وليس بينه وبينه ﷺ أحد ؟ أوغيره كما يقول ابن جزم ، ومن سمع حجة على من لم يسمع على أن القارن جازله الإكتفاء فى التلبية بحج وحده عند الكل ، فربما أهل مرةً بالحج وحده ، فرواه ابن عمروجابر وغيرهما ، وربما يخفى بعض كلمــة على السامع ، فحديث أنس وحده حجــة أقوى ما يكون فى الباب ، فلروايته خصوصية ليست لغيره ، والمثبت قوله مقدم على النافى ، ومن سمع حجة على من لم يسمع ، والقريب أولى بالاسماع من بعيد . علاأن لكل من جابر وعائشة وابن عمر روايــة تخالف رواياتهم فى الإفراد وتوافق روايــة أنس ، وليس لأنس رواية قوية ولا ضعيفة توافقهم ، فأخذ المتفق أولى من أخذ المختلف ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل . فإذن لايمكن إنكار قرانــه ﷺ أصلاً ، وقد أخرج الزيلعى فى " تخريج الهداية " صراحةً من أحاديث القران ثمانية ، وأخرج من أحاديث التمتع ، وكذا فى شياق آخر مايبلغ بــه العدد إلى عشرين حديثاً ، وذكر صاحب " الهدى " اثنين وعشرين حديثاً من رواية سبعة عشر صحابياً .

قال الراقم عفا الله عنه . وقد استقريت المظان وبحثت عنها فصادفت رواة القران من الصحابة بضعاً وعشرين صحابياً ، وأحاديثهم نحو ثلاثين حديثاً مما أخرجه أحمد والأئمة الستــة والطحاوى وابن حزم وغيرهم ، ثم ابن كثير وابن القيم والزيلعى والهيثمى ، ثم العينى والعسقلانى وابن الهمام ، ثم الزرقانى

وغيرهم . وودت أن ألتقطها بالإشارة إليها إجمالاً بترتيب وتنقيح ، استيفاءً لأطراف البحث وإيضاحاً لمقاصد الشرح . فأقول ـ وبالله التوفيق ـ :

ثبت عن عمر عند البخارى مرفوعاً، وفيه: « وقل عمرة فى حجة » . وعن على عند البخارى ومسلم ، وعن عثمان سكوتاً وموافقة لعلى عندهما ، وصراحة عند أحمد ومسلم ، وفيه : « لقد علمت أنا تمتعنا مع رسول الله ﷺ ؟ قال : أجل ، ولكنا كنا خائفين » ، وأخرجه الحاكم ، وصححه فى " المستدرك " ، وفيه: فقال على: « رسول الله ﷺ تمتع؟ قال : بلى » ، فهذا اعتراف صريح بما يرويه على .

قال الراقم : ويمكن أن يثبت ذلك عن أبى بكر استدلالاً بحديث ليث ابن أبى سليم عن طاوس عن ابن عباس عند الترمذى فى (باب التمتع) قال : « تمتع رسول الله ﷺ حتى مات ، وأبو بكر حتى مات ، وعمر حتى مات ، وعثمان حتى مات رضى الله عنهم الخ » ، حيث إن رسول الله ﷺ لم يتمتع تمتعاً اصطلاحياً عرفياً عند أحد فى الأمة حتى القائلين بأفضلية التمتع ، فيحمل عند الكل على القران لأنه متفق فى الأئمة نهائياً ، وإن كان خلافياً فى البداءة ، فإذا حمل على القران ولا بد فليحمل عليه فيمن بعد ، ومنهم : أبو بكر وعمر . ولم أر من احتج به أو تنبه له وبالله التوفيق .

فإذن يثبت القران عن الخلفاء الراشدين جميعاً ، ورواية ابن أبى سليم لا ينزل عن الحسن وإن كان فيه مقال . وعن أنس عندهما كما تقدم ، وعنه عند البخارى من حديث الاعتمار ، وعن على عند النسائى مرفوعاً : « سقت الهدى وقرنت » ، ومثله عن البراء عند النسائى وأبى داود ، وعنه عند البيهقى فى حديث الإعتمار ، وعن عمران بن حصين عند مسلم : « جمع بين حج وعمرة » .

ومثله عن أبى طلحة عند أحمد وابن ماجه ، وعن سراقة بن مالك عند أحمد والطحاوى ، وعن سعد بن أبى وقاص عند مالك والنسائى والترمذى بحمل التمتع على القران ، وعن أبى سعيد عند الدارقطنى وعند أبى قتادة عنده ، وعند الحاكم وصححه على شرطهما وأقره الذهبى ، وعن ابن أوفى عند البزار والطبرانى .

وعن ابن عمر عند الشيخين، وفيه : « فأهل بالعمرة ثم أهل بالحج » . وعنه عند مسلم: « قرن الحج إلى العمرة . . . . ، ثم قال : هكذا فعل رسول الله ﷺ » . وعنه عند أبى يعلى : « إن رسول الله ﷺ طاف طوافاً واحداً لإقرانه لم يحل بينهما الخ » ، وعن عائشة عند الشيخين بمثل حديث ابن عمر الأول ، وعنها عند أبى داود والبيهقى حديث عمرته ﷺ مع حجة الوداع . وعن جابر عند الترمذى وابن ماجه والدارقطنى والطحاوى والبيهقى ، وفيه : « وحجة بعد ما هاجر معها عمرة » ، وعن جابر عند البزار مرفوعاً : « فقرن بين الحج والعمرة ، وساق الهدى» . قال الهيثمى : ورجاله رجال الصحيح . وعنه عند أحمد والترمذى وابن حبان: « إن رسول الله ﷺ قرن الحج والعمرة الخ » وتقدم .

وعن ابن عباس عند أبى داود والترمذى والطحاوى وفيه : « والرابعة التى قرن مع حجته » ، ورواه أحمد أيضاً . وعن الهرماس بن زياد عند أحمد والكجى والطحاوى ، وفيه : « إن رسول الله ﷺ قرن فى حجة الوداع بين الحج والعمرة » . وعن أبى داود عند الطبرانى ، وفيه : « فصلى ركعتين ثم أحرم فى دبر الصلاة بحجة وعمرة معاً » . وأبو داود هو المازنى ، ذكره فى " الإصابة " من الكنى . وعن عبد الله بن عمرو عند أحمد وفيه غرابة ، وعنه حديث أربع عمر كلها كانت فى ذى القعدة إلا عمرته التى كانت مع حجته .

أشار إليـــه ابن عبـد البر فى " الإستذكار " ، ذكره الحافظ المـاردينى فى " الجوهر النقى " .

وعن حفصة عن الشيخين وقرره ابن كثير أوضح بيان ، وفيه : « ما يمنعك أن تحل ؟ قال : إنى لبدت رأسى وقلدت هدى فلست أحل حتى أنحر هدى» . فعلم منه أنه اعتمر ولم يحل ، فكان قارناً ، وعن أم سلمة عند أحمد مرفوعاً : « أهلوايا آل محمد بعمرة فى حج » . وعن صبى بن معبد التغلبى عند أحمد والطيالسى وابن أبى شيبة والنسائى وأبى داود وابن ماجه والدارقطنى فى " العلل " قال : « أهللت بهما ، فقال عمـــر : هديت لسنة نبيك ﷺ » ، وهو حديث صحيح. وصبى من صغار الصحابة ذكره فى " الإصابة " وحج فى عهد عمر .

فهؤلاء الخلفاء الراشدون : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وأنس وجابر وابن عمر وابن عباس وعمران بن حصين وسعد بن أبى وقاص والبراء وأبو قتادة وأبو طلحة وابن أبى أوفى وعبد الله بن عمرو وعائشة وحفصة وأم سلمة أمهات المؤمنين، وسراقة والهرماس وأبو سعيد الخدرى وأبو داود المازنى وصبى بن معبد التغلبى وغيرهم بضع وعشرون صحابياً روى عنهم القران ، وغالب رواياتهم صحاح ، وبعضها حسان ، والضعيف أو الغريب فيـــه نادر ، على أنه يجبر وهنها بتلك الصحاح ، وأكثرها صريحة فى الموضوع لا يحتاج إلى تأول ، ويتأول فى قليل للجمع والتصحيح من جهة أخرى

ومنهـــم من له حديثان أو ثلاثة ، وهم : ابن عمر وجابر وأنس وعائشة والبراء بن عازب وعلى ، فجميع الروايات فى الباب ثلاثون حديثاً ، ويروى عن أنس وحده نحو عشرين من الثقات الأثبـــات . فهل يبقى بعد هذا التواتر

العظيم أدنى مظنة للوهم والشك ؟ وربما لا يكون فى أحاديث الأحكام ما بلغ هذه المنزلة إلا قليلاً .

ثم إنه يترجح رواية القران بأمور :

منها أن معه زيادة علم على من روى الإفراد وغيره .

ومنها : أن من روى الإفراد والتمتع اختلف عليه فى ذلك . فأشهر من روى عنه الإفراد عائشة ، وقد ثبت عنها أنه اعتمر مع حجته ، وابن عمر وقد صح عنه أنه ﷺ بدأ بالعمرة ثم أهل بالحج ، وثبت أنه جمع بين حج وعمرة ، ثم حدث أن النبى ﷺ فعل ذلك . وجابر وثبت عنه : اعتمر مع حجته أيضاً . وإن من روى القران عنه جماعة من الصحابة لم يختلف عليهم فيه .

ومنها : أنه لم يقع فى شىء من الروايات النقل عنه من لفظه أنه قال : « أفردت ولا تمتعت » ، بل قد صح عنه أنه قال : « قرنت » . وصح عنه أنه قال : « ولولا أن معى الهدى لأحللت » .

ومنها : أن من روى عنه القران لا يحتمل حديثه التأويل إلا بتعسف ، بخلاف من روى الإفراد والتمتع ، ويؤيد ذلك أن من روى عنه الإفراد روى عنه القران ومن روى عنـــه التمتع وصفه بصفة القران من عدم الإحلال بعد العمرة ، وليس هى إلا صفة القران .

ومنها : أن رواة القران أكثر فبلغوا إلى بضع وعشرين صحابياً ، وغالب رواياتهم صحاح جياد .

ومنها : أنه ثبت برواية ثلاثة من الخلفاء الراشدين بل كلهم .

ومنها : أن طرق الإخبار به تنوعت ، فتارةً التعبير بالإهلال بهما ،

وتارةً بعدم الإحلال بينهما ، وأخرى باقتران عمرته مع حجته ، ومرةً بلفظ القران إلى غير ذلك مما يتضح مما سلف .

ومنها : أنه النسك الذى أمر به فى حديث عمر عند البخارى ، فلم يكن ليعدل عنه .

ومنها : أنه النسك الذى أمر بــه كل سائق الهدى ، وهو نفسه ﷺ سائق الهدى، فكيف يأمرهم بما يخالفه ؟

ومنها : أنه النسك الذى اختاره الله لآله وأهل بيته وأمرهم به ، فلا يختار لهم إلا ما اختار لنفسه .

ومنها : أن قوله : " دخلت العمرة فى الحج إلى يوم القيامة " يقتضى أن تكون العمرة من الحج كالجزء من الشيئ ، وذلك لا يكون إلا بالقران ، إلى غير ذلك من وجوه بينوها . وفى هذا القدر مقنع وكفاية ، والله ولى التوفيق والهداية .

ثم ما تكلف البيهقى فى تأويلات روايات القران فى " سننه " فقد أبى عنها كبار أهل مذهبه ، كالنووى والتقى السبكى وابن حجر وغيرهم ، بل سماها الحافظ ابن حجر فى " الفتح " : تعسفاً ، والحافظ علاء الدين قد كشف عن تعسفه وأجابه بما شفى وكفى ع :

شفى وكفى ما فى الصدور فلم يدع * لذى إربة فى القول جداً ولا هزلاً

ومن ضعف مذهب إمامه فى المسألــة رجع عنها مثل المزنى وابن المنذر وأبى إسحاق المروزى من قدماء أتباعه ، والتقى السبكى من متأخريهم ، واضطر مثل النووى وابن حجر وغيرهما من الشافعية والقاضى عياض وغيره من المالكية إلى القول بانتهاء أمره ﷺ إلى القران .

هذا وصلى الله على سيدنا ومولانا نبى الرحمــة والرأفة محمد وآله وصحبه

وتبعه وحفظة دينه وشرعه وبارك وسلم تسليماً .

قال الشيخ: ثم الإفراد الذى رواه طائفة من الصحابة لا حاجة بنا إلى الجواب عنه بعد إثبات قرانه ﷺ ، ولأن القران مثبت والإفراد ناف والمثبت يقدم على النافى. فإذن جواب الإفراد لا يكون إلا تبرعاً منا ، فقال: قال بعض الحنفية : معنى " أفرد بالحج" : أى شرع الإفراد بالحج . أقول : لم أقف على قائله . وبالجملة هو نظير ما تأول به الإمام الشافعى نفسه والخطابى وعياض وغيرهم فى أحاديث القران والتمتع بأنه ﷺ كان الآمر به .

قال الشيخ: ومعناه عندى: أنه أفرد بالحج أى أنه اعتمر وحج بإحرام مفرد لهما بدون أن يحل فى البين ويستأنف الإحرام كما يفعل المتمتع الغير السائق الهدى حيث يحل فى البين. فالنبى ﷺ لم يحل فى البين من الإحرام كما حل الذين أحرموا ولم يسوقوا الهدايا بأمره ﷺ واستنكروا ذلك بأن يحلوا وقالوا: " نروح إلى منى ومذاكيرنا تقطر منياً " كما يأتى قريباً وجه استنكافهم فى (باب التمتع) .

ويمكن أن يقال فى اختلاف رواياتهم فى الإفراد والقران والتمتع أن منشأ ذلك اختلاف سماعهم فى لفظ " التلبية " ، فبعضهم سمع الإهلال بالحج، وبعضهم بالعمرة، وبعضهم بهما، والإحرام إنما كان للقران فقط. ومثله يقول ابن الهمام فى " الفتح" : ومما يمكن الجمع به بين روايات الإفراد والتمتع أن يكون سبب روايات الإفراد سماع من رواه تلبيته عليه السلام بالحج وحده ، وأنت تعلم أنه لا معنى من إفراد ذكر نسك فى التلبية وعدم ذكر شئ أصلاً ، وجمعه أخرى مع نية القران .

قال : فهو نظير سبب الاختلاف فى تلبيته عليه السلام ، أكانت دبر

الصلاة ؟ أو استواء ناقته ؟ أو حين علا على البيداء ؟ ا هـ . وزد على ذلك أن المفرد لا يجوز له التلبية إلا بالحج وحده كما أن المتمتع لا يجوز له إلا التلبية بالعمرة وحدها ، فلا يقول المفرد والمتمتع : " لبيك بحجة وعمرة " . والقارن أمره واسع فيجوز له الكل كما يجوز له عدم ذكر شئ ، فروايات القران الصريحة بالإهلال بهما لا يحتمل التأويل ، وروايات خلافه يحتمل التأويل من غير ما شك .

وقد سبق ابن الهمام الخطابي فيقول : ويحتمل أن بعضهم سمعه يقول : " لبيك بحجة " ، فحكى أنه أفرد ، وخفى عليه قوله : " وعمرة " فلم يحك إلا ما سمع . وسمع أنس وغيره الزيادة ، وهى : "لبيك بحجة وعمرة" ، ولا ينكر قبول الزيادة ، وإنما يحصل التناقض لو كان الزائد نافياً لقول صاحبه : فأما إذا كان مثبتاً له وزائداً عليه فليس فيه تناقض اهـ . حكاه شارح " المهذب " (٧ — ١٦١) .

قال الراقم : والحكم فى ذكرهما فى التلبية عندهم كالحكم عندنا ، وقد أسلفنا من قبل ، وسبق الخطابي أبو جعفر النحاس فذكر ذلك كما حكاه القرطبي فى أحكامه (٢ — ٣٦٧) ، ومثله قال الجصاص فى " أحكامه " .

قال الشيخ : ولمولانا شيخ الهند محمود حسن الديوبندى ههنا لطيفة ، كان يقول : قال الشافعية فى حديث سراقة بن مالك : إن العمرة دخل فى الحج الخ . أى أن أفعال العمرة دخلت فى أفعال الحج . فلنا أن نقول فى روايات الإفراد : أنه جعل الحج والعمرة مفرداً مفرداً ، أى أتى بأفعال كل منهما عليحدة من غير أن يدخل أفعال العمرة فى الحج .

ثم ههنا مسألة أخرى، وهى: مسألة جواز العمرة للمكى فى أشهر الحج، فاختار ابن الهمام فى " الفتح" من (باب التمتع) أولاً عدم جوازها لمن أراد الحج من عامه وفاق سائر الحنفية بناءً على عدم جواز التمتع للمكى، ثم قال: ظهرلى بعد نحو ثلاثين عاماً من كتابة هذا الكتاب: أن الوجه منع العمرة للمكى فى أشهر الحج سواء حج من عامــه أو لا، لأن النسخ خاص لم يثبت، إذ المنقول من قولهم: " العمرة فى أشهر الحج من أفجر الفجور " لا يعرف إلا من كلام الجاهلية دون أنه كان فى شريعة ابراهيم عليه السلام أو غيره، ولم يبق إلا النظر فى الآيـة ـــ أى قولــه تعالى: (ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام ○) ـــ . . . واتفقوا فى تعليله بأن تجويزه للآفاق لدفع الحرج كما عرف، ومنعه من المكى لعدمه، ولا شك أن عدم الحرج فى الجمع لا يصلح علة لمنع الجمع . . . بل إنما يصلح عدم الحرج فى عدم الجمع أن يجوز له كل من عدم الجمع والجمع . . . فحين وجب عدم الجمع لم يكن إلا لأمر زائد، وليس هنا سوى كونــه فى الجمع موقعاً للعمرة فى أشهر الحج انتهى مختصراً بلفظه .

قال الشيخ: ثم إنه اختلفت نسخ " الفتح" المطبوعة، ففى بعضها هذا التعقب على الهامش، وفى بعضهـــا فى صلب الكتاب، ولا يوجد فى بعضها أصلاً . وكذلك تردد ابن الهمام فى مسألـــة التمتع والقران للمكى إذا قارن أو تمتع، هل يصح ذلك ويكون آثماً أو لا يصح أصلاً ؟ . وبعبارة أخرى: أن تمتع المكى وقرانه فاسدان ويجبران بالدم، أو باطلان لا وجود لهما فى الشرع ؟ وتردد أولا، بل رجح الفساد دون البطلان . ثم اختار البطلان وقال: إنــه مقتضى كلام الأئمة، وكلامهم أولى بالإعتبار وأطال فى ذلك . والصحة مع الكراهة ما مشى عليه فى " التحفة " و" غاية البيان " و "العناية" و" السراج"

وشرح الأسبيجابي على " مختصر الطحاوي " وخالفه ابن الهمام من بعده ، كصاحب " البحر " و " النهر " و " المنح " والشرنبلالي والقاري ، قاله ابن عابدين .

وبالجملة اختار ابن عابدين في شرح "الدر المختار" بأن تمتع المكي باطل دون قرانه، وإن قرانه جائز مع الكراهة . وذكر أن هذا قول ثالث لم أره، ولكنه استنبطه من كلام " البدائع" وغيره ، ثم رآه صريحاً في " النهاية " و " أسرار الدبوسي" ، وراجعه للتفصيل . وللشيخ طاهر سنبل في الموضوع رسالة خاصة سماها : " نزهة المشتاق في عمرة المكي والملحق به من الآفاق " ، وأدرجها برمتها صاحب " إرشاد الساري إلى مناسك علي القاري" فراجعها إن شئت .

قال الشيخ : وهذا هو الحق عندي، فإن الدليل يساعده ، فإنهم صرحوا بأن الإلمام الصحيح مبطل للتمتع دون القران . وقال الشافعي : إن المكي جازله القران والتمتع ولا يجب عليه دم، وهو مذهب مالك وأحمد . وفرق ابن الماجشون فقال بالدم في القران دون التمتع . ولا يجوزان عند أبي حنيفة . ومنشأ الخلاف اختلافهم في تفسير قوله تعالى: (ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام ۝) فالمشار إليه بذلك الهدى عند الشافعي ، والقران والتمتع عند أبي حنيفة . وظاهر الآية لأبي حنيفة ، إذ لو كان المشار إليه الدم أو بدله لقال : (على من لم يكن) بدل : (لمن لم يكن) ، و" اللام " وإن كان يأتي بمعنى " على " كما في قوله : (ولهم اللعنة) غير أن التأويل مجاز لا يجوز إليه الصرف إلا بحجة . وأيضاً منشأ الجواز للآفاقي هو التخفيف عليه بالاتفاق ، ولا مشقة على أهل مكة في العمرة في غير أشهر الحج . وقد روى عن ابن عمر : « إنما جعل القران لأهل الآفاق، وتلا قول الله عزوجل: (ذلك لمن لم يكن أهله ۝ الخ) كما في " أحكام القرطبي" . وروى عن طاؤس : ليس على أهل مكة متعة ، فإن فعلوا وحجوا

وفى الباب عن جابر وابن عمر . قال أبو عيسى : حديث عائشة حديث حسن صحيح . والعمل على هذا عند بعض أهل العلم .

وروى عن ابن عمر : « إن النبي ﷺ أفرد الحج، وأفرد أبو بكر وعمر وعثمان » .

حدثنا : بذلك قتيبة نا عبد الله بن نافع الصائغ عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر بهذا .

قال أبو عيسى: وقال الثورى : إن أفردت الحج فحسن ، وإن قرنت فحسن ، وإن تمتعت فحسن . وقال الشافعى مثله ، وقال : أحب إلينا الإفراد ثم التمتع ثم القران .

فعليهم ما على الناس ، كما فى " أحكام الجصاص " ، وراجعه لمزيد البيان .

قوله : أفرد بالحج. هذه رواية الإفراد عن عائشة ، وروى عنها : « أنه ﷺ أهل بحجة وعمرة » ، أخرجه الشيخان كما أسلفناه من قبل قريباً ، وحديثها فى الباب من أفراد مسلم ، وأخرجه بقية السنن .

قوله : وفى الباب عن جابر الخ . يريد رواية الإفراد عنه ، وقد روى عنه فى (باب كم حج النبي ﷺ ؟) ما يدل على أنه أهل بهما حيث قال : « وحجة بعد ما هاجر معها عمرة » ، ولا يضر تصويب البخارى إرساله أو عدم تحسين الترمذى إياه ، فإن رجاله ثقات ، وقد قدمنا متابعة عبد الله بن داود الخريبى لزيد بن حباب عن سفيان عند ابن ماجه ، وقد تقدم عن جابر حديث القران غير هذا فلانعيده . وكذلك أراد برواية ابن عمر روايته فى الإفراد ، أخرجه مسلم ، ويعارضه ما روى عنه من حديث البخارى ومسلم ،

(باب ما جاء فى الجمع بين الحج و العمرة)

حدثنا : قتيبة نا حماد بن زيد عن حميد عن أنس قال: « سمعت النبى ﷺ يقول : لبيك بعمرة وحجة » .

وفى الباب عن عمر وعمران بن حصين . قال أبو عيسى : حديث أنس حديث حسن صحيح، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى هذا ، واختاره من أهل الكوفة وغيرهم .

(باب ما جاء فى التمتع)

حدثنا : قتيبة بن سعيد عن مالك بن أنس عن ابن شهاب عن محمد بن

« فأهل بالعمرة ثم أهل بالحج » . وكذلك ما أشار إليه من روايته : « بأن النبى ﷺ أفرد الحج، وأفرد أبو بكر وعمر وعثمان » ، وعنه عند البخارى ومسلم من حديث التمتع .

ـ: باب ما جاء فى الجمع بين الحج والعمرة :ـ

أخرج فى الباب حديث أنس وقد تقدم فى الباب السابق ما يتعلق بـه وسيأتى فى الباب الذى بعده، وعلى كل حال حديث أنس هذا نص فى أنه ﷺ كان قارناً من أول أمره كما اختاره أبو حنيفة رحمه الله ومن تبعه، فالحديث حجة له من غير شك ، وحديث عمر فى الباب هو الحديث الذى أخرجه البخارى فى " صحيحه " ، وقد ذكرناه من قبل وسيأتى فى سياق آخر، وحديث عمران بن حصين أيضاً أخرجه الشيخان ، « إن رسول الله ﷺ جمع بين حجة وعمرة » ، واللفظ لمسلم . والباب هذا لم يتعرض إليه فى " العرف الشذى" .

ـ: باب ما جاء فى التمتع :ـ

قال أكثر العلماء : إن التمتع المذكور فى الآيـة تمتع لغوى لا عرفى فى

عبد الله بن الحارث بن نوفل : « أنه سمع سعـــد بن أبى وقاص والضحاك بن قيس ، وهما يذكران التمتع بالعمـــرة إلى الحج ، فقـال الضحاك بن قيس : لا يصنع ذلك إلا من جهل أمر الله تعالى ، فقال سعـــد : بئس ما قلت يا ابن أخى ، فقال الضحاك : فإن عمر بن الخطاب قد نهى عن ذلك ، فقال سعد : قد صنعها رسول الله ﷺ وصنعناها معه » .

هذا حديث صحيح .

حدثنا : عبد بن حميد أخبرنى يعقوب بن ابراهيم بن سعد نا أبى عن صالح ابن كيسان عن ابن شهـــاب أن سالم بن عبد الله حدثـــه : « أنه سمع رجلاً من أهل الشام وهو يسأل عبد الله بن عمر عن التمتع بالعمرة إلى الحج ؟

إصطلاحى وظنى أنه اصطلاحى ، كما تقدم بيانه واضحاً ، وقد ذكر ابن كثير وغيره أن التمتع عند أكثر السلف يشمل القران أيضاً وإنه لغة القران . أخرج فى الباب حديث سعد بن أبى وقاص ، واحتج به من ذهب إلى أفضلية التمتع ، وقيل بإحلال النبى ﷺ فى الوسط أيضاً ، قاله القاضى أبو يعلى وغيره ، ذكره ابن القيم فى " الهدى " ورده رداً بليغاً فراجعه ، وسبقه إلى ذلك ابن حزم فى " المحلى " وغيره .

قال الشيخ : ولا حجـة لهذا القائل إلا روايـــة فى " النسائى " ، ويرده حديث " الصحيحين " من حلقـــه ﷺ بمنى . وأيضاً اتفقوا على أنه ساق الهدى ، فكيف يحل فى البين ؟ وحمل التمتع فى حديث الباب على أنـــه ﷺ أجازه ، أو المراد أنه تمتع لغوى ، وهو يشمل القران . واتفقوا على أن حديث " النسائى " ذلك إنما هو سهو من معاوية ، حيث استفاضت الروايات باحلاله

فقال عبد الله بن عمر : هي حلال ، فقال الشامي : إن أباك قد نهى عنهـــا ؟ فقال عبد الله بن عمر : أرأيت إن كان أبي نهى عنها وصنعها رسول الله ﷺ ، أمر أبي يتبع أم أمر رسول الله ﷺ ؟ فقال الرجل : بل أمر رسول الله ﷺ !

بمنى ، أو أنه قصة عمرة الجعرانة وفيها وقع الإحلال بالمروة ؟ وأريد بذلك ما رواه طاؤس قال : قال معاوية لابن عباس : « أعلمت أني قد قصرت من رسول الله ﷺ عند المروة ؟ قال : لا الخ » . وقال قيس : فنحن نحلف بالله أن هذا ما كان في العشر قط ، حكاه ابن القيم ، والحديث رواه أبو داود وغيره أيضاً ، وعند مسلم من حديث معاوية مختصراً ، والذي عند البخاري من حديثه ليس فيه أي إشكال ، فعنده عن معاوية : « قصرت عن رأس رسول الله ﷺ بمشقص » ، وليس فيه ذكر المروة وغيرها .

قوله : قد نهى عنها . ثبت نهى عمر وعثمان عن القران والتمتع ، أما نهى عثمان فرواه الشيخان ، ورواية البخاري ظاهر في النهى عن المتعة والقران ، واحتج به الشافعية على أفضلية الإفراد ، وحمله النووي على الكراهة تنزيهاً ، ولعله أراد المفضولية ، فإن الأقسام الثلاثة للحج كلها عبادات جائزة عند الأمة بالإجماع ، وإنما الخلاف في الأفضلية . وقد أجاب الحنفيـــة عن نهى عمر كما أجاب به الطحاوي إجمالاً ، وملخصه : إن ابن عمر أخبر عن منشأ نهيه عن التمتع بأنه يريد أن الأولى أن يسافر الرجل لكل مرة فيتم كلاً منها كما أمر ، ويزور البيت مرتين في عام ، وهذا الوجه يشمل كلاً من القران والتمتع . ولم يفصلوا بين النهى عن القران وبين النهى عن التمتع . والحق أن يوضح وجهة الفرق بين كل منهما .

قال الشيخ : إن مثار النهى عن القران : أن يسافر الرحل مرتين في عام ،

فقال : لقد صنعها رسول الله ﷺ » .

هذا حديث حسن صحيح .

ويأتى بأفعال كل عليحدة فى سفر مستقل . فيريد أفضلية الإفراد الذى يكون فى سفرين ، وهذا لا يخالف الحنفية أصلاً ، بل هو كما نص عليه محمد بن الحسن فى " مؤطئه " بإنشاء سفر لكل ، وإن ذلك أفضل من القران ، وعنه أنه قال : عمرة كوفية وحجة كوفية أفضل عندى كما سلف من قبل . والدليل على أن ذلك أراد عمر رضى الله عنه ما أخرجه الطحاوى فى " شرح معانى الآثار " (١ ــ ٣٧٥) بإسناد عنه أنه قال : « افصلوا بين حجكم وعمرتكم الخ » ورواه مسلم فى " صحيحه " فى (باب وجوه الإحرام) والحافظ فى " الفتح " ، حكاه عن ابن أبى شيبة . وأيضاً روى بإسناده عن ابن عمر أنه قال : « فأراد عمر بذلك تمام العمرة لقول الله عزوجل : (وأتموا الحج والعمرة لله ○) . فاتضح من ذلك أنه يريد أن يكون الحج والعمرة فى سفرين .

وبالجملة يتأول فى رواية النهى عن القران عنه ، وكيف لا ؟ ! وعند الطحاوى فى " شرح الآثار " (١ ــ ٣٧٥) من طريق شعبة ومن طريق سفيان كلاهما عن ابن كهيل عن طاؤس عن ابن عباس عنه أنه يتمناه ــ أى القران ــ ، فكيف ينهى عن شئ يتمناه هو ؟ ويقول ابن عباس : يقولون : « أن عمر نهى عن المتعة ؟ ! قال عمر : لو اعتمرت فى عام مرتين ثم حججت لجعلتها مع حجتى » . والإسناد الأول من طريق سليمان بن شعيب ، وهو الكيسانى .

قال الشيخ : وثقه ابن يونس والسمعانى

قال الراقم : لم أجد عنهما التوثيق صراحة . نعم فى رجال " الطحاوى " :

ذكر توثيقــه عن اللباب فى " تهذيب الأنساب " ، فلعل السمعانى وثقـه فى " الأنساب " ، والحافظ نقل فى " اللسان " توثيقـه عن العقيلى ، وأبوه من أصحاب الإمام محمد بن الحسن كما ذكره أبو اسحاق الشيرازى صاحب " المهذب " فى " طبقات الفقهاء " . ثم رأيت فى (باب تزويج المحرم) فى كتاب النكاح من " الجوهر النقى " نقل عن السمعانى توثيقه .

قال الشيخ : وأما مدار النهى عن التمتع عنده فذلك لعدم رغبته بالحل فى البين ، كما يدل عليه رواية مسلم فى " صحيحه " . أقول : يريد به ما أخرجه فى (باب وجوه الإحرام) بإسناده : . . . فقال عمر : « قد علمت أن النبى ﷺ قد فعله وأصحابه ولكن كرهت أن يظلوا معرسين بهم فى الأراك ثم يروحون فى الحج تقطر رؤسهم » . قال الراقم : ويستأنس له أيضاً بما رواه مسلم فى " صحيحه " (١ — ٣٩٣) : فلما قام عمر قال : « إن الله (تبارك) كان يحل لرسول الله ﷺ ماشاء بماشاء ، وإن " القرآن " قد نزل منازله فأتموا الحج والعمرة كما أمركم الله تعالى الخ » ، وفى (١ — ٤٠١) : إن نأخذ بكتاب الله فإن كتاب الله يأمر بالتمام ، وإن نأخذ بسنة رسول الله ﷺ لم يحل حتى بلغ الهدى محله .

ثم إن حديث مسلم هذا يدل على جواز القران عند الفاروق رضى الله عنه صريحاً ، وقال المازرى : اختلف فى المتعة التى نهى عنها عمر فى الحج ، فقيل: هى فسخ الحج إلى العمرة ، وقيل : هى العمرة فى أشهر الحج ثم الحج من عامه . قال : وعلى هذا إنما نهى عنها ترغيباً فى الإفراد الذى هو أفضل ، لا أنه يعتقد بطلانها أوتحريمها ، حكاه النووى ، ورجح القول الثانى كما حكى عن القاضى عياض ترجيح الأول ، فيقول النووى : قلت : والمختار أن عمر وعثمان وغيرهما إنما نهوا عن المتعة التى هى الإعتمار فى أشهر الحج ثم الحج من عامه ، ومرادهم نهى أولوية للترغيب فى الإفراد لكونه أفضل ، قال : وقد

انعقد الإجماع بعد هذا على جواز الإفراد والتمتع والقران من غير كراهة ، وإنما اختلفوا فى الأفضل منها اه .

قال الشيخ : فكان منشأ النهى عن التمتع هو منشؤ إنكار الصحابة من الحل فى الوسط كما قالوا : « نروح إلى منى ومذاكيرنا تقطر المنى » ، وسر ذلك رغبتهم فى التمادى فى العبادة أى الإحرام والاقتداء والتأسى بفعله ﷺ ، وزعموا أن أمره ﷺ إياهم بالتحلل إنما هو إبقاء عليهم . والذى زعموا من أن وجه ترددهم فى الامتثال هو زعم الجاهلية بأن العمرة فى أشهر الحج من أفجر الفجور ، أخرج الشيخان من حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال : « كانوا يرون أن العمرة فى أشهر الحج من أفجر الفجور فى الأرض ، ويجعلون المحرم صفراً ، ويقولون : إذا برأ الدبر وعفا الأثر وانسلخ صفر حلت العمرة لمن اعتمر » ، قدم النبى ﷺ وأصحابه صبيحة رابعة مهلين بالحج ، فأمرهم أن يجعلوها عمرةً ، فتعاظم ذلك عندهم ، فقالوا : يا رسول الله ! أى الحل ؟ قال : حل كله .

قال الشيخ : وكأنهم اتفقوا على هذا الوجه ، ولم أر من عدل عنه ، ولكنى أقول : لايلائم هذا الوجه عندى ، فإن الصحابة كانوا قد اعتمروا قبل هذه الحجة ثلاث عمر كلها فى أشهر الحج ، أى فى ذى القعدة ، ولم ينكر أحد منهم عليها فى كونها فى أشهر الحج . قال الراقم : ويدور بالبال : إن رواية ابن عباس السابقة تؤيد ما فهمه الجمهور من أن الأمر بالإعتمار منه ﷺ وتعاظمهم منه كان لذلك ، ولم يكن فى العمر التى قبلها إلا طائفة ، فلعلها خفيت على كثير منهم الذين تفرقوا فى الأقطار . وأما فى حجة الوداع فقدم بشر كثير من أكناف الجزيرة ، وبلاد العرب ربما يكون خفى أمر الاعتمار فى أشهر الحج عليهم ، فكان ذلك الوجه جد ملائم استئصالاً لشأفة حكم الجاهلية .

ويحتمل أن يكون الناس قسمين : قسم تعاظم عليهم ذلك الأمر لأمر الجاهلية ، و قسم : كبر عليهم لعدم موافقتهم له ﷺ فى النسك . ولاريب أن قوله : « لو استقبلت من أمرى ما استدبرت الخ » إنما هو عند الجمهور تطييب لقلوبهم ودفع لما اختلج فى صدورهم ، وراجع " العمدة " (٤ ــ ٥٦٢) و " فتح الملهم " (٣ ــ ٢٧١) من قوله : قال شيخنا المحمود قدس الله روحه وهذا لتمنى الخ ، وحديث ابن عباس فى " مشكل الآثار " وغيره : « والله ما أعمر رسول الله ﷺ عائشة فى ذى الحجة إلا ليقطع بذلك أمر الجاهلية الخ » أيضاً يؤيد ما فهمه الجمهور ، كما فهمه حبر الأمة والله أعلم .

قال الشيخ : وبالجملة فوجه ترددهم فى قبول الأمر أو إبطائهم لم يكن إلا من جهـة أنهم أحبوا التمادى فى حال الإحرام ، ولم يرضوا بالتحلل فى البين ، ومن أجل هذا قالوا : نذهب إلى منى ومذاكيرنا تقطر منياً . وأما وجه نهى عثمان فلم أجد فى الروايات إلا فى " مسند أحمد " والله أعلم . أقول : هكذا فى الأصل ، وبالأسف أنه لم يذكره الشيخ ، ولم نجد فى " مسند أحمد " إلا الاعتراف منه كما قدمنا فى أحاديث القران . نعم فى " المسند " (١ ــ ٦١) - كما فى مسلم - : ثم قال على رضى الله عنه : « لقد علمت أنا قد تمتعنا مع رسول الله ﷺ ؟ قال : أجل ولكنا كنا خائفين اه » فتأوله بالخوف . وقد استشكل هذه الكلمة فإنه لم يكن هناك إلا أمن . وقد قال ابن مسعود كما فى " الصحيحين " : « كنا آمن ما يكون الناس » ، وتأوله القرطبى بالخوف من عظم أجر الإفراد . واستبعده الحافظ فى " الفتح " (٣ ــ ٣٣٧) ، وربما يخطر بالبال من أن معناه الخوف من الوقوع فيما لايحل للمحرم فيما إذا تمادى الإحرام ، وذلك إنما يكون فى القران دون التمتع العرفى . ويقول الحافظ : لأن عثمان لم يخف عليـه أن التمتع والقران جائزان ، وإنما نهى عنهما ليعمل

بالأفضل كما وقع لعمر ، لكن خشى على أن يحمل غيره النهى على التحريم فأشاع جواز ذلك ، وكل منهما مجتهد مأجور اه . ولشيخنا العثمانى تأويل آخر فى " فتح الملهم " (٣ — ٢٩٩) فراجعه فهو لطيف .

ثم إن شيخنا العثمانى أتى برواية من " إعلام ابن القيم " من طريق محمد بن اسحاق عن يحى بن عباد عن عبد الله بن الزبير ، وفيها منشأ نهيه من أنه رضى الله عنه أراد زيارة البيت مرتين وأنه أفضل ، فإذن يكون مثل مارآه عمر الفاروق فى النهى عن القران كما تقدم ، وإن اختلف منحى الفاروق فى النهى عن القران ، وفى النهى عن التمتع على ما حققــه شيخنا رحمه الله تعالى . وفى " أحكام الجصاص " : وقد روى عن عثمان أنه لم يكن ذلك منه على وجه النهى ولكن على وجه الإختيار ، وذلك لمعان : أحدها : الفضيلة ليكون الحج فى أشهرها المعلومة لها . والثانى : أنه أحب عمارة البيت ، وأن يكثر زواره فى غيرها من الشهور . والثالث : أنه رأى إدخال الرفق على أهل الحرم بدخول الناس إليهم ، فقد جاءت بهذه الوجوه أخبار مفسرة عنه آه .

ثم إن فسخ الحج إلى العمرة للذى لم يسق الهدى وتحلله بعدها هل كان خاصاً بعهده ﷺ فلا يجوز لمن بعده ، أوهو جائز وباق إلى يوم القيامــة ؟ فالأول : هو مذهب أبى حنيفــة ومالك والشافعى وجماهير العلماء من السلف والخلف ، كما فى شرح "مسلم" للنووى ، قال : وإنما أمروا به تلك السنة ليخالفوا ما كانت عليه الجاهليــة من تحريم العمرة فى أشهر الحج ، والثانى . مذهب أحمد وطائفة من الظاهرية . ودليل الجمهور حديث أبى ذر عند مسلم والدارمى والدارقطنى وغيرهم ولفظ أبى داود والدارقطنى صريح فى فسخ الحج إلى العمرة ، فوقع بــه تفسير المتعة عند " مسلم " . وأيضاً فيه حديث الحارث بن بلال عن أبيه عند النسائى وأبى داود والدارمى ، وحديث سراقة

عند مسلم أريد به الإعمار فى أشهر الحج عند الجمهور ، وكذا بقية الأحاديث التى احتج بها أحمد ، وللشيخ ابن الهام فى " الفتح " كلام متين رواية ودراية فى تأييد مسلك الجمهور ، فليراجعه من شاء .

والذى عند ابن تيمية فذكر صاحبه فى "الهدى": أنه قائل بوجوب الفسخ فى حق الصحابة وبالإستحباب للأمة إلى يوم القيامة . نعم اختار الوجوب صاحبه ابن القيم فقال : كل من طاف ممن لا هدى معه من مفرد ، أو قارن ، أو متمتع ، فقد حل إما وجوباً وإما حكماً ، حتى بالغ وقال : هذه هى السنة التى لا راد لها ولا مدفع ، ثم هو مال إلى الوجوب خلافاً لإمامه وخلافاً لشيخه ، فكأن إمامه وشيخه كل قد خالف السنة الصريحة عنده فى عدم القول بالوجوب. فيا للعجب! وأسهب جداً فى التدليل له بأربعة عشر حديثاً، ولا يقوم حجة على الجمهور أصلاً ، فإنها فى حق الصحابة الذين كانوا معه ﷺ ، ولم ينكر عن ذلك أحد فى الأمة، وأصرح دليل له منها فى الظاهر حديث سراقة: « يارسول الله ! ألعامنا هذا أم للأبد ؟ قال : للأبد » ، وبلال بن الحارث عند النسائى وأبى داود وابن ماجه والدارمى والدارقطنى كل صريح فى المقصود نص فى مورد النزاع ، فتشغيبه كله فى غير محله ، وليس فيه حديث صريح ما عدى حديث سراقة بظاهره . ثم بعد البحث ليس هو صريحاً أيضاً، وشيخه كان أبصر منه فيما دار فى الموضوع ، فلم يزد إلا اختياراً منه قول إمامه أحمد بن حنبل ، وقد تصدى ابن الهمام فى " الفتح" ثم الشيخ عابد السندى فى "المواهب اللطيفة" فى شرح "مسند أبى حنيفة" لرد كلام ابن القيم بما يشفى ويكفى . وشيخنا العثمانى قد حكى فى " فتح الملهم " من كلامهما بما فيه مقنع وكفاية ، وراجع أيضاً " أحكام الجصاص " ، والله ولى التوفيق والهداية .

ثم إنه وقع فى إسناد الحديث الثالث " ليث " ، وهو ابن أبى سليم ،

حدثنا : أبو موسى محمد بن المثنى نا عبد الله بن ادريس عن ليث عن طاوس عن ابن عباس قال : « تمتع رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان ، وأول من نهى عنه معاوية »

وهو الذى يروى حديث : « من كان لـه إمام فقراءة الإمام له قراءة » عند الطحاوى فى " شرح معانى الآثار" (١ — ١٢٨) ، وحسن لـه الترمذى حديثه ههنا ، وعده مسلم فى مقدمة " صحيحـه " من رواة الطبقة الثانية أى رواة الحسان ، وتكلموا فيه ، والحق عند شيخنا أنه من رواة الحسان ، وقد وثقه غير واحد منهم ابن معين والدارقطنى على اختلاف على ابن معين، وربما يكون أعدل كلمة فيه ما ذكره الترمذى فى " علله الكبير" عن البخارى : صدوق يهم ، كما فى " التهذيب" وغيره ، ومن رواة مسلم والأربعة والبخارى فى التعليق . ثم الحديث من طريقه فى الفاتحة خلف الإمام له أسانيد من غير طريقه كما أسلفناه تفصيلاً فى القراءة خلف الإمام .

وروى الترمذى فى الباب حديث التمتع عن ابن عمر وابن عباس ، وقد سبق عند الترمذى من حديث ابن عمر رواية إفراد الحج قال الراقم: وكذلك روى ابن عباس عند أبى داود والترمذى وابن ماجه كلهم من طريق داود بن عبد الرحمن عن ابن عباس قال : « اعتمر رسول الله ﷺ أربع عمر: عمرة الحديبية ، والثانية : حين تواطئوا على عمرة من قابل ، والثالثة: من الجعرانة، والرابعة : التى قرن مع حجته . وتابع داود بن عبد الرحمن عكرمة عند أحمد ، فالإسناد صحيح ولا ينزل عن الحسن .

قوله نهى عنه معاوية الخ . قد ثبت النهى عن التمتع عن عمر وعثمان كما

وفى الباب عن على وعثمان وجابر وسعد وأسماء ابنة أبى بكر وابن عمر .
قال أبو عيسى : حديث ابن عباس حديث حسن ، واختار قوم من أهل العلم من أصحاب النبى ﷺ وغيرهم التمتع بالعمرة . والتمتع : أن يدخل الرجل بعمرة فى أشهر الحج ثم يقيم حتى يحج فهو متمتع ، وعليه دم ما استيسر من الهدى ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله ، ويستحب

تقدم قبل معاوية ، وتقدم آنفاً تحقيق نهى الشيخين عنه ، وأما نهى معاوية فأخرج أحمد ومسلم واللفظ له : من حديث غنيم بن قيس قال : « سألت سعد ابن أبى وقاص عن المتعة ؟ — وفى طريق سفيان : المتعة فى الحج — فقال : فعلناها، وهذا — وفى طريق يحيى بن سعيد يعنى : معاوية — كافر بالعرش يعنى : بيوت مكة » . يريد قبل إسلام معاوية ، فإذن لا عبرة بنهيه إذا قاومه من هو أقوى منه بزيادة من علم .

قوله : وعليه دم ما استيسر الخ . قال الشافعى : دم التمتع والقران هو : دم جبر ، أى جبر ما فاته من إفراد الإحرام ، فلا يجوز له الأكل منه . وقال أبو حنيفة : هو دم شكر ، فيجوز له الأكل منه . ومذهب الشافعى هو مذهب مالك ، ومذهب أحمد هو مذهب أبى حنيفة ، كما فى " المغنى " (٣ — ٥٦٥) وقد ثبت أكله ﷺ من هديه مع كونه ﷺ قارناً عندنا وعندهم كما تقدم .

قوله : فى الحج قال أبو حنيفة : يستحب تلك الثلاثة فى الأيام السابع والثامن والتاسع ، وإذا تأخر عن التاسع تعين الدم . والمستحب عند الشافعى أن يفرغ منه قبل يوم عرفة كما فى " المهذب " ، وإذا فات صوم الثلاثة فى الحج لزم قضاؤها ولا دم عليه ، وعند بعضهم يلزم ، كما فى "شرح المهذب" (٧ — ١٨٦) . ومذهب أحمد كأبى حنيفة كما فى " المغنى " . (٣ — ٥٠٥) .

قوله : وسبعة إذا رجع إلى أهله قال أبو حنيفة : الرجوع هنا مجاز عن

للمتمتع إذا صام ثلاثة أيام فى الحج أن يصوم فى العشر ، ويكون آخرها يوم عرفة ، فإن لم يصم فى العشر صام أيام التشريق فى قول بعض أهل العلم من من أصحاب النبى ﷺ ، منهم ابن عمر وعائشة .

الفراغ عن الحج . وقال الشافعى : محمول على الحقيقة ، فلا يصومها إلا إذا رجع إلى بلده، ومذهب أبى حنيفة هو مذهب مالك وأحمد، وقول الشافعى فى " الإملاء " مثل مذهب الجمهور، كما فى " شرح المهذب " والأقوال كلها عنه أربعة . أنظر " شرح المهذب" (٧ — ١٨٨) ، وراجع لأدلة أبى حنيفة " أحكام الجصاص " و"فتح ابن الهمام" . وحديث ابن عمر فى " الصحيحين" : « وسبعة إذا رجع إلى أهله » . وحديث ابن عباس عند البخارى : « وسبعة إذا رجعتم إلى أمصاركم » ، ربما يكون نظراً إلى التخفيف والتوسعة دون اللزوم، فلا يكون نصاً فى مورد النزاع ، وحمله فى "المغنى" على وقت الإختيار، وذكر أن وقت الجواز بعد أيام التشريق ، وعن مجاهد وعطاء أن يصومها فى الطريق ، وهو قول اسحاق، وقول عن الشافعى ، وعنه : إذا رجع إلى مكة من منى ، فتم به الأقوال الأربعة عنه .

تذييل وتكملة : قوله تعالى : (ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام ○) ، تقدم أن مفاده عند الحنفية النهى للمكى عن التمتع والقران . قال الشيخ : ولى فيه إشكال قوى لم أر من ذكره أو تنبه له ، وهو أن مثار النهى : إما وقوع العمرة فى أشهر الحج ، فآل الأمر إلى ما يقوله الشيخ ابن الهمام من عدم جوازها للمكى وإن لم يحج من عامه ، وذلك خلاف ما عليه الحنفية ؟ أو يكون مثار النهى ضم العمرة والحج فى إحرام واحد ؟ فإذن يدل الآية على أفضلية الإفراد مع أن الحنفية على أفضلية القران .

وبه يقول مالك والشافعي وأحمد واسحاق . وقال بعضهم : لا يصوم أيام التشرق ،

قال : ويمكن أن يجاب أن مثار النهي غير هذين الأمرين ، وهو أن محط نظر الشارع هو أداؤهما في سفرين . وقال الشيخ في "مشكلات القرآن" (ص ـ ٥٠ و ٥١) : وعلى طريقة من فضل التمتع ، فمعنى التمتع : سقوط سفر الحج وميقاتـه ، كما في "الأم" ، فمحط معنى التمتع في الحج لا في العمرة ، أو معنى التمتع فعل العمرة في أشهر الحج ، وهو عن ابن عمر في "الموطأ" ، أو روعي : أن السفر كان في الأصل الحج وتمتع بالعمرة فيه ، وهو غير الاعتبار الأول ، . . . . وصار التمتع على هذه الاعتبارات رخصة من الإفراد في السفرين . . . . . وقد يمنع كون كل رخصة مفضولاً كالمسح على الخفين ، والقصر والإفطار للمسافر ، . . . . والظاهر : أن سياق القرآن على الرخصة إنما هو بالنظر إلى ما كانوا عليه من ترك العمرة في أشهر الحج ، ثم هو عزيمة في الحديث . و في الواقع : وهو : دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة ، ونظيره في السعي : فلا جناح عليه أن يطوف بهما مع وجوبه في الواقع اهـ مختصراً .

فإن قيل : إن الإفراد الذي يكون بالحج ثم بعد الفراغ من العمرة يجب أن يكون أفضل من القران حيث أتى المحرم بعبادتين من ميقات واحد في القران وبهما من ميقاتين في ذلك الإفراد، فكان في الإفراد مزية ليست في القران حيث أحرم أولاً للحج من ميقات الآفاق وأحرم ثانياً من ميقات المكي .

قال الشيخ : إن المفرد في هذه الصورة اعتمر عمرة لم تكن لازمة عليه من جانب الشريعة ، فكان العمرة تطوعاً . وأما في القران فصارت العمرة عليه واجبة ، فلاشك أن التي من جانب الشارع يكون أفضل من التي كانت بطوعه .

قوله : وبه يقول مالك والشافعي وأحمد الخ . هذا الذي ذكره الترمذي

وهو قول أهل الكوفة .

قال أبو عيسى : وأهل الحديث يختارون التمتع بالعمرة فى الحج، وهو قول الشافعى وأحمد واسحاق .

عن الشافعى قوله فى القديم، وبقول المزنى: إنه رجع عنه . والجديد: أنه لا يجوز الصيام للمتمتع أيضاً فى أيام التشريق ، وعليه الفتوى عند أصحابه ، وكذلك هو رواية عن أحمد كما فى " المغنى" (٣ — ٥٠٧) وروى ذلك عن على والحسن وعطاء ، وهو قول ابن المنذر .

وبالجملة فعدم الجواز فى أيام التشريق هو مذهب أبى حنيفة والشافعى وأحمد فى رواية ، ثم إذا لم يصم فى هذه الأيام تعين الدم عند أبى حنيفة ولا قضاء ، وهو قول الشافعى على تخريج طائفة من الشافية كأبى حامد والماوردى وأبى اسحاق والمحاملى وابن الصباغ وابن سريج وغيرهم ، والمشهور من مذهبه لزوم القضاء ولا دم عليه . وقال أحمد : يصوم عشرة أيام بدلها وعليه دم ، وفى رواية: لا دم عليه كما فى " المغنى" . وقال مالك: يصوم الثلاثة قبل يوم النحر، فإن لم يصمها صامها أيام التشريق، فإن لم يصم فيها صامها بعد ذلك إن كان معسراً ويجب الدم إذا كان مؤسراً، أنظر "المدونة " (١ — ٣٠٩) وراجع ما قدمناه فى (باب ما جاء فى كراهيـة صوم أيام التشريق) من بيان المذاهب وأدلتها فلا نعيده، والله الموفق .

قوله : وهو قول الشافعى وأحمـد واسحاق . أقول : مذهب الشافعى المشهور اختيار الإفراد دون التمتع ، وهذه رواية عنه كما فى شرح " المهذب"، وعنه رواية ترجيح القران أيضاً ، كما فى شرح " مسلم " للنووى ، وقد تقدم بيان المذاهب تفصيلاً فى (باب إفراد الحج) فليراجع .

(باب ما جاء فى التلبية)

حدثنا : أحمد بن منيع نا اسمــاعيل بن ابراهيم عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال : « كانت تلبية النبى ﷺ : " لبيك أللهم لبيك لبيك لا شريك

ـــ : باب ما جاء فى التلبية :ـــ

قال الشيخ : الوقف مستحب فى أربعة مواضع من كلماتها ، وراجع ما قدمناه فى (باب ما جاء من أى موضع أحرم ؟ الخ) ، وراجع " رد المحتار " من التلبيــة .

قال الشيخ : والجهربها يسن لهم لا لهن . أقول : كما هو مصرح به فى كتب فروع المذاهب ، وفى " العمدة " (٤ ــ ٥٣١) : وأجمعوا أن المرأة لا ترفع صوتها بالتلبية ، وإنما عليها أن تسمع نفسها . ثم ذكر الحافظ العينى ما يستدل به لهــذا من آثار ابن عباس وابن عمر وعطاء وابراهيم ، وذكر ما يعارضه من فعل أم المؤمنين عائشة وأم المؤمنين ميمونة من الجهربها . وتعبير شيخنا رحمــه الله بالسنية لهم لا لهن أحسن تعبير أفصح عن الحقيقة والله أعلم . وأما حكم التلبية فقد تقدم بيانه ، وراجع له " العمــدة " (٤ ــ ٥٣٢) و" الفتح" (٣ ــ ٣٢٦) .

قوله : لبيك الخ . مثنى مضاف ، وقع مفعولاً مطلقاً ، يجب حذف عامله لضابطة قياسية ذكرها الرضى ، كما أسلفنا بيانها فى أوائل الكتاب فى شرح قوله : " غفـرانك " فى (باب مـا يقول إذا خرج من الخلاء) . وقـد أوضحناه إيضاحاً فلا نعيده .

لك لبيك ، إن الحمد

ومعنى " لبيك " : ألب لك إلباباً بعد إلباب ، مأخوذ من قولهم : ألب بالمكان : إذا قام به ، وقيل : أتجاهى إليك ، وقيل : محبتى ، وقيل : إخلاصى لك ، وقيل : قرباً منك ، وقيل : خضوعاً لك ، كما فصلها فى " العمدة " (٤ — ٥٣٢) و " الفتح " (٣ — ٣٢٤) . والأولى هو الأشهر والأظهر ، وعليه الأكثر . والمثنى فى مثله للتكرير والتكثير كما صرح به النحاة ، ومثله ذكر السيوطى فى قوله تعالى : (ثم ارجع البصركرتين ○ الآية "الملك") أى كرة بعد كرة ، كما فى " الكشاف " و"أبى السعود " و " الروح " وغيرها . وعليه حمل قوله تعالى : (ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد ○) ، أى : ألق ألق ، كما فى " الكشاف " وغيره . ثم لفظه تثنية عند سيبويه لأجل التكثير دون حقيقة التثنية ، وللتأكيد عند الفراء ، ومفرد عند يونس ، والياء فيه عنده كما فى " لديك " و" عليك " و " إليك " ، كما فى " العمدة " و " الفتح " .

قوله : إن الحمد الخ . قال فى " رد المحتار " : وحكى الشراح عن الإمام الفتح ، وعن محمد والكسائى والفراء الكسر إلا أن المذكور فى " الكشاف " أن اختيار الإمام الكسر والشافعى الفتح ، وهو الذى يعطيه ظاهر كلامهم "نهر" اهـ . وفى " الفتح " و " العمدة " : روى بكسر الهمزة على الاستئناف وبفتحها على التعليل والكسر أجود عند الجمهور ، ورجحه الخطابى ، وابن دقيق العيد ، والنووى . وحكى الرافعى الوجهين من الشافعى من غير ترجيح وهذا خلاف ما نقله الزمخشرى : إن الشافعى اختار الفتح وأبا حنيفة الكسر انتهى ملخصاً .

زائدة : قال الشيخ عبد القاهر فى " دلائل الإعجاز " فى (باب اللفظ والنظم) والخطيب القزوينى فى " الإيضاح " (١ — ٢١١) المطبوع بهامش

والنعمة لك والملك لاشريك لك " .

حدثنا : قتيبه نا الليث عن نافع عن ابن عمر : «أنه أهل فانطلق يهل يقول : "لبيك اللهم لبيك لاشريك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك" » .

قال : وكان عبد الله ابن عمر يقول : هذه تلبية رسول الله ﷺ ،

الشروح الأربعة " للتلخيص " ما ملخصه : إن بشار بن برد قرأ قصيدته فى ابن قتيبة على أبى عمرو بن العلاء وخلف الأحمر حتى فرغ منها ، فقال خلف : لو قلت : يا أبا معاذ بدل: "إن ذاك النجاح " "بكرا فالنجاح" كان أحسن ؟ فقال بشار : إنما بنيتها أعرابية وحشية : "إن ذاك النجاح" كما يقول الأعراب البدويون ، ولو قلت: "بكرا فالنجاح" كان من كلام المولدين ولا يدخل فى معنى القصيد ، فقام خلف فقبل بين عينيه اه . والقصة بإسنادها مذكورة فى " الأغانى" فى الجزء الثالث ، فى ترجمة: بشار بن برد برواية الأصمعى .

قوله : " والنعمة لك " ، المشهور فيه النصب، ويجوز الرفع على الابتداء بحذف الخبر، حكاه عياض عن ابن الأنبارى قوله : و " الملك " أيضاً بالنصب على المشهور، وجاز فيه الرفع أيضاً بتقدير الخبر، والحكمة فى مشروعية التلبية هى التنبيه على إكرام الله تعالى لعباده بأن وفودهم على بيته إنما كان باستدعاء منـه عزوجل ، وقرن النعمة بالحمد لأن " النعمة " من متعلقات الحمد و" الملك " مستقل بنفسه ، وهو بضم الميم معناه: "الحكومة " و"السلطنة" ، هذا ملخص ما فى الشرح الصحيح بزيادة .

ومعنى " التلبية " قيل : إجابة دعوة ابراهيم عليه السلام حين أذن فى الحج، وفيه آثار عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وعطاء وغيرهم بأسانيد قوية كما فى " الفتح" . وقيل : دعوة الله سبحانه وتعالى ، وقيل : دعوة نبينا محمد

وكان يزيد من عنده فى أثر تلبية رسول الله ﷺ : « لبيك لبيك وسعديك والخير فى يديك لبيك والرغباء إليك والعمل » .

هذا حديث صحيح. قال أبو عيسى: وفى الباب عن ابن مسعود وجابر وعائشة وابن عباس وأبى هريرة . قال أبو عيسى : حديث ابن عمر حديث حسن صحيح .

والعمل عليه عند أهل العلم من أصحاب النبى ﷺ وغيرهم ، وهو قول سفيان الثورى والشافعى وأحمد واسحاق ، وقال الشافعى : فإن زاد زائد فى التلبية شيئاً من تعظيم الله فلابأس إن شاء الله . وأحب إلىّ أن يقتصر على تلبية رسول الله ﷺ .

ﷺ ، واستوفى ما ورد من الزيادة فى التلبية البدر والشهاب فى شرحيهما ، فليراجعها من شاء ، وزيادة ابن عمر فيها ما أشار إليها الترمذى ، رواها مسلم فى " صحيحه " .

قوله : وكان يزيد فى تلبية الخ . قال فى " الكنز " ما لفظه : « زد فيها ولا تنقص » . قال ابن عابدين فى " المنحة " : أى زد على هذه الألفاظ ماشئت ، كذا فى الشرح . قال فى " النهر " : فالظرف بمعنى " على " ، لأن الزيادة إنما تكون بعد الإتيان بها لا فى خلالها ، كما فى " السراج " اه . وصرح به فى " الدر المختار " حيث قال : وزد ندباً فيها ، أى عليها لا فى خلالها اه . ومالك كره الزيادة ، وروى عنه أنه لابأس بالزيادة . وعن الشافعى وجهان ، وذكر فى " العمدة " ما ملخصه: إن استحباب الزيادة قول محمد بن الحسن والأوزاعى والثورى . وقال أبو حنيفة وأبو ثور : لابأس بالزيادة . وقال أبو يوسف والشافعى فى قول : لاينبغى أن يزاد فيها على تلبية النبى ﷺ ،

قال الشافعي : وإنما قلنا : لا بأس بزيادة تعظيم الله فيها لما جاء عن ابن عمر وهو حفظ التلبية عن رسول الله ﷺ ، ثم زاد ابن عمر فى تلبيته من قبله : " لبيك والرغبى إليك والعمل " .

وإليه ذهب الطحاوى آه .

قال الشيخ : وما ذكره فى " النهر " وغيره من الزيادة فى نهايتها دون خلالها فلتكن هذه ضابطة فى كل من الأدعية المأثورة ، والأولى الإقتصار على المأثور ، ففيه البركة . قال الفقهاء : ويكثر الحاج من التلبية ما قدر عليها . قال فى " الكنز " و" الدر " وغيرهما : وأكثر المحرم التلبية ندباً متى صلى أوعلا شرفاً أو هبط وادياً أولقى ركباً أو أسحر رافعاً صوته بها بلاجهد الخ . ثم الحاج يختمها عند رمى الجمرة الأولى والمعتمر عند استلام الحجر . قال فى " الكنز " : " وأقطع التلبية بأولها " أى بأول حصاة ترمى بها جمرة العقبة ، وحجته حديث جابر فى " الصحيحين " : وقطع المعتمر التلبية عند الاستلام ، ذكره صاحب " البحر " وغيره . وقطع التلبية للحاج عند جمرة العقبة مذهب الثورى والشافعى وأحمد أيضاً مع اختلاف قليل بينهم . فقال أبو حنيفة والثورى والشافعى : مع أول حصاة يرميها . وقال أحمد وإسحاق : حتى يرمى جمرة العقبة بأسرها . وقال مالك : قطعها إذا زاغت الشمس من يوم عرفة ، هذا ملخص ما فى " العمدة " (٤ — ٦٩٦) ، وقال فى (٤ — ٧٠٠) : وروى سعيد بن منصور من طريق ابن عباس قال : « حججت مع عمر رضى الله عنه إحدى عشرة حجة فكان يلبى حتى يرمى الجمرة » . وذكر الطحاوى : أن الإجماع وقع من الصحابة والتابعين على أن التلبيـة لاتقطع إلا مع رمى جمرة العقبة ، إما مع أول حصاة أو بعد تمامها على اختلاف فيه . ودليل الإجماع أن عمر بن الخطاب كان يلبى غداة المزدلفة بحضور ملأ من الصحابة وغيرهم فلم ينكر عليه أحد منهم بذلك ،

(باب ما جاء فى فضل التلبية والنحر)

حدثنا : محمد بن رافع نا ابن أبى فديك ، **وثنا** اسحاق بن منصور نا ابن أبى فديك عن الضحاك بن عثمان عن محمد بن المنكدر عن عبد الرحمن بن يربوع عن أبى بكر الصديق : « إن رسول الله ﷺ سئل : أى الحج أفضل ؟ قال : العج والثج » .

حدثنا : هناد نا اسماعيل بن عياش عن عمارة بن غزية عن أبى حازم عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ : «ما من مسلم يلبى إلا لبى من عن يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مدر حتى ينقطع الأرض من ههنا وههنا » .

حدثنا : الحسن بن محمد الزعفرانى وعبد الرحمن بن الأسود أبو عمـــرو البصرى قالا نا عبيدة بن حميد عن عمارة بن غزية عن أبى حازم عن سهل بن سعد عن النبى ﷺ نحو حديث اسماعيل بن عياش .

وكذلك فعل عبد الله بن الزبير ولم ينكر عليه أحد ممن كانوا هناك من أهل الآفاق من الشام والعراق واليمن ومصر وغيرها ، فصار ذلك إجماعاً لايخالف فيه اه . وقال الحافظ فى " الفتح " (٣ ـــ ٤٢٦) : وأشار الطحاوى إلى أن كل من روى عنـــه ترك التلبية من يوم عرفة أنه تركها للاشتغال بغيرها من الذكر ، لاعلى أنها لا تشرع ، وجمع فى ذلك بين ما اختلف من الآثار ، والله أعلم اه .

ـــ: باب ما جاء فى فضل التلبية والنحر :ـــ

أخرج فيه حديث أبى بكر واستغربه وحكم عليه بالانقطاع وحكى فيه الاختلاف ، ورواه ابن ماجه والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ،

وفى الباب عن ابن عمر وجابر قال أبو عيسى: حديث أبي بكر حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث ابن أبي فديك عن الضحاك بن عثمان ، ومحمد ابن المنكدر لم يسمع من عبد الرحمن بن يربوع . وقد روى محمد بن المنكدر عن سعيد بن عبد الرحمن بن يربوع عن أبيه غير هذا الحديث .

وروى أبو نعيم الطحان ضرار بن صرد هذا الحديث عن ابن أبي فديك عن الضحاك بن عثمان عن محمد بن المنكدر عن سعيد بن عبد الرحمن بن يربوع عن أبيه عن أبي بكر عن النبي ﷺ ، وأخطأ فيه ضرار .

ورواه الدارقطني والبيهقي ، وحكى الدارقطني فيه الاختلاف ، كما بينه الترمذي فى كتاب " العلل " ، وحكاه الزيلعي فى " نصب الراية " (٣ — ٣٥ ، وذكر أن الأشبه بالصواب رواية من رواه عن الضحاك بن عثمان عن محمد بن المنكدر عن عبد الرحمن بن يربوع عن أبي بكر ، وكذلك خطأ خلافه أحمد والبخاري والترمذي . ورواه ابن أبي شيبة من طريق الواقدي عن محمد بن المنكدر عن سعيد بن عبد الرحمن بن يربوع عن أبي بكر ، ويقول الدارقطني فى " علله " : من قال : سعيد بن عبد الرحمن بن يربوع فقد وهم ، وإنما هو : عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع كما فى " التلخيص " و" نصب الراية " . ولا يضر هذا الاختلاف فى هذا الحديث ، فله شاهد من حديث ابن مسعود عند أبي حنيفة الإمام فى " مسند ابن المقرى " وعند ابن أبي شيبة وأبي يعلى من طريق الإمام عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عنه مرفوعاً قال : « أفضل الحج العج والثج » ، والعج : العجيج بالتلبية ، والثج : نحور الدماء . وإسناده صحيح جداً .

وقيس بن مسلم هو : الجدلي الكوفي من رجال الستة، وطارق بن شهاب

قال أبو عيسى : سمعت أحمد بن الحسن يقول : قال أحمد بن حنبل : من قال فى هذا الحديث : "عن محمد بن المنكدر عن ابن عبد الرحمن بن يربوع عن أبيه " فقد أخطأ . قال : وسمعت محمداً يقول : ذكرت له حديث ضرار بن صرد عن ابن أبى فديك ، فقال : هو خطأ ، فقلت : قد روى غيره عن ابن أبى فديك أيضاً مثل روايته ، فقال : لا شيئ ، إنما رووه عن ابن أبى فديك ولم يذكروا فيه عن سعيد بن عبد الرحمن ، ورأيته يضعف ضرار بن صرد .

و" العج" هو : رفع الصوت بالتلبية .

و" الثج" هو : نحر البدن .

صحابى صغير لم يسمع منه ﷺ . وما أشار إليـه الترمذى من أحاديث الباب أخرجه الزيلعى فى " نصب الرأية " ، وكذلك أخرج فى الباب حديث سهل ابن سعد الأنصارى من طريق اسمعيل بن عياش، وهو ثقة فى الشاميين، وكذلك ههنا روايته عن عمارة بن غزية ، وقد أخرج له مسلم والأربعة ، لابأس به ، فالإسناد جيد ، والحديث رواه ابن ماجه أيضاً والحاكم وصححه على شرطهما .

وقوله : " من حجر وشجر " بيان لمن عن يمينه ، والنكتة فى التعبير بكلمة " من " مع أنها تختص بذوى العقول ، ما قال الطيبى : لما نسب التلبية إلى هذه الأشياء عبر عنها بما يعبر عن أولى العقول . وقولـه : " من ههنا وههنا " إشارة إلى اليمين والشمال ، أو إشارة إلى المشرق والمغرب كنايـة عن جهات البسيطة كلها ، ولعل لأجل هذا حذفت الغاية . وحديثا الباب أخرجها الزيلعى فى " التخريج " (٣ ــ ٣٣ و ٣٥) .

(باب ما جاء فى رفع الصوت بالتلبية)

حدثنا : أحمد بن منيع نا سفيان بن عيينة عن عبد الله بن أبى بكر عن عبد الملك بن أبى بكر بن عبد الرحمن عن خلاد بن السائب عن أبيه قال . قال رسول الله ﷺ : « أتانى جبريل فأمرنى أن آمر أصحابى أن يرفعوا أصواتهم بالإهلال أو بالتلبية » .

قال أبو عيسى . حديث خلاد عن أبيه حديث حسن صحيح . وروى بعضهم هذا الحديث عن خلاد بن السائب عن زيد بن خالد عن النبى ﷺ لا يصح ، والصحيح هو : خلاد بن السائب عن أبيه ، وهو : خلاد بن السائب ابن خلاد بن سويد الأنصارى .

وفى الباب عن زيد بن خالد وأبى هريرة وابن عباس .

ـــ: باب ما جاء فى رفع الصوت بالتلبية :ـــ

أخرج فيه حديث خلاد بن السائب، ورواه بقية أصحاب السنن، ورواه مالك وابن خزيمة والحاكم وابن حبان والبيهقى وصححه ، وعزوه فى " نصب الرأية" إلى الستة خطأ من الناسخين . وقد سبق بيان المسألة من أن المسنون للرجال رفع الصوت بالتلبية والخفض للنساء عند الجمهور، وثبت الجهر بها عن عائشة وميمونة ، واختلف الرواية عن مالك ، فقال ابن القاسم عنه: لا يرفع صوته بالتلبية إلا فى المسجد الحرام ومسجد منى ، وقال فى " الموطأ " : لا يرفع صوته بالتلبية فى مسجد الجماعات ، ولم يستثن شيئاً . وقد استوفى البدر العينى أحاديث الجهر فى " العمدة " (٤ـــ ٥٣٠ و٥٣١) وراجعها لمزيد البيان . وما أشار إليه الترمذى فى الباب أخرجها العينى أيضاً . ورجال حديث الباب ثقات،

(باب ما جاء في الاغتسال عند الاحرام)

حدثنا : عبد الله بن أبي زياد نا عبد الله بن يعقوب المدنى عن ابن أبي الزناد عن أبيه عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه : «أنه رأى النبي ﷺ تجرد لإهلاله واغتسل» .

وصححه الترمذى إلا أنه اختلف على التابعى فى صحابيه ، ولا يضر مثل هذا الاختلاف فى صحة الحديث ، وروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح عن بكر بن عبد الله المزنى قال : "كنت مع ابن عمر فلبى حتى أسمع ما بين الجبلين" . وأخرج أيضاً بإسناد صحيح من طريق المطلب بن عبد الله قال : « كان أصحاب رسول الله ﷺ يرفعون أصواتهم بالتلبية حتى تبح أصواتهم » . كما فى "الفتح" وغيره .

تنبيه : هذان البابان لم يتعرض إليهما فى " العرف الشذى" .

ـ: باب ما جاء فى الإغتسال عند الإحرام :ـ

يسن الغسل عند الإحرام ، ولكنه للتنظيف لا للتطهير ، وفرعوا على هذا: أن الحائض تغتسل تنظيفاً ولا تطهر به . قال فى "البحر" فى شرح قول صاحب " الكنز " : والغسل أفضل ، وهو للنظافة لا للطهارة ، فيستحب فى حق الحائض والنفساء والصبى الخ . قال المرشدى . . . . . : وهذا الغسل أحد الإغتسالات المسنونة فى الحج، ثانيها : لدخول مكة، ثالثها : للوقوف بعرفة ، رابعها : للوقوف بمزدلفة ، خامسها : لطواف الزيارة ، سادسها وسابعها وثامنها : لرمى الجمار فى أيام التشريق ، تاسعها : لطواف الصدر، عاشرها : لدخول حرم المدينة . قال فى " البحر العميق " : ولا غسل لرمى جمرة العقبة

قال أبو عيسى : هـذا حديث حسن غريب . وقد استحب بعض أهل العلم الإغتسال عند الإحرام ، وهو الشافعي .

يوم النحر اه . كذا في " منحة الخالق " نقلاً عن حاشية المدنى .

وحكى الإجماع ابن المنذر على أن هذا الغسل غير واجب إلا ما روى عن الحسن البصرى أنه قال : إذا نسى الغسل يغتسل إذا ذكره ، وأئمة المذاهب قد اتفقوا على استحبابه عند إرادة الإحرام بحج أو عمرة أو بهما ويكره تركه عند الشافعي كما نص في " الأم " حكاه في " المجموع " ، وكذلك نص الشافعي في " الأم " على الاغتسال للمواطن المذكورة كما في شرح " المهذب " (٧ — ٢١٣) . وكونه للنظافة مذهب الجمهور ، ومن تفريعها أنه لا يسن التيمم إذا لم يجد الماء ، كما في " البحر الرائق " من كتبنا ، و " المغنى " من كتب الحنابلة ، وعند الشافعي يتيمم كما في " المهذب " ، ونص عليه في " الأم " ، واختاره القاضي من الحنابلة .

فائدة : معنى " تجرد " أى : تجرد عن المخيط ولبس إزار ورداء .

قوله : حسن غريب . حسنه الترمذى وأعله الدارقطني والعقيلي بابن يعقوب المدنى فإنه مجهول ، قال ابن القطان : وإنما حسنه الترمذى ولم يصححه للاختلاف في عبد الرحمن بن أبي الزناد ، والراوى عنه عبد الله بن يعقوب المدنى ، أجهدت نفسى في معرفته فلم أجد أحداً ذكره اه ، حكاه الزيلعى . وحديث الباب أخرجه الدارقطني والعقيلي والطبرانى والبيهقى . وللحديث شواهد من حديث عائشة عند الطبرانى ، ومن حديث ابن عباس عند الحاكم ، ومن حديث ابن عمر عند ابن أبي شيبة والدارقطني والبزار والحاكم ، وصححه على شرطها ، قال : من السنة أن يغتسل إذا أراد أن يحرم . ومن حديث عائشة عند

(باب ما جاء فى مواقيت الاحرام لاهل الافاق)

حدثنا : أحمد بن منيع نا اسماعيل بن ابراهيم عن أيوب عن نافع عن ابن عمر : « إن رجلاً قال : من أين نهل يا رسول الله ؟ فقال ، يهل أهل المدينة من ذى الحليفة ، وأهل الشام من الجحفة ، وأهل نجد من قرن ، قال : وأهل اليمن من يلملم » .

مسلم فى قصة أسماء بنت عميس : « فأمر رسول الله أبا بكر أن تغتسل وتهل » ، ومثله فى حديث جابر فى قصتها عند مسلم أيضاً . فإنه لا يضر مسألة اغتسال المحرم ضعف طريق خاصة .

ـ : باب ما جاء فى مواقيت الإحرام لأهل الآفاق :ـ

قال الحنفية : المواقيت الخمسة ــ أى الأربعة المذكورة فى حديث ابن عمر والخامس : ذات عرق لأهل العراق ــ هذه كلها وقتها النبى ﷺ . قال أبو العباس القرشى : أجمع العلماء على المواقيت الأربعة ، واختلفوا فى ذات عرق لأهل العراق ، والجمهور على أنه ميقات . وقال ابن المنذر مثله لكنه قال : إن عمر رضى الله عنه وقته لأهل العراق ولا يثبت فيه عن النبى ﷺ سنة . قال العينى فى " العمدة " من العلم والمناسك ، بعد حكايته : قلت : الصحيح هو الذى وقته النبى ﷺ ، كذا ذكره فى " مطامح الأفهام " اهـ .

ثم إنه حكى الأثرم عن أحمد : إنه سئل : « فى أى سنة وقت النبى ﷺ المواقيت؟ فقال : عام حج» . حكاه فى " الفتح " (٣ ــ ٢٠٧) ، لكن حديث ابن عمــر فى " صحيح البخارى " . فى (باب ذكر العلم والفتيا فى المسجد) :

وفى الباب عن ابن عباس وجابر بن عبد الله وعبد الله بن عمـرو . قال أبو عيسى : حديث ابن عمر حديث حسن صحيح . والعمل على هذا عند أهل العـلم .

« إن رجلاً قام فى المسجد فقال: يا رسول الله من أين تأمرنا أن نهل الخ ؟» ، يدل على أن السؤال عن مواقيت الحج كان قبل السفر من المدينة ، والمراد من المسجد مسجده ﷺ ، ذكره فى "الفتح" أيضاً (١ — ٢٠٣) . قال الراقم: فلعل النبى ﷺ أعلن بها فى حجته على رؤس الأشهاد مرة أخرى تعليماً للناس كافة ، والله أعلم .

قال الشيخ: غير أن الخامس " ذات عرق " كان غير مشهور فى عهده ﷺ ، فأعلن به عمر رضي الله عنه . أقول: وكلام الشافعى فى "الأم" كما فى " العمدة" و " الفتح" يدل على أنه ليس منصوصاً عليه ، وبه قطع الغزالى والرافعى فى شرح " المسند " والنووى فى شرح " مسلم " ، وكذا وقع فى " المدونة " لمالك ، وصححت الحنفية والحنابلة وجمهور الشافعية والرافعى فى " شرح الصغير" والنووى فى شرح " المهذب" أنه منصوص عليه ، وقد وقع ذلك فى حديث جابر عند مسلم إلا أنه مشكوك فى رفعه ، ووقع عند أحمد من طريق ابن لهيعة ، وعند ابن ماجه من طريق ابراهيم بن يزيد كلاهما عن أبى الزبير عن جابر من غير شك فى رفعه ، وعند ابن أبى شيبة وابن راهوية وأبى يعلى الموصلى والدارقطنى من طريق حجاج — وهو ابن أرطاة — عن عطاء عن جابر من غير شك كذلك ، فهؤلاء ابن لهيعة وابراهيم بن يزيد وحجاج فى طرقهم من غير شك ، وهم وإن كانوا ممن لا يحتج بهم عند التفرد ، ولكن ضم بعض إلى بعض يقوى حديث جابر .

حدثنا : أبو كريب نا وكيع عن سفيان عن يزيد بن أبي زياد عن محمد ابن علي عن ابن عباس : « إن النبي ﷺ وقت لأهل المشرق العقيق » .

علا أن هناك عن عائشة عند النسائي وابي داود والطحاوي من طريق أفلح ابن حميد عن القاسم عنها ، وعن الحارث بن عمرو السهمي عند النسائي وأبي داود ، وعن أنس بن مالك عند الطحاوي والطبراني ، وعن ابن عباس عند البزار ، وابن عبد البر في " التمهيد " ، وعن عبد الله بن عمرو عند الدار قطني ، وعن ابن عمر عند ابن راهويه في "مسنده" . ففي أحاديث هؤلاء جميعاً : أن ذات عرق منصوص ثبت منه ﷺ مرفوعاً ، وينجبر ضعف بعضها ببعض ، هذا ملخص ما في " نصب الرايـــة " و" العمدة " من العلم والمناسك و" التلخيص " و" الفتح " وغيرها . فثبت أن أكثر الأحاديث وأكثر أهل العلم سلفاً وخلفاً على أن ذات عرق منصوص عليه مرفوع منه ﷺ .

وبالجملة كون ذات عرق توقيته سواء كان في عهد النبوة أو عهد الفاروق كلمة اتفاق بين جمهور العلماء من التابعين ومن بعدهم من الأئمة ، كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد واسحاق وأبي ثور رحمهم الله أجمعين . وقلت في مذكرة لي في حديث ابن عمر في " الصحيح " في كتاب الحج وفيه : « فحد لهم ذات عرق » ، يدل أن ذات عرق غير منصوص ، وبـــه قطع الغزالي والرافعي والنووي ، كما في " العمدة " و" الفتح " ، وبما رضـــه حديث ابن عمر عند عبد الرزاق ، وحديث جابر عند مسلم وغيره ، فيدل على أنه منصوص ، وإليه ذهب الحنفية والحنابلة وجمهور الشافعية والرافعي في شرح " الصغير " خلاف ما ذهب إليه في شرح "المسند" ، والنووي في شرح "المهذب" خلاف ما اختاره في شرح " مسلم " ، واختلفوا فيـــه قديماً وحديثاً ، وأشكل التفصي عنه بحيث يطمئن به القلب ، أنظر شرحي " الصحيح " " العمدة " و" الفتح " .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن .

والذى يظهرلى أن السائلين عن عمر لم يكونوا من أهل العراق خاصة ، وإنما كانوا بين نجد والعراق ، وكانوا من أتباع نجد ، وكان قرن المنازل أبعد عنهم ، وذات عرق أقرب إليهم ، فحد لهؤلاء ذات عرق لأجل المحاذاة ، وإنما كان المنصوص لأهل العراق لا لهؤلاء .

وقوله : " لما فتح المصران " أوهم هذه الشبهة ، والغرض أن السؤال وقع فى عهد عمر بعد ما فتح هذان المصران ، لا أن هؤلاء كان من أهلها والله أعلم .

وأبعد المواقيت ميقات أهل المدينة " ذو الحليفة " ، وهى على نحو مأتى ميل من مكة . قال ابن التين : هى أبعد المواقيت من مكـة تعظيماً لإحرام النبى ﷺ ، حكاه فى " العمـدة " (١ — ٦٣٢) . وفى " الفتح " (٣ — ٣٠٥) : أبعد المواقيت من مكة " ذو الحليفة " ميقات أهل المدينة . فقيل: الحكمة فى ذلك : أن تعظم أجور أهل المدينة ، وقيل : رفقاً بأهل الآفاق ؟ لأن أهل المدينة أقرب الآفاق إلى مكة ، أى ممن له ميقات معين اهـ . وأقربها ذات عرق لأهل المشرق والعراق . وهذه المواقيت لأهلها ومن أتى عليها ، ومن كان فى طريقه ميقاتان فيحرم من أبعدهما ، وهو الأولى ، وجاز الإحرام من أقربهما ، ومن جاوز الميقات غير محرم أثم وعليه دم . قال الإمام محمد فى " مؤطئه " (ص — ١٩٥) : وقد رخص لأهل المدينـة أن يحرموا من الجحفة الخ . والجحفة أقرب إلى مكة من ذى الحليفة . واحتج له محمد بحديث مرفوع .

والجحفة بضم الجيم وسكون الحاء المهملة ، وكان اسمها : مهيعة بفتح الميم

وسكون الهاء وفتح الياء ، وقيل : بكسر الهاء وسكون الياء ، وهى على ستة مراحل من مكة ، أى فى منتصف طريق الحرمين تقريباً ، وتسمى اليوم : " رابغ " ، كما ذكره صاحب " البحر " وغيره ، وذكر صاحب " البحر " فيها أيضاً : " رابض " بالضاد المعجمة ، وهى بنصف مرحلة قبل الجحفة ، وهى الباقية اليوم دون الجحفة . ثم ما ذكره محمد فى "مؤطئه" هو المعروف عند المالكية ، وبه قال أبوثور وابن المنذر من الشافعية ، وعند العامة من الشافعية : لايؤخر الإحرام عن الميقات الأول ، فإن أخر أساء ولزمه دم ، كما فى شرح " المهذب " وغيره ، وحكاه فى " الفتح " ، ومذهب أحمد واسحاق كالشافعى كما فى " المغنى " (٣ — ٢١٤) .

ثم هذه المسألـة التى ذكرها محمد ذكرها الحاكم فى " الكافى " كما حكاه ابن الهمام فى " فتح القدير " بنصه وفصه ، ثم قال : ومن الفروع المدنى إذا جاوز إلى الجحفـة فأحرم عندها فلا بأس بـه ، والأفضل أن يحرم من ذى الحليفة اه . وذكرها صاحب " البدائع " وغيره أيضاً ، أنظر " رد المحتار " . وهو المذكور فى " المغنى " لا بن قدامـة من بيان مذهبنا . وقال صاحب " البحر " : وقد قالوا : من كان فى برأو بحر لايمر بواحد من هذه المواقيت المـذكورة فعليـه أن يحرم إذا حاذى آخرها . . . والمراد بالمحاذاة القريبة من الميقات ، وإلا فآخر المواقيت باعتبار المحاذاة قرن المنازل . ثم قال : وذكر لى بعض أهل العلم من الشافعية — أراد به الشيخ شهاب الدين ابن حجر الهيتمى المكى الشافعى — : أن المحاذاة حاصلـة فى هذا الميقات ، فينبغى على مذهب الحنفية أن لا يلزم الإحرام من " رابغ " بل من " خليص " ، القرية المعروفة ، فإنه حينئذ يكون محاذياً لآخر المواقيت وهو قرن ، فأجابه : أن إحرام المصرى والشامى لم يكن بالمحاذاة ، وإنما هو بالمرور على الجحفة . . . والمحاذاة إنما تعتبر

عند عدم المرور على المواقيت ، انتهى ملخصاً مختصراً . ومثله قال الحافظ فى " الفتح" (٣ ــ ٣٠٩) حيث يقول : ثم إن مشروعية المحاذاة مختصة بمن ليس أمامه ميقات معين، فأما من له ميقات معين كالمصرى مثلاً يمر ببدر وهى تحاذى ذا الحليفة ، فليس عليه أن يحرم منها بل له التأخير حتى يأتى الجحفة والله أعلم اه .

وذكر صاحب " البحر" أيضاً : فإذا لم يكن بحيث يحاذى فعلى مرحلتين إلى مكة اه . ومثله يقول النووى فى " شرح المهذب " اعتباراً بتوقيت عمر رضى الله عنه بذات عرق ، وقال الحافظ فى " الفتح " : وتعقب بأن عمر إنما حدها لأنها تحاذى قرناً ، وهذه الصورة إنما هى حيث يجهل المحاذاة ، فلعل القائل بالمرحلتين أخذ بالأقل لأن ما زاد عليه مشكوك ، لكن مقتضى الأخذ بالاحتياط أن يعتبر الأكثر الأبعد آه . وقال الحافظ أيضاً : من ليس له ميقات عليه أن يحرم إذا حاذى ميقاتاً من هذه المواقيت الخمسة ، ولا شك أنها محيطة بالحرم، فذو الحليفة شامية ويلملم يمانية، فهى مقابلها وإن كان أحدهما أقرب إلى مكة من الأخرى ، و" قرن " شرقية والجحفة غربية ، فهى مقابلها وإن كانت إحداهما كذلك ، وذات عرق تحاذى قرناً ، فعلى هذا لا تخلو بقعة من بقاع الأرض من أن تحاذى ميقاتاً من هذه المواقيت إلى آخر ما قاله الحافظ نقلاً عن ابن المنذر والله أعلم .

ثم إن من أراد أن يدخل مكة يجب أن يدخلها محرماً إذا كان آفاقياً يمر على الميقات سواء كان أراد الحج أو العمرة أو لا عند أبى حنيفة ومالك وأحمد، وهو أشهر القولين عند الشافعية كما فى " المهذب " ، وصححه ابن القاص والمسعودى والبغوى وآخرون كما فى شرح " المهذب" (٧ ــ ١١) ، وفى قول : يستحب ، وصححه أبو حامد والجوينى والغزالى والرافعى وغيرهم ،

وراجع لاستيفاء البيان شرح " المهذب " من الجزء السابع و " المغنى " لابن قدامة من الثالث ، و " العمدة " للعينى (٤ ــ ٤٩٨) و " فتح القدير " من فصل المواقيت، واستثنى منه الحطاب والحشاش عند الحنابلة ، كما فى " المغنى " لابن قدامة . ومذهب أبى حنيفة مذكور فى " الهداية " وغيرها من غير ذكر لاستثناء الحطاب والحشاش أو مثلهما ، وفى قول للشافعى : جازله الدخول غير محرم إلا إذا أراد إحدى العبادتين .

و" القرن " بفتح القاف وسكون الراء هو قرن المنازل ، وغلط الجوهرى فى القول بفتح الراء ، كما نبه عليه صاحب " القاموس " والشهاب والبدر وغيرهم مع خطأ آخر له فى نسبة أويس القرنى لقرن المنازل ، وإنما هو منسوب إلى قرن بن رومان أحد أجداده . وبالجملة لا خلاف فى ضبطه بالفتح وسكون الراء بين رواة الحديث وأرباب اللغة وعلماء الفقه وأصحاب الأخبار، كما فى " تهذيب الأسماء واللغات" للنووى . وقال القابسى : من قال بالإسكان أراد الجبل المشرف على الموضع ، ومن قال بالفتح ــ أى فتح الراء ــ أراد الطريق الذى يفرق منه ، حكاه البدر فى " العمدة " من الجزء الأول والشهاب فى " الفتح" من الثالث . وهناك قرن الثعالب آخر ليس من المواقيت ، وقيل : هما وكذا قرن غير مضاف واحد ، وراجع " العمدة " و " الفتح " .

و " العقيق " هى : ميقات قريب من ذات عرق ، وبينهما جبل فاصل . قال فى " الفتح" : هو واد يتدفق فى غورى تهامة . وهذا غير العقيق الذى هو واد بقرب المدينة على عدة أميال . قال المهلبى : بين المدينة والعقيق أربعة أميال ، حكاه فى " العمدة" ، وعن الأصمعى: الأعقة الأودية ، وقال ياقوت: العقيق عشرة مواضع، وعقيقا المدينة أشهرها وأكثر ما يذكر فى الأشعار فإياهما

(باب ما جاء فى ما لايجوز للمحرم لبسه)

حدثنا : قتيبة نا الليث عن نافع عن ابن عمر أنه قال : « قام رجل فقال :

حكاه فى " العمدة " .

تنبيه : حسن الترمذى حديث ابن عباس فى توقيت العقيق لأهل المشرق مع أن فيه " يزيد بن أبى زياد " وهو ضعيف كما فى " الفتح " وقد تفرد به ، قال الحافظ : وإن كان حفظه فقد جمع بينه وبين حديث جابر وغيره بأجوبة . منها : إن ذات عرق ميقات الوجوب ، والعقيق ميقات الاستحباب ، لأنه أبعد من ذات عرق . ومنها : أن العقيق ميقات لبعض العراقيين وهم أهل المدائن ، والآخر ميقات لأهل البصرة ، وقع ذلك فى حديث أنس عند الطبرانى ، وإسناده ضعيف الخ . قال فى " العمدة " (٤ — ٥٠٣) : قال ابن المنذر : اختلفوا فى المكان الذى يحرم من أتى من العراق على ذات عرق ، فكان أنس يحرم من العقيق ، واستحب ذلك الشافعى ، وكان مالك واسحاق وأحمد وأبو ثور وأصحاب الرأى يرون الإحرام من ذات عرق ، وقال أبو بكر — أى ابن المنذر — : الإحرام من ذات عرق يجزئ ، وهو من العقيق أحوط آه .

قال الراقم : أحاديث ذات عرق أقوى وأكثر ، فالأخذ بها أولى ، نعم تقديم الإحرام على الميقات أفضل عندنا لمن أطاقه . وبالجملة تعدد ميقاتى العراقيين نظير تعدد ميقاتى المدنيين ، فجاز التقديم على الأقرب والأبعد ، ولا يجوز التأخير عن الأقرب .

— : باب ما جاء فى ما لايجوز للمحرم لبسه : —

المخيط الذى لا يجوز لبسه عند الحنفية هو الذى يستمسك على البدن من

يا رسول الله ! ماذا تأمرنا أن نلبس من الثياب فى الحرم ؟ فقال رسول الله ﷺ : لا تلبس ، ولا السراويلات ، ولا البرانس ، ولا العمائم ، ولا

غير شد . فيجوز خياطة القطعتين فى الإزار والرداء، كما ذكره فى "البحر" : وذكر الحلبى فى مناسكه : أن ضابطه لبس كل شيئ معمول على قدر البدن أو بعضه بحيث يحيط به بخياطة أو تلزيق بعضه ببعض أو غيرهما ، ويستمسك عليه بنفس لبس مثله اه . أقول : ويتلخص بلبس المخيط فى محله على الوجه المعتاد ، ومثل ما قال الحلبى قاله النووى فى شرح " المهذب" (٧ — ٢٥٥) وقال : ولا خلاف فى هذا كله اه . وكذلك جاز الوصل بالشوكة فى الإزار، ومثله قال فى " اللباب" فى فصل المكروهات للمحرم : وعقد الإزار والرداء وأن يخله بخلال ، كنحو إبرة الخ .

قوله : لا تلبس القميص . القميص ما يكون شق جيبه من قبل الكتفين والدرع من قبل الصدر، ذكره ابن الهمام فى " فتح القدير " (٣ — ٢٤٨) من النفقة .

قوله : ولا السراويلات الخ . السروال معرب " شلوار" . والبرانس جمع " برنس " وهى الجبة التى يستر بها الرأس أيضاً ، ذكر الكرمانى كما فى " العمدة " : أن السراويل أعجمية عربت ، وجاء على لفظ الجمع وهو واحد، وقيل : جمع سروال أو سروالة تذكرو تؤنث . وقال الأصمعى: تؤنث .

والبرنس بضم الباء الموحدة والنون ، قال فى " العمدة " : هو كل ثوب رأسه منه ملتزق به من دراعة أوجبة أو ممطر وغيره . وقال الجوهرى: قلنسوة

الخفاف ، إلا أن يكون أحد ليست له نعلان فليلبس الخفين وليقطعهما ما أسفل

طويلة كان النساك يلبسونها فى صدر الإسلام ، وهو من البرس والنون زائدة، وهو القطن ، وقيل: غير عربى .

والسراويل لم تكن عند العرب ثم جاءت من قبل الإيرانيين ، وأثبت المحدثون أنه ﷺ اشترى السراويل ولم يثبت أنه لبسها . قال فى " الفتح " (١٠ ــ ٢٣١) : وصح أنه ﷺ اشترى السراويل من سويد بن قيس ، أخرجه أحمد والأربعة ، وصححه ابن حبان من حديثه ، وأخرجه أحمد أيضاً من حديث مالك بن عميرة الأسدى قال : « قدمت قبل مهاجرة رسول الله ﷺ فاشترى منى سراويل، فأرجح لى وما كان يشتريه عبثاً وإن كان غالب لبسه الإزار» وفى حديث أبى هريرة عند أبى يعلى والطبرانى أنه اشترى سراويل بأربعة دراهم ، وفيه: « قلت يا رسول الله : وإنك لتلبس السراويل ؟ قال : أجل فى السفر والحضر والليل والنهار فإنى أمرت بالتستر » ، وفيه يونس بن زياد البصرى وهو ضعيف آه . وفى " الهدى " (١ ــ ٤٩) : واشترى سراويل ، والظاهر أنه إنما اشتراها ليلبسها ، وقد روى فى غير حديث أنه لبس السراويل وكانوا يلبسون السراويلات بإذنه اه . وفى "العمدة " (١٠ ــ ١٣١) من حديث أبى هريرة عند أبى نعيم : « إن أول من لبس السراويل ابراهيم عليه السلام » . وفيها من حديث ابن مسعود فى سراويل لبسها موسى عليه السلام، وصححه الحاكم ورده المنذرى كما فى شرح الزرقانى على "المواهب" (٥ ــ ٤٤) .

قوله : فليلبس الخفين وليقطعهما ما أسفل من الكعبين. قطع الخفين أسفل من الكعبين واجب عند الثلاثة ، ومستحب عند أحمد مستدلاً بما رواه ابن عباس كما فى

الباب اللاحق حيث أطلق فيه لبسها من غير ذكر قطع . وقال الجمهور : إنه ساكت . وبالجملة القطع مذهب الجمهور كما فى " العمدة " و" الفتح " وشرح " المهذب " ، وهو مروى عن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمر وعروة والنخعى ، وما قالـه أحمد مروى عن عطاء وسعيد بن سالم القداح احتجاجاً بحديث ابن عباس ، وقد رواه الشيخان ، وبحديث جابر ورواه مسلم . وحجة الجمهور حديث ابن عمر عند الستة بأن فيـه زيادة ، فالأخذ به أولى ، ولأنه مفسر ، وإنه يحمل المطلق على المقيد ، ولأصحاب أحمد الجواب إما بالنسخ وإما بالترجيح . والتفصيل فى " العمدة " (١ ــ ٦٣٩) و" الفتح " (٣ ــ ٣٢٠) .

ثم إن وجد السراويل ولم يجد الإزار يلبسه من غير قطع عند الشافعى وأحمد كما فى شرح " المهذب " (٧ ــ ٢٦٦) . وأما مذهب مالك فكأبى حنيفة ، ومثله فى " التمهيد " لابن عبد البر كما فى " العمدة " ، وذكر فى " المغنى " عدم الخلاف بين الأئمة الأربعة فى جواز لبس السراويل عند عدم الإزار ، إلا أنه قال : تجب الفدية عند مالك وأبى حنيفة ، ولافدية عند الشافعى وأحمد . والشق عند أبى حنيفة ، ذكره الطحاوى فى " معانى الآثار " (١ ــ ٣٧٨) والعينى فى " العمدة " (٤ ــ ٥٢٢) ، وذكره صاحب " البدائع " أيضاً ، وعنه حكى فى " العمدة " (١ ــ ٦٤١) ، وذكره الخطابى وغيره . وقال إمام الحرمين والغزالى : لايجوز لبسه إلا إذا لم يتأت فتقه وجعله إزاراً ، فإن تأتى ذلك لم يجز لبسه ، فإن لبسه لزمه الفدية كما فى " العمدة " . وقال الرازى ـ أى الجصاص ــ من أئمتنا ــ : جاز لبسه ، وعليـه الفديـة ، كما فى شرح " المهذب " . ولعل أبا حنيفة قاس السراويل على الخفين ، كما هو المستفاد عن تعليل الطحاوى فى " شرح الآثار " .

قال الشيخ . وظنى أنه إذا لم يمكن منه الإزار مع شقه فليلبسه من غير شق

من الكعبين ، ولا تلبسوا شيئاً من الثياب مسه الزعفران ولا الورس ، ولا تنتقب المرأة الحرام ، ولا تلبس القفازين » .

وتلزمه الجناية . قلت : هو كما نقل عن أبي بكر الرازى ، ونسب إلى محمد ابن الحسن أنه فسر الكعب بالعظم الذى فى وسط القدم المسمى عند الأطباء بـ : " العظم الزورق " ، وبعضهم جره إلى غسل الرجلين أيضاً ، وهو خطأ ، وإنما الكعب عنده بذلك المعنى فى قطع الخفين للمحرم لاغير . وخلاصة مادار البحث : أن لفظ الكعب عند محمد والأصمعى فى اللغة يستعمل بالمعنيين : بمعنى العظم الناتى عند مفصل الساق والقدم ، وبمعنى العظم عند معقد الشراك ، فأخذه محمد بهذا المعنى فى المحرم لكونه أحوط ، ومحمد حجة فى اللغة ، فلا عبرة بقول من لم يعرفه ، وراجع " العمدة " (٤ ــ ٥٢١) و" الفتح " (٣ ــ ٣٢٠) للتفصيل .

قوله : مسه الزعفران . مناط النهى عنه فى الإحرام الطيب وفى الإحداد اللون ، كما هو المستفاد من " الهداية " وشرحها لابن الهمام ، حتى قالوا : يجوز للمحرمة أن تتحلى بأنواع الحلى وتلبس الحرير بخلاف المعتدة ، لأنها منهية عن الزينة ، قاله ابن الهمام .

قوله : ولا تنتقب المرأة .

جازلها نقاب لايمس وجهها . قال فى " الفتح " : قالوا : والمستحب أن تسدل على وجهها شيئاً ويجافيه . والمستفاد من " النهاية " و" المحيط " كما فى شرح القارى على " اللباب " وجوب ذلك لكون المرأة منهية عن إظهار وجهها للأجانب بلا ضرورة والله أعلم . قال فى " المغنى " (٣ ــ ٣٠٥) : فأما إذا احتاجت إلى ستر وجهها لمرور الرجال قريباً منها فإنها تسدل الثوب من فوق

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح . والعمل عليه عند أهل العلم .

رأسها على وجهها ، روى ذلك عن عثمان وعائشة ، وبه قال عطاء ومالك والثورى والشافعى واسحاق ومحمد بن الحسن ، ولا نعلم فيه خلافاً . . . وذكر القاضى أن الثوب يكون متجافياً عن وجهها الخ .

وأما القفازان فجاز لها لبسها عندنا مع الكراهة . ذكر فى شرح اللباب ما ملخصه : إن الرجل ممنوع من لبسها عند الأئمة الأربعة ، والنهى فى حق الرجال للكراهة وفى حق النساء للندب والله أعلم . والنهى فى حديث الباب محمول عندنا على الكراهة . وأيضاً هذه القطعة فى الحديث أى قوله: " ولا تنتقب الخ " مدرجة من قول ابن عمر كما أشار اليه البخارى فى " صحيحه " أفاده الشيخ .

أقول : وتوضيحه أن حديث ابن عمر هذا أخرجه البخارى فى " صحيحه " ما يزيد على عشر مرات فى العلم وفى الصلاة والمناسك واللباس ، ولم يذكر هذه الزيادة فيها ، فهذا دليل على أنه لم يصح فيه هذه الزيادة مرفوعاً ، وذكرها فى (باب ماينهى من الطيب للمحرم والمحرمة) من طريق الليث عن نافع ، وعقبه بمخالفة عبيد الله العمرى ومالك ، فذكرها موقوفة على قول ابن عمر ، وذكر متابعة ليث بن سليم مالكاً فى وقفها ، فكان البخارى رجح وقفها دون رفعها ، وكذلك الحافظ فى " الفتح " رجح الوقف بماياتى بعضه . وكذلك رواه مسلم من طرق عنه أى من طريق نافع وسالم وعبد الله بن دينار عنه ، ولم يذكر أحد منهم هذه الزيادة فى حديثه . نعم ذكرها أبو داود أيضاً ، وكما يقول الشيخ رحمه الله يقول الحاكم النيسا بورى . قال أبو على الحافظ : ولا تنتقب المرأة الخ من قول ابن عمر ، وأدرج فى الحديث ، ذكره الزيلعى نقلاً عن الإمام لابن دقيق العيد ، ثم تعقبه ابن دقيق العيد بما ملخصه : أنه خلاف الظاهر ، وأنه ورد فى بعض

الطرق عند أبي داود فى صدر الحديث ، وأنه ورد مفرداً أيضاً عنده من رواية ابن عمر من غير اشتراك . وقد أجاب عنه الحافظ فى " الفتح " (٤ ـ ٤٦) بأن عبيد الله أحفظ فى نافع من جميع من خالفـه ، وقد فصل المرفوع من الموقوف ، ومع الذى فصله زيادة علم ، فهو أولى ، وروايته فى صدر الحديث من تصرف الرواية بالمعنى ، والرواية المفردة من طريق ضعيف انتهى ملخصاً مع زيادة ، وراجع لمزيد البيان " نصب الرأيـة " و" الفتح " و" العمدة " (٥ ـ ١٠٤) ، والله المستعان .

فوائد : بقيت عدة فوائد فى لطائف الحديث أحببت ذكرها بالتلخيص ملتقطاً لها من " العمدة و" الفتح " وغيرهما ، وبالله التوفيق .

وقع السؤال فى الحديث عما يلبس والجواب بمالا يلبس ، فقال العلماء ـ ومنهم المازرى والنووى والبيضاوى ـ : بأن هذا من بديع الكلام وجزله . لأن ما لايلبس منحصر ، والملبوس الجائز غير منحصر ، فكان أخصر وأحصر ، وقيل : فيه أسلوب الحكيم بأن الأهم سؤال مالايلبس ، وقال ابن دقيق العيد : يستفاد منه أن المعتبر فى الجواب ما يحصل منـه المقصود ولو بنقص وزيادة . قال عياض : أجمع المسلمون على أن ما ذكره فى هذا الحديث لايلبسه المحرم ، وإنه نبـه بالقميص والسراويل على كل مخيط ، وبالعمائم والبرانس على كل مايغطى الرأس به مخيطاً أوغيره ، وبالخفاف كل مايستر الرجل ، وقال مثله الطيبى أيضاً . وقال الخطابى : ذكر العمامة والبرانس معاً ليدل على أنه لايجوز تغطية الرأس لابالمعتاد ولا بالنادر آه . قال ابن المنذر : أجمعوا على أن للمرأة لبس جميع ما ذكر ، وإنما تشترك مع الرجل فى منع الثوب الذى مسه الزعفران أو الورس .

وقوله : لاتلبس . بالرفع على الخبر فى معنى النهى ، وروى بالجزم على

(باب ما جاء فى لبس السراويل و الخفين للمحرم اذا لم يجد الازار و النعلين)

حدثنا : أحمد بن عبدة الضبي البصرى نا يزيد بن زريع نا أيوب نا عمرو

النهى . ودل الحديث على حرمة الثوب الذى مسه ورس وزعفران ، فذهب جماعة إلى إطلاقه سواء كان مغسولاً أو لم يكن مغسولاً ، وهى رواية عن مالك ، واختاره ابن حزم ، والجمهور أجازوا الغسيل منه إذا ذهبت الرائحة ، وإليه ذهب أبو حنيفة ومالك والشافعى وأحمد واسحاق وغيرهم لثبوت الإستثناء فى حديث ابن عمر عند الطحاوى، وفيه بحث طويل توثيقاً وتضعيفاً فى " العمدة " و" الفتح " ، ومال صاحب " الفتح " إلى التضعيف ، وصاحب " العمدة " إلى التوثيق .

وزاد الثورى فى رواية هذا الحديث عن أيوب عن نافع عند عبد الرزاق : « ولا القباء » ، وزاد غيره أيضاً عند الدارقطنى والبيهقى .

والورس نبت أصفر طيب الريح يصبغ به ، ويجلب من اليمن وغيرها ، وقيل : ليس بنبات يشبه زهر العصفر . والزعفران معروف . هذا وفى شرح الحديث مسائل وفوائد غيرها لسنا بصدد استيفائها ، ومن شاء الوقوف عليها فليراجع " العمدة " و" الفتح " من جميع موارد الحديث من أجزاء شتى ، وفيما ذكرنا من المهمات كفاية ههنا ، والله المستعان ، وهو الموفق فى كل شأن .

ـــ: باب ما جاء فى لبس السراويل والخفين للمحرم إذا لم يجد الإزار والنعلين :ـــ

أخرج فى الباب حديث ابن عباس وقد أخرجه الشيخان ، وفيه مسألتان :

ابن دينار عن جابر بن زيد عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « المحرم إذا لم يجد الإزار فليلبس السراويل ، وإذا لم يجد النعلين فليلبس الخفين » .

حدثنا : قتيبة نا حماد بن زيد عن عمرو نحوه . وفي الباب عن ابن عمر وجابر . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، والعمل على هذا عند بعض أهل العلم قالوا : إذا لم يجد المحرم الإزار لبس السراويل ، وإذا لم يجد النعلين لبس الخفين . وهو قول أحمد ، وقال بعضهم على حديث ابن عمر عن النبي ﷺ : « إذا لم يجد النعلين فليلبس الخفين وليقطعهما أسفل من الكعبين » ، وهو قول سفيان الثوري والشافعي .

الأول : مسألة لبس السراويل عند فقد الإزار ، فقال أبو حنيفة ومالك : يلبسه بعد ما يشقه إذا أمكن ، وإذا لم يمكن منه الإزار مع شقه لبسه ولزمته الفدية . وقال الشافعي وأحمد : لبسه من غير شقه ولا فدية عليه ، والذي قالوا من أن القطع فساد ، أجيب عنه بأنه ثبت نظيره في الخفين ، فالامتثال بالأمر لافساد فيه أصلاً . وبالجملة أجمعوا على أن المحرم إذا وجد إزاراً لم يجزله لبس السراويل ، واختلفوا إذا لم يجد الإزار ، هل يشقه أولا ؟ وإذا لم يمكن الآتزار به مع الفتق ، اتفقوا أيضاً على لبسه ، وبقي الخلاف في لزوم الفدية ، فتجب عند أبي حنيفة ومالك خلافاً للشافعي وأحمد وإسحاق ، ووجوب الدم لأدلة أخرى قامت عليه .

وأما المسألة الثانية : وهي مسألة لبس الخفين عند فقد النعلين ، فالثلاثة على لبسهما بعد القطع خلافاً لأحمد . والحديث بظاهره حجته ، والجمهور حملوه على ما وقع من التفسير والبيان في حديث ابن عمر ، وهو أقوى منه في

(باب ما جاء فى الذى يحرم وعليه قميص أو جبة)

حدثنا : قتيبة بن سعيد نا عبد الله بن ادريس عن عبد الملك بن أبى سليمان عن عطاء عن يعلى بن أمية قال : « رأى رسول الله ﷺ أعرابياً قد أحرم وعليه جبة ، فأمره أن ينزعها » .

الباب حيث اختلف فى حديث عباس ، فرواه ابن أبى شيبة بإسناد صحيح كما فى " الفتح " عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفاً ، وحديث ابن عمر لا يرتاب أحد من المحدثين بأنه أصح من حديث ابن عباس ، لأن حديث ابن عمر جاء بإسناد وصف بكونه أصح الأسانيد، وقد اتفق عليه عن ابن عمر غير واحد من الحفاظ ، منهم نافع وسالم وعبد الله بن دينار ، وحديث ابن عباس لم يأت مرفوعاً إلا من رواية جابر بن زيد حتى ضعفه الأصيلى بالجهالة وإن لم يصب فيه . على أن لحديث ابن عباس طريقاً عند النسائى ما يوافق حديث ابن عمر ، فرواه عن اسمعيل بن مسعود وهو الجحدرى، وثقه النسائى وأبو حاتم وابن حبان ، وقال فى " التقريب" : ثقة من العاشرة ، وبقية رجاله رجال " الصحيح " ، فالزيادة من الثقة مقبولة على الصحيح ، فإذن ثبت القطع فى حديث ابن عباس نفسه من غير حمله على حديث ابن عمر . فخذ الكلام محرراً والله الموفق .

تنبيه : هذا الباب لم يتعرض إليه فى " العرف الشذى" .

ـــ: باب ما جاء فى الذى يحرم وعليه قميص أو جبة :ـــ

دل حديث الباب على نزع الجبة من غير شقها ، وهو مذهب الجمهور، وإليه ذهب أبو حنيفة ومالك والشافعى وأحمد ، فالحديث حجة لهم ، وهو حديث متفق عليه من حديث الشيخين .

حدثنا : ابن أبي عمر نا سفيان عن عمرو بن دينار عن عطاء عن صفوان ابن يعلى عن أبيه عن النبي ﷺ نحوه بمعناه .

قال أبو عيسى : وهذا أصح، وفي الحديث قصة ، وهكذا روى قتادة والحجاج بن أرطاة وغير واحد عن عطاء عن يعلى بن أمية ، والصحيح ما روى عمرو بن دينار وابن جريج عن عطاء عن صفوان بن يعلى عن أبيه عن النبي ﷺ .

وقال الشعبي والنخعي : لا ينزعه من قبل رأسه لئلا يصير مغطياً رأسه بل يشقه ، وروى ذلك عن علي والحسن وأبي قلابة ، وعن أبي صالح وسالم : يخلعه من قبل رجليه ، وقد وقع الحديث عند أبي داود بلفظ : « اخلع عنك الجبة ، فخلعها من قبل رأسه » . وأخرج الطحاوي في شرح " معاني الآثار" في (باب الرجل يحرم وعليه قميص) من حديث جابر بن عبد الله ما يدل على شق القميص لكيلا يستر رأسه عند النزع ، ثم عارضه بحديث الباب وقال: إنه أحسن إسناداً منه . هذا ملخص ما في " العمدة " في عدة مواضع مع زيادة . ولعل الجبـــة كانت على هيئة القميص حيث لم يمكن نزعها إلا من قبل رأسه .

ثم إن الأعرابي صاحب القصـة هل هو راوي الحـديث نفسه أو غيره ؟ فالذي في عامة طرق الحديث في " الصحيحين" و " السنن" وشرح " معاني الآثار " في (باب التطييب عند الإحرام) : أن صاحب القصـة غير صاحب الرواية ، وذكر ابن فتحون في الـذيل عن تفسير الطرطوشي : إن اسمه عطاء ابن منية ، قال ابن فتحون : إن ثبت ذلك فهو أخو يعلى بن منية راوي الخبر ، كما في " العمدة " (٤ ـــ ٥٠٩) و " الفتح " (٣ ـــ ٣١١) ، وراجعهما

(باب ما جاء ما يقتل المحرم من الدواب)

حدثنا : محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب نا يزيد بن زريع نا معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « خمس فواسق

لمزيد البيان والبحث . ويعلى بن منية هو : يعلى بن أمية ، نسبة إلى جدته أو أمه ، كما فى " الإصابة " . ووقع عند مسلم والطحاوى : يعلى بن منية ، وتدل رواية عند الطحاوى فى (باب الرجل يحرم وعليه قميص) (١ ــ ٣٧١) على أن صاحب القصة هو صاحب الحديث نفسه ، فأخرج : « أن رجلاً يقال له : يعلى بن أمية أحرم وعليه جبة الخ » والأول أشهر وأكثر والله أعلم .

بحث إسنادى: بين الترمذى الإختلاف فى إسناد الحديث من زيادة الواسطة بين عطاء ويعلى ورجح إثباتها ، وبذكر الواسطة رواه الشيخان . وكذلك رواية عمرو بن دينار عند مسلم ورواية ابن جريج عند البخارى فى (باب غسل الخلوق ثلاث مرات من الثياب) ، وكذا عند مسلم ، وعند البخارى أيضاً من رواية همام فى (باب إذا أحرم جاهلاً وعليه قميص) ، وعند مسلم من رواية همام وقيس أيضاً ، فهؤلاء : ابن جريج وابن دينار وقيس وهمام بن يحيى كلهم زادوا " صفوان " بين عطاء ويعلى . ويحتمل أنه سمع منهما جميعاً ، فتارةً يروى بالواسطة وتارةً بلا واسطة ، فإن عطاء سمع من نحو مائتى صحابى لبسه ولم ينكر سماعه من يعلى أحد . والقصـــة التى أشار إليها الترمذى رواها البخارى فى (باب إذا أحرم جاهلاً وعليه قميص) ومسلم فى (باب ما يباح للمحرم . . . لبسه) .

ــ : باب ما جاء يقتل المحرم من الدواب :ــ

قوله : خمس فواسق . كلمة " خمس " مرفوع بالابتداء لتخصصها بالصفة

أوتعريفها بالإضافة ، فخمس إما مضاف إلى فواسق أو مرفوع بالتنوين . وقال النووى بالأول ، وجوز ابن دقيق العيد الوجهين مع ترجيح الثانى ، وذكر الفرق بينهما بأن رواية الإضافة تشعر بالتخصيص ، فيخالف غيرها فى الحكم من طريق المفهوم ، ورواية التنوين تقتضى وصف الخمس بالفسق من جهة المعنى ، فيشعر بأن الحكم المرتب على ذلك ـ وهو القتل ـ معلل بماجعل وصفاً ـ وهو الفسق ـ ، فيدخل فيه كل فاسق من الدواب . هذا ملخص ما فى " العمدة " وغيرها . فالحاصل أن التركيب الوصفى أشمل بمنطوقه مع التصريح بالعلة .

ثم إنه وقع هنا الحديث بلفظ : " الخمس " ، وزاد مسلم فى حديث إحدى نسوة النبى ﷺ : " الحية " ، فصارت ستاً ، وقع بلفظ الست فى بعض طرق حديث عائشة عند أبى عوانة فى " المستخرج " كما فى " العمدة " و" الفتح " ، وزاد الترمذى فى حديث أبى سعيد فى الباب نفسه : « السبع العادى » ، فصارت سبعاً ، غير أنى لم أقف برواية الحديث بلفظ " السبع " . وزاد ابن المنذر وابن خزيمة فى حديث أبى هريرة ذكر الذئب والنمر ، فتصير تسعاً ، وفيه بحث ، راجع " العمدة " (٥ ــ ٨١) و" الفتح " (٤ ــ ٣٠) . والخمس المذكور فى حديث الباب اشتمل على أنواع ثلاثة : (١) حشرات الأرض . (٢) سباع الطير (٣) الدواب ، فاختلفوا فى تنقيح مناطها ، فنقحها الشافعى بما لا يؤكل لحمه ، فيجوز عنده قتل كل مالا يؤكل لحمه من غير فدية عليه . ونقحها مالك بمايؤذى ، ونقح بعضها أبو حنيفة بالإيذاء فى مثل العقرب والفأرة ، وجوز قتل الحشرات والهوام أيضاً ، وتجد ذكر هذه التنقيحات عند ابن رشد فى " قواعده " والبدر العينى فى " عمدته " (٥ ــ ٨٤ و ٨١ و ٨٢) .

وذكر صاحب "العمدة" أن الشافعى قسم الحيوان ثلاثة أقسام: قسم يستحب قتله وهى المنصوصات ، وقسم يباح ، وقسم يكره . وقال عياض : ظاهر قول

الجمهور أن المراد أعيان ماسمى فى هذا الحديث ، وهو ظاهر قول أبى حنيفة ومالك، كما فى " العمدة " أيضاً ، وهذا يؤمى إلى عدم تعدية معناها إلى ماعداها ، فلعل عن الإمامين مالك وأبى حنيفة روايتين . والتنقيح بالإيذاء كما فعله أبو حنيفة ومالك أولى من تنقيح الشافعى بعدم كونه مأكولاً ؟ فإن الإيذاء فى المذكورات فى الحديث معروف . وأما وجه عدم الأكل فلايتبادر إليه الفكر أول مرة ، ويؤيد علة التنقيح الرواية الثانية فى الباب ، وفيها ذكر السبع العادى .

فائدة : ينسب بعض أرباب الأصول إلى صاحب " الهداية " القول باعتبار مفهوم العدد ، ومنشؤ هذه النسبة كلام صاحب " الهداية " فى هذا المقام ، ولعله اعتبره فى هذا المقام دون اعتباره مطلقاً ، قاله شيخنا الإمام .

مسألة : ذكر فى كثير من كتب فقائنا الحنفية كـ " البدائع " و " الهداية " و " الكنز " وغيرها : أن السبع إذا ابتدأ المحرم بالأذى وصال عليه فقتله المحرم لاشيئ عليه ، وإن ابتدأه المحرم فقتله فيجب بقتله الجزاء ، ولا يجاوز شاة ، وذكر ابن الهمام أنه ظاهر الرواية . وقال ابن المنذر : أجمع كل من يحفظ عنه من أهل العلم على أن السبع إذا بدأ المحرم فقتله لاشيئ عليه ، غير أن زفر من أصحاب إمامنا أبى حنيفة قال : يجب الجزاء اعتباراً بالجمل الصائل ، كما فى " الهداية " .

ثم المراد بالغراب فى الحديث عندنا هو : الأبقع ، وقد وقع مصرحاً به فى رواية مسلم فى " صحيحه " (١ — ٣٨١) فى (باب ما يندب للمحرم وغيره قتله) من حديث عائشة من طريق ابن المسيب عنها . وكذا قيده البدر العينى فى " العمدة " (٥ — ٨٢) ، واحتج له بحديث مسلم قال : وقال

يقتلن فى الحرم : الفأرة ، والعقرب، والغراب، والحديا ، والكلب العقور» .

القرطبى : هذا تقييد لمطلق الروايات التى ليس فيها الأبقع ، وبذلك قالت طائفة . . . . وطائفة رأوا جواز قتل الأبقع وغيره من الغربان ، ورأوا أن ذكر الأبقع إنما جرى لأنه الأغلب . ثم رده العينى وقال : الروايات المطلقة محمولة على هذه الرواية المقيدة التى رواها مسلم . وذلك لأن الغراب إنما أبيح قتله لكونه يبتدأ بالأذى ، ولا يبتدأ بالأذى إلا الغراب الأبقع ، والغير الأبقع لايبتدأ بالأذى ، فلايباح قتله كالعقعق وغراب الزرع ، ويقال له : الزاغ ، وأفتوا بجواز أكله ، فبقى ما عداه من الغربان ملتحقاً بالأبقع ، ومنها الغداف . وذكر أن حديث أبى سعيد الخدرى عند أبى داود وفيــه : «ويرمى الغراب ولايقتله» ، محمول على غراب الزرع . ومثله ذكر ابن الهمام فى " الفتح " . والغراب الأبقع هو الذى فى صدره بياض كما فى " الموعب " أويخالط سواده بياض ، كما فى " المحكم " أو فى بطنه وظهره بياض . قالــه أبو عمر كما فى " العمدة " ، وهو أخبثها ، وبــه يضرب المثل لكل خبيث . ثم إن التقييد موضع اتفاق بين الحنفية والشافعية والحنابلة ، وذهب إليه أكثر المالكية ، وزاد الشافعيــة والحنابلة غراب البين أيضاً كما يستفاد من " المغنى " و" العمدة " وغيرهما ، وهل هوقسم مستقل ؟ فليبحث عنه والله أعلم .

وفى كتب فقهائنا : إن الغراب على ثلاثة أصناف : (١) صنف يلتقط الحب ولا يأكل الجيف وهذا لايكره أكله اتفاقاً بين أئمتنا . (٢) وصنف يأكل الجيف وهو مكروه اتفاقاً . (٣) وصنف يأكل الحب مرةً والجيف أخرى ، وهذا مكروه عند أبى يوسف غير مكروه عند أبى حنيفة ، كما ذكره صاحب " العناية " على " الهداية " فى فصل عقيب الذبائح .

قوله . والكلب العقور . اختلفوا فى المراد بــه ، فقيل : هو الكلب

وفى الباب عن ابن مسعود وابن عمر وأبى هريرة وأبى سعيد وابن عباس .
قال أبو عيسى : حديث عائشة حديث حسن صحيح .

حدثنا : أحمد بن منيع نا هشيم نا يزيد بن أبى زياد عن ابن أبى نعم عن أبى سعيد عن النبى ﷺ قال : « يقتل المحرم السبع العادى والكلب العقور والفأرة والعقرب والحدأة والغراب » .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن . والعمل على هذا عند أهل العلم قالوا : المحرم يقتل السبع العادى والكلب ، وهو قول سفيان الثورى والشافعى .
وقال الشافعى : كل سبع عدا على الناس أو على دوابهم فللمحرم قتله .

المعروف ، حكاه عياض عن أبى حنيفة ، والأوزاعى والحسن بن حيى ، وألحقوا به الذئب . وحمل زفر الكلب على الذئب وحده . وذهب الشافعى والثورى وأحمد وجمهور العلماء إلى أن المراد كل مفترس غالباً . وقال مالك فى " الموطأ " : كل ماعقر الناس وعدا عليهم وأخافهم مثل الأسد والنمر والفهد والذئب هو : العقور . وكذا نقل أبو عبيد عن سفيان ، وقال بعضهم : هو قول الجمهور . وقال أبو حنيفة : المراد بالكلب هنا الكلب خاصة ، ولا يلتحق به فى هذا الحكم سوى الذئب . هذا ملخص ما فى " العمدة " (٥ — ٨٣) .
وقال ابن الهمام فى " الفتح " (٢ — ٢٢٧) فى صدد توجيه ما نقله صاحب " الهداية " رواية عن أبى حنيفة " أن الكلب العقور وغير العقور والمستأنس والوحشى منهما سواء " . أن المراد فى الحديث بالكلب العقور الكلب الوحشى ، لأنه يكون عقوراً مبتدياً بالأذى ، فأفاد أنه وإن كان صيداً لاشئ فيه لكونه عقوراً ، ثم ذكر ما ملخصه : أن الأنسى أيضاً يدخل فيه ، فأحد صنفيه صيد وهو الوحشى ، والآخر غير صيد وهو الأنسى ، وذكر أيضاً على سبيل التنزل :

(باب ما جاء فى الحجامة للمحرم)

حدثنا : قتيبة نا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن طاوس وعطاء عن ابن عباس : « إن النبى ﷺ احتجم وهو محرم » .

وفى الباب عن أنس وعبد الله بن بحينة وجابر . قال أبو عيسى : حديث ابن عباس حديث حسن صحيح. وقد رخص قوم من أهل العلم فى الحجامة للمحرم وقالوا : لايحلق شعراً . وقال مالك: لا يحتجم المحرم إلا من ضرورة . وقال سفيان الثورى والشافعى : لا بأس أن يحتجم المحرم ولا ينزع شعراً .

نختار أن جنس الكلب غير وحشى وإن وجد منه وحشى فالتوحش عارض له ، فاقتضى أن لا يجب بقتل شئ منه جزاء آه . وعن أبى يوسف : أن الأسد كالكلب العقور كما فى " فتح ابن الهمام " ، وهذا ليس بتنقيح مناط له بل جعل الأسد من جملة ماصدقات الكلب ، ويؤيد ما أخرجه الحاكم وغيره : « إنه ﷺ دعا على رجل ـ وهو عتبة بن أبى لهب ـ: أللهم سلط عليه كلباً فافترسه أسد » . حكاه فى " العمدة " (٥ ــ ٨٣) .

ــ: باب ما جاء فى الحجامة للمحرم :ــ

هل يمنع منها أو يباح مطلقاً أو للضرورة ؟ والمراد بذلك كله المحجوم لا الحاجم ، كما فى " العمدة " و " الفتح" . فأجازه مطلقاً أبو حنيفة والثورى والشافعى وأحمد واسحاق ، أخذاً بظاهر الحديث ما لم يقطع الشعر . ومنعه مالك إلا لضرورة ولا خلاف بين العلماء أنه لا يجوز حلق شيئ من شعر رأسه حتى يرمى جمرة العقبة إلا من ضرورة ، وأنه إن حلقه من ضرورة فعليه الفدية ، قضى بها رسول الله ﷺ على كعب بن عجــرة ، فإن لم يحلق شعراً فهو

(باب ما جاء فى كراهية تزويج المحرم)

حدثنا : أحمد بن منيع نا اسماعيل بن علية نا أيوب عن نافع عن نبيه بن وهب قال : « أراد ابن معمر أن ينكح ابنـــه فبعثنى إلى إبان بن عثمان وهو أمير الموسم . فأتيته فقلت : إن أخاك يريد أن ينكح ابنه فأحب أن يشهدك

كالعرق يقطعه ، أو الدمل يبطه ، أو كالقرحة ينكأها فلا شيئى عليه ، وخص أهل الظاهر الفدية بشعر الرأس . هذا ملخص ما فى " العمدة " (٥ ــ ٩٧) و " الفتح " .

وبالجملة إن اضطر المحرم إلى حلق الشعر لأجل الحجامة لزمته الكفارة ، وإلا فلا شيئى عليه . وفائدة العذر رفع الإثم ، وثبت احتجامه ﷺ فى حجة الوداع كما صرح به الشافعى . حكاه الترمذى فى الصيام وقد تقدم ، وقد ورد فى حديث ابن بحينة فى " الصحيحين" قال : « احتجم النبى ﷺ وهو محرم بلحى جمل فى وسط رأسه » . و "لحى جمل" موضع بين مكة والمدينة قريباً منهـــا ، وقد جزم الحازمى وغيره بأن ذلك كان فى حجة الوداع ، كما فى " العمدة " (٥ ــ ٩٨) و " الفتح" (٤ ــ ٤٤) .

ــ: باب ما جاء فى كراهية تزويج المحرم :ــ

مسألة نكاح المحرم خلافية مشهورة سلفاً وخلفاً ، فذهب مالك والشافعى وأحمد إلى أن نكاح المحرم باطل ، وإليه ذهب الليث والأوزاعى ، ويروى عن عمر وعلى وابن عمر وزيد بن ثابت من الصحابة ، وعن سعيد بن المسيب وسالم وقاسم من التابعين . وقال أبو حنيفـة وأصحابه كلهم : إن نكاحه صحيح ، وإنما

المنهى عنه الوطئ ودواعيه ، وإليه ذهب ابراهيم النخعى وسفيان الثورى وعطاء والحكم بن عتيبة وعكرمة ومسروق والقاسم بن محمد بن أبى بكر وأبوه محمد وابنه عبد الرحمن وحماد بن أبى سليمان . وقال ابن حزم : أجازه طائفة ، صح ذلك عن ابن عباس ، وروى عن ابن مسعود ومعاذ ، ورواه الطحاوى عن أنس أيضاً . هذا ملخص ما فى " الجوهر النقى " و"عمدة القارى" .

وبالجملة اختلف فيها كبار الصحابة وفقهاؤهم وكبار التابعين وخيارهم، فالترجيح فى مثلها والخروج عن الخلاف فيها صعب جداً ، كما يقول القاضى أبو زيد الدبوسى فى مثل ذلك . ولكل وجهة هو موليها . وحجة الفريقين أحاديث صحيحـــة غير أن حديث الصحة أصح إسناداً حيث اتفق على تخريجه الشيخان، واختاره البخارى حيث بوب فى المناسك فقال: (باب تزويج المحرم) وترجم فى النكاح : (باب نكاح المحرم) . قال الحافظ فى " الفتح" : ظاهر صنيعه أنه لم يثبت عنده النهى عن ذلك ، ولا أن ذلك من الخصائص اه . ومثله فى " العمدة " (٥ ــ ٩٨) . وحديث النهى انفرد به مسلم ، ومنشأ الخلاف اختلاف الروايات فى نكاح أم المؤمنين ميمونة رضى الله عنها ، وهى خالة ابن عباس ويزيد بن الأصم وخالد بن الوليد جميعاً .

وهذا الباب للحجازيين وأخرج فيه حديث أبى رافع وحديث يزيد بن الأصم ، وفى كلا الحديثين مغامز إسنادية ومعنوية . فأما حديث أبى رافع ففيه:

أما أولاً : فإنه حديث مختلف إسناداً فى الإرسال والرفع ، والترمذى رجح الإرسال ، ويقول الحافظ أبو عمر كما فى " العمدة " وغيرها : حديث مالك عن ربيعة فى هذا الباب غير متصل . وقد رواه مطر الوراق فوصله ، رواه حماد بن زيد عن مطر الوراق عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن عن سليمان

ذلك ؟ فقال : لا أراه إلا أعرابياً جافياً ، إن المحرم لا ينكح ولا ينكح، أو كما قال ، ثم حدث عن عثمان مثله يرفعه .

ابن يسار عن أبي رافع، قال : وهذا عندى غلط فى مطر ؛ لأن سليمان بن يسار ولد سنة أربع وثلاثين، وقيل : سنة تسع وعشرين ، ومات أبو رافع بالمدينة بعد قتل عثمان بيسير، وكان قتل عثمان فى ذى الحجة سنة خمس وثلاثين، وغير جائز ولا ممكن أن يسمع سليمان من أبى رافع، فلا معنى لرواية مطر ، وما رواه مالك أولى اهـ .

وأما ثانياً : ففيه إشكال قوى ، وهو أنه ﷺ نكح ميمونة بسرف ، وهو بعد ذى الحليفة ، فإن كان ﷺ غير محرم لزم تجاوزه ﷺ عن الميقات بغير إحرام . وجوابهم بأن المواقيت وقتها ﷺ فى حجة الوداع غير صحيح حيث ثبت إحرامه ﷺ فى عمرة الحديبية من ذى الحليفة بنص "صحيح البخارى" (ص ــ ٦٠٠) ، وكان نكاح ميمونة فى عمرة القضاء بعدها بعام . وقد اعترف الحافظ فى " الفتح" من كتاب العلم : أن توقيت المواقيت قبل حجة الوداع بكثير، وقد أسلفناه من قبل تفصيلاً .

وبالجملة : القول ببطلان نكاح المحرم بمثل حديث أبى رافع ضعيف روايةً ودرايةً . ويأتى بقية البيان فى الباب اللاحق بمايكفى ويشفى إن شاء الله تعالى .

قوله : إن المحرم لاينكح ولا ينكح ، الأول من النكاح والثانى من الإنكاح ، فالأول من المجرد ، والثانى من المزيد فيه ، وكلاهما بصيغة المعلوم ، وحمله الحجازيون على ظاهره ، فلايصح عندهم النكاح ولا الإنكاح ، فقد صرح فى كتبهم كـ " المجموع " و" المغنى " : إن التزوج والتزويج كلاهما سيئان فى

وفى الباب عن أبى رافع وميمونة . قال أبوعيسى : حديث عثمان حديث حسن صحيح ، والعمل على هذا عند بعض أصحاب النبى ﷺ ، منهم عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وابن عمر ، وهو قول بعض فقهاء التابعين ، وبه يقول مالك والشافعى وأحمد واسحاق ، لا يرون أن يتزوج المحرم ، وقالوا : إن نكح فنكاحه باطل .

النهى للمحرم . أنظر شرح " المهذب " (٧ — ٢٨٣) و" المغنى " (٣ — ٣١٣) . وحمله الحنفية على الكراهة لكونه سبباً للوقوع فى الرفث ، لاأن عقده لنفسه أو لغيره بأمره غير جائز . وحجة ذلك أنه وقع فى رواية مسلم فى " صحيحه " زيادة : « ولا يخطب » . ووقع فى " صحيح ابن حبان " زيادة : « ولا يخطب عليه » فقرن النكاح والإنكاح بالخطبة والخطبة عليه ، ولا خلاف فى جواز الخطبة ، وإنما الخلاف فى كراهتها . فالخطبة تصح عندهم مع الكراهة ، فكذا النكاح والإنكاح ، وصار كالبيع وقت النداء ، كما يقوله الحافظ علاء الدين فى " الجوهر النقى " . وأثر أنس بن مالك عند الطحاوى من طريق روح بن الفرج عن أحمد بن صالح عن ابن أبى فديك عن عبد الله بن محمد بن أبى بكر قال : « سألت أنس بن مالك عن نكاح المحرم ؟ فقال . وما بأس به هل هو إلا كالبيع » يؤيده ؛ وروح وثقه الخطيب ، وأخرج له صاحب " المستدرك " ، وقوى الحافظ فى " الفتح " (٩ — ١٤٣) إسناده .

فحديث عثمان وإن كان تشريعاً قولياً عاماً ولكنه غير مقطوع الدلالة فى الحكم كما راموه فإن قرانه بالخطبة حجة واضحة على أن ظاهره غير مراد ، وإنما هو مؤول محمول على الكراهة ، فقول الحافظ فى " الفتح " بعد ذكر أثر أنس هذا : لكنه قياس فى مقابلة النص ، فلا عبرة به ، وكان أنساً لم يبلغه حديث عثمان اه ، يكاد يكون جرأة ، وأين النص قطعى الدلالة فضلاً عن قطعى الثبوت ؟

حدثنا : قتيبة نا حماد بن زيد عن مطر الوراق عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن سليمان بن يسار عن أبي رافع قال : « تزوج رسول الله ﷺ ميمونة وهو حلال ، وبنى بها وهو حلال ، وكنت أنا الرسول فيما بينهما » .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن ، ولا نعلم أحداً أسنده غير حماد بن زيد عن مطر الوراق عن ربيعة .

وروى مالك بن أنس عن ربيعة عن سليمان بن يسار : « أن النبي ﷺ تزوج ميمونة وهو حلال » . ورواه مالك مرسلاً ، ورواه أيضاً سليمان بن بلال عن ربيعة مرسلاً .

قال أبوعيسى : وروى عن يزيد بن الأصم عن ميمونة قالت : « تزوجني رسول الله ﷺ وهو حلال » . وروى بعضهم عن يزيد بن الأصم : « إن النبي ﷺ تزوج ميمونة وهو حلال » .

قال أبو عيسى : ويزيد بن الأصم هو : ابن أخت ميمونة .

ومقتضى الأدب مع صحابي جليل أن يقال : لعله حمل النهي على خلاف الأولى ، ألا ترى أن قوله تعالى : (وذروا البيع ○) نص مقطوع ثبوتاً ودلالةً ، وقد حملوا البيع وقت النداء على الكراهة مع الصحة دون البطلان ، كما هو قول جمهور الأمة نظير الصلاة في الأرض المغصوبة .

وما يقوله الحافظ : " إن عمر وعلياً وغيرهما من الصحابة فرقوا بين محرم نكح وبين امرأته اهـ " فبعد ثبوته وصحته يحتمل أن عملهم ذلك كان سداً للذرائع . وربما يؤيده أنهم فرقوا ، وإنما التفريق يكون بعد الانعقاد .

وبالجملة قولهم بالمعارضة بين حديثي ابن عباس ويزيد بن الأصم ،

(باب ما جاء من الرخصة فى ذلك)

حدثنا : حميد بن مسعدة نا سفيان بن حبيب عن هشام بن حسان عن عكرمة عن ابن عباس : « إن النبى ﷺ تزوج ميمونة وهو محرم » . وفى الباب عن عائشة . قال أبوعيسى : حديث ابن عباس حديث حسن صحيح . والعمل على هذا عند بعض أهل العلم . وبه يقول سفيان الثورى وأهل الكوفة .

ورجوعهم إلى حديث عثمان لخلوه عن المعارض لاينفعهم . فحديث ابن عباس أقوى سنداً ، وروى عنه خمس عشرة نفساً من كبار التابعين من الأئمة الفقهاء ، فكيف يقاومه ما هو دونه من كل جهة ؟ وكان الذى تزوجها هو أبوه : العباس رضى الله عنه ، فصاحب البيت أدرى بمافيه ، وأهل مكة أدرى بشعابها ، والوكيل أعلم بالحقيقة من المؤكل فى مثل هذه الواقعة . علا : أن ابن عباس لم ينفرد بذلك كما يقوله ابن عبد البر ، بل وافقه أم المؤمنين عائشة عند النسائى والطحاوى والبزار وابن حبان ، وصححه ابن حبان ، واعترف بصحته الحافظ فى " الفتح " (٩ — ١٤٣) ورد به قول ابن عبد البر . وشاركه أبوهريرة عند " الدارقطنى " بإسناد ينجبر ضعفـه بالاعتضاد ، فيقول الحافظ : وفى إسناده : كامل أبو العلاء وفيه ضعف ، لكنه يعتضد بحديثى ابن عباس وعائشة ، وقد جاء عن الشعبى ومجاهد مرسلاً مثله عنـد ابن أبى شيبة ، كما حكاه الحافظ فى " الفتح " من النكاح . وللبحث بقية تأتى فى الباب اللاحق ، والله ولى التوفيق .

—: باب ما جاء من الرخصة فى ذلك :—

هذا الباب للعراقيين ، أخرج فيه حديث ابن عباس ، وهو أصح حديث فى الباب على الإطلاق ، اتفق على تخريجه الشيخان وأصحاب السنن ، وقد رواه عن ابن عباس خمسة عشر رجلاً من كبار أصحابه من أئمة فقهاء عند الطبرانى ،

حدثنا : قتيبة نا حماد بن يزيد عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس : « إن النبي ﷺ تزوج ميمونة وهو محرم »

كما في " نصب الراية " ، ورواه ابن سعد في " طبقاته " في ترجمة ميمونة رضي الله عنها (٨ ـ ٩٦ و ٩٧) من طرق كثيرة ، وكذا الإمام أبو جعفر الطحاوي في شرح " الآثار " يرويه من طريق سعيد بن جبير وعطاء وطاؤس وعكرمة وجابر بن زيد وابن سعد عنهم وعن ميمون بن مهران عنه وعن مقسم عنه وعن الشعبي ومجاهد وأبي يزيد المدني مرسلاً أيضاً ، فهؤلاء كلهم أئمة فقهاء يحتج بروايتهم ، والذين رووا عنهم أئمة فقهاء كذلك ، كعمرو بن دينار وأيوب السختياني وعبد الله بن أبي نجيح وابن جريج والحكم وحبيب بن الشهيد وعثمان بن خيثم وغيرهم ، وأخذ الشافعية يتأولون فيه .

فمنها : ما تأول به الترمذي في الباب : « تزوجها حلالاً وظهر أمر تزويجها وهو محرم ثم بنى بها وهو حلال الخ » وهذا التأويل لامساغ له أصلاً فإنه على هذا يلزم أنه ﷺ جاوز الميقات من غير إحرام وهو يريد العمرة ، حيث ثبت عند " النسائي " (٢ ـ ٧٧) في حديث ابن عباس من طريق يعلى بن حكيم عن عكرمة عن ابن عباس : « إنه تزوجها بسرف » ، وسرف موضع قريباً من مكة على نحو عشرة أميال خارج الحرم ، والاعتذار بتوقيت المواقيت بعد ذلك في حجة الوداع باطل ، حيث وقع التصريح في " الصحيح " في غزوة الحديبية (٢ ـ ٦٠٠) في حديث المسور بن مخرمة ومروان الحكم بن : « فلما أتى ذا الحليفة قلد الهدى ، وأشعر وأحرم منها بعمرة » ، وهذا قبل عمرة القضاء بعام ، وفيها أمر التزويج . وبالجملة هذا التأويل يرده الرواية والدراية معاً ، علا أن للحنفية أن يعارضهم في هذا التأويل بأن يقولوا : تزوج وهو محرم وظهر أمر تزويجه وهو حلال على ضد ما قالوا ، وهذ أقرب إلى الحقيقة وأوفق

بالواقعة ؟ فإن إفشاء أمر الزواج إنما يكون عند الوليمة ، والتعريس والبناء بها ، ثم الوليمة كان بسرف بعد الحل عند الرجوع ، فإذن لنا أن نأول قوله : " تزوج وهو حلال " أى ظهر أمر تزويجها وهو حلال ، ولاريب أن هذا أقرب إلى العقل والنظر .

ومنها : ما تأول ابن حبان كما حكاه الزيلعى فى " نصب الرأية " (٣ — ١٧٣) : أن معنى قوله : " تزوج وهو محرم " أى داخل الإحرام ، كما يقال : أنجد وأتهم إذا دخل نجداً وتهامة الخ . واحتجوا لذلك بقول الشاعر :

قتلوا ابن عفان الخليفة محرماً * ودعا فلم أر مثله مخذولا

(ويروى : مقتولاً) . وقالوا : إن عثمان رضي الله عنه لم يكن فى الإحرام ، وإنما كان فى حرم المدينة . وهذا التأويل لا حجة فيه أصلاً .

أما أولاً : فإنه لاحصر للمحرم فى هذا المعنى ، بل لم يثبت فى اللغة هذا المعنى فى هذه المادة ، والقياس بقولهم : أنجد وأتهم وأشأم وأمثالها غير صحيح ، فإن اللغة لا تثبت بالقياس ، وإنما ثبت فى اللغة من معانيه : أحرم الرجل دخل فى الشهر الحرام ، كما فى " صحاح الجوهرى " .

وأما ثانياً : فإن المحرم فى البيت المذكور معناه : محقون الدم ذو حرمة لا يستحق عقوبة ولا يحل منه شئ ، كما فى قول عدى بن زيد :

قتلوا كسرى بليل محرماً * فتولى لم يمتع بالكفن

(ويروى : غادروه لم يمتع الخ) فيحدثنا الخطيب كما فى "نصب الرأية " عن " التنقيح " ، بسنده عن اسحاق الموصلى ، قال : سأل هارون الرشيد الأصمعى بحضرة الكسائى عن قول الشاعر ع :

حدثنا : قتيبة نا داود بن عبد الرحمن العطار عن عمرو بن دينار قال : سمعت أبا الشعثاء يحدث عن ابن عباس : « إن النبي ﷺ تزوج ميمونة وهو محرم » .

---

* قتلوا ابن عفان الخليفة محرماً *

فقال الأصمعي : ليس معناه هذا : أنه أحرم بالحج ، ولا أنه في شهر حرام ، ولا أنه في الحِرم . فقال الكسائي : ويحك ما معناه ؟ قال الأصمعي : فما أراد عدي بن زيد بقوله : [قتلوا كسرى بليل محرماً الخ] ، أي إحرام لكسرى ؟! فقال الرشيد : فما المعنى ؟ قال : كل من لم يأت شيئاً يوجب عليه العقوبة فهو محرم لا يحل منه شيئ . فقال له الرشيد : أنت لا تطاق اهـ . والشعر الأول للراعي والمحرم فيه قد فسره الأزهري وابن بري ، كما في " اللسان " (١٥ — ١٣) بما فسره الأصمعي ، فقال ابن بري : وإنما يريد حرمة الإسلام ، وذمته لم يحل من نفسه شيئاً يوقع به اهـ . ومثله قال الأزهري .

فهؤلاء الأصمعي والأزهري وابن بري كلهم اتفقوا على أن المحرم في شعر الراعي معناه غير ما فسره به ابن حبان ومن أتبعه ، والأصمعي هو : أبو سعيد عبد الملك بن قريب البصري من أئمة الحديث ، كما هو من أئمة اللغة ، روى له مسلم في مقدمة " صحيحه " ، وأبو داود في أسنان الإبل ، والترمذي في حديث أم زرع ، بل له ذكر في " صحيح البخاري " من كتاب الرقاق ، كما ذكره الحافظ في " التهذيب " في ترجمة أبي عبيد القاسم بن سلام .

وأما ثالثاً : فلا يصح ما قاله ابن حبان من وجهة أخرى ؛ فإنه إذا ثبت نكاحها بسرف في رواية النسائي فلامساغ لهذا التأويل بأنه داخل الحرم ، فإن

قال أبو عيسى هذا حديث صحيح . وأبو الشعثاء اسمه : جابر بن زيد .
واختلفوا في تزويج النبي ﷺ ميمونة ، لأن النبي ﷺ تزوجها في طريق مكة ، فقال بعضهم : تزوجها حلالاً وظهر أمر تزويجها وهو محرم ثم بنى بها وهو حلال بسرف في طريق مكة ، وماتت ميمونة بسرف حيث بنى بها رسول الله ﷺ ودفنت بسرف .

سرف في الحل دون الحرم .

وأيضاً يرده لفظ البخاري : « إنه عليه السلام تزوجها وهو محرم ، وبنى بها وهو حلال » ، فهذه المقابلة بين المحرم والحلال يدفع هذا التفسير ، وعلى الأقل إنه يبعده ، كما يقوله الزيلعي .

وأما رابعاً : ففي رواية " مسلم " (١ — ٤٥٣) : من طريق ابن نمير في حديث ابن عباس : « تزوج ميمونة وهو محرم » ، زاد ابن نمير : فحدثت به الزهري فقال : أخبرني يزيد بن الأصم : « أنه نكحها وهو حلال » . فمقابلة الزهري بين المحرم والحلال كل ذلك يدل على أن المحرم ضد الحلال في هذه الرواية ، ولم يثبت الحلال بمعنى الداخل في الحل .

وأما خامساً : فقد ورد في رواية عند ابن سعد في " الطبقات " (٨ — ٩٦) وعند ابن حجر في " الإصابة " عنه من حديث عكرمة عن ابن عباس : « إن رسول الله ﷺ تزوج ميمونة بنت الحارث بسرف وهو محرم ، ثم دخل بها بسرف بعد ما رجع » ، وقال يزيد بن هارون : ماتت بسرف وقبرها ثم فكأن الراوي يتعجب من أن هذه الوقائع الثلاثة المتفرقة في الأزمنة كيف اجتمعت لها في سرف ؟ وعلى ما يدعي ابن حبان لا محل لمثل هذا التعجب .

وبالجملة هذه وجوه خمسة تدل دلالة واضحة على أن ما تأول به ابن حبان

حدثنا : إسحاق بن منصور نا وهب بن جرير نا أبي قال سمعت أبا فزارة يحدث عن يزيد بن الأصم عن ميمونة : « إن رسول الله ﷺ تزوج وهو حلال وبنى بها حلالاً وماتت بسرف ودفناها فى الظلة التى بنى بها فيها » .

قال أبو عيسى : هذا حديث غريب ، وروى غير واحد هذا الحديث عن يزيد بن الأصم مرسلاً : « إن النبى ﷺ تزوج ميمونة وهو حلال » .

لا يصح . ومن الأدلة على تأييد حديث ابن عباس حديث عائشة عند النسائى وابن حبان والطحاوى والبزار ، وحديث أبى هريرة عند الطحاوى فى "المشكل" والدارقطنى فى " السنن" ، وفى كليهما : « إنه ﷺ تزوج وهو محرم » ، كما تقدم فى الباب السابق ، فكان فى الباب أحاديث ثلاثة يؤيد بعضها بعضاً ، ومرسلان عن مجاهد والشعبى عند ابن أبى شيبة ، وآثار عن ابن مسعود ومعاذ وأنس ، كما أشار إليه الحافظ علاء الدين فى " الجوهر النقى " ، وهو مذهب جمهرة فقهاء التابعين الكبار كما أسلفناه ، وقد توسع الطحاوى فى البحث عن المسألة ، والروايات فى " مشكل الآثار" .

فيستفاد من مجموعها أنه ﷺ بعث أبا رافع ورجلاً من الأنصار - وهو أوس بن خولى كما فى "طبقات ابن سعد" (٨ — ٩٤) - ليخطبا له ميمونة ، - ولم يكن أحد من أوليائها حاضراً - فوكلت أمرها إلى العباس ، فخرج رسول الله ﷺ لعمرة القضيـة فزوجها العباس بسرف ، ثم أراد رسول الله ﷺ أن يعرس بها بمكة بعد الفراغ من العمرة ولكن لم يمكنه قريش ، فخرج بها حتى عرس بها بسرف ، وإذن يمكن أن يخفى عن ميمونة أيضاً وقت تزويجها فضلاً عن غيرها فلم تشعر إلا فى الوقت الذى بنى بها ، وعلمه ابن عباس لحضورها ولم تعلمها هى لغيبتها . وقريب من ذلك ما ذكره الحافظ المارديني فى " الجوهر

النقى " نقلاً عن " الإستذكار " ، و " التمهيد " ، و " الإستيعاب " ، كلها لابن عبد البر ، وحكاه عن موسى بن عقبة وعن ابن اسحاق ، ويقول الحافظ فى " الإصابة " فى ترجمة ميمونة : وقد انتشر الاختلاف فى هذا الحكم بين الفقهاء ، ومنهم من جمع بأنه عقد عليها وهو محرم وبنى بها بعد أن أحل من عمرته بالتنعيم وهو حلال فى الحل ، وذلك بين من سياق القصة عند ابن اسحاق آه .

وبالجملة فتطابقت على ما اختاره الحنفية روايات الحديث وأئمة التاريخ معاً . فالرجوع إلى رواية ابن عباس أولى ، خصوصاً بعد تأييده برواية أبى هريرة وعائشة وغيرهما مما ذكرنا ، علا أن فى حبر الأمة وبحرها وحده كفاية ، ألا ترى إلى ما يحدثناه الطحاوى والبيهقى ، وكذا عبد الرزاق فى " مصنفه " كما فى " الجوهر النقى " عن عمرو بن دينار : قلت لابن شهاب : أخبرنى أبو الشعثاء عن ابن عباس « إن النبى ﷺ نكح وهو محرم » ، فقال ابن شهاب : أخبرنى يزيد بن الأصم : « أنه عليه السلام نكح ميمونة وهو حلال » وهى خالته ، قال : فقلت لابن شهاب : أتجعل أعرابياً بوالاً على عقبيه إلى ابن عباس ؟ ولفظ الطحاوى : أتجعله مثل ابن عباس ؟ ، فقد ضعفه عمرو بن دينار فى خطابه للزهرى فى مقابلة ابن عباس والزهرى لم ينكر عليه . فلم تكن ميمونة مباشرة العقد ولا أبو رافع ولا يزيد بن الأصم بل جعلت أمرها إلى العباس فكان أعلم الناس وابن عباس فى بيته ، فيكون أعلم من ميمونة ومن أبى رافع معاً على حالها فضلاً عن رتبته فى العلم والفضل والفقه .

قال فى " المعتصر " (ص ــ ١٨٢) : فإن قيل : فى خبر عثمان النهى فكيف يجوز فيما علم منه ﷺ الإباحة فيه ؟ قيل : إن عثمان لم يذكر فى حديثه من أمر ميمونة شيئاً ، وما ذكره فيه عنه يجوز أن يكون سمعه منه قبل ذلك أوبعده ، فكان مراده به غيره من أمته ، إذ هو بخلافهم ، إذ هو ﷺ كان

محفوظاً مالكاً لإربه ، ولم يكن غيره من أمته كذلك ، فنهاهم عنه لخوفه عليهم ما يخاف عليهم من مثله ، وفعله ﷺ إذ لم يخف على نفسه من ذلك ، وليس فيه أن عقد التزويج إذا وقع كان غير جائز ، ومما يؤكده البيع بعد النداء يوم الجمعة لم يبطل مع نهى الله عزوجل عنه ، فالنهى عن نكاح المحرم كذلك ، ونقول لمالك والشافعى : إن بيع الحاضر للبادى منهى عنه ، وهو جائز إن وجد بلاخلاف ، فلا يلزم من النهى الفساد ، فلا ينكر أن يكون النهى عن نكاح المحرم كذلك مع ما ذكرنا عن مالك من تفريقه بطلاق أوفسخ ، ولا يكون ذلك إلا فى عقد قد ثبت لأنه لا يقع فى تزويج باطل طلاق ولا فسخ الخ . ثم ذكر وجه النظر كما هو فى شرح "معانى الآثار" هذا ، وهذا كلام متين خرج من فقه النفس ، ونظائر ذلك فى الشرع فى غاية الكثرة ، وفى هذا القدر كفاية .

ثم ظهر لى وجه آخر لترجيح رواية ابن عباس على رواية يزيد بن الأصم ماعدا أسلفناه ، يحدثنا ابن سعد فى "طبقاته" (٨ — ٩٥) : قال أخبرنا يزيد بن هارون عن عمرو بن ميمون بن مهران قال : « كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبى أن : سل يزيد بن الأصم : أحراماً كان رسول الله ﷺ حين تزوج ميمونة أم حلالاً ؟ فدعاه أبى فأقرأه الكتاب فقال : خطبها وهو حلال وبنى بها وهو حلال ، وأنا أسمع يزيد يقول ذلك » اهـ فهذه الرواية تخالف نوع مخالفة من عامة روايات يزيد بن الأصم بل كأنها تعارضها وليس فيها ذكر للتزويج وإنما ذكر الخطبة والبناء ، والسؤال كان عن التزوج ، فلوكان التزوج حال كونه حلالاً لذكره ، وإنما هذه الرواية تشعر بأن التزويج كان فى حالة الإحرام ، وإنما الخطبة والبناء كانا فى حالة الحل .

فظهر من هذه الرواية أن فى حديث يزيد طريقاً يوافق حديث ابن عباس .

فالرجوع إليها أولى لتطابق كلتا الروايتين . وإن شئت فقل : إن طرق حديث يزيد بن الأصم تكاد تكون معارضة وطرق حديث ابن عباس كلها سالمة عن التعارض ، فالرجوع إليه أولى .

ووجه آخر أنه فى رواية " مسلم " وغيره وقع حديث يزيد بن الأصم بلفظ : « نكحها وهو حلال » ، ولفظ " النكاح" تارةً يراد منه : الوطئ دون العقد على اختلاف فى أيها حقيقة لغوية أو شرعية ، فإن أريد بالنكاح هذا المعنى فيرادف البناء ، وعلى هذا الوجه أيضاً يوافق حديث ابن عباس ، وإذن لا يبعد : أن يكون لفظ التزوج بدل النكاح من تصرف الرواة ، أو أطلق على الوطئ مجازاً لأنه سببه والله أعلم .

وفى هذا القدر مقنع وكفاية للباحث إن شاء الله تعالى . وتلخص أمور :

الأول : إن حجة الحنفية حديث ابن عباس ، وهو أصح إسناداً من حديث يزيد بن الأصم .

الثانى : إن ابن عباس أفقه وأعلم من يزيد بن الأصم ، وإن أباه العباس كان وكيل عقد الزواج .

الثالث : إنه تواتر على الرواية عنه كبار من فقهاء التابعين نحو خمسة عشر نفساً من خيار أصحابه .

الرابع : إنه لم ينفرد بالرواية هو بل له شاهد من حديث عائشة عند النسائى والطحاوى وابن حبان بإسناد صحيح باعتراف الحافظ ابن حجر ، وله شاهد من حديث أبى هريرة عند الدارقطنى والطحاوى فى "المشكل" ، وينجبر بضعفه بالاعتضاد ، وله شاهد من مرسل عامر الشعبى ومن مرسل مجاهد ،

كلاهما عند ابن أبى شيبة . فهذه أربعة شواهد ، والكل خمس حجج فى الباب.

الخامس : إن فى حديث يزيد طريقاً يوافق حديث ابن عباس كما فى " طبقات ابن سعد " ، فالأخذ بها أولى .

السادس : إنه مذهب جمهور التابعين كما يقوله الزبيدى فى " الإتحاف" .

السابع : إنه لما تعين محل النكاح وهو سرف وتعين وقته وهو عند الذهاب إلى مكة فلا مساغ إلا بأن يقول بكونه ﷺ محرماً عند النكاح، وإلا لزم تجاوز الميقات بلا إحرام ، وقد تقررت المواقيت قبل ذلك ، وإحرامه من ذى الحليفة قبل ذلك بعام ثبت فى " الصحيح" من غير ما ريب .

الثامن : إنه وقع حديث يزيد بلفظ " النكاح" فى طريق عند "مسلم"، فيحتمل أن يراد به الوطئ دون العقد ، فإذن يتحد حديثا ابن عباس ويزيد ابن الأصم ، ويجرى هذا التأويل فى لفظ " التزوج " أيضاً مجازاً .

التاسع : روايات المؤرخين كابن اسحاق وموسى بن عقبة وما ينقله ابن عبد البر فى " الإستذكار" و " التمهيد " و " الاستيعاب " كلها مما يؤيد ما اختاره الحنفية .

العاشر : إن حديث عثمان عند مسلم وإن كان قولياً ليس نصاً فى البطلان وإنما يحتمل الكراهة والتحريم والتنزيه جميعاً ، وذكر النهى عن الخطبة فيه يكاد يعين القول بالكراهة أو التنزيه ، حيث اتفقوا على صحة الخطبة ، فليكن مثل كراهة البيع بعد النداء يوم الجمعة مع وجود النص المقطوع فيه . وإذن عمل رسول الله ﷺ إما يكون من قبل التشريع وبيان الجواز فلا كراهة فى حقه ﷺ ، أو خصوصية له لقدرته وتملكه على النفس ، وله نظائر .

(باب ما جاء فى أكل الصيد للمحرم)

الحادى عشر: لا حجة للخصم فى آثار "عمر" و "على" فى التفريق، فإنه يمكن أن يكون من قبل الزجر والتعزير، سداً للذرائع ، وصيانةً لهم من الوقوع فى المحظور؛ فإن من حام حول الحمى يوشك أن يواقعه . فخذوا الكلام ملخصاً محرراً وكونوا من الشاكرين ، وله الحمد على هذا التوفيق حمد الشاكرين .

ـ: باب ما جاء فى أكل الصيد للمحرم :ـ

أصل حديث الباب قوله عزوجل : (ولا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ○) وقوله : (وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً ○) ، فاتفق الأمة على أنه لا يجوز للمحرم قتل الصيد فى حالة الإحرام ، ويجب الجزاء بقتله ، ويستوى فيه ناسياً أو عامداً أو مبتدئاً فى القتل أو عائداً إليه . وكذلك اتفقوا على أنه لا يحل للمحرم أكله إن صاده الحلال بأمره أو بإعانته أو بدلالته أو بإشارته . وإنما اختلفوا فيما عدا هذه الأمور على مذاهب ثلاثة :

أحدها : أنه ممنوع مطلقاً صيد لأجله أولا . وحكى هذا عن بعض السلف، ومنهم ابن عمر وطاؤس ، وجابر بن زيد ، والثورى، وابن راهويه . ودليله حديث الصعب بن جثامة وعموم الآية الكريمة .

الثانى : إن صاده أو صيد لأجله سواء كان بإذنه أو بغير إذنه ، وهذا مذهب مالك والشافعى وأحمد ، ودليله حديث الصعب بن جثامة .

الثالث : إن لم يكن بإذنه وإعانته أو دلالته فلا يحرم وإن صيد لأجله ، وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه . وقد حكاه أبو عمر ابن عبد البر ، كما فى

حدثنا : قتيبة نا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب عن جابر عن النبي ﷺ قال : « صيد البر لكم حلال وأنتم حرم ما لم تصيدوه أو يصد لكم » .

" العمدة " (٥ ــ ٦٤) عن عمر، وأبي هريرة، والزبير بن العوام ، وكعب الأحبار، ومجاهد ، وعطاء في روايـة، وسعيد بن جبير. قال الراقم : وكفى بهم قدوة، وإليه ذهب البخاري، والفرق بين الإشارة والدلالة : أن الإشارة في المحسوس والمشاهد ، والدلالة في الغائب الغير المشاهد ؛ كما يقوله صاحب " البحر الرائق " . ويقول بعض علماء اللغة : إن الدلالـة بالفتح في المعاني، وبالكسر في الأعيان .

قوله : عن المطلب. هو : ابن عبد الله بن المطلب المخزومي، وثقه أبو زرعة والدارقطني ، وقال ابن سعد : لا يحتج بحديثه ، وقال في " التقريب ": صدوق كثير التدليس والإرسال . قال أبو حاتم : ولم يسمع من جابر . وقال ابن أبي حاتم : يشبه أن يكون سمع منه ، كما في " الخلاصـة " ووافق الترمذي أبا حاتم، فإذن الحديث عندهم منقطع حيث قال: لا نعرف له سماعاً من جابر ، وليس عندهم في الباب أقوى منه كما قال الشافعي .

قوله : وأنتم حرم . الحرم - بضمتين - جمع حرام ، كردح جمع رداح ، ويقال : رجل حرام ، وامرأة حرام ، قاله في " العمدة " (٥ــ ٥٨) .

قوله : ما لم تصيدوه أو يصد لكم . استدل به الأئمة الثلاثة في عدم جواز الصيد للمحرم إن كان لأجله صاده الحلال . وأجاب الحنفية عن ذلك بوجوه

وفى الباب عن أبى قتادة وطلحة . قال أبو عيسى : حديث جابر حديث مفسر ، والمطلب لا نعرف له سماعاً عن جابر. والعمل على هذا عند بعض أهل العلم ، لا يرون بأكل الصيد للمحرم بأساً إذا لم يصطده أو يصد من أجله .

منها ما قال صاحب " العناية " فى شرح " الهداية " : إن الرواية عند أبى داود والنسائى بالألف " أو يصاد " فليس مجزوماً حتى يصير معطوفاً على الغاية ، بل يصاد معطوفاً على المغيا ، وإذن لا يصح التمسك بهذه الرواية ، كأنه يريد أنه منصوب . وكلمة " أو" معناها: " إلا أن " . والرواية كذلك فى النسخ الموجودة بأيدينا بالألف من " سنن أبى داود " و " النسائى " . نعم فى نسخة " الترمذى " وقع مجزوماً بدون الألف ، وعامة النسخ للترمذى كذلك . وإن كان الرواية بالألف فيحتمل أن يكون مرفوعاً من عطف الجملة على الجملة ، فإذن لا يستقيم الجواب ولا يتم الاستدلال عند وجود هذا الإحتمال .

ومنها : أن اللام ليس فى معنى "لأجلكم" بل هى للتوكيل كما فى قوله : بعت له ثوباً ، واشتريت له لحماً ، وإذا احتمل كلا الوجهين لم يبق حجة فى الحمل على الوجه الأول .

ومنها: ما أجيب عنه: أن "لكم" بمعنى: "إعانتكم" ، أو "إشارتكم" ، ولكن هذا تأويل محض لا يطمئن بمثله القلب .

والجواب عند إمام العصر شيخنا رحمه الله : أن غرض الحديث كما قاله الجمهور ، ولكن ليس الغرض المنع والحرمة ، وإنما الغرض الكراهة فقط ، والنهى من قبيل سد الذرائع ، كما أنه عليه الصلاة والسلام أخذ صيد أبى قتادة بياناً للجواز ، ولم يأخذ صيد صعب بن جثامة لسد الذرائع . وما فى رواية:

قال الشافعي : هذا أحسن حديث روى فى هذا الباب وأقيس . والعمـــل على هذا ، وهو قول أحمد وإسحاق .

عدم أخذ لحم صيد أبى قتادة ، فقد حكم عليه الزيلعى بالوهم .

والوجه فى الجواب : أن فى حديث أبى قتادة وقع : « فنسأل عن ذلك النبى ﷺ ، فقال : هل أشرتم أو أعنتم ؟ قالوا : لا ، قال : فكلوا » ، وكان هذا المحل محل البحث والفحص ، فسأله عن الإشارة والإعانة ولم يسأل عن غيرهما ، فكان كالصريح فى نفى كون الإصطياد لهم مانعاً ، فترك الاستفصال فى وقائع الأحوال ينزل منزلـــة عموم المقال ، كما يقولـــه أبو المعـالى فى "البرهان" ، وحكاه السهيلى فى "الروض الأنف" (٢ ــ ٣٠٣) . فتعارض حديث الإباحة وحديث النهى ، ولكن حديث الإباحة حديث "الصحيحين" ، وحديث المنع حديث السنن . علا أن فيه انقطاعاً ، وفيـه من تكلم فى بعض رجاله ، فالأولى هو ترجيح حديث أبى قتادة بلاريب .

ثم إنه وقع فى رواية "الصحيحين" : « فبينما أنا مع أصحابه يضحك بعضهم إلى بعض فنظرت فإذا أنا بحمار وحش » . فكأن الضحك لأجل أنهم محرمون ، وكأنهم أرادوا أن يفطن له أبو قتادة ليصطاد هو ، فكأن هو اصطاد لأجلهم . قال شيخنا : فهل مثل هذا يدخل فى الإعانة أم لا ؟ قال : لم أجد شيئاً غير أن البخارى يشير فى ترجمة "صحيحه" إلى أنه ليس بإعانة ، وأنه لايلزمهم شئ على ضحكهم ، راجع "العمدة" (٥ ــ ٧١) .

قوله : هذا أحسن حديث . قال شيخنا : والأحسن حديث أبى قتادة وهو حديث "الصحيحين" . أقول : وقد علمت حال إسناده ومافيـــه من المغامز ، فكيف يكون أحسن ؟ والله أعلم .

حدثنا : قتيبة عن مالك بن أنس عن أبي النضر عن نافع مولى أبي قتادة عن أبي قتادة : « أنه كان مع النبي ﷺ حتى إذا كان ببعض طريق مكة تخلف مع أصحاب له محرمين وهو غير محرم، فرأى حماراً وحشياً فاستوى على فرسه ، فسأل أصحابه أن يناولوه سوطه ؟ فأبوا ، فسألهم رمحه ؟ فأبوا عليه ، فأخذ فشد على الحمار فقتله ، فأكل منه بعض أصحاب النبي ﷺ وأبى بعضهم ، فأدركوا النبي ﷺ فسألوه عن ذلك ؟ فقال : إنما هي طعمة أطعمكموها الله » .

حدثنا : قتيبة عن مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي قتادة في حمـــار الوحش مثل حديث أبي النضر، غير أن في حديث زيد بن أسلم : « إن رسول الله ﷺ قال : هل معكم من لحمه شئ ؟ » .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

قوله : وهو غير محرم . ولفظ مسلم في "صحيحه" : « أحرم أصحابي ولم أحرم » ، وقد أشكل مرور أبي قتادة وتجاوزه عن الميقات بلا إحرام على الحنفية والشافعية جميعاً . قال الأثرم : كنت أسمع أصحاب الحديث يتعجبون من حديث أبي قتادة ويقولون : كيف جاز لأبي قتادة أن يجاوز الميقـات غير محرم ؟ ولا يدرون ما وجهه حتى رأيتـه مفسراً في رواية عياض بن عبد الله عن أبي سعيد الخدري ، كما حكاه العيني في "العمدة" (٥ ـــ ٦٧) وقال : روى الطحاوي حديث أبي سعيد الخدري قال : « بعث النبي ﷺ أبا قتادة الأنصاري على الصدقة ، وخرج رسول الله ﷺ وأصحابه وهم محرمون حتى نزلو بعسفان فإذاهم بحمار وحش الخ » ، وهذا أقوى من كل ماقيل في حل هذا الإشكال ، فإنه صرح بـه في نفس الحديث . فما قال القشيري : إنـه لم يكن مريداً للحج أوكان ذلك قبل توقيت المواقيت فغير صحيح ، حيث وقع التصريح على إحرامهم

(باب ما جاء فى كراهية لحم الصيد للمحرم)

حدثنا : قتيبة نا الليث عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله أن ابن

ﷺ من ذى الحليفـة فى عمرة الحديبية فى " صحيح البخارى " ، وكذا ما قال أبو عمر : « كان رسول الله ﷺ وجهه على طريق البحر مخافة العدو » وكذا ما قاله المنذرى : إن أهل المدينة أرسلوه إلى رسول الله ﷺ يعلمونه أن بعض العرب ينوى غزو المدينة . فكل ذلك بمعزل عن الحقيقة . فلا حاجة إلى مثل هذه التوجيهات بعد صحة وجه الجواب فى نفس الحديث .

نعم كان يمكن للحنفيـة أن يقولوا : إن للمدينة ميقاتين : ذا الحليفـة والجحفة ، كما ذكره محمد فى " مؤطئه " ، فالتجاوز عن الأول لا بأس به ، غير أنه إذا تحقق وجه الصواب فى الجواب لم يبق حاجة إلى مثل هذه التكلفات عند أولى الألباب .

ـ: باب ما جاء فى كراهية لحم الصيد :ـ

غرض حديث الباب ما ذهب إليـه بعض السلف من عدم جواز أكل الصيد للمحرم مطلقاً ، فإن لفظ " اللحم " أعم ، وقصة حديث الباب واقعة حجة الوداع ، والحديث يخالف الحجازيين والعراقيين جميعاً .

وأجيب بحمله على سد الذرائع ، ومسألة سد الذرائع من أهم مسائل أصول الفقـه ، والحنفية والشافعية لم يذكروها ، وإنما يذكرها المالكية ، ويتشبث بها ابن تيمية فى كتبه كثيراً . وحقيقته أن لا يكون الحكم منهياً عنه فى الشريعـة ، وإنما ينهى لئلا تتوسل به إلى المنهى عنه . مثل نهى الفاروق وابن مسعود عن التيمم للجنب لكيلا يكون مؤدياً إلى التيمم عند أدنى البرد

عباس أخبره أن الصعب بن جثامة أخبره : « أن رسول الله ﷺ مر به بـ "الأبواء"، أو بـ " ودان" فأهدى له حماراً وحشياً ، فرده عليه ، فلما رأى رسول الله ﷺ في وجهه الكراهية قال : إنه ليس بنا رد عليك ولكنا حرم » .

قال أبوعيسى : هذا حديث حسن صحيح . وقد ذهب قوم من أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم إلى هذا الحديث ، وكرهوا أكل الصيد للمحرم .

وقال الشافعي : إنما وجه هذا الحديث عندنا : إنما رده عليه لما ظن أنه صيد من أجلـه وتركه على التنزه . وقد روى بعض أصحاب الزهري عن الزهري هذا الحديث وقال : أهدى له لحم حمار وحش ، وهو غير محفوظ .

وفي الباب عن علي وزيد بن أرقم .

قوله : فأهدى له حماراً وحشياً . ظاهر هذا اللفظ أنه رده لأجل أنه كان حياً ، ويتبادر من رواية البخاري أيضاً ذلك ، فلم يكن للشافعية فيه دليل أنه كان صاد لأجله ، ولكن مسلماً صرح في إحدى رواياته : « من لحم حمار وحش » ، وفي روايـة : « أهدى رجل حمار وحش » ، وفي روايـة : « عجز حمار وحش يقطر دماً » ، وفي رواية : « أهدى له عضو من لحم صيد » . فهذه الروايات كلها تدل على أن الحمار غير حي ، فلا يمكن الجواب عنها إلا بحمله على أن المنع لسد الذرائع . ولكن قال النووي في شرح " المهذب " (٧ — ٣٢٩) : قال الشافعي : وحديث مالك : « إن الصعب أهدى حماراً » أثبت من حديث من حدث : « إنـه أهدى لحم حمار اهـ » . وقد بسط في شرح " المهذب " الروايات لحديث الباب . وذكر الحافظ في " الفتح " كلام الشافعي في " الأم " أنـه أثبت ، وذكر عن الترمذي : أن لحم حمار وحش غير محفوظ . وراجع " الفتح " فقد استوفى البحث سنداً ومتناً .

(باب ما جاء فى صيد البحر للمحرم)

حدثنا : أبو كريب نا وكيع عن حماد بن سلمـة عن أبى المهزم عن

ــ: باب ما جاء فى صيد البحر للمحرم :ــ

صيد البحر جائز بنص القرآن المقطوع ، قال تعالى : (أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة ، وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرماً ○) . ولعل غرض الإمام الترمذى إدخال ما هو فى حكم صيد البحر من الجراد فى صيد البحر ،وقد دل الحديث على أنه لاجزاء بقتل الجراد،وأنه فى حكم صيد البحر. ومذاهب الأئمة أبى حنيفة ومالك والشافعى: أن فيه الجزاء، قال النووى فى شرح " المهذب " (٧ ــ ٣٣١) : يجب الجـزاء على المحرم بإتلاف الجراد عندنا ، وبه قال عمر وعثمان وابن عباس وعطاء ، قال العبدرى : وهو قول أهل العلم كافة ، إلا أن أبا سعيد الأصطخرى فقال : لاجزاء فيه ، وحكاه ابن المنذر عن كعب الأحبار وعروة بن الزبير قالوا : هو من صيد البحر فلا جزاء فيه آه . وعن أحمد روايتان . قال فى " المغنى " (٣ ــ ٥٣٤) : وروى عن أحمد أنه من صيد البر ، وهو قول الأكثرين آه . ورواية مالك فى " مؤطئه " تدل على رجوع كعب عن قوله ، أنظر " الزرقانى على المؤطأ " (٢ ــ ٣٨٤) .

وبالجملة فالجزاء بقتل الجراد للمحرم هو مذهب الأئمة أبى حنيفة ومالك والشافعى ، وهو إحدى روايتى أحمد ، وهو قول عامة الصحابة والتابعين . والجواب من حديث الباب أنهم اتفقوا على تضعيفه لضعف أبى المهزم ، وكذلك رواية ميمون بن حابان عن أبى رافع عن أبى هريرة .

فحديث الباب عند أبى داود ضعيف . قال أبو داود: وأبو المهزم ضعيف ،

والروايتان جميعاً وهم ، وقال البيهقي وغيره : ميمون بن حابان غير معروف ، حكاه النووي في شرح " المهذب " ، وراجعه للتفصيل (٦ — ٣٣٢) . قال الراقم : وكذلك حديث جابر وأنس مرفوعاً عند ابن ماجه في (باب صيد الحيتان والجراد) من طريق موسى بن محمد بن ابراهيم : « إن الجراد نثرة الحوت في البحر » فضعيف جداً ، وموسى بن محمد متروك ومنكر الحديث ومن أفراد " ابن ماجه " . وللجمهور أثر عمر الفاروق في " مؤطأ مالك " ، قال عمر : « أطعم قبضة من طعام » ، وفيه : « لتمرة خير من جرادة » . ورواه عبد الرزاق في "مصنفه" وابن أبي شيبة في "مصنفه" ، كما في "نصب الراية" (٢ — ١٣٧) .

قال شيخنا رحمه الله : وما في ابن ماجه أن راوياً يقول : فحدثني من رأى الحوت ينثره ، فلا يدل على أن الجرادة من خلق البحر ، فلعلها أخذها من الخارج ، ولم يذكر أحد ممن ألف في الحيوانات بأن الجرادة من حيوانات البحر ، ولعل السمك إن كان بيضه داخل الماء ولد السمك وإن كان خارجه ولد الجراد ، فإذا عاش في البر صار من الحيوان البري . وذكروا أن سقنقور (ريگ ماهی) من نسل السمك ، ومع هذا يعيش في البر آه . قال النووي في شرح " المهذب " (٦ — ٣٢) : ودعوى أنه بحري لاتقبل بغير دليل وقد دلت الأحاديث الصحيحة والإجماع على أنه مأكول ، فوجب جزاؤه كغيره والله أعلم اه .

ثم إن تأويل الحديث بأنه لا دليل فيه على تخصيصه بالإحرام فغير صحيح ، حيث وقع التصريح في رواية أبي داود بالإحرام ، ولفظه : « أصبنا صرماً من الجراد فكان رجل يضرب بسوطه وهو محرم » .

أبي هريرة قال : « خرجنا مع رسول الله ﷺ فى حج أو عمـــرة فاستقبلنا رجل من جراد ، فجعلنا نضربه بأسياطنا وعصينا ، فقال النبي ﷺ : كلوه فإنه من صيد البحر » .

قال أبو عيسى : هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث أبي المهزم عن أبي هريرة . وأبو المهزم اسمه : يزيد بن سفيان ، وقد تكلم فيـــه شعبة ، وقد رخص قوم من أهل العلم للمحرم أن يصيد الجراد فيأكل، وروى بعضهم أن عليه صدقة إذا اصطاده أو أكله .

(باب ما جاء فى الضبع يصيبها المحرم)

حدثنا : أحمد بن منيع نا اسماعيل بن ابراهيم نا ابن جريج عن عبد الله ابن عبيد بن عمير عن ابن أبي عمار قال : « قلت لجابر بن عبد الله : الضبع ،

قوله : رجل بالكسر كسدر جماعة كثيرة من جراد ، وهو اسم جمع .

قوله : بأسياطنا . قال العراقى : كذا سماعنا ، ولا يعرف لغةً ، وإنما جمع سوط : أسواط وسياط بلاهمز ، كما ذكره الجوهرى وغيره ، حكاه السيوطى فى " قوت المغتذى" .

ـــ: باب ما جاء فى الضبع يصيبها المحرم :ـــ

الباب موضوع لبيان إيجاب الجزاء فى الضبع لأنه صيد، والمسألة هذه متفق عليها بين الأئمة الأربعة ، والضبع يقال له بالفارسيـــة : "كفتار" ، وباللغة الأردية: " هندار" وذكروا أنه من أخبث السباع ، ويقال : أنه يحفر حفرة

أ صيد هى ؟ قال : نعم ، قال: قلت: آكلها ؟ قال: نعم، قال. قلت: أ قاله رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم » .

تحت رأس رجل قائم ، فإذا وقع رأسه فى الحفرة قطعه .

والمسألة فى السباع فى كتبنا: أنه لو صالت على المحرم فقتلها المحرم لاشئ عليه ، ولو ابتدأ المحرم بقتلها فعليه الجزاء ، ولا تجاوز الشاة .

والمسألة الثانية التى تعرض إليها فى حديث الباب من جواز أكل الضبع فمحل بيانها كتاب الأطعمة ، وملخص القول فيها : إن الضبع حرام عند مالك وأبى حنيفة ، حلال عند الشافعى وأحمد ، حجة الأولين أحاديث النهى عن كل ذى ناب من السباع وعن كل ذى مخلب من الطير من حديث ابن عباس عند " مسلم " فى الصيد ، ومن حديث خالد بن الوليد عند " أبى داود " فى الأطعمة ، ومن حديث على عند أحمد فى " مسنده " ، ومن حديث أبى ثعلبة الخشنى عند الأئمة الستة ، ومن حديث أبى هريرة عند " مسلم " .

فهذه أحاديث صحاح تدل على أن الضبع حرام ، فإنه ذوناب بلا شك ، ولا عبرة لما يقوله الشوكانى أن لها فكاً وليس بذى ناب . وتؤيد تلك الأحاديث حديث خزيمة بن جزء عند الترمذى وابن ماجه من طريق ابن أبى المخارق فى الأطعمة مرفوعاً : « أو يأكل الضبع أحد فيه خير؟ » . والحديث وإن تكلم فيه المحدثون غير أنه يؤيده أحاديث التحريم من كل ذى ناب . وما قاله مولانا أحمد حسن السنبلى فى حاشية " الهداية " : أن الحديث قوى وعبد الكريم ثقة فوهم ، حيث ظنه ابن مالك الجزرى، والحال أنه عبد الكريم بن أبى المخارق أبو أمية البصرى .

وحجة الآخرين فى الإباحة هذا الحديث حيث صرح بجواز الأكل وأنه

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، وقال علي : قال يحيى بن سعيد : وروى جرير بن حازم هذا الحديث فقال : عن جابر عن عمـر ، وحديث ابن جريج أصح ، وهو قول أحمد واسحاق . والعمل على هذا الحديث عند بعض أهل العلم في المحرم : إذا أصاب ضبعاً أن عليه الجزاء .

صيد ، والصيد مما يؤكل . والجواب من كونه صيداً أن الصيد لا يختص بمأكول اللحم ، قال قائلهم :

صيد الملوك أرانب وثعالب ٭ وإذا ركبت فصيدي الأبطال

وعزاه الإمام الرازي إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنـه ، كما في " نصب الراية " وكفى به حجة ، وأما التصريح بجواز الأكل فقد أطال الإمام فيه أبو جعفر الطحاوي في " مشكل الآثار " كما يقوله شيخنا ، وملخصه : أن الإمام يحيى بن سعيد القطان قال : إن راويه ابن أبي عمار قد أخطأ في رفعه ، وكان هو يرويه موقوفاً على عمر ثم رفعه ، وقد أشار إليـه الترمذي أيضاً عن علي بن المديني عن يحيى بن سعيد ، وابن القيم قد رجح تحريم الضبع في كتابه " إعلام الموقعين " . وما قاله الترمذي : وحديث ابن جريج أصح ، إنما هو قوله وليس من قول يحيى بن سعيد ، قاله شيخنا .

وحديث الباب رواه أبو داود في " سننـه " عن جابر بن عبد الله ، ولفظه : قال : « سألت رسول الله ﷺ عن الضبع ، أصيد هي ؟ قال : نعم ، ويجعل فيه كبش إذا صاده المحرم » . وليس فيه ذكر الأكل ، ويحتمل أن جابراً استنبط جواز الأكل من كونـه صيداً ، وتسامح في الجواب من النسبة إليه ﷺ صراحة ، وأثر الفاروق رواه مالك في " مؤطئه " : « إن عمر بن الخطاب قضى في الضبع بكبش ، وفي الغزال بعنز ، وفي الأرنب بعناق ، وفي

(باب ما جاء فى الاغتسال لدخول مكة)

حدثنا : يحي بن موسى أخبرنى هارون بن صالح نا عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم عن أبيه عن ابن عمر قال : « اغتسل النبى ﷺ لدخول مكة بـ "فخ" » .

قال أبو عيسى : هذا حديث غير محفوظ ، والصحيح ما روى نافع عن ابن عمر : « أنه كان يغتسل لدخول مكة » . وبــه يقول الشافعى : يستحب الإغتسال لدخول مكة .

اليربوع بجفرة » اه .

وما ورد فى بعض طرق حديث الباب خارج الستة : « إن فى قتل الضبع شاة تؤكل » ، فتؤكل الضمير فيه راجع إلى الشاة دون الضبع ، فلا حجة فيه ، قاله شيخنا رحمه الله . قال الحافظ علاء الدين التركمانى فى " الجوهر النقى " (٢ — ٢٢٥) : حديث النهى عن كل ذى ناب من السباع صحيح ثابت مشهور مروى عن عدة طرق ، فلا تعارض به حديث « الضبع صيد » ، لأنه انفرد به عبد الرحمن بن أبى عمار ، وليس هو بمشهور بنقل العلم ، ولا ممن يحتج به إذا خالفه من هو أثبت منه ، كذا قال صاحب "التمهيد"، ثم حكى عن "الإشراف" لابن المنــذر ، قال الأوزاعى : كان العلماء بالشام يعدون الضبع من السباع ، ويكرهون أكلها اه .

—: باب ما جاء فى الاغتسال لدخول مكة :—

أخرج فيه حديث ابن عمــر ، وحديث الباب وإن كان ضعيفاً من هذه الطريق غير أنه أخرج البخارى فى "صحيحه" من حديث ابن عمر ، وفيه : « ثم

وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف فى الحديث ، ضعفه أحمد بن حنبل وعلى بن المدينى وغيرهما ، ولا نعرف هذا مرفوعاً إلا من حديثه .

(باب ما جاء فى دخول النبى صلى الله عليه وسلم) مكة من أعلاها وخروجه من أسفلها)

حدثنا : أبو موسى محمد بن المثنى نا سفيان بن عيينة عن هشام بن عروة

يبيت بذى طوى ثم يصلى به الصبح ويغتسل لأن ابن عمر كان يغتسل ويحدث أن نبى الله ﷺ كان يفعل ذلك » . قال فى " العمدة " (٤ — ٥٧١) : قال ابن المنذر : الإغتسال لدخول مكة مستحب عند جميع العلماء إلا أنه ليس فى تركه عامداً عندهم فدية ، وكان ابن عمر يتوضأ أحياناً ويغتسل أحياناً ، وأوجبه على الظاهر فرضاً من يزيد الإحرام ، والأمة على خلافهم . . . . والغسل لدخول مكة ليس لكونها محرماً وإنما هو لحرمة مكة ، أفاد ذلك الشافعى فى " الأم " اه ملتقطاً . وقال ابن الهمام فى " الفتح " : ويستحب للحائض والنفساء كما فى غسل الإحرام اه . وعند المالكية : هذا الغسل للطواف فيندب لغير حائض ونفساء ، وهما لا يدخلان المسجد ويغتسلان للإحرام والوقوف ، كما قاله الزرقانى فى شرح " المؤطأ " .

والفخ - بفتح الفاء وتشديد الخاء المعجمة - : موضع بقرب مكة .

ـــ: باب ما جاء فى دخول النبى صلى الله عليه وسلم مكة من أعلاها وخروجه من أسفلها :ـــ

أعلى مكة هو الجانب الشرقى ، ويسمى : كداء ، وثنية كداء ، بفتح

عن أبيه عن عائشة قالت: « لما جاء النبي ﷺ إلى مكة دخلها من أعلاها وخرج من أسفلها » .

وفي الباب عن ابن عمر. قال أبو عيسى: حديث عائشة حديث حسن صحيح.

(باب ما جاء في دخول النبي ﷺ مكة نهاراً)

حدثنا : يوسف بن عيسى نا وكيع نا العمري عن نافع عن ابن عمر :

الكاف والمد ، وهو بقرب الحجون وبقربها: خيف بني كنانة المسمى بالأبطح، والبطحاء ، والمحصب ؛ والغربي هو: ثنية كدى، بالضم والقصر، كما هو الأشهر، كما في " العمدة " وغيرها ، وتسمى اليوم : " كداء المعلاة " ، و " كدى/المسفلة " .

قال العيني في " العمدة " (٤ — ٥٧٣) : وفيه استحباب الدخول إلى مكة من الثنية العليا والخروج من السفلى سواء فيه الحاج والمعتمر ومن دخلها بغير إحرام . وفيه استحباب الخروج من أسفل مكة للخارج منها ، سواء خرج للوقوف بعرفة أو غير ذلك اه .

قال ابن الهمام في " الفتح " (٢ — ١٤٧) : وإنما سن لأنه يكون في دخوله مستقبل باب البيت ، وهو بالنسبة إلى قاصد البيت كوجه الرجل بالنسبة إلى قاصده ، وكذا تقصد كرام الناس اه .

وحديث الباب حديث " الصحيحين" ، وكذا حديث ابن عمر المشار إليه في الباب رواه الشيخان .

—: باب ما جاء في دخول النبي صلى الله عليه وسلم مكة نهاراً :—

يستحب دخول مكة نهاراً عند الجمهور ، وهو مذهب أبي حنيفة

« إن النبي ﷺ دخل مكة نهاراً » .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن .

(باب ما جاء في كراهية رفع اليد عند رؤية البيت)

حدثنا : يوسف بن عيسى نا وكيع نا شعبة عن أبي قزعة الباهلي عن المهاجر المكي قال : « سئل جابر بن عبد الله : أيرفع الرجل يديه إذا رأى البيت؟ فقال : حججنا مع رسول الله ﷺ أفكنا نفعله ؟ » .

رحمه الله ، وربما يكون دخوله ﷺ نهاراً ليشاهدوا مناسك الحج ويتعلموها رأى العين ، وذكره عطاء كما في " فتح الباري " وقال : ليراه الناس اهـ . وفي المختار : ولا يضره ليلاً دخل مكة أو نهاراً كغيرها من البلاد . ودخول النبي ﷺ مكة ليلاً لم يعلم إلا في الجعرانة ، وهو أنه ﷺ أحرم منها ودخل مكة ليلاً فقضى أمر العمرة ثم رجع ليلاً ، فأصبح بالجعرانة كبائت كما في الحديث .

والعمري في الإسناد هو : عبيد الله بن عمر العمري ، ثقة ثبت ، ويحتمل أن يكون أخاه : عبد الله بن عمر العمري ، وهو ضعيف إلا في نافع ، كما في " الميزان " و " التهذيب " وهنا كذلك . ومسألة الباب ثبت من حديث ابن عمر في الصحيح أيضاً .

ـــ: باب ما جاء في كراهية رفع اليد عند رؤية البيت :ـــ

قوله : أفكنا نفعله ؟ ! الهمزة للإنكار ، وفي روايـة النسائي : « فلم نكن نفعله » ، وعند أبي داود : « فلم يكن يفعله » . فدل الحديث على عدم الرفع

قال أبو عيسى : رفع اليدين عند رؤية البيت إنما نعرفه من حديث شعبة عن أبي قزعة ، واسم أبي قزعة : سويد بن حجر .

عند رؤية البيت ، وقد اختلفت الآراء كما اختلفت الروايات ، فيكره عند أبي حنيفة رحمه الله ، فقال في " اللباب " وشرحه للقاري : ولا يرفع يديه عند رؤية البيت أي ولو حال دعائه ، لعدم ذكره في المشاهير من كتب الأصحاب ، كـ " القدوري " و " الهداية " و " الكافي " و " البدائع " ، بل قال السروجي : المذهب تركه ، وكلام الطحاوي في شرح " معاني الآثار " صريح أنه يكره الرفع عند أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد ، وقيل يرفع ، ونقل عن جابر رضي الله عنه : أن ذلك من فعل اليهود ، وسماه البصروي مستحباً الخ ، وقال الزيلعي في " نصب الراية " (٢ ـ ٣٧) : وروى الشافعي أخبرنا سعيد بن سالم عن ابن جريج : « إن النبي ﷺ كان إذا رأى البيت رفع يديه وقال : اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً وتكريماً وبراً » وهذا معضل .

قال : الشافعي : ولست أكره رفع اليدين عند رؤية البيت ولا أستحبه ولكنه عندي حسن اه . وفي " فتح القدير " : وعن عطاء : « أنه ﷺ كان يقول إذا لقي البيت : " أعوذ برب البيت من الكفر والفقر ومن ضيق الصدر وعذاب القبر " ويرفع يديه اه » . أقول : وهذا مرسل ، ويحتمل أن يكون المراد الرفع عند استلام الحجر .

وبالجملة فالمذاهب ما قاله الطيبي : وذهب مالك وأبو حنيفة والشافعي إلى هذا ، وقال أحمد وسفيان الثوري : يرفع اليدين من رأى البيت ويدعو اه .

قال الراقم : وقد وقع في عدة من طرق أحاديث رفع الأيدي في سبعة مواطن من رواية ابن عباس وابن عمر « . . . وإذا رأى البيت» ، وانظر لمزيد

(باب ما جاء : كيف الطواف ؟)

حدثنا : محمود بن غيلان نا يحيى بن آدم نا سفيان عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر قال : « لما قدم النبي ﷺ مكة دخل المسجد فاستلم الحجر ثم

التفصيل " نصب الراية " (١ — ٣٩٠ وما بعدها) لتلك الروايات ، وقد أسند أيضاً حديث الشافعي ذاك المعضل من طريق البيهقي ، وزال إعضاله .
وأما رفع اليدين عند استلام الحجر فذهب إليه الحنفية في جميع أشواط الطواف، ولكن الرفع في ابتداء الاستلام مثل رفع اليدين عند التكبير حذاء منكبيه ، وفي بقية الأشواط الرفع بدل عن الإستلام إذا لم يمكنه لأجل الزحام ، فيرفع يديه مشيراً بهما إليه كأنه واضع يديه عليه .

وحديث الباب ضعفه الثوري وابن المبارك وأحمد وغيرهم بمهاجر بن عكرمة ، ولكن وثقه ابن حبان ، وفي " التقريب" : إنه مقبول ، وسويد ابن حجير - بتقديم المهملة مصغراً - أيضاً ثقة ، فالحديث على الأقل حسن .

ـــ: ما جاء : كيف الطواف ؟ :ـــ

كيفية الطواف المذكور في حديث الباب : بأن تكون البداءة من استلام الحجر الأسود، ثم الطواف عن يمين الطائف وجعل البيت عن اليسار، ويسمى بالتيامن إلى آخر ما في الحديث متفق بين الأمة والأئمة ، وإن كان هناك اختلاف بين الأئمة في حكم البداءة من الحجر وفي التيامن وغيرهما محل تفصيله كتب المناسك وكتب الفقه .

قوله : المسجد . أي المسجد الحرام . وقوله : « فاستلم الحجر» أي الحجر

مضى على يمينه فرمل ثلاثاً ومشى أربعاً ، ثم أتى المقام فقال : (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ○) ، فصلى ركعتين ، والمقام بينه وبين البيت ، ثم أتى

الأسود ، والإستلام افتعال إما من السلام بالفتح أى التحية ، وأهل اليمن يسمون الحجر الأسود بـ : " المحيا " لأن الناس يحيونه بالسلام ، وإما من السلام بالكسر ، واحدتها سلمة بكسر اللام ، وهى الحجارة . ومعنى : استلم أى لمسه ، إما بالقبلة أوباليد ، كما فى معاجم اللغة من " النهاية " و" القاموس " وغيرهما ، وكيفية الإستلام أن يضع كفيه على الحجر ويضع فمه بين كفيه ويقبله من غير صوت إن تيسر التقبيل والوضع وإلا يمسحه بالكف ويقبله ، وإذا لم يمكنه ذلك مسه بشئ ويقبله ، وإذا لم يمكنه ذلك أيضاً فيشير إليه كما أسلفناه ، وسيأتى قريباً مزيد التفصيل فيه .

قوله : فرمل . رمل يرمل رملاً ورملاناً بفتح الراء والميم فيهما ، هو : الإسراع فى المشى مع تقارب الخطى وهز الكتفين دون الوثوب والعدو ليرى من نفسه الجلادة والقوة ، فيرمل فى الثلاثة الأشواط الأول ، ويمشى على هينته وهيئته المعتادة فى بقية الأشواط الأربعة .

قوله : ثم أتى المقام . أى مقام ابراهيم ، وهو الحجر الذى كان يقوم عليه سيدنا ابراهيم عليه السلام حين بناء الكعبة .

قوله : واتخذوا . بكسر الخاء بصيغة الأمر ، وبفتحها بصيغة الماضى ، وبها قرى فى السبعة .

قوله : مصلى . أى موضع الصلاة .

قوله : من شعائر ، جمع شعيرة ، وهى كل ما يجعل علماً لطاعة الله . وحديث الباب أخرجه مسلم ، وحديث ابن عمر أخرجه البخارى ومسلم .

الحجر بعد الركعتين فاستلمه ، ثم خرج إلى الصفا ، أظنه قال : (إن الصفا والمروة من شعائر الله ○) » .

وفى الباب عن ابن عمر . قال أبو عيسى : حديث جابر حديث حسن صحيح . والعمل على هذا عند أهل العلم .

(باب ما جاء فى الرمل من الحجر الى الحجر)

حدثنا : على بن خشرم نا عبد الله بن وهب عن مالك بن أنس عن جعفر ابن محمد عن أبيه عن جابر : « إن النبى ﷺ رمل من الحجر إلى الحجر ثلاثاً ومشى أربعاً » .

ـ: باب ما جاء فى الرمل من الحجر إلى الحجر :ـ

الرمل كان ابتداء تشريعه لإظهار الجلادة والقوة فى عمرة القضاء سنة سبع دفعاً لما كان المشركون يقولون : وهنتهم حمى يثرب ، كما ذكر فى حديث ابن عباس عند الشيخين ، وجلسوا على جبل قعيقعان ليشاهدوا ما كانوا يظنون من ضعفهم ، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يرملوا ثلاثة أشواط ويمشوا ما بين الركنين ، لأن هذه الجهة ما كانوا يرونها من قعيقعان ، فقال المشركون : هؤلاء الذين زعمتم أن الحمى قد وهنتهم هؤلاء أجلد من كذا وكذا ، ثم صار حكم الرمل فى جوانب البيت الأربعة . ثم إن الرمل هو سنة من سنن الحج لا يجوز تركها ، وإليه ذهب عمر وابن مسعود وابن عمر وجمهور الصحابة والتابعين ، وهو مذهب الأئمة الأربعة ، لأنـــه قد ثبت فى حديث جابر فى حجة الوداع بعد فتح مكة ، وقد زالت تلك العلة . فإبقاؤه بعد ذلك دليل على أنه مطلوب تذكيراً لنعمة الله على عزة الإسلام ومجده وعزة المسلمين ومجدهم

وفى الباب عن ابن عمر . قال أبو عيسى : حديث جابر حديث حسن صحيح ، والعمل على هذا عند أهل العلم . قال الشافعى : إذا ترك الرمل عمداً فقد أساء ولاشئ عليه ، وإذا لم يرمل فى الأشواط الثلاثة لم يرمل فيما بقى .

وقال بعض أهل العلم : ليس على أهل مكة رمل ولا على من أحرم منها .

(باب ما جاء فى استلام الحجر والركن اليمانى دون ما سواهما)

حدثنا : محمود بن غيلان نا عبد الرزاق نا سفيان ومعمر عن ابن خيثم

بعد ضعف وهوان ، ويكفى تذليلاً للشيطان بإقامة هذه الذكرى دائماً أبداً . وروى عن ابن عباس : « إنه ليس بسنة ، فمن شاء فعله ومن شاء تركه » ، وروى ذلك عن جماعة من التابعين كما يقوله البدر العينى ، والقوة لما ذهب إليه الجمهور .

ثم إن الرمل سنة فى كل طواف بعده سعى ، ويختص الرمل بالرجال دون النساء ، وإذافات الرمل فى الأشواط الثلاثة الأول لم يتداركه فى الأربعة البقية ، لأن هيئتها السكينة .

قوله : وقال بعض أهل العلم : ليس على أهل مكة رمل ولا على من أحرم منها .

—: باب ما جاء فى استلام الحجر الأسود والركن اليمانى دون ما سواهما :—

الحجر الأسود هو الذى فى ركن الكعبة القريب بباب البيت من جانب

عن أبى الطفيل قال : « كنا مع ابن عباس ومعاوية لا يمر بركن إلا استلمه ، فقال له ابن عباس : إن النبى ﷺ لم يكن يستلم إلا الحجر الأسود والركن اليمانى؟ فقال معاوية : ليس شئ من البيت مهجوراً » .

الشرق ، ويقال له : الركن الأسود ، وارتفاعه من الأرض ذراعان وثلثا ذراع . قال النووى: الحكمة فى كون الركن الذى فيه الحجر الأسود يجمع فيه التقبيل والاستلام كونه على قواعد ابراهيم وفيه الحجر الأسود ، وإن الركن اليمانى اقتصر فيه على الاستلام لكونه على قواعد ابراهيم ولم يقبل، وإن الركنين الغربيين لا يقبلان ولا يستلمان لفقد الأمرين المذكورين فيهما ، كذا فى " العمدة" (٤ — ٦٠٦) .

وفيها أيضاً : ومن الحكمة فى تقبيل الحجر الأسود غير ما ذكر عن على رضى الله عنه : « إن النبى ﷺ أخبر أنه من أحجار الجنة . . . . » ، فإذا كان كذلك فالتقبيل ارتياح إلى الجنة وآثارها .

ومنها : إن النبى ﷺ أخبر : « أنه يمين الله فى الأرض » رواه أبو عبيد فى غريب الحديث . وفى فضائل مكة للجندى من حديث ابن عباس : « إن هذا الركن الأسود هو يمين الله فى الأرض ، يصافح به عباده مصافحة الرجل أخاه » ، ومن حديث الحكم بن أبان عن عكرمة عنه زيادة : « فمن لم يدرك بيعة رسول الله ﷺ ثم استلم الحجر فقد بايع الله ورسوله » ، وفى " سنن ابن ماجه" من حديث أبى هريرة مرفوعاً : « من فاوض الحجر الأسود فكأنما يفاوض يد الرحمن » . وقال المحب الطبرى: والمعنى كونه " يمين الله " ـ والله أعلم ـ : أن كل ملك إذا قدم عليه قبلت يمينه ، ولما كان الحاج والمعتمر أول ما يقدمان يسن لهما تقبيله نزل منزلة يمين الملك ويده ، ولله المثل الأعلى، ولذلك من صافحه كان له عند الله عهد كما إن الملك يعطى العهد بالمصافحة اه .

وفى الباب عن عمر . قال أبو عيسى : حديث ابن عباس حديث حسن صحيح . والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم : أن لا يستلم إلا الحجر الأسود والركن اليمانى .

ثم تقبيل الحجر الأسود سنة ، فإن لم يمكنه ولم يصل إليه استلم بيده وقبل يده، وإليه ذهب الجمهور أبوحنيفة والأوزاعى والشافعى وأحمد، وخالف مالك فى تقبيل اليد فقال : يستلمه ولا يقبل يده ، والأول : هو قول ابن عمر وابن عباس وأبى هريرة وأبى سعيد وجابر وعطاء وابن أبى مليكة وعكرمة وابن جبير ومجاهد وعمرو بن دينار كما ذكره البدر العينى .

وأما الركن اليمانى فيستحب استلامه فقط دون التقبيل ، وعليه الجمهور ، وروى عن محمد بن الحسن تقبيله أيضاً ، وفى " البدائع " : لا خلاف فى أن تقبيله ليس بسنة ، وراجع لمزيد البيان كتب المناسك وكتب الفقه .

وبالجملة ثبت الاستلام للركنين اليمانيين دون الشامى والعراقى الذين يسميان بالشاميين . واليمانى بتخفيف الياء على المشهور، لأن الألف فيه عوض عن ياء النسبة ، فلو شددت يلزم الجمع بين العوض والمعوض ، وجوز سيبويه التشديد وقال : إن الألف زائدة كما زيدت النون فى صنعانى، كما فى "العمدة"، واستشهد سيبويه بقول الشاعر :

يمانياً يظل يشب كيراً ٭ وينفخ دائماً لهب الشواظ

كما ذكره النووى فى حديث : « الإيمان يمان والحكمة يمانية الخ » ، والوجه فى عدم استلام الشاميين لأنهما ليسا بركنين أصليين ، لأن وراء ذلك الحجر وهو من البيت، فلو رفع جدار الحجر وضم إلى الكعبة فى البناء ـ كما كان

على بناء ابراهيم عليه الصلاة والسلام ـ لكان يستلمان ، حكاه العيني عن التيمي في " العمدة " (٤ ــ ٦٢٢) ، ووجه ذلك أنه أصاب الكعبة حريق فتوهنت جدرانهــا فعزم قريش على تجديد بنائها ، فجمعوا نفقات من أموالهم الطيبــة فقصرت نفقتهم عن عمارة البيت كله فتشاوروا ، فأجمع رأيهم على أن يقصروا عن القواعد ويتركوا بقيته ، فتركوا من ورائه ، من فناء البيت في الحجر ، وهو الحطيم ستة أذرع وشبراً ، كما تجدون تفصيل ذلك في " تاريخ مكة " لأبي الوليد الأزرقي (١ ــ ١٠٠ وما بعدها) وفتح القدير (٢ ــ ١٥١) .

والقصة بإجمالها مذكورة في حديث عائشة في " الصحيح " في فضل مكة وبنيانها من كتاب المناسك . فهــذا الحطيم على شكل القوس نصف الدائرة مساحتها ستة وثلاثون ذراعاً ، وذكروا أنه ضيقوا أيضاً شيئاً من عرض البيت في الجانب الغربي ، فقام بعض السلاطين من الشافعيــة فبنى من تلك الجهة قدراً مسنماً من الأرض في أصل جدار البيت ليقع الطواف خارج البيت بيقين ، ويسمى ذلك بالشاذوران ، ومن شاء تفصيل بنائها فليراجع إلى "تاريخ الأزرقي" بتعليقاتها ، وكذلك " مرآة الحرمين" لإبراهيم رفعت باشا .

وقد ذهب معاويـة وابن الزبير وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك من الصحابـة إلى استلام الأركان كلها ، ومذهب عمر وابن عباس أنـه لايستلم إلا اليمانيان ، وعليه الأربعــة ، قال ابن المنذر : قال أكثر أهل العلم : لا يسن استلام الركنين الشاميين ، حكاه البدر العيني . وحديث عمر الذي أشار إليــه الترمذي في الباب رواه ابن أبي شيبة في " مصنفه " من حديث ابن أبي ليلى عن عطاء عن يعلى بن أمية ، ذكره العيني في " العمدة " (٤ ــ ٦٢٢) فراجعه فقد خفي على صاحب " تحفة الأحوذي " فقال : لم أقف على حديث عمر .

(ما جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم طاف مضطبعاً)

حدثنا : محمود بن غيلان نا قبيصة عن سفيان عن ابن جريج عن عبد الحميد عن ابن يعلى عن أبيه : « إن النبي ﷺ طاف بالبيت مضطبعاً وعليه برد » .

—: باب ما جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم طاف مضطبعاً :—

أخرج فيه حديث ابن يعلى وهو صفوان ، كما ذكره ابن عساكر والمزى فى أطرافهم عن أبيه يعلى بن أمية التميمى ، وورد فيه " الاضطباع " وهو افتعال من " الضبع " ، وهو وسط العضد ، والطاء بدل من تاء الافتعال ، فإنها تبدل طاءً إذا وقعت أثر حرف إطباق .

والإضطباع المذكورهنا أن يجعل رداءه تحت إبطه الأيمن ويلقى طرفه أو طرفيه على كتفه الأيسر ، ويكون المنكب الأيمن مكشوفاً على هيئة أرباب الشجاعة إظهاراً للجلادة فى ميدان العبادة ، مثل حكمة الرمل . وهو سنة فى كل طواف بعده سعى مثل رمل الطواف ، كطواف القدوم والعمرة وطواف الزيارة على تقدير تأخير السعى ، وبفرض أنه لم يكن لابساً ، فالإضطباع فى حال بقاء الإحرام أو زى الإحرام ، وهو سنة أومستحب عند الثلاثة خلافاً لمالك ، فلايستحب عنده .

وكيفية الإضطباع مذكورة فى حديث ابن عباس مرفوعاً عند أبى داود فى عمرة الجعرانة ، وحسنه المنذرى كما قاله الزيلعى . وينبغى أن يضطبع قبل الشروع فى الطواف بقليل ، هذا ملخص شروح الحديث والفقه وكتب المناسك .

قوله : " وعليه برد " . وعند أبى داود : « ببرد أخضر » ، وعند أحمد :

قال أبو عيسى : هذا حديث الثورى عن ابن جريج لا نعرفه إلا من حديثه ، وهو حديث حسن صحيح ، وعبد الحميد هو : ابن جبير بن شيبة عن أبي يعلى عن أبيه ، وهو : يعلى بن أمية .

(باب ما جاء فى تقبيل الحجر)

حدثنا : هناد ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن ابراهيم عن عابس بن ربيعة قال : رأيت عمر بن الخطاب يقبل الحجر ويقول : إنى أقبلك وأعلم أنك حجر ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ يقبلك لم أقبلك » .

« يبرد له حضرمى » . والحديث أخرجه ابن أبي شيبة كما فى الزيلعى .

-: باب ما جاء فى تقبيل الحجر :-

أخرج فيه حديث عمر الفاروق رضى الله عنه ، وقد اتفق على تخريجه الشيخان بسياق أوفى من سياق الترمذى ، وفى لفظ "للبخارى" : « والله إنى لأعلم أنك حجر لاتضر ولا تنفع » ، قال الخطابى : كان عمر رضى الله عنه طلوباً للآثار بحوثاً عنها وعن معانيها ، لما رأى الحجر يستلم ولا يعلم فيه سبباً للحس أويتبين للعقل ترك فيه الرأى وصار إلى الاتباع ، ولما رآى الرمل قد ارتفع سببه الذى كان قد أحدث من أجله فى الزمان الأول هم بتركه ثم لاذ بإتباع السنة متبركاً به ، وقد يحدث شئ من أمر الدين بسبب من الأسباب فيزول ذلك السبب ولايزول حكمه . كالعرايا والاغتسال للجمعة اه . حكاه فى " العمدة " (٤ — ٦١٨) .

وفى " العمدة " (٤ — ٦٠٨) : وفيه فى قول عمر رضى الله عنه :

وفى الباب عن أبى بكر وابن عمر . قال أبو عيسى : حديث عمر حديث حسن صحيح . والعمل على هذا عند أهل العلم ، يستحبون تقبيل الحجر ، فإن لم يمكنه أن يصل إليه استلمه بيده وقبل يده ، وإن لم يصل إليه استقبله إذا حاذى به وكبر ، وهو قول الشافعى .

التسليم للشارع فى أمور الدين وحسن الاتباع فيما لم يكشف عن معانيها ، وقال الخطابى : فيه تسليم الحكمة وترك طلب العلل وحسن الاتباع فيما لم يكشف لنا عنه من المعنى ، وأمور الشريعة على ضربين : ما كشف عن علته ومالم يكشف ، وهذا ليس فيه إلا التسليم آه . وفيها (٤ — ٦٠٦) عن أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى : إنما قال ذلك لأن الناس كانوا حديثى عهد بعبادة الأصنام ، فخشى عمر أن يظن الجهال بأن استلام الحجر هو مثل ما كانت العرب تفعله ، فأراد عمر أن يعلم أن استلامه لايقصد به إلا تعظيم الله عزوجل ، والوقوف عند أمر نبيه ﷺ ، وإن ذلك من شعائر الحج التى أمر الله بتعظيمها ، وإن استلامه مخالف لفعل الجاهلية فى عبادتهم الأصنام لأنهم كانوا يعتقدون أنها تقربهم إلى الله زلفى ، فنبه عمر على مخالفة هذا الاعتقاد ، وإنه لاينبغى أن يعبد إلا من يملك الضرر والنفع ، وهو الله جل جلاله .

وقال المحب الطبرى : إن قول عمر لذلك طلب منه للآثار وبحث عنها وعن معانيها ، قال : ولما رأى الحجر يستلم ولا يعلم له سبب يظهر للحس ولا من جهة العقل ترك فيه الرأى والقياس وصار إلى محض الاتباع كما صنع فى الرمل اه . ثم ذكر كلام الخطابى بمثل ما مر سابقاً ، وزاد فيه : ومن المعلوم أن تقبيل الحجر إكرام وإعظام لحقه ، قال : وفضل الله بعض الأحجار على بعض كما فضل بعض البقاع على بعض وبعض الليالى والأيام على بعض اه .

وفى حديث أبى سعيد رواه الحاكم : « حججنا مع عمر فلما دخل الطواف

استقبل الحجر فقال : إنى أعلم أنك حجر لاتضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ قبلك ما قبلتك ، ثم قبله ، فقال على رضى الله عنه : إنه يضر وينفع ، قال : بم ؟ قال : بكتاب الله عزوجل : (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى ○) وذلك أن الله لما خلق آدم مسح يده على ظهره فقررهم بأنه الرب وأنهم العبيد وأخذ عهودهم ومواثيقهم وكتب ذلك فى رق ، وكان لهذا الحجر عينان ولسان ، فقال : افتح ؟ ففتح فاه ، فألقمه ذلك الرق ، فقال : اشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة ، وإنى أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول : « يؤتى يوم القيامة بالحجر الأسود وله لسان ذلق يشهد لمن استلمه بالتوحيد ، فهو يا أمير المؤمنين يضر وينفع ، فقال عمر : أعوذ بالله من قوم لست فيهم يا أبا الحسن » ، وفى سنده أبو هارون عمارة بن جوين ضعيف ، ورواه الأزرقى ولفظه : « أعوذ بالله أن أعيش فى قوم لست فيهم » . حكاه فى " العمدة " والزيلعى فى " نصب الراية " (٣ — ٣٨) .

قال الراقم : وأبو هارون العبدرى شيعى ، ومنهم من كذبه ، وضعفه شعبة ، وروى عن سفيان والحمادان ، وهو من رجال الترمذى وابن ماجه .

قال الراقم : وفضل الحجر الأسود والأحاديث فيه كثيرة ، وقد أسلفنا عدة منها ، وفيه غيرها فى " زوائد الهيثمى " (٣ — ٢٤٢) . فالحكمة فى التقبيل جلية مستفادة من تلك الأخبار . ومنشأ قول الفاروق هو كما تقدم من قول أبى جعفر الطبرى والمحب الطبرى والخطابى ، فالحجر الأسود من حيث أنه حجر لا ينفع ولا يضر ، ولكنه جعله الله سبحانه من مناسك الحج وتقبيله من المشاعر ، وكان من ذوق الفاروق سد الذرائع وحسم مادة الأوهام واستئصال شأفة التعلل ، كما كان من ذوق المرتضى إبداء الأسرار وكشف الحقائق فى المسائل

(باب ما جا أنه يبدأ بالصفا قبل المروة)

حدثنا : ابن أبي عمر نا سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر : « إن النبي ﷺ حين قدم مكة فطاف بالبيت سبعاً وأتى المقام فقرأ : (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى ○) فصلى خلف المقام ثم أتى الحجر فاستلمه ثم قال : نبدأ بما بدأ الله بـــه ، فبدأ بالصفا وقرأ : (إن الصفا والمروة من شعائر الله ○) » .

وبيان الغوامض والله أعلم .

وحديث ابن عمر فى الباب أخرجه البخارى فى (باب تقبيل الحجر) ، وحديث أبى بكر أخرجـه ابن أبى شيبة فى " مسنده " كما فى " نصب الراية " (٣ ـــ ٣٩) و" فتح القدير " (٢ ـــ ١٤٩) . أقول : وفى الباب عدة أحاديث أخر فى " زوائد الهيثمى " (٣ ـــ ٢٤١) .

ـــ: باب ما جاء أنه يبدأ بالصفا قبل المروة :ـــ

حديث الباب قطعة من حديث جابر الطويل الذى أخرجه مسلم وأبو داود بطوله ، وقد تقدم شرح بعض كلماته .

والشعائر هى : الأعلام التى جعلها الله علامات وأمارات لطاعته وتذكاراً لخلص عباده ، وتلائم ترجمتها باللغة الأردويـــة أن تكون : « يادگارين » ، فالمطاف ومقام ابراهيم والمسعى والصفا والمروة والمنحر والجمرات ومزدلفـــة والموقف كلها من شعائر الله ، أوجب الله على عباده تعظيمها ومناسك مخصوصة تقضى بها ، ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب . أنظر " العمدة " (٤ ـــ ٤٥٥) .

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. والعمل على هذا عند أهل العلم: إنه يبدأ بالصفا قبل المروة، فإن بدأ بالمروة قبل الصفا لم يجزه، ويبدأ بالصفا. واختلف أهل العلم فى من طاف بالبيت ولم يطف بين الصفا والمروة حتى رجع، فقال بعض أهل العلم: إن لم يطف بين الصفا والمروة حتى خرج من مكة فإن ذكر وهو قريب منها رجع فطاف بين الصفا والمروة، وإن لم يذكر حتى أتى بلاده أجزأه وعليه دم. وهو قول سفيان الثورى. وقال بعضهم: إن ترك الطواف بين الصفا والمروة حتى رجع إلى بلاده فإنه لايجزؤه، وهو قول الشافعى، قال: الطواف بين الصفا والمروة واجب لا يجوز الحج إلا به.

وفى الباب مسألتان:

الأولى: مسألة السعى بين الصفا والمروة، والثانية: البداءة بالصفا، فالأولى: قال العراقى فى شرح "الترمذى": اختلفوا فيها على ثلاثة أقوال:

أحدها: إنه ركن لايصح الحج إلابه، وهو قول ابن عمر وعائشة وجابر، وبه قال الشافعى ومالك فى المشهور عنه وأحمد فى أصح الروايتين واسحاق وأبى ثور.

والثانى: إنه واجب يجبر بدم، وبه قال الثورى وأبو حنيفة ومالك فى "العتبية" كما حكاه ابن العربى.

والثالث: إنه ليس بركن ولا واجب بل هو سنة ومستحب، وهو قول ابن عباس وابن سيرين وعطاء ومجاهد وأحمد فى رواية، انتهى ملخصاً من "العمدة" (٤ — ٤٥٨). وقال فى "العمدة" أيضاً: ونقل المروزى عن أحمد: أنه مستحب، واختار القاضى وجوبه وانجباره بالدم، وقال ابن قدامة: وهو أقرب إلى الحق.... قال: وذكر ابن القصار عن القاضى اسمعيل أنه ذكر

(باب ما جاء فى السعى بين الصفا والمروة)

حدثنا : قتيبة نا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن طاوس عن ابن عباس

عن مالك فيمن تركه حتى تباعد وأصاب النساء أنه يجزيه ويهدى اه . فعلم من هذا أن الوجوب قول وسط فى الباب، واختاره من كبار المالكية والحنابلة طائفة ، وهو قول فى مذهب مالك وأحمد ، وعن أحمد ثلاث روايات فى الباب.

ثم إن العمرة فالسعى عند أبى حنيفة أيضاً ركن فيها .

والثانية: إن الترتيب أى البداءة من الصفا والختم بالمروة شرط عند أبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد والأوزاعى ، كما قاله ابن قدامة فى " المغنى " (٣ — ٤٠٦) ، قال ابن الهمام فى " الفتح " : لوافتتح بالمروة لم يعتبر ذلك الشوط إلى الصفا ، وهذا لأن ثبوت شرط الواجب بمثل ما يثبت به أقصى حالاته ، وهو مما يثبت بالآحاد ، فكذا شرطه . وفى " العمدة " نقلاً عن " المحيط " بواسطة " التوضيح " : لوبدأ بالمروة وختم بالصفا أعاد شوطاً ولا يجزيــه ذلك ا هـ . ويشترط لصحة السعى أن يكون بعد طواف صحيح سواء كان بعد طواف قدوم أو إفاضة ، والأفضل للمفرد أن يكون عقيب طواف الإفاضة ، وشرط جواز السعى أن يكون بعد طواف أو أكثره كما فى " البدائع " ، وراجع لبقية مسائل السعى كتب الفقه والمناسك ، والقارى فى شرح المناسك قد بسط الكلام فى أن البداءة من الصفا هل هو شرط أو واجب ؟ فراجعــه وراجع " العمــدة " (٤ — ٦٦٠) .

—: باب ما جاء فى السعى بين الصفا والمروة :—

حديث ابن عباس فى الباب حديث " الصحيحين " ، وعلم منه علــة

قال : « إنما سعى رسول الله ﷺ بالبيت وبين الصفا والمروة ليرى المشركين قوته » .

قال : وفى الباب عن عائشة وابن عمر وجابر. قال أبو عيسى : حديث ابن عباس حديث حسن صحيح، وهو الذى يستحبه أهل العلم : أن يسعى بين الصفا والمروة ، فإن لم يسع ومشى بين الصفا والمروة رأوه جائزاً .

السعى ، والمراد منه السعى أى الإسراع فى المشى فى الموضع المعين فى قطعة من المسعى بين الميلين الأخضرين الذى كان يسمى ببطن المسيل وبطن الوادى ، وهذه العلة مثل ما ذكر من العلة فى الرمل والاضطباع ، وقول ابن عباس: إنما سعى، وقوله "ليرى المشركين قوته" فيه حصر السبب فيما ذكره على ما هو المشهور فى إنما من إفادة الحصر كما قاله البدر العينى، وقال العينى : وقد جاء عن ابن عباس سبب آخر وهو سعى أبينا ابراهيم عليه السلام ، فيجوز أن يكون هو المقتضى لمشروعية الإسراع على ما رواه أحمد فى " مسنده " من حديث ابن عباس قوله : « قال : إن ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما أمر بالمناسك عرض له الشيطان عند السعى فسبقه فسابقه ابراهيم عليه الصلاة والسلام » .

وقد ورد أيضاً سبب آخر وهو سعى هاجرة عليها السلام على ما صرح به البخارى عن ابن عباس ، وفيه : فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها وسعت سعى إنسان مجهود حتى جاوزت الوادى، وفيه : ففعلت ذلك سبع مرات، قال ابن عباس : قال النبى ﷺ : « فلذلك سعى الناس بينهما » فإن كان المراد بقوله: "فلذلك سعى الناس بينهما" : الإسراع فى المشى ، فهذه العلة من نص الشارع ، فهى أولى ما يعلل به السعى ، وإن أراد بالسعى مطلق الذهاب فلا، ويدل عليه رواية الأزرق، فلذلك طاف الناس بين

حدثنا : يوسف بن عيسى نا ابن فضيل عن عطاء بن السائب عن كثير ابن جمهان قال : « رأيت ابن عمر يمشى فى المسعى، فقلت له: أتمشى فى المسعى بين الصفا والمروة ؟ قال : لئن سعيت فقد رأيت رسول الله ﷺ يسعى ، ولئن مشيت فقد رأيت رسول الله ﷺ يمشى وأنا شيخ كبير » .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح . وقد روى سعيد بن جبير عن ابن عمر نحو هذا .

الصفا والمروة والله أعلم اه كلامه .

قال الراقم : أخرج البخارى ذلك فى كتاب الأنبياء فى ذكر ابراهيم عليه الصلاة والسلام فى " الصحيح" (١ ــ ٤٧٥) . وسياقه صريح فى أن المراد هناك هو المعنى الأول والله أعلم بالصواب .

ثم هذا السعى ـ أى العدو وإسراع المشى فى بطن المسيل ـ مستحب فى الأشواط السبعة للرجال عند الجمهور أبى حنيفة والشافعى وأحمد ، وفى رواية عن مالك، وواجب عنده فى روايـة ، ويجب بتركه الدم على هذه الرواية . وحديث ابن عمر فى الباب حجة للجمهور، ورواه أبو داود وابن ماجه . قال ابن قدامة : ولأن ترك الرمل فى الطواف لا شيئ فيه ، فبين الصفا والمروة أولى اه . كما فى " المغنى" و " الشرح الكبير" (٣ ــ ٤٠٧) ، وحديث عائشة وابن عمر أخرجها الشيخان ، وحديث جابر أخرجه مسلم، وما يقوله صاحب" التحفة" : وأما حديث ابن عمر فأخرجه الترمذى فى هذا الباب، فأرى أنه ليس بصواب، لأن المتبادر حديث ابن عمر الذى لم يخرجـه فى الباب ، ولا معنى فى الإشارة إليه فى الباب ثم إخراجـه ، وهكذا يقع الالتباس إذا كان فى الباب حديثان أو

(باب ما جاء في الطواف راكباً)

حدثنا : بشر بن هلال الصواف نا عبد الوارث وعبد الوهاب الثقفي عن خالد الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس قال : « طاف النبي ﷺ على راحلته فإذا انتهى إلى الركن أشار إليه » .

أحاديث لواحد من الأصحاب، فحديث ابن عمر عندهما من طريق عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر: « إن رسول الله ﷺ كان إذا طاف بالبيت الطواف الأول خب ثلاثاً ومشى أربعاً ، وكان يسعى ببطن المسيل إذا طاف بين الصفا والمروة » . وفيـــه التصريح بالسعي بمعنى العدْو في بطن الوادي . وفي الباب أحاديث غيرها رواها البدر العيني في " العمدة " (٤ ـــ ٦٢٠) .

ـــ: باب ما جاء في الطواف راكباً :ـــ

حديث ابن عباس في الباب أخرجـــه الشيخان وبقية السنن ، وفي لفظ عندهم التصريح باستلام الركن بالمحجن ، والركن هو الحجر الأسود ، وبلفظ حديث الباب أخرجه البخاري في " صحيحه" في (باب المريض يطوف راكباً) من طريق الترمذي ، وكذا في باب آخر قبله ، فقوله : " أشار إليه " أي بالمحجن كما في لفظ الشيخين وغيرهم، وكان يقبل المحجن كما في رواية أبي الطفيل عند مسلم وأبي داود وابن ماجه . وحديث الباب وقع فيه طوافه ﷺ في حجة الوداع راكباً على البعير ، كما في لفظ البخاري وغيره، وكان ذلك لعذر، صرح به في روايـــة جابر عند مسلم وأبي داود والنسائي ، ففيه : « لأن يراه الناس أو يشرف وليسألوه فإن الناس غشوه » ، وورد في حديث ابن عباس آخر عند

وفى الباب عن جابر وأبى الطفيل وأم سلمة . قال أبو عيسى: حديث ابن عباس حديث حسن صحيح، وقد كره قوم من أهل العلم أن يطوف الرجل بالبيت وبين الصفا والمروة راكباً إلا من عذر، وهو قول الشافعى .

أبى داود وأحمد : « قدم مكة وهو يشتكى فطاف على راحلته » ولكن فيه يزيد ابن أبى زياد الهاشمى المتكلم فيه ، فالراجح هو السبب الأول .

ثم إن الطواف ماشياً غير راكب واجب عند أبى حنيفة ومالك إلالعذر، فإن كان لعذر أجزأه ولاشئ عليه ، وإن كان لغير عذر فعليه دم ، كما فى " العمدة " (٤ — ٦٢٠) . ومذهب الشافعى وأحمد : أنه مستحب ، وجزم جماعة من الشافعية بكراهة الطواف راكباً من غير عذر، منهم الماوردى والبندينجى وأبو الطيب والعبدرى، كما ذكره البدر العينى .

وعندنا معاشر الحنفية ستة واجبات فى المناسك لادم على تركها بعذر ، وهى : (١) ترك الوقوف بمزدلفة . (٢) تأخير طواف الزيارة عن وقته . (٣) ترك الصدر للحيض والنفاس . (٤) ترك المشى فى الطواف . (٥) السعى (٦) الحلق لعلة فى رأسه ، كما فى " رد المحتار " . وجمعها شيخنا رحمه الله فى شعره فى بيتين فقال :

حلق وسعى ومشى عند طوفهما * صدر وجمع وزور قبل إمساء
من واجبات ولكن حيث ما تركت * بالعذر فيها فقد قالوا بإجزاء

والإمساء أى: قبل مساء الثانية عشر من ذى الحجة (١) . وما عدا هذه

---

(١) الشطر من البيت الثانى لم يكن فى " العرف الشذى " وكملته من حفظى بالظن .

الستة فقد اختلفت عبارات الفقهاء فيه، فيفيد بعضها عدم وجوب الدم وبعضها يفيد، والله أعلم .

قال شيخنا رحمه الله : إن جميع أطوفة النبى ﷺ بعد الهجرة ستة : (١) طواف فى عمرة القضاء . (٢) طواف فى فتح مكة بلا إحرام لعمرة . (٣) طواف فى عمرة الجعرانة . وثلاثة فى حجة الوداع، فالكل ستة . وهذه الثلاثة فى حجته متفق عليها ، غير أن هناك اختلافاً فى تخريجها .

فالأول عند أبى حنيفة للعمرة . وعند الشافعية للقدوم . والثانى للزيارة . والثالث للصدر اتفاقاً . فطواف العمرة دخل عندهم فى طواف الحج، وعندنا ترك طواف القدوم . وأما ما عدا هذه الستة فأشار إليها البخارى فى "صحيحه" فى (باب الزيارة يوم النحر) بصيغة التمريض تعليقاً : ويذكر عن أبى حسان عن ابن عباس : « إن النبى ﷺ كان يزور البيت أيام منى » ، وكأنه يشير إلى تضعيفه ، وهذا التعليق وصله البيهقى كما فى "العمدة" (٤ ـــ ٧٤٦) ، ورواه الطبرانى من طريق قتادة عنه ، وله شاهد مرسل عند ابن أبى شيبة : « إن النبى ﷺ كان يفيض كل ليلة يعنى ليالى منى اهـ » .

وبالجملة الظاهر أنه طاف أطوفة عديدة فى مبيته ﷺ بمنى ليالى، غير أنه لم يدر عددها . ثم إن الطواف فى عمرة القضاء وطواف الزيارة فى حجته كان راكباً ، وطواف عمرة الجعرانة وطواف الوداع كان ماشياً ، كما فى كتب السير . وذكر الواقدى أن طوافه ﷺ فى فتح مكة أيضاً كان راكباً ، ولكن الواقدى ليس بحجة فى رواية الحديث، تكلموا فيه، قاله شيخنا رحمه الله .

واستدل المالكية بأن فى الحديث دلالة على طهارة بول البعير وما يؤكل لحمه ، وهو مذهب أحمد أيضاً ، وذهب أبوحنيفة والشافعى فى آخرين إلى

نجاسته ، كما تقدم بيانه فى أبواب الطهارة ، وما أجاب الحافظ فى " الفتح " (فى الجزء الأول من المساجد) بأن ناقته ﷺ كانت مدربة ومعلمة ، فيؤمن منها ما يحذر من التلويث وهى سائرة اه . فقال شيخنا رحمه الله : ليس بقوى، نعم هناك بحث ، فإن حول البيت كان مطافاً فى عهده ﷺ ولم يكن محاطاً بحائط أو عمارة ، كما فى رواية البخارى فى " صحيحه " فى بنيان الكعبة « لم يكن على عهد النبى ﷺ حول البيت حائط ، كانوا يصلون حول البيت، حتى كان عمر فبنى حولـه حائطاً » ، فإذن لم يكن هناك مسجد بالمعنى المتعارف بل كان مطافاً ، ولكن مع هذا عبر عنه فى التنزيل العزيز بالمسجد الحرام ، فالفقيه له أن يبحث عن حقيقة المسجد فى أن الأرض والعرصة من غير بناء وعمارة ، هل يجرى عليها حكم المسجد ؟ والظاهر أنه يأخذ حكم المسجد ، فإذن نظر المالكية أنفذ ، ومع هذا يكون النظر دائراً، فإن الذى سماه " القرآن الكريم " : مسجداً هل هو البيت فقط ، أو هو مع المطاف حوله ، أوهناك قدر خارج من المسجد من البيت وما حوله المتصل به فى الأصل ، وإن كان أصبح جزءً من المسجد بعد بناء عمر الحائط .

قال الراقم : وقال أيضاً الحافظ فى " الفتح " من الجزء الثالث : طوافه ﷺ وكذا أم سلمة كان قبل أن يحوط المسجد، وإذا حوط المسجد امتنع داخله، إذ لا يؤمن من التلويث ، فلا يجوز بعد التحويط بخلاف ما قبله ، فإنه كان لا يحرم التلويث الخ . وأيضاً قال : واحتمل أن تكون راحلته عصمت من التلويث حينئذ كرامةً ، فلا يقاس غيره عليه اه . وكلام شيخنا رحمه الله أدق نظراً وفقهاً فاقدّره ، والله أعلم .

وقد علم مما أسلفنا من أخرج حديث جابر وأبى الطفيل فى الباب ، وأما حديث أم سلمة فأخرجه الشيخان : البخارى فى المساجد وفى المناسك ، وفيه :

(باب ما جاء في فضل الطواف)

حدثنا : سفيان بن وكيع نا يحيى بن اليمان عن شريك عن أبي إسحاق عن عبد الله بن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « من طاف بالبيت خمسين مرةً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » .

قال : وفي الباب عن أنس وابن عمر . قال أبو عيسى : حديث ابن عباس حديث غريب ، سألت محمداً عن هذا الحديث؟ فقال : إنما يروى هذا عن ابن عباس قوله .

« طوفي من وراء الناس وأنت راكبة » ، ومسلم في (١ — ٤١٣) . وفي الباب أحاديث غيرها تجدها في " نصب الراية " (٣ — ٤٠ و ٤٢) .

—: باب ما جاء في فضل الطواف :—

قوله : خمسين مرةً . قال في " قوت المغتذي " : حكى المحب الطبري عن بعضهم أن المراد بالمرة الشوط ، ورده وقال : المراد خمسون أسبوعاً ، وقد ورد كذلك في رواية الطبراني في " الأوسط " ، قال : وليس المراد أن يأتي بها متوالية في آن واحد ، وإنما المراد أن يوجد في صحيفة حسناته ولو في عمره كله اهـ . قال شيخنا : والمراد طواف النفل دون الحج خمسين مرةً ، وقد قال العلماء : الأفضل للآفاقي الطواف دون صلاة النفل ، فليكثر منه ما استطاع . والأطوفة في الحج ثلاثة للمفرد وكذا للمتمتع ، وأربعة للقارن .

قوله : خرج من ذنوبه . قال القاضي أبوبكر ابن العربي : مراده الصغائر . قال الراقم : ويستبعده التشبيه بقوله : « كيوم ولدته أمه » ، ويمكن أن يقال :

حدثنا : ابن أبي عمرنا سفيان بن عيينة عن أيوب قال : « كانوا يعدون عبد الله بن سعيد بن جبير أفضل من أبيه ، وله أخ يقال له : عبد الملك بن سعيد بن جبير ، وقد روى عنه أيضاً .

(باب ما جاء فى الصلاة بعد العصر و بعد الصبح فى الطواف لمن يطوف)

حدثنا : أبو عمار وعلى بن خشرم قالا نا سفيان بن عيينة عن أبي الزبير

إن تلك الأطوفة لعلها قامت مقام توبته ، والكبائر تغفر بالتوبة . ثم إن توالى الطوافين من غير أن يصلى بينهما ركعتى الطواف يكره عند أبى حنيفة رحمه الله إلا أن يكون بعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر حيث يكره ركعتا الطواف ، فلا بأس بتوالى الأسابيع ، وأيضاً السنة الموالاة بين الطواف والصلاة ، إلا أن يكون الوقت مكروهاً كما فى كتب الفقه وكتب المناسك . وتحية المسجد الحرام هو الطواف دون الصلاة .

وحديث ابن عمر رواه أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه والحاكم وابن خزيمة وابن حبان بألفاظ مختلفة ، راجع أكثرها فى " ترغيب المنذرى " (٣ ـــ ٣١٤) ، وحديث أنس لم أجده ، وفى الباب أيضاً عند محمد بن المنكدر عن أبيه عند المنذرى والهيثمى عن " معجم الطبرانى " فى " الكبير " .

ـــ: باب ما جاء فى الصلاة بعد العصر و بعد الصبح فى الطواف لمن يطوف :ـــ

حديث الباب أخرجه بقية أصحاب السنن وابن خزيمة وغيرهم ، وصححه

عن عبد الله بن باباه عن جبير بن مطعم : أن النبي ﷺ قال : « يا بنى عبد مناف لاتمنعوا أحداً طاف بهذا البيت وصلى أية ساعة شاء من ليل أو نهار » .

وفى الباب عن ابن عباس وأبى ذر . قال أبوعيسى : حديث جبير بن مطعم حديث حسن صحيح . وقد رواه عبد الله بن أبى نجيح عن عبد الله بن باباه أيضاً .

الترمذى وابن خزيمة وغيرهما كما حكاه البدر العينى فى "العمدة" واستدل به لجواز ركعتى الطواف بعد الصبح والعصر ، وهو مذهب الشافعى وأحمد واسحاق ، وبه قال عطاء وطاؤس والقاسم وعروة .

ومال أبو حنيفة ومالك - فى رواية - وأبو يوسف ومحمد والثورى إلى كراهتها ، وإليه ذهب مجاهد وسعيد بن جبير والحسن البصرى ، ومن أدلة الفريق الأول ما عند البخارى تعليقاً عن ابن عمر ، ولكنه معارض بما عند الطحاوى عنه بإسناد صحيح ، كما يقوله البدر العينى أن ابن عمر قدم عند صلاة الصبح فطاف ولم يصل إلا بعد ما طلعت الشمس . قال العينى : وقال سعيد ابن أبى عروبة فى المناسك عن أيوب عن نافع : « إن ابن عمر كان لايطوف بعد صلاة العصر ولا بعد صلاة الصبح » وأخرجه ابن المنذر أيضاً . ومن أدلة الفريق الثانى الأحاديث العامة المتواترة فى النهى عن الصلاة بعد الصبح وبعد العصر فى الصحاح ، وعموم حديث عقبة بن عامر الجهنى عند مسلم وأصحاب السنن ، وأثر عمر الفاروق عند الطحاوى ، وأخرجه البخارى تعليقاً ، ووصله أيضاً مالك فى "المؤطأ" : « وطاف عمر رضى الله عنه بعد صلاة الصبح فركب حتى صلى الركعتين بذى طوى » ولفظه عند ابن منده فى "أماليه" : « فلما كان بذى طوى وطلعت الشمس صلى ركعتين » ، كما حكاه الحافظ فى "الفتح" ،

وقد اختلف أهل العلم فى الصلاة بعد العصر وبعد الصبح بمكة ، فقال بعضهم : لا بأس بالصلاة والطواف بعد العصر وبعد الصبح . وهو قول الشافعى وأحمد واسحاق ، واحتجوا بحديث النبى ﷺ ، وقال بعضهم : إذا طاف بعد العصر لم يصل حتّى تغرب الشمس ، وكذلك إن طاف بعد صلاة الصبح أيضاً لم يصل حتّى تطلع الشمس ، واحتجوا بحديث عمر : « إنه طاف بعد صلاة الصبح فلم يصل وخرج من مكة حتّى نزل بذى طوى ، فصلى بعد ما طلعت الشمس ، وهو قول سفيان الثوري ومالك بن أنس .

وقريب منه لفظ "الترمذى" . قال الطحاوى : فهذا عمر رضى الله عنه أخر الصلاة إلى أن يدخل وقتها ، وهذا بحضرة جماعة من الصحابة ولم ينكره عليه منهــم أحد ، ولو كان ذلك الوقت عنده وقت صلاة الطواف لصلى ولما أخر ذلك ، لأنه لا ينبغى لأحد طاف بالبيت إلا أن يصلى حينئذ إلا من عذر . ومن أدلـة هؤلاء أثر جابر عند أحمد بسند صحيح ، وفيـه : « ولم نكن نطوف بعد صلاة الصبح حتّى تطلع الشمس ولا بعد العصر حتّى تغرب » ، وأثر أبى سعيد الخدرى عند ابن أبى شيبة وسعيد بن منصور . وكذلك أثر عائشة عند ابن أبى شيبـة بإسناد حسن : « إذا أردت الطواف بالبيت بعد صلاة الفجر أو العصر نطف وأخر الصلاة حتّى تغيب الشمس أو حتّى تطلع ، فصل لكل أسبوع ركعتين » هذه الآثار أخرجها البدر العينى فى "العمدة" (٤ — ٦٤٠ و ٦٤١) .

ومن الأدلة أيضاً حديث أم سلمـة فى "صحيح البخارى" فى (باب من صلى ركعتى الطواف خارج المسجد) وفيه : فقال لها رسول الله ﷺ : « إذا أقيمت صلاة الصبح فطوفى على بعيرك والناس يصلون » ففعلت ذلك فلم تصل حتّى خرجت أى من مكة ، فلو كان خروجها من مكــة أو الحرم فهو دليل صريح على أنــه لم تكن ركعتا الطواف عندها جائزتان بعد الصبح ، وإلا لما

تركت المسجد أو الحرم ، وقد استدل به شيخنا رحمه الله وفعلها فى حكم المرفوع ، فإنها طافت بأمره ﷺ ، وقال : ويحتمل أن يكون معناه خرجت من المسجد ، وإذن لايكون دليلاً على ذلك .

قال الراقم : والمتبادر خروجها من الحرم وتأخيرها لكراهـــة فى الوقت، فإن التأخير يكره من غير عذر ، وكذلك مقام ابراهيم أو المسجد الحرام أفضل محل لركعتى الطواف، فالتأخير وترك الأفضل ليس له وجه ظاهر غير هذا ، والله أعلم .

والجواب عما استدل به الفريق الأول من حديث الباب أنه ليس بنص فى ذلك بل لغرض أنـه ليس لبنى عبـد مناف حق المنع فى أية ساعة ، أما أنـه فى أية ساعة تجوز الصلاة أو الطواف ، فهذا شئ وراء هذا ، كذا قاله شيخنا . وقال الشيخ رشيد أحمد الكنكوهى فى " أماليه " على " الترمذى " : والاستدلال ليس بتام ، فإن هذا خطاب لبنى عبد مناف ، فإن دورهم كانت محيطة بالبيت، وكانوا يغلقون الباب، فلايصل الرجل إلى البيت، فنهاهم عن ذلك لأجل هذا اه ملخصاً . ثم إنه قال صاحب " الهداية " : إن ركعتى الطواف لكون الوجوب فيهما لغيره فيهما الكراهة بعد الصبح والعصر ، وغرضه أنه لم يكن الوجوب للغير كان أداؤهما فى هذين الوقتين من غير كراهة .

وحديث ابن عباس فى الباب أخرجه الطبرانى، وحديث أبى ذر أخرجه الدارقطنى والبيهقى ، والأول غريب والثانى ضعيف ومنقطع، كما حققــه فى " العمدة " (ص ــ ٦٤٠) .

(باب ما جاء : ما يقرأ في ركعتي الطواف)

حدثنا : أبو مصعب قراءة عن عبد العزيز بن عمران عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله : « إن رسول الله ﷺ قرأ في ركعتي الطواف بسورتي الإخلاص : " قل يا أيها الكافرون " و" قل هو الله أحد " » .

حدثنا : هناد نا وكيع عن سفيان عن جعفر بن محمد عن أبيه : « أنه كان يستحب أن يقرأ في ركعتي الطواف بـ : "قل يآ أيها الكافرون" و " قل هو الله أحد " »

قال أبو عيسى : هذا أصح من حديث عبد العزيز بن عمران ، وحديث جعفر بن محمد عن أبيه في هذا أصح من حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر عن النبي ﷺ ، وعبد العزيز بن عمران ضعيف في الحديث .

ـــ: باب ما جاء: ما يقرأ في ركعتي الطواف :ـــ

حديث الباب أخرجه الترمذي مرفوعاً من طريق عبد العزيز بن عمران المدني المعروف بـ: "ابن أبي ثابت" الذي احترقت كتبه ، فحدث من حفظه فاشتد غلطه كما في " التقريب" ، ولم يخرج عنه أصحاب الستة إلا الترمذي ، وقال الترمذي : وهو ضعيف في الحديث ، ولكنه لا يضر حيث أخرجه مسلم في " صحيحه " من طريق حاتم بن اسمعيل المدني عن جعفر بن محمد في حديث جابر الطويل في حجة الوداع ، وأخرجه النسائي من طريق مالك عنه ، فقد تابعه ثقتان ، فقول الترمذي: " إن الموقوف أصح" لا يصح إلا بالنسبة إلى إسناد الترمذي ، وقد أخرجه البيهقي أيضاً بإسناد صحيح على شرط مسلم ، كما يقوله الإمام النووي عن جعفر بن محمد عن أبيه .

(باب ما جاء فى كراهية الطواف عرياناً)

حدثنا : على بن خشرم نا سفيان بن عيينة عن أبى إسحاق عن زيد بن أثيع قال : « سألت علياً : بأى شئ بعثت ؟ قال : بأربع : لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ولا يجتمع المسلمون والمشركون بعد عامهم هذا ، ومن كان بينه وبين النبى ﷺ عهد فعهده إلى مدته ، ومن لا مدة له فأربعة أشهر » .

وفى الباب عن أبى هريرة . قال أبو عيسى : حديث على حديث حسن .

حدثنا : ابن أبى عمر ونصر بن على قالا نا سفيان عن أبى إسحاق نحوه ، وقالا : زيد بن يثيع ، وهذا أصح » .

قال أبو عيسى : وشعبة وهم فيه فقال : زيد بن أثيل .

وبالجملة فالحديث له أسانيد صحيحة ، وسورتا الإخلاص "سورة الإخلاص" و"سورة الكافرين" إما من باب التغليب ، ويحتمل أنه على حقيقته ، وإن سورة الكافرين على انفرادها سورة الإخلاص لما فيها من التبرى ممن عبد من دون الله ، قاله العراقى كما حكاه السيوطى فى " قوت المغتذى" .

ـــ: باب ما جاء فى كراهية الطواف عرياناً :ـــ

ستر العورة فى الطواف شرط عند الثلاثة كما فى " المغنى " لابن قدامة ، وواجبٌ عند الإمام أبى حنيفة ، فلو طاف مكشوفاً قدر ما لا تجوز به الصلاة وجب الدم إن لم يعده ، وهى رواية عن أحمد كما فى " العمدة " (٤ ــ ٦٣٤) .

قال شيخنا رحمه الله : فإن قيل إن ستر العورة فرض فى نفسه فكيف

(باب ما جاء فى دخول الكعبة)

حدثنا : ابن أبى عمرنا وكيع عن اسماعيل بن عبد الملك عن ابن أبى مليكة عن عائشة قالت : « خرج النبى ﷺ من عندى وهو قرير العين طيب النفس

يكون واجباً للحج؟ قلت: لا منافاة بينهما فإنه قد يكون الشئى فرضاً فى نفسه وواجباً لغيره اه . يعنى إنه اجتمع هناك أمران : فرض وواجب ، فمن طاف عرياناً ارتكب كبيرتين: ترك الفرض وترك الواجب . وقال شيخنا رحمه الله : إن دلالة ظنية الدليل على الوجوب وقطعية الدليل على الفرضية إنما يظهر فى داخل الحقيقة لا فى خارج الحقيقة من الأحكام والشروط ، فإنهم لا يبحثون فى الشروط والأحكام من الظنية والقطعية ، والموانع أيضاً من هذا القبيل ، وعلى هذا ما زاده الحنفية على نص آية السرقة من عشرة دراهم بأخبار الآحاد ، فلا إشكال فيه ، بل عشرة دراهم شرط قطع اليد ، وكذلك زيادة "عشرة دراهم" فى مهر النكاح على نص الآية الكريمة تدل على أن يكون النكاح بمال ، فهذه الزيادة بأخبار الأحاد زيادة الحكم ، لأن المهر حكم فلا إشكال ، وكلا الحديثين فى زيادة العشرة حسن كما سيأتى ، وقد علم بالاستقراء أن الواجبات الداخلية ليست إلا فى الحج ، والصلاة عندنا وعند الشافعية فى الحج فقط اه . وراجع لبقية أبحاث الحديث وشرحه " العمدة " (٤ — ٦٣٣ و ٦٣٤) ، وحديث أبى هريرة فى الباب أخرجه البخارى ومسلم : « ألا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان » . وفى رواية للبخارى فى التفسير : « لا يحجن » بنون التأكيد .

—: باب ما جاء فى دخول الكعبة :—

أخرج فى الباب حديث عائشة ، وقد أخرجه أبو داود وابن خزيمة فى "صحيحه" ، والحاكم وصححه . قال البيهقى : وهذا الدخول فى حجته ، ولا يخالف

فرجع إلى وهو حزين ، فقلت له ؟ فقال : إنى دخلت الكعبة ووددت أنى لم أكن فعلت ، إنى أخاف أن أكون أتعبت أمتى من بعدى » .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

حديث ابن أبي أوفى أنه لم يدخل ، لأن حديثه فى العمرة على ما رواه مسلم من حديثه أنه سئل : أدخل النبى ﷺ فى عمرته البيت ؟ فقال : لا ، وإنما لم يدخل فى عمرته لما كان فى البيت من الأصنام والصور ، وكان إذ ذاك لا يتمكن من إزالتها بخلاف عام الفتح .

وذكر ابن حبان دخوله ﷺ البيت مرتين : فى الفتح وفى حجة الوداع ، وفى شرح " المهذب " : ويستحب دخول الكعبة والصلاة فيها ، وأقل ما يصلى ركعتين ، وزاد فى المناسك : " حافياً " ، وروى البيهقى عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « من دخل البيت دخل فى حسنته وخرج من سيئتـــه مغفوراً له » ، وفى سنده عبد الله بن المؤمل وفيه مقال ، ورواه ابن أبى شيبة فى " مصنفه " وجعلـــه من قول مجاهد ، وحكى القرطبى عن بعض العلماء : إن دخوله من مناسك الحج ، ورده بأن النبى ﷺ إنمـــا دخله عام الفتح ولم يكن حينئذ محرماً .

ويستحب للداخل أن لا يرفع بصره إلى السقف ، هذا كلـــه ملخص ما أفاده البدر العينى فى " العمدة " (٤ ـــ ٦١١ و ٦١٢) وقوله ﷺ : « أتعبت أمتى من بعدى » معناه : إن الناس والحجاج ربما يلتزمونه اتباعاً لسنتى ويعملون بهذا المستحب ويشكل عليهم للزحام والكثرة والتنافس ، يتأذون بذلك ، وفى هذا دليل أنه لم يكن دخوله من المناسك ولا شيئاً واجباً ، وأيضاً دل على أن الأولى ترك المستحب إذا كان فعله منشأ لفتنة العوام ولو بعد حين . قاله الشيخ

(باب ما جاء فى الصلاة فى الكعبة)

حدثنا : قتيبة نا حماد بن زيد عن عمرو بن دينار عن ابن عمر عن بلال: « إن النبى ﷺ صلى فى جوف الكعبة . قال ابن عباس: لم يصل ولكنه كبر» .

الكنكوهى ، ولذلك نظائر كثيرة فى الأحاديث ، ومنها ترك بناء الكعبة على بناء ابراهيم مخافة الفتنة ، ومن أجل ذلك قال الفقهاء : إن المستحب يجب تركه أحياناً لئلايشتبه بالواجب، وإن المستحب إذا التزم التزام الواجب وجب تركه . ولم يذكر الترمذى ما فى الباب، ويدخل فيه حديث ابن عمر الآتى فى الباب، وهو حديث " الصحيحين"، وكذا حديث ابن عباس عند ابن أبى شيبة والبيهقى ما ذكرته آنفاً .

ـ: باب ما جاء فى الصلاة فى الكعبة :ـ

أخرج فيه حديث ابن عمر عن بلال رواية صحابى عن صحابى، وفيه إثبات صلاته ﷺ فى الكعبة ، وقد أخرج البخارى ومسلم، البخارى فى الصلاة وفى المناسك من طريق : مالك عن نافع عن ابن عمر : « إن رسول الله ﷺ دخل الكعبة وأسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة الحجبى فأغلقها عليه ومكث فيها، فسألت بلالاً حين خرج: ما صنع النبى ﷺ ؟ قال : جعل عموداً عن يساره وعموداً عن يمينه وثلاثة أعمدة وراءه ، وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة ثم صلى» ، فحديث ابن عمر وحديث بلال فيه إثبات الصلاة، وابن عباس ينفيها ، وفى رواية لمسلم فى " صحيحه " عن ابن عباس يقول : « أخبرنى أسامة بن زيد أن النبى ﷺ لما دخل البيت دعا فى نواحيه كلها ولم يصل فيه » . والمحدثون رجحوا رواية بلال على رواية ابن عباس ، فإن روايـة الإثبات تقدم على رواية النفى .

وفى الباب عن أسامة بن زيد والفضل بن عباس وعثمان بن طلحة وشيبة ابن عثمان . قال أبو عيسى : حديث بلال حديث حسن صحيح ، والعمل عليه عند

قال الإمام البخارى فى "صحيحه" فى (باب العشر) : والزيادة مقبولة ، والمفسر يقضى على المبهم، إذا رواه أهل الثبت، كما روى الفضل بن عباس : « إن النبى ﷺ لم يصل فى الكعبة » ، وقال بلال : « قد صلى » ، فأخذ بقول بلال وترك قول الفضل اهـ . قال النووى فى شرح "مسلم" : أجمع أهل الحديث على الأخذ برواية بلال، لأنه مثبت معه زيادة علم، فوجب ترجيحه . . . وأما نفى أسامة فسببه أنهم لما دخلوا الكعبة أغلقوا الباب واشتغلوا بالدعاء ، فرآى أسامة النبى ﷺ يدعو ثم اشتغل أسامة بالدعاء فى ناحية من نواحى البيت والنبى ﷺ فى ناحية أخرى وبلال قريب منه ﷺ ، فرآه بلال لقربه ولم يره أسامة لبعده ، واشتغاله مع خفة الصلاة وإغلاق الباب ، وجاز له نفيها عملاً بظنه ، وأما بلال فحققها فأخبر بها اهـ .

وزاد الحافظ فى "الفتح" : ولأن بإغلاق الباب تكون الظلمة مع احتمال أن يحجبه بعض الأعمدة . وجمع المحب الطبرى : بأنه يحتمل أنه ﷺ صلى فى الكعبة لما غاب عنه أسامة لأمر ندبه إليه ، وهو أن يأتى بماء يمحو به الصور التى كانت فى الكعبة ، فأثبت بلال الصلاة لرؤيته لها ، ونفاها أسامة لعدم رؤيته لها . ويؤيده رواية الطيالسى عن أسامة ما يدل على أنه أرسله ليأتى بالماء، هذا ملخص ما ذكره الزرقانى شارح "المواهب" فى آخر الجزء الثانى .

قال شيخنا : رحمه الله : وكان من الممكن أن يوفق بين روايتى الإثبات والنفى بالحمل على تعدد الواقعتين ، ولكن المحدثين لم يتوجهوا إليه ومالوا إلى الترجيح .

قال الراقم : ولكن قال الزرقاني: أو أنه دخل البيت مرتين: صلى في أحدهما ولم يصل في الآخر، قاله المهلب ، ثم ذكر الزرقاني بعد بحث: فلايمتنع أنــه دخل عام الفتح مرتين ، ويكون المراد بالوحدة التي في خبر ابن عيينة وحدة السفر لا الدخول . وعند الدارقطني من طريق ضعيفــة ما يشهد لهذا الجمع اه .

ثم ابن عباس أيضاً أثبت شيئاً آخر لم يذكره غيره ، وهو ذكر التكبير في نواحيه ، ومن أجل هذا أخرج البخاري روايتــه في (باب من كبر في نواحي الكعبة) .

ثم إن دخوله ﷺ الكعبة في فتح مكة تفصيله على ما ذكره أرباب السير : أنه ﷺ طاف بالبيت وكان حول البيت ثلاثمائة وستون صنماً، فكلما مر بصنم أشار إليه بعود في يده وهو يقول : (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ۝) فيقع الصنم على وجهه، فصار ﷺ هكذا يطعن الأصنام التي حول الكعبة بمحجنه فتخر من ساعته وبقي صنم خزاعة فوق الكعبــة ، وكان من قوارير صفر . وروى ابن أبي شيبة والحاكم عن علي قال : « انطلق النبي ﷺ حتى أتى بي الكعبة فقال: إجلس ، فجلست إلى جنب الكعبة، فصعد منكبي ثم قال : انهض، فنهضت، فلما رأى ضعفي تحته قال : إجلس فجلست ، ثم قال : يا علي اصعد منكبي ، ففعلت، فلما نهض بي خيل إلي: لو شئت نلت أفق السماء، فصعدت فوق الكعبــة وتنحى ﷺ ، فقال : إلق صنمهم الأكبر ، وكان من نحاس موتداً بأوتاد من حديد إلى الأرض ، فقال عليــه السلام : عالجه ، ويقول لي: إيه إيه (جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً ۝) ، فلم أزل أعالجه حتى استمكنت منه » ، هذا ما ذكره الزرقاني في شرح "المواهب" (٢ — ٣٣٦) ، وأيضاً قال في (٢ ــ ٣٤٥) نقلاً عن "الطيالسي" و"ابن أبي شيبة":

أكثر أهل العلم : لا يرون بالصلاة فى الكعبة بأساً .

وقال مالك بن أنس : لا بأس بالصلاة النافلة فى الكعبة ، وكره أن يصلى المكتوبة فى الكعبة . وقال الشافعى : لا بأس أن يصلى المكتوبة والتطوع فى الكعبة ، لأن حكم النافلة والمكتوبة فى الطهارة والقبلة سواء .

« إنه لما دخل الكعبة رأى صوراً فدعا بدلو من ماء فأتى به أسامة بن زيد ثم أمر بثوب ، فبل ومحا به الصور ، وكان فيها صور ابراهيم واسمعيل عليهما السلام ، ويقول : قاتل الله قوماً يصورون ما لا يخلقون » آه .

وبالجملة فثل على رضى الله عنه تحمل ثقل النبى ﷺ ، وحديث زيد ابن ثابت معروف فى الصحاح من أنه خاف رض فخذه حين نزل: (غير أولى الضرر)، وكان فخذه ﷺ على فخذه، وكان لا تحمله ﷺ غير ناقته القصواء ، فكان ثقله ﷺ يزيد عند نزول الوحى واتصاله بعالم الغيب ، أللهم صل وسلم وبارك عليه . (١) .

فائدة : روى ابن أبى شيبة من قول ابن عباس : أن دخول البيت ليس من الحج فى شئ ، وحكى القرطبى عن بعض العلماء : إن دخول البيت من مناسك الحج، ورده بأنه ﷺ دخله عام الفتح ولم يكن حينئذ محرماً ، حكاه فى " فتح البارى" (٣ — ٣٧٥) .

قوله : لا يرون بالصلاة فى الكعبة بأساً . المذاهب كما ذكره الترمذى ،

---

(١) بسم الله الرحمن الرحيم : بعد فترة ١٤ سنة عن الإفتتاح الثانى و ٢٤ سنة عن انتهاء الإفتتاح الأول ، وهذا افتتاح ثالث ، نسأل الله التوفيق .

ويقول الحافظ فى " الفتح " (٣ ـ ٣٧٤) ما ملخصه: إن صحة النفل والفرض داخل الكعبة قول الجمهور، وإليه ذهب أبو حنيفة والشافعى . وعن ابن عباس عدم الصحة مطلقاً للزوم استدبار بعض الكعبة ، وقد ورد الأمر باستقبال جميعها ، وبه قال بعض المالكية والظاهرية والطبرى، ومشهور قول مالك على رأى المازرى: منع الفرض ووجوب الإعادة ، وعن ابن حبيب: يعيد أبداً ، وعن اصبغ: إن كان متعمداً ، وعن ابن عبد الحكم : الإجزاء ، وصححه ابن عبد البر وابن العربى، وأطلق الترمذى عن مالك جواز النفل ، وقيده بعض أصحابه بغير الرواتب وما تشرع فيه الجماعة . ويقول ابن دقيق العيد: كره مالك الفرض أو منعه ، فكأنه اختلف النقل عنه اهـ .

ويقول البدر العينى فى " العمدة " (٤ ـ ٦٠٢) : الصلاة فى الكعبة جائزة فرضها ونفلها ، وهو قول عامة أهل العلم ، وبه قال الشافعى . وقال مالك : لا يصلى فى البيت والحجر فريضة ولا ركعتا الطواف الواجبتان ، ولا الوتر ولا ركعتا الفجر، وغير ذلك لاباس به ، ذكره فى ذخيرتهم . قال : وبقول مالك قال أحمد ، ونقل البدر بعض ما نقله الشهاب . ويقول الشهاب : ومن المشكل ما نقله النووى فى زوائد الروضة من الأصحاب: إن صلاة الفرض داخل الكعبة إن لم يرج جماعة أفضل منها خارجها ، قال : ووجه الإشكال أن الصلاة خارجها متفق على صحتها بين العلماء بخلاف داخلها ، فكيف يكون المختلف فى صحتها أفضل من المتفق اهـ .

أقول وبالله التوفيق : إن غرض النووى إنما هو عند القائلين بالجواز ، كأبى حنيفة والشافعى والجمهور دون قول مالك وأحمد والظاهرية ، فالغرض أن الفريضة ليست أنها جائزة فقط بل صلاة المنفرد داخلها أفضل من صلاة المنفرد خارجها ، ودليله : أن القرب إلى الكعبة أفضل من البعد عند الكل ،

(باب ما جاء فى كسر الكعبة)

حدثنا : محمود بن غيلان نا أبو داود عن شعبة عن أبى اسحاق عن الأسود ابن يزيد: أن ابن الزبير قال له: حدثنى بما كانت تفضى إليك أم المؤمنين - يعنى عائشة - ؟ فقال: حدثتنى أن رسول الله ﷺ قال لها: «لولا أن قومك حديث عهد

فيها قرب إلى الكعبة كان أفضل ، والدخول فيها غاية القرب ووصول إلى حذاء البيت المعمور على وجه الأرض ، ولاشك أن ذلك لا يحصل خارج الكعبة ، فإذن لا إشكال فى قول الإمام النووى، والله أعلم .

-: باب ما جاء فى كسر الكعبة :-

أخرج فيه حديث الأسود بن يزيد عن عائشة ، وهو حديث أخرجه الشيخان ، وقد أخرجه البخارى فى العلم وفى الحج والتمنى بألفاظ مختلفة . وابن الزبير فى الإسناد هو : عبد الله بن الزبير .

قوله : تفضى إليك . ولفظ البخارى فى العلم : « كانت عائشة تسر إليك كثيراً » .

قوله : حديث عهد بالجاهلية . ولفظ "البخارى" فى العلم : « لولا قومك حديث عهدهم » ، قال ابن الزبير : بكفر . وفى الحج فى طريق : « حديث عهدهم بجاهلية » ، وفى أخرى مثل لفظ الترمذى سواء عند جميع الرواة ، كما يقوله البدر العينى (٤ - ٥٨٥) و"الفتح" (٣ - ٣٥٤) . فلفظ الحديث مضاف إلى العهدفى رواية الترمذى ورواية البخارى هذه ، كما أن لفظ البخارى كلمة "حديث" فيه بالتنوين . وعهدهم مرفوع ، والظاهر فى الإضافة حديثو عهدهم، كما يقوله البدر والشهاب ، لأن القوم جمع ، ويمكن أن يكون كلمة

بالجاهلية لهدمت الكعبة وجعلت لها بابين ، فلما ملك ابن الزبير هدمها وجعل لها بابين » .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

الإفراد نظراً إلى لفظ " القوم " دون معناه ، كما وجه به السيوطى فى تعليقه على "النسائى" . والحديث ضد القديم ، والغرض قرب عهدهم بالكفر والشرك وعدم رسوخ الدين فى قلوبهم ، فهدم الكعبة والحالة هذه ربما يكون سبباً لنفرة قلوبهم عن الإسلام ظناً منهم على رسول الله ﷺ استبداداً ببناء الكعبة ، وأن ينسبوه إلى الإنفراد بالفخر دونهم ، أو أن تغيير الكعبة كان عظيماً عندهم ، فاستفيد منه ترك المصلحة لأمن الوقوع فى المفسدة ، ومنه إنكار ترك المنكر خشية الوقوع فى أنكرمنه ، وإن دفع المضرة أهم من جلب المنفعة ، وإن الإمام يسوس رعيته بما فيه إصلاحهم ولو كان مفضولاً ما لم يكن محرماً . هذا ملخص ما أفاده البدر والشهاب فى مواضع من العلم والحج .

قوله : وجعلت لها بابين . ولفظ البخارى فى العلم : « فجعلت لها بابين ، باباً يدخل الناس وباباً يخرجون » ، وملخص الروايات فى " الصحيحين " والصحاح كلها ، وما ذكره أبو الوليد الأزرق فى " تاريخ مكة " ، وما ذكره ابن اسحاق فى " السيرة " : إن قريش جمعوا أموالاً من أموالهم الحلال والطيب ما لا يكون فيه بيع ربا وما لا يكون فيه مظلمة ولا أخذ غصباً ، وما لا يكون فيه مهر بغى ، ولا قطعت فيه رحم ولا انتهكت فيه ذمة من أكسابهم الخبيثة ، وإنما أجمعوا نفقاتهم الطيبة ، فقصرت تلك النفقات المجتمعة عن بناء طويل على أساس ابراهيم عليه السلام ، فقصروه طولاً فى جهة الشمال ، وأخرجوا منها ما هو الحجر والحطيم بمقدار ستة أذرع ، وقصروه عرضاً شيئاً من جهتيه

الشرقية والغربية ، وجعلوا بابه مرتفعاً عن الأرض ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا ، فوقعت ثلاثـــة تغيرات من أساس سيدنا ابراهيم عليـــه صلوات الله وسلامـــه ، من ارتفاع كرسيها ، وجعل باب واحد لها ، وتقصيرها فى جهة الشمال .

ثم إنه كم مرةً بنيت الكعبة ؟ فالذى تلخص من غرر النقول فى شروح " صحيح البخارى " من " العمدة " و" الفتح " و" الإرشاد " فى مواضع شتى ، ومن كتب تواريخ مكة من " تاريخ الأزرقى " والتقى الفاسى والقرشى صاحب " الجامع اللطيف " ومن " مرآة الحرمين " لإبراهيم رفعت باشا ، ومن كتب التفاسير والسير : أن البيت بنيت عشر مرات :

١ـ بناء الملائكة قبل خلق آدم ، بأن الملائكة كانوا يطوفون بالعرش وبنى البيت المعمور ، فأمروا بطوافـــه يدخلـــه كل يوم وليلـــة سبعون ألف ملك لايعودون فيه أبداً ، ثم أمروا ببناء بيت فى الأرض بمثاله وقدره ، وذلك قبل خلق آدم بألفى عام .

٢ـ بناء آدم عليـــه الصلاة والسلام ، رواه البيهقى فى " دلائل النبوة " مرفوعاً من حديث عبد الله بن عمرو من طريق ابن لهيعة ، وابن كثير يصوب وقفه .

٣ـ بناء بنى آدم من الطين والحجارة ، فلم يزل معموراً يعمرونه حتى كان زمن نوح فرفع أونسفه الغرق وغير مكانه .

٤ـ بناء ابراهيم عليه السلام حيث بوّء الله له مكان البيت ، وذلك بنص القرآن ، وجزم الحافظ ابن كثير بأنـــه أول من بناه ، يقول : ولم يجئ خبر معصوم أنه كان مبنياً قبل الخليل ، وفيـــه : إن هناك روايات كثيرة تدل على

أن لها أصلاً يكفي للأسانيد التاريخية ، وباب التاريخ أوسع ، وليس نص التنزيل دالاً على النفي .

٥ـ بناء العمالقة .

٦ـ بناء جرهم ، كما رواه الفاكهي بسنده عن علي ، والباني منهم هو الحارث بن مضاض الأصغر .

٧ـ بناء قصي بن كلاب ، كما ذكره الزبير بن بكار .

٨ـ بناء قريش قبل مبعث النبي ﷺ بخمس عشرة سنة حين كان عمره خمساً وعشرين سنـــة ، وحضره النبي ﷺ ، وكان ينقل هو ﷺ والعباس الحجارة ، فلما أرادوا أن يضعوا الحجر الأسود اختصموا فيه ، فقالوا : نحكم بينهم أول من يدخل من باب بني شيبة ، فكان النبي ﷺ أول من دخل منه ، فحكم بينهم : أن يجعلوه في ثوب ثم يرفعه من كل قبيلة رجل فرفعوه ، ثم أخذه فوضعه بيده ، كما يذكره أبو داود الطيالسي من الحديث .

٩ـ بناء عبد الله بن الزبير ، وسببه توهين الكعبة واحتراقها من حجارة المنجنيق التي أصابتها حين حوصر ابن الزبير بمكة في أوائل سنة أربع وستين من الهجرة من جهة أفواج يزيد بن معاوية ، فهدمها حتى بلغت الأرض يوم السبت منتصف جمادى الآخرة سنة أربع وستين ، وبناها على قواعد ابراهيم ، وأدخل فيها ما أخرجتـــه قريش ، وجعل لها بابين لاصقين بالأرض شرقياً الموجود الآن ، وغربياً المسدود الآن ، وفرغ منها سنة خمس وستين .

١٠ـ بناء الحجاج بن يوسف الثقفي مبير ثقيف ، فأعادها إلى ما كان في عهد قريش في الجاهلية ، وذلك لما قتل ابن الزبير كتب الحجاج إلى عبد الملك بن

ـروان يخبره بذلك ، ويخبره أن ابن الزبير قد وضع البناء على أس نظر إليـه
لعدول من أهل مكة ، فكتب إليـه عبد الملك : إنالسنا من تلطيخ ابن الزبير
ـ شئ ، أما ما زاد من طوله فأقره ، وأما ما زاد فيـه من الحجر فرده إلى
ـنائه ، وسد الباب الذى فتحه وأعاده إلى بنائه .

فهذا ما تحقق من بناء الكعبة عشر مرات ، وقد نظمها بعضهم كما فى "تفسير سليمان الجمل" فقال :

بنى بيت رب العرش عشر فخذهم * ملائكة الله الكرام وآدم
فشيث وابراهيم ثم عمالق * قصى. قريش قبل هذين جرهم
وعبد الإله بن الزبير بنى كذا * بناء لحجاج وهذا متمم

وما ورد فى "العرف الشذى" من إملاء الشيخ رحمه الله من أن الكعبة قيل: بنيت ثنتين وعشرين مرة" فلم أقف عليها فيما عندى من المآخذ ، والله أعلم . ثم حكى ابن عبد البر - وتبعه عياض وغيره عن الرشيد أو المهدى أو المنصور - : أنه أراد أن يعيد الكعبة على ما فعله ابن الزبير ، فناشده مالك فى ذلك وقال : أخشى أن يصير ملعبة للملوك، فتركه . قال الحافظ فى "الفتح" (٣ - ٣٥٧) : وهذا بعينه خشية جدهم الأعلى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، فأشار على ابن الزبير لما أراد أن يهدم الكعبة ويجدد بناءها ويرم ما وهى منها ولا يتعرض لها بزيادة ولا نقص ، وقال له : لا آمن أن يجئ من بعدك أمير فيغير الذى صنعت .

ثم قال الحافظ : ولم أقف فى شئ من التواريخ على أن أحداً من الخلفاء ولا من دونهم غير من الكعبة شيئاً مما صنعه الحجاج إلى الآن ، إلا فى الميزاب

(باب ما جاء فى الصلاة فى الحجر)

حدثنا : قتيبة نا عبد العزيز بن محمد عن علقمة بن أبى علقمة عن أبيه عن عائشة قالت: «كنت أحب أن أدخل البيت فأصلى فيــه فأخذ رسول الله ﷺ

والباب وعتبتـه ، وكذا وقع الترميم فى جدارها غير مرة وفى سقفها وفى سلم سطحها ، وجدد فيها الرخام ، إلى آخر ما ذكره الحافظ . ويقول الحافظ فى " الفتح" (٣ ــ ٣٥٦) : قال أبو أويس : فأخبرنى غير واحد من أهل العلم : أن عبد الملك ندم على إذنه للحجاج فى هدمها ولعن الحجاج ، ولابن عيينة عن داود بن سابور عن مجاهد : فرد الذى كان ابن الزبير أدخل فيها من الحجر . قال : فقال عبد الملك : وددنا أنا تركنا أبا خبيب وما تولى من ذلك ، إلى آخر ما نقل الحافظ من روايات دالة على ندم عبد الملك على ذلك ، ولله عاقبة الأمور .

وقد ذكر الحافظ فى " الفتح" (٣ ــ ٣٥٢) نقــلا عن " مصنف عبد الرزاق" عنه عن أبيه عن مرثد بن شرحبيل قال : سمعت ابن عباس يقول : لو وليت ما ولى ابن الزبير لأدخلت الحجر كله فى البيت ، فلم يطاف به إن لم يكن من البيت اه . وهذا يدل على أنه رضى عنه ابن الزبير ببعض فعله وإن لم يكن كله ، والله أعلم .

ــ: باب ما جاء فى الصلاة فى الحجر :ــ

الحجر بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم هو الذى يسمى : الحطيم ، فى الجهة الشامية من الكعبة ، وهو معروف على صفــة نصف الدائرة ، وقدرها تسع وثلاثون ذراعاً ، وهو القدر الذى أخرج من الكعبة . ثم هو ستة أذرع ،

بيدى فأدخلنى الحجر وقال : صلى فى الحجر إن أردت دخول البيت ، فإنما هو قطعة من البيت ولكن قومك استقصروه حين بنوا الكعبة فأخرجوه من البيت » .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح، وعلقمة بن أبى علقمة هو : علقمة بن بلال .

أو ستة وشبر ، أو سبعة أذرع ، أو دون سبعة ، أو هو الحطيم كله ، فهذه أقوال. وفيها روايات استوفاه الحافظ فى " الفتح " والبدر العينى فى " العمدة " ، وجعل الحافظ الروايات المطلقة محمولة على المقيدة . وملخصها : أن ستة أذرع منه محسوب من البيت ، وفى الزائد خلاف . هذا ملخص ما ذكره البدر والشهاب .

وحديث الباب أخرجه أبو داود من طريق صفية بنت شيبة عن عائشة ، ولأبى عوانة من طريق قتادة عن عروة عن عائشة ، ولأحمد من طريق سعيد بن جبير عن عائشة، كما ذكره الحافظان البدر والشهاب . والأولى والأحوط فى الطواف أوسع الأقوال ، وهو الحطيم كله ، وعليه التعامل . وفى الصلاة الأحوط القدر المتفق المتيقن من البيت .

والغرض من حديث الباب : أن الصلاة فى الحجر ثوابها يساوى ثواب الصلاة فى داخل الكعبة ، والصلاة داخل الكعبة مستحب ، كما يقوله النووى فى " شرح المهذب " ، وليس من المناسك ، كما حققه الحافظ فى " الفتح " .

ومن أدب الداخل أن لاينظر إلى سقفها إجلالاً للبيت كما هو فى حديث رواه عائشة وذكرها الحافظ .

تنبيه : وقع فى إسناد الترمذى : " عن علقمة بن أبى علقمة عن أبيه عن عائشة " ، ووقع فى رواية أبى داود : "عن علقمة بن أبى علقمة عن أمه"، وكذا عزاه الحافظ العينى والحافظ العسقلانى إلى أبى داود والترمذى والنسائى، كلهم "عن أمه" بدل "عن أبيه" . وأمه : مرجانة، ذكرها ابن حبان فى الثقات، كما يقوله العينى . ولعل الصحيح : " عن أمه " ، و " عن أبيه " تصحيف " عن أمه " . وكذا ما وقع فى "النسائى" فى أكثر النسخ الهندية : " عن أمه عن أبيه" ، فهذا أيضاً غلط، وعلماء الرجال يذكرون روايـــة علقمة بن أبى علقمة عن أمه ، ويذكرون أن اسم أمه : مرجانـــة ، وكل هذه قرائن أن ما وقع فى نسخة الترمذى والنسائى، غير صواب

ومن العجيب أن صديقنا الأستاذ أحمد شاكر فى طبعة الحلبى من " جامع الترمذى" أخرج إسناده : " عن أمه عن أبيه " ، ولم ينبه على اختلاف النسخ، ولا على الصواب، والله أعلم

ثم إن استقبال جزء من الحطيم فى الصلاة لا يكفى ، بل الواجب للمعاين استقبال الكعبة، ولا تصح الصلاة بدون استقبال الكعبة ، فيقول البدر العينى فى " العمدة " (٤ ـــ ٥٨٣) : ثم إن ثبت أن الحجر كله أو بعضه من البيت فلا يصح صلاة كل مستقبل شيئاً منه ، وهو غير مستقبل لشئ من الكعبة ، وذلك لأن الأحاديث فى هذا آحاد تفيـــد الظن ، وقد أمرنا باستقبال المسجد الحرام يقيناً على ما هو معروف فى التفصيل بين الحاضر والبعيد ، وهذا هو المذهب عند الحنفية والمالكية ، وهو الذى صححه الرافعى والنووى : أنه لايصح استقبال شئ من الحجر فى الصلاة مع عدم استقبال شئ من الكعبة اهـ .

قال شيخنا رحمه الله : اتفق على المسألـــة هذه فقهاء المذاهب الأربعة ،

(باب ما جاء فى فضل الحجر الاسود والركن والمقام)

حدثنا : قتيبة نا جرير عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشد بياضاً من اللبن فسوّدته خطايا بنى آدم » .

ومدارها على مسألـــة عدم جواز الزيادة بخبر الواحد ، فإن استقبال البيت مقطوع ، وثبوت كون الحجر من البيت مظنون ، فاستقبال ما هو المقطوع فرض ولا يصح بما هو مظنون ، وهذا عين ما يقوله الحنفية ، بأنه لا تصح الزيادة على كتاب الله المقطوع بأخبار الآحاد ، فقد وافقوا الحنفية فى هذه المسألة ، مع أنهم ينكرون عليهم فى غير هذا المقام ، وهذا عجيب .

وبالجملة الأخذ بالأحوط فى الصلاة ، وهو القدر المقطوع ، وفى الطواف الأحوط المقطوع والمظنون كله .

—: باب ما جاء فى فضل الحجر الأسود والركن والمقام :—

أخرج الإمام الترمذى فيـــه حديثين ـ تفرد بإخراجها من بين أرباب الصحاح الستة ـ :

الأول : حديث ابن عباس ، وهو صحيح كما يقولـــه الترمذى ، ويقول الحافظ فى " الفتح " (٣ ــ ٣٦٩) : أخرجه الترمذى وصححه ، وفيه عطاء ابن السائب ، وهو صدوق لكنه اختلط ، وجرير ممن سمع بعد اختلاطه ، ولكن له طريق أخرى فى " صحيح ابن خزيمة " فيقوى بها ، وقد رواه النسائى من طريق حماد بن سلمة عن عطاء مختصراً ، وحماد ممن سمع من عطاء قبل الاختلاط

وفى الباب عن عبد الله بن عمرو وأبى هريرة . قال أبو عيسى : حديث ابن عباس حديث حسن صحيح .

اه . وفيه : " إن الحجر الأسود كان أبيض حين نزل من الجنة ثم صار أسود بخطايا بنى آدم " المتبادر أنه حقيقة وليس فيه غرابة وبعد ، والحديث صحيح ، أخبر به الصادق المصدوق ﷺ ، وفيه امتحان لإيمان المؤمن الصادق الذى مؤمن بالغيب كما يقوله المحدث الشيخ عبد الحق الدهلوى فى ترجمته " مشكاة المصابيح" بالفارسية ، وليس بتمثيل كما يقوله الطيبي رحمه الله : أنه جار مجرى التمثيل والمبالغة فى تعظيم شأن الحجر ، وتفظيع أمر الخطايا والذنوب اه .

ويقول الشاه ولى الله الدهلوى فى "حجة الله البالغة " : يحتمل أن يكونا ـ أى الحجر الأسود والمقام ـ من الجنة فى الأصل ، فلما جعلا فى الأرض اقتضت الحكمة أن يراعى فيهما حكم نشأة الأرض فطمس نورهما ، ويحتمل أن يراد أنه خالطهما قوة مثالية بسبب توجه الملائكة إلى تنويه أمرهما وتعلق همم الملأ الأعلى والصالحين من بنى آدم ، حتى صارت فيهما قوة ملكية الخ .

ويقول شيخنا : ولا يلزم ما يقال أنه كيف لا يبيضه حسناتهم وسودته خطاياهم ، لأن النتيجة تابعة للأخس الأرذل دائماً . قال الحافظ فى " الفتح" (٣ ـ ٣٧٠) : اعترض بعض الملحدين على الحديث فقال : كيف سودته خطايا المشركين ولم تبيضه طاعات أهل التوحيد ؟ وأجيب بما قال ابن قتيبة : لو شاء الله كان ذلك ، وإنما أجرى الله العادة بأن السواد يصبغ ولا ينصبغ على العكس من البياض . وقال المحب الطبرى : فى بقائه أسود عبرة لمن له بصيرة ، فإن الخطايا إذا أثرت فى الحجر الصلد فتأثيرها فى القلب أشد ، قال: وروى عن ابن عباس : " إنما غيره بالسواد لئلا ينظر أهل الدنيا إلى زينة

حدثنا : قتيبة نا يزيد بن زريع عن رجاء أبي يحيى قال : سمعت مسافعاً الحاجب يقول : سمعت عبد الله بن عمــرو يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنــة ، طمس الله نورهما ، ولو لم يطمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب » .

الجنة ، فإن ثبت هذا فهذا هو الجواب. قال الحافظ : قلت: أخرجه الحميدى فى فضائل مكة بإسناد ضعيف اهـ .

قال الراقم : وربمـا يقتنع بالضعيف فى إبداء الحكمة البديعـة دون حكم الشريعة والله أعلم . وما قيل : إن التاريخ لم يثبت فيه " أن الحجر الأسود كان أبيض فى وقت ولم يشاهد بياضه " ، قال شيخنا : وهذا القول جهل ، فإن التاريخ الواضح مبدؤه من الإسلام ، وليست الأدوار التاريخية متصله مسلسلة إلى عهد آدم ، وإن العهد القديم تاريخــه فى دور مظلم ليست عندنا فيــه شواهد واضحة غير ما ثبت من الوحى بواسطـة الأنبياء ، وأية رتبة للتاريخ أمام الأحاديث النبوية بالأسانيد الصحيحة ؟ وما هى منزلتها بمقابلة الأخبار الصحيحة الثابتة ومناط الوقائع التاريخيـة على الوقائع المتلقاة من أفواه الرجال والحكايات المنقولة فيهم ، وإن كان هناك أسانيد فى بعضها فليست بمتصلة إلى الوقائع ، وليس رجال أسانيـدها مثـل رجال أسانيد الأحاديث حيث حصحص الحق بالجرح والتعديل ، وعلم أسماء الرجال ونقدها بمحك البحث والتحقيق ما لا يوازيه التاريخ ، فأين منزلـة التاريخ من منزلة الحديث وإسناده ؟ وأين سهيل والسهى ؟ وأين الثرى من الثريا ؟ . وهذا توضيح ما قاله رحمه الله .

والحديث الثانى : حديث عبد الله بن عمرو ، وهو حديث غريب كما يقوله الترمذى ، وقد أخرجه الحاكم فى " المستدرك " (١ ــ ٤٥٦) من طريق

قال أبو عيسى : هذا يروى عن عبد الله بن عمرو موقوفاً قوله ، وفيه عن أنس أيضاً ، وهو حديث غريب .

أيوب بن سويد عن يونس بن يزيد عن الزهرى عن مسافع الحجبى عن عبد الله ابن عمرو ، قال الحاكم : تفرد به أيوب . ويقول الذهبى فى "تلخيصه" : ضعفه أحمد ، ولكن يقول الحافظ البدر العينى فى " العمدة " (٤ ــ ٦٠٨) وأخرجه البيهقى بسند على شرط مسلم ، وزاد : ولولا مسها من خطايا بنى آدم ما مسها من ذى عاهة إلاشفى ، وما على الأرض من الجنة غيره الخ .

ويقول الحافظ فى " الفتح" (٣ ــ ٣٦٩) : أخرجه أحمد والترمذى ، وصححه ابن حبان ، وفى إسناده رجاء أبو يحيى ، وهو ضعيف .

وبالجملة تعددت أسانيده ، وقد صحح جهابذة من المحدثين بعض أسانيده ، وله شاهد من حديث أنس أشار إليه الترمذى وأخرجه الحاكم (١ ــ ٤٥٦) وقال : صحيح الإسناد ، ولفظه : إن رسول الله ﷺ قال : « الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة » ، ولكن فيه داود بن الزبرقان ، قال الذهبى فيه : قال أبو داود : متروك اه .

والمراد فى الحديث من " الركن " " الحجر الأسود " ، ومن " المقام " "مقام ابراهيم عليه السلام" ، وهو : الحجر الذى كان يقوم عليه سيدنا ابراهيم عليه السلام ، ويقف عليه عند بناء البيت ، فيقول الحافظ ابن كثير فى "تفسيره" فى تفسير قوله تعالى : (واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى) بعد تفصيل روايات وتخريجها : فهذا كله يدل على أن المراد بالمقام إنما هو الحجر الذى كان ابراهيم عليه السلام يقوم عليه لبناء الكعبة ، لما ارتفع الجدار أتاه اسماعيل عليه السلام به ليقوم فوقه ويناوله الحجارة فيضعها بيده ــ إلى أن قال ــ : وكانت آثار

قدميه ظاهرة فيه ، ولم يزل هذا معروفاً تعرفه العرب فى جاهليتها ، ولهذا قال أبو طالب فى قصيدته المعروفة : " اللامية " :

وموطئ ابراهيم فى الصخر رطبة * على قدميــه حافياً غير ناعل

إلى آخر ما ذكر ، وذكره الحافظ فى الجزء الثامن من " الفتح " نقلا عن ابن الجوزى .

وبالجملة أريد بالمقام فى الآية الكريمة هذا الحجر ، قام عليه سيدنا ابراهيم ، وهو المنقول عن ابن عباس وجابر وقتادة وغيرهم ، كما فى " روح المعانى " وغيره . وأخرج الأزرقى عن أبى سعيد الخدرى قال : سألت عبد الله بن سلام عن الأثر الذى فى المقام ؟ فقال : كانت الحجارة على ما هى عليه اليوم إلا أن الله أراد أن يجعل المقام آية من آياته ، فلما أمر ابراهيم عليه السلام أن يؤذن للناس بالحج قام على المقام وارتفع المقام حتى صار أطول الجبال وأشرف على ما تحته ، فقال : يا أيها الناس أجيبوا ربكم ، إلى آخر ما قال فى الرواية ، حكاه للسيوطى فى " الدر المنثور " (١ ـــ ١١٩) . فعلم من هذه الروايـة أن الله سبحانه جعل المقام آيةً ربانيــةً ، كان يرتفع بارتفاع الجدار عند البناء ، وكلما احتاج إلى أى قدر من الإرتفاع كان يرتفع بإذن الله تعالى .

وأيضاً فى "الدر المنثور" عن ابن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم عن سعيد ابن جبير قال : " الحجر مقام ابراهيم ، لينه الله فجعله رحمةً ، وكان يقوم عليه ويناوله اسماعيل الحجارة" . وذكر الحافظ فى "الفتح" (٨ ـــ ١٢٨) كلاماً طويلا عن ابن الجوزى ، وفيه : " وإن أثر قدميه فى المقام كرقم البانى فى البناء ليذكر به بعد موته" اهـ . وفى "روح المعانى" عن الحسن . "ثبت غوص رجلى ابراهيم فى الحجر الذى وضعه زوجة اسماعيل عليه تحت رجليه لغسل رأسه " . وعلى

كل حال تواترت الروايات على ظهور أثر قدمى سيدنا ابراهيم عليه السلام فى الحجر(١)، ثم وقوفه عليه للإعلام بالحج ـ حيث أمر ـ أيضاً قول وإن كان هناك أقوال أخر، فيقول ابن كثير : فقام على مقامه ، وقيل : على الحجر، وقيل: على الصفا ، وقيل : على أبى قبيس، وقال : يآ أيها الناس ! إن ربكم قد اتخذ بيتاً فحجوه ، فيقال : إن الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض وأسمع من فى الأرحام والأصلاب، وأجابه كل شئى سمعه من حجر ومدر وشجر ومن كتب الله أنه يحج إلى يوم القيامة : " لبيك أللهم لبيك " ، ويقول : هذا مضمون ما ورد عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف اه .

وبالجملة كون مقام ابراهيم آية ربانية لا براهيم عليه السلام فى جميع ذلك جعله الله له كالعصا لسيدنا موسى عليه السلام ، وقوله سبحانه تعالى فى " آل عمران " : (فيه آيات بينات مقام ابراهيم ○) جوز فيه أن يكون " مقام " عطف بيان للآيات، كما يقوله الآلوسى فى " تفسيره "، ويقول : وصح بيان

---

(١) هذا وما عداها روايات تطابقت على وجود أثر قدميه عليه السلام فيه ، وقد صدقها شاهد الحال ، فأخرج هذا الحجر فى عهد الملك فيصل ملك الحجاز، ونجد ما يسمى الآن : " المملكة العربية السعودية " حرسها الله ، ووضع فى قارورة زجاجية على هيئة منارة صغيرة زجاجية، تسمى هذا الزجاج فى اللغة الحديثة المعربة : " كرستيل " ، وقد شاهدته غير مرة ، وهى متينة صنعت خاصة فى بلاد " بلجيكا " من بلاد أوربا لهذا الغرض الوحيد ، فيشاهد كل أحد فيه أثر قدميه الشريفين غائصاً جداً، يؤيد الرواية التى صرحت بغوصهما إلى الكعبين ، فشوهد بعد قرون ما أيد تلك الروايات ، وهذه أيضاً من آيات قدرته البينات، أتم الله بها حجته على العالمين .

الجمع بالمفرد بناءً على اشتمال المقام على آيات متعددة ، لأن أثر القدمين فى الصخرة الصماء آية ، وغوصهما فيها إلى الكعبين آية ، وإلانة بعض هذا النوع دون بعض آية ، وإبقاءه على ممر الزمان آية ، وحفظه من الأعداء آيـة اهـ . واكتفى صاحب " الكشاف " بكونه عطف بيان ، وما يذكره الآلوسى من إعراض أبى حيان على هذا التركيب بوجوب الموافقة فى التنكير والتعريف فى عطف البيان ، وإن " آيات بينات " نكرة و " مقام ابراهيم " معرفة ، فجوابه أن التنوين فيه حل محل تعظيم وتخصيص ، فجعلها كالمعرفة ، مثل صحة الإبتداء بالنكرة إذا تخصصت بوجهٍ ما .

ثم إن كل ما ورد فى ذلك الحجر من كونه محل وقوفـه عند البناء أو وقوفه للإعلام بالحج أو غير ذلك من أقوال لاينافى كونه للجميع ، فذكر كل ما لم يذكره الآخر ، ولا تزاحم فى النكات ، وينقل الإمام الرازى فى " الكبير " عن القفال مثله ، والله أعلم .

وقد وردت روايات أخرى فى الحجر الأسود ومقام ابراهيم فى " العمدة " و " الفتح " و " مستدرك الحاكم " فليراجعهـا من شاء ، وقد ذكرت سابقاً بعض الروايات فى فضل الحجر الأسود وفى الحكمة فى تقبيله ، غير أننا نكتفى منها بروايتين : الأولى حديث ابن عباس ، أخرجه العينى فى " العمدة " (٤ — ٦٠٧) فقال : وفى " فضائل مكة " للجندى من حديث ابن جريج عن محمد ابن عباد بن جعفر عن ابن عباس : « إن هذا الركن الأسود هو يمين الله فى الأرض يصافح به عباده مصافحة الرجل أخاه » . ومن حديث الحكم بن أبان عن عكرمة عنه زيادة : « فمن لم يدرك بيعـة رسول الله ﷺ ثم استلم الحجر فقد بايع الله ورسوله » . وفى " سنن ابن ماجه " من حديث أبى هريرة قال :

(باب ما جاء فى الخروج الى منى والمقام بها)

حدثنا : أبو سعيد الأشج نا عبد الله بن الأجلح عن اسماعيل بن مسلم عن عطاء عن ابن عباس قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ بمنى الظهر والعصر والمغرب

قال رسول الله ﷺ: «من فاوض الحجر الأسود فكأنما يفاوض يد الرحمن». وقال المحب الطبرى: والمعنى فى كونه يمين الله — والله أعلم — : أن كل ملك إذا قدم عليه قبلت يمينه، ولما كان الحاج والمعتمر أول ما يقدمان يسن لهما تقبيله نزل منزلة يمين الملك ويده، ولله المثل الأعلى، ولذلك من صافحه كان له عند الله عهد، كما أن الملك يعطى العهد بالمصافحة اهـ.

وفى "الفتح" (٣ — ٣٧٠) : وقال المهلب: حديث عمر هذا يرد على من قال: أن الحجر يمين الله فى الأرض يصافح بها عباده، ومعاذ الله أن يكون لله جارحة، وإنما شرع تقبيله اختباراً ليعلم بالمشاهدة طاعة من يطيع، وذلك شبيه بقصة إبليس حيث أمر بالسجود لآدم.

وقال الخطابى: معنى أنه يمين الله فى الأرض أن من صافحه فى الأرض كان له عند الله عهد، وجرت العادة بأن العهد يعقده الملك بالمصافحة لمن يريد موالاته والإختصاص به، فخاطبهم بما يعهدونه اهـ.

قال الراقم: وهذا فى غاية اللطافة، وتؤيده أحاديث واردة فى هذا المعنى، والله المستعان.

—: باب ما جاء فى الخروج إلى منى والمقام بها :—

"منى" — بكسر الميم مقصوراً فى الآخر مثل كلمة "إلى" — : قرية

والعشاء والفجر ثم غدى إلى عرفات» .

قال أبو عيسى : واسماعيل بن مسلم قد تكلم فيه .

حدثنا : أبو سعيد الأشج نا عبد الله بن الأجلح الأعمش عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس : « إن النبي ﷺ صلى بمنى الظهر والفجر ثم غدى إلى عرفات » .

بمكة أى بقربها بنحو ثلاثة أميال ، تكتب بالياء ، يصرف ولا يصرف ، وهو مذكر ، وفى كتاب ياقوت بالتنوين ، سميت بها لما يمنى بها من الدماء ، أى يراق . هذا ما فى " القاموس " . وهناك وجوه أخر فى وجه تسميتها فى " تاج العروس " للزبيدى . قال فى " العمدة " (٣ ــ ٥٣٠) : " منى " يذكر ويؤنث بحسب قصد الموضع والبقعة ، قيل: فإذا ذكر صرف وكتب بالألف، وإذا أنث لم يصرف وكتب بالياء ، ثم ذكر وجوهاً للتسمية . طولها ميلان بين جبلين مطلين عليها ، وعرضها يسير مبدؤه من جمرة العقبة من جهة مكة ، ومنتهاها وادى محسر ، وهناك بحث فى كونهما من منى ، فراجعه من " إرشاد السارى إلى شرح مناسك القارى" . تعمر أيام الموسم وتخلو بقية السنة إلا لمن يحفظها ، هكذا كانت قريــة منى ، غير أن الآن قد اتصلت أبنية مكة بها ، وبنيت فيها بيوت للسكنى وللحجاج فى الموسم . وذكر الأزرقى : أن ذرعها ما بين جمرة العقبة ومحسر سبعة آلاف ومائتا ذراع . وذكروا أن فى منى خمس آيات جمعها الشاعر بقوله :

وآى منى خمس فمنهــا اتساعها * لحجاج بيت الله لو جاوزوا الحدا
ومنع حدأة خطف لحم بأرضها * وقلــة وجدان البعوض بها عدا
وكون ذباب لا يعاقب طعمها * ورفع حصى المقبول دون الذى ردا

وفى الباب عن عبد الله بن الزبير وأنس . قال أبو عيسى: حديث مقسم عن ابن عباس ، قال على بن المدينى : قال يحيى قال شعبة : لم يسمع الحكم من مقسم إلا خمسة أشياء ، وعدها ، وليس هذا الحديث فيما عد شعبة .

و" المقــام " بضم الميم مصدر الإفعال بمعنى الإقامة ، وقد سئل المفتى أبو السعود عن الفرق بين المقام ـ بالفتح ـ وبين المقام ـ بالضم ـ ؟ فقال السائل :

يا وحيد الدهر يا فرد الأنام * أفتنا فرق المقــام والمقـام

وما أجاب به العلامة الفقيه المفتى نظمه شيخنا بقوله :

إن كان لك افتحه وإلا ضمه * ذاك فرق فى الإقامة والقيام

يريد شيخنا رحمه الله أن المقـام ـ بالفتح ـ ما كان لك مستقلاً تقوم فيه دائماً ، والمقام ما كان لغيرك تقيم فيه . والشطر الأخير كان تارةً يقول :

ذاك فرق فى المقام والمقام

ويقول لبيد فى " معلقته " :

عفت الديار محلها فمقامها * بمنى تأبد غولها فرجامها

ومنى هذا فى بيت لبيد غير منى مكة .

ثم الخروج من مكة إلى منى صباح يوم التروية ، فيقيم بها إلى صبح يوم عرفة يصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء يوم التروية ، وصلاة الفجر يوم عرفة ، هذه خمس صلوات صلاهن ﷺ ، كما جاء فى حديث الباب من رواية ابن عباس، وكما فى حديث جابر الطويل فى " صحيح مسلم " و" سنن أبى داود" ، وغيره من الأحاديث الواردة فى هذا ، وبعد صلاة الفجر بمنى يغدو

(باب ما جاء أن منى مناخ من سبق)

حدثنا : يوسف بن عيسى ومحمد بن أبان قالا نا وكيع عن اسرائيل عن ابراهيم بن مهاجر عن يوسف بن ماهك عن أمه مسيكة عن عائشة قالت: « قلنا يا رسول الله ! ألا نبنى لك بناءً يظلك بمنى؟ قال: لا ، منى مناخ من سبق » .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن .

إلى عرفات ملبياً ومكبراً وداعياً . وما ذكره الترمذى من ثبوت الانقطاع فى الرواية الثانية بين الحكم ومقسم ، وإنه غير خمسة أسانيد ثبت فيها سماع الحكم عنه ، كما يقوله لثبوته ، فغير مضر حيث ثبت ذلك فى أحاديث أخرى صحيحة تشهد له ، وعليه اتفق المذاهب الأربعة .

ـ: باب ما جاء أن منى مناخ من سبق :ـ

" المناخ " ـ بالضم ـ : موضع إناخة الإبل ، مثل : المراح والعطن .

حديث عائشة أخرجه أبو داود فى " باب تحريم مكة " وفيه : " بناء " أو " بيتاً " من كتاب المناسك ، وأخرجه ابن ماجه فى " باب النزول بمنى " وفيه : " بيتاً " . والحديث حسنه الترمذى ، وفى نسخة الحلبية صححه مع أن فيه مسيكة . قال فى " تهذيب التهذيب " : قال ابن خزيمة : لا أحفظ عنها راوياً غير ابنها ، ولا أعرفها بعدالة ولا جرح ، وجعلها الذهبى مجهولة فى " الميزان " . وأخرجه الحاكم فى " المستدرك " (١ ـ ٤٦٧) من طريقها ، وصححه على شرط مسلم ، وقرره الذهبى فى " تلخيصه " . قال الخطابى (٢ ـ ٢٢١) : قلت : قد يحتج بهذا من لا يرى دور مكة مملوكة لأهلها ، ولا يرى بيعها وعقد الإجارة عليها جائزاً ، وقد قيل : إن هذا خاص للنبى

(باب ما جاء فى تقصير الصلاة بمنى)

حدثنا : قتيبة نا أبوالأحوص عن أبى اسحاق عن حارثـة بن وهب قال :

ﷺ وللمهاجرين من أهل مكة ، فإنها دار تركوها لله تعالى، فلم ير أن يعودوا فيها فيتخذوها وطناً أو يبنوا فيها بناء" ، والله أعلم اه .

قال الراقم : هذا تأويل ، والإستدلال به واضح ، احتج بـه الإمام أبوحنيفة: أن أرض الحرم موقوفة، فلايجوز أن يملكها أحد . قال الطيبى ـ كما حكاه فى الحاشية فى معنى الحديث ـ : قال : لا ، لأن منى ليس مختصاً بأحد ، إنما هو موضع العبادة ، من الرمي، وذبح الهدى ، والحلق ونحوها ، فلو أجيز البناء فيها لكثرت الأبنية وتضيق المكان، وهذا مثل الشوارع ومقاعد الأسواق ، وعند أبى حنيفة أرض الحرم موقوفـة ، فلا يجوز أن يملكها أحد اه . وعدم جواز بيع أرض الحرم وبيوت مكـة وإجارتها هو مذهب أبى حنيفـة ومحمد والثورى ، وإليـه ذهب عطاء ومجاهد ومالك واسحاق وأبو عبيد، وذهب إلى الجواز أبو يوسف والشافعى وأحمد وطاوس وعمرو بن دينار وابن المنذر . وهذا ملخص ما قاله فى " العمدة " (٤ ـ ٥٩٠) .

تنبيه : هذا الباب لم يتعرض إليه فى " العرف الشذى " .

ـ: باب ما جاء فى تقصير الصلاة بمنى :ـ

أخرج فيه حارثة بن وهب وهو الخزاعى ، وخزاعة حى من الأزد ، كما يقوله البدر العينى فى " العمدة " . وابن وهب الخزاعى هذا : أخو عبيد الله ابن عمر بن الخطاب لأمه ، كما يقوله الخطابى فى " معالم السنن " ، وهو حديث أخرجـه الشيخان ، وكذلك كل ما ذكره فى الباب من أحاديث عبد الله وابن عمر وأنس، أخرجها البخارى ومسلم .

« صليت مع النبي ﷺ بمنى آمن ما كان الناس وأكثره ركعتين » .

وفي الباب عن ابن مسعود وابن عمر وأنس . قال أبو عيسى : حديث حارثة بن وهب حديث حسن صحيح .

قوله : آمن ما كان الناس وأكثره . "آمن" إفعال من أمن ، ضد : خاف . والأحسن الواضح أن يكون كلمة "ما" مصدرية ، وأكثره عطف على "آمن" ، ووقع "آمن" حالاً ، يريد أنه ﷺ قصر بمنى مع كونه ﷺ والناس آمنين غير خائفين كثيرين غير قليلين ، فلم يكن التقصير في الصلاة لأجل الخوف ولا لقلة الناس حتى يكون مخافة العدو . والغرض الإشارة إلى أن تشريع القصر ابتداء وإن كان لأجل الخوف وقلة المسلمين فقد زالت العلة وبقي الحكم ، فقصر ﷺ بمنى ، فكان التقصير حكماً مؤبداً في السفر غير مقيد بخوف الفتنة من الكفار . ولفظ حديث الباب في "صحيح البخاري" في المناسك : « قال : صلى بنا النبي ﷺ - ونحن أكثر ما كنا قط وآمنه - بمنى ركعتين » . وقد شرحه البدر العيني في "العمدة" (٤ — ٦٦٩) و (٣ — ٥٣٣) ، والشهاب العسقلاني في "الفتح" (٢ — ٤٦٥) ، ولفظه في "الصحيح" في "باب الصلاة بمنى" من كتاب الصلاة : « صلى بنا النبي ﷺ آمن ما كان بمنى » . وذكر الحافظان نقلاً عن الطيبي : أن "ما" مصدرية ، ومعناه : الجمع ، لأن ما أضيف إليه "أفعل" يكون جمعاً ، والمعنى : صلى بنا والحال أنا أكثر أكواننا في سائر الأوقات أمناً اهـ .

ومسألة الباب : تقصير الصلاة بمنى ، فاتفق الأمة والأئمة على القصر في الصلاة للمسافر الحاج بمكة وإن كان بعض اختلاف في حكم ذلك القصر ، كما قد فرغنا منه في الصلاة ، ولكن اختلفوا في علة القصر بمنى ، فقال أبو حنيفة

وروى عن ابن مسعود أنه قال: «صليت مع النبى ﷺ بمنى ركعتين ومع أبى بكر ومع عمر وعثمان ركعتين صدراً من أمارته» .

والشافعى وأحمد : إن القصر بمنى لأجل السفر ، فلا يقصر أهل مكة بمنى فى الحج ، لأنهم غير مسافرين ، وهو مذهب أكثر أهل العلم منهم عطاء والزهرى والثورى ، كما هو مذهب الأئمة الثلاثة من الأربعة . وقال مالك : يقصر بمنى مطلقاً وإن كانوا أهل مكة ، وهذا التقصير عنده ليس لأجل السفر ، وإنما هو لأجل النسك : أنه كونه نسكاً من مناسك الحج ، نظير جمع التقديم بعرفات وجمع التأخير بمزدلفة عند أبى حنيفة وأصحابه من أجل النسك لا لأجل السفر ، حيث إن السفر غير مبيح للجمع عنده لاتقديماً ولا تأخيراً ، كما أسلفناه من قبل . ومذهب مالك مذهب ابن عمر وسالم والقاسم وطاؤس ، وبه قال الأوزاعى وإسحاق . والمذاهب لخصناها من " العمدة " و" مغنى ابن قدامة " وغيرهما .

ودليل ذلك عندهم : أن النبى ﷺ لما قصر بعرفة لم يميز من وراءه ، ولا قال لأهل مكة : " أتموا " ، وهذا موضع بيان . وحجة الفريق الأول كما يقوله الإمام الخطابى فى " معالمه " (٢ — ٢١١) : ليس فى قوله ﷺ : « فصلى بنا ركعتين» دليل على أن المكى يقصر الصلاة بمنى ، لأن رسول الله ﷺ كان مسافراً بمنى فصلى صلاة المسافر ، ولعله لو سأل رسول الله ﷺ عن صلاته لأمره بالإتمام ، وقد يترك ﷺ بيان بعض الأمور فى بعض المواطن اقتصاراً على ما تقدم من البيان السابق ، خصوصاً فى مثل هذا الأمر الذى هو من العلم الظاهر العام، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يصلى بهم فيقصر ، فإذا سلم التفت فقال : " أتموا يا أهل مكة ، فإنا قوم سفر" اه .

قلت : رواه مالك فى " مؤطئه " وزاد : ثم صلى عمر ركعتين بمنى ولم يبلغنا أنه قال لهم شيئاً . ولعل ذلك لقرب العهد بالإعلام ولم يعد الإعلام مرة

وقد اختلف أهل العلم فى تقصير الصلاة بمنى لأهل مكة، فقال بعض أهل العلم: ليس لأهل مكة أن يقصروا الصلاة بمنى إلا من كان بمنى مسافراً ، وهو قول ابن جريج وسفيان الثورى ويحيى بن سعيد القطان والشافعى وأحمد واسحاق ، وقال بعضهم: لا بأس لأهل مكة أن يقصروا الصلاة بمنى ، وهو قول الأوزاعى ومالك وسفيان بن عيينة وعبد الرحمن بن مهدى .

أخرى، والله أعلم .

وقال الطحاوى كما فى " العمدة " : وليس الحج موجباً للقصر ، لأن أهل منى وعرفات إذا كانوا حجاجاً أتموا ، وليس هو متعلقاً بالموضع ، وإنما هو متعلق بالسفر ، وأهل مكـة مقيمون هناك لا يقصرون ، ولما كان المقيم لايقصر لو خرج إلى منى كذلك الحاج اه .

والحافظ ابن تيمية فى " فتاواه " اختار قول مالك فى القصر بمنى مطلقاً لأجل النسك، وادعى أنه لم يثبت عنه ﷺ الأمر بالإتمام بمنى فى حجة الوداع مثل ما ثبت عنه ﷺ فى عام الفتح .

وعلى كل حال الأئمة الثلاثة : أبوحنيفة والشافعى وأحمد، ومعهم الثورى وعطاء من أهل مكة، والزهرى من أهل مدينة، كلهم يرون القصر لأجل السفر لا لأجل النسك ، وحجـة الطحاوى فى غايـة القوة ، وعدم وجود الإسناد أو الروايـة لا يوجب النفى فى الواقع ، فكم فى الدنيا وقائع وليس لها إسناد ، فالإسناد يحتاج إلى الواقع دون العكس ، والله أعلم .

ومن طريف ما يحكى لنا الخطابى بإسناده فى " المعالم " : قال الوليد بن

(باب ما جاء في الوقوف بعرفات والدعاء فيها)

حدثنا : قتيبة نا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عمرو بن عبد الله ابن صفوان عن يزيد بن شيبان قال : « أتانا ابن مربع الأنصارى ونحن وقوف

مسلم : وافيت مكـة وعليها محمد بن ابراهيم وقد كتب إليه : أن يقصر الصلاة بمنى وعرفـة ، فقصر ، فرأيت سفيان الثورى قام فأعاد الصلاة ، وقام ابن جريج فبنى على صلاته فأتمها .

قال الوليد: ثم دخلت المدينة فلقيت مالك بن أنس فذكرت ذلك له وأخبرته بفعل الأمير وفعل سفيان وابن جريج ؛ فقال: أصاب الأمير وأخطأ ابن جريج ، ثم قدمت الشام فلقيت الأوزاعى فذكرت لـه ذلك ؟ فقال : أصاب مالك ، وأصاب الأمير وأخطأ سفيان وابن جريج ، قال: ثم دخلت مصر فلقيت الشافعى فذكرت ذلك له ؟ فقال : أخطأ الأمير وأخطأ مالك وأخطأ الأوزاعى وأصاب سفيان وأصاب ابن جريج .

قلت : أما ابن جريج فإنما بنى على صلاته ، لأن من مذهبه أن المفترض يجوز له أن يصلى خلف المتنفل ، وأعاد سفيان الصلاة لأنه لا يرى للمفترض أن يصلى خلف المتنفل ، وكانت صلاة الأمير عنده نافلـة حين قصرها وهو مقيم بمكة والياً عليها ، فاستأنف سفيان صلاته ، وكذلك مذهب أصحاب الرأى فى هذا ، انتهى .

—: باب ما جاء فى الوقوف بعرفات والدعاء فيها :—

حديث ابن مربع فى الباب أخرجه النسائى وأبوداود وابن ماجه، وابن مربع هذا سماه الإمام الترمذى: يزيد، وقيل: زيد، وقيل: عبد الله، كما فى "التهذيب"

و" العمدة " (٤ — ٦٧٩) . ووقوف عرفات أعظم ركن من ركنى الحج . وفى الحديث : « الحج عرفة » ، أخرجه الترمذى وبقية السنن والدارمى من حديث عبد الرحمن بن يعمر الأيلى . وفى هذا الحديث نفسه : « من أدرك عرفة ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد أدرك الحج» .

والوقوف بعرفات ركن وفرض ، اتفق عليه الأمة ، كما فى " البدائع " وغيره ؛ وهو أحد ركنى الحج والثانى طواف الزيارة . والوقوف بعرفات فى أى جزء من زوال الشمس يوم عرفة إلى آخر ساعة ليلة النحر ، وليلة جمع قبل طلوع الفجر يكفى لأداء الفرض ، ويخطب الإمام خطبة يعلم فيها الحجاج المناسك من الوقوف بعرفة، والرواح إلى مزدلفة ، وجمع صلاة المغرب والعشاء جمع تأخير ، والمبيت بها ، والوقوف بها غداة النحر ، إلى غير ذلك من الأحكام والمناسك ، ثم يقفون بعرفات مشتغلين بالدعوات المأثورة مكبرين ومهللين وملبين فى أثناء الدعوات ساعةً فساعةً . وعرفة كلها موقف غير وادى عرنة بنص الحديث ، والأفضل فى الموقف موقف النبى ﷺ بعرفات بقرب جبل الرحمة عند الصخرات الكبار السود ، وهو مظنة موقف النبى ﷺ ، وقد بنى فيه مسجد يسمى بمسجد الصخرات ، كما يحكيه الشيخ حسين عبد الغنى عن الشيخ طاهر سنبل فى تعليقاته " إرشاد السارى إلى مناسك القارى" .

قال شيخنا رحمه الله : وأول من عين موقف النبى ﷺ بعرفات هو : الشيخ القاضى بدر الدين الشبلى الحنفى تلميذ الحافظ شمس الدين الذهبى وقال : إن وادى عرفات بقرب وادى " نعمان " التى أخرج فيها من صلب آدم ذريته فى عالم الذر .

قال الراقم : أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ

بالموقف مكاناً يباعدة عمرو، فقال: إنى رسول رسول الله ﷺ إليكم يقول: كونوا على مشاعركم فإنكم على إرث من إرث ابراهيم ».

عن ابن عباس فى الآية: "مسح الله ظهر آدم وهو "ببطن نعمان" واد إلى جنب عرفة" اه. كذا فى "الدر المنثور" (٣ — ١٤١). و"عرفات" علم للموقف، منصرف على ما حققه الزمخشرى، وكذا العينى فى "العمدة" (٤ — ٦٧٨) وملخصها: أن التاء فيها ليست للتأنيث، بل لكون الجمع جمعاً مؤنثاً، ولا يمكن تقدير التاء فيها لوجود تاء فيها، فإذن بقى سبب واحد وهو العلمية. وقد بين البدر العينى عدة وجوه فى سبب تسميتها بعرفات، فراجعها.

قوله: يباعده. أى يجعله بعيداً ويصفه بالبعد عن موقف الإمام، كما فى "المجمع" وغيره.

قوله: مشاعركم. المشاعر جمع مشعر، وهو المنسك، فالمشاعر مواضع المناسك. والشعائر: أعمال الحج وكل ما جعل علماً لطاعة الله عزوجل، والواحد: شعيرة، وقيل: شعارة، أو المشاعر والشعائر واحد، وهى معالمه التى ندب الله إليها وأمر بالقيام بها، وكل ما أشعرها الله أى جعلها الله أعلاماً لنا من موقف أو مسعى أو ذبح، هذا ملخص ما فى "التاج" للزبيدى.

وبالجملة فالمشاعر مواضع النسك، سميت بذلك لأنها معالم العبادات.

قوله: على إرث من إرث ابراهيم. علة للأمر بالاستقرار والتثبت على تلك المواقف بأنها سنة ابراهيم عليه السلام سنة متبعة ورثتموها من أبيكم ابراهيم، ففيه حث وترغيب على التمسك بها. هذا ملخص ما قيل.

وفى الباب عن على وعائشة وجبير بن مطعم والشريد بن سويد الثقفى .
قال أبو عيسى : حديث ابن مربع حديث حسن ، لانعرفه إلا من حديث ابن عيينة عن عمرو بن دينار . وابن مربع اسمه : يزيد بن مربع الأنصارى ، وإنما يعرف له هذا الحديث الواحد .

حدثنا : محمد بن عبد الأعلى الصنعانى البصرى نا محمد بن عبد الرحمن الطفاوى نا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : « كانت قريش ومن كان على دينها ـ وهم الحمس ـ يقفون بالمزدلفة يقولون : نحن قطين الله ، وكان من سواهم يقفون بعرفة، فأنزل الله عز وجل : (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ○) » .

وأخرج فى الباب أيضاً حديث عائشة ، وهو الذى أحال عليه أولاً ، وأخرجه الشيخان وإن كان فى سياقه بعض اختلاف ، وكلاهما من حديث هشام بن عروة عن عروة ، والمؤلف قام بشرحه فى الكتاب ، وما قال : "الحمس هم أهل الحرم" وليس هذا تفسير من جهة اللغة، وإنما سميت قريش ومن تابعهم من كنانة وجديلة وغيرها بـ : "الحمس" ، واختلف الأقوال فى تسميتهم بالحمس ، وهى جمع : أحمس ، وهو الشديد ، وسموا بذلك لما شددوا على أنفسهم ، وكانوا إذا أهلوا بحج وعمرة لايأكلون لحماً ، ولايضربون وبراً ولا شعراً ، وإذا قدموا مكة وضعوا ثيابهم التى كانت عليهم ، وهذا ما قاله مجاهد فيما حكاه ابراهيم الحربى، كما ذكر فى " فتح الحافظ " ، وحكى الحافظ عن أبى عبيدة : تحمس : تشدد ، ومنه : حمس الوغى : إذا اشتد اهـ .
ويقول المحب الطبرى فى " القرى " (ص ــ ٣٤٤) : وقيل : سموا حمساً لشجاعتهم ، والحماسة : الشجاعة . وفى " القاموس " وشرحه للزبيدى بسط هذا ، كعادة الشارح، ومما قالا : وحمس الرجل : صلب فى الدين وتشدد ،

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح. ومعنى هذا الحديث : أن أهل مكة كانوا لا يخرجون من الحرم ، وعرفات خارج من الحرم ، فأهل مكة كانوا يقفون بالمزدلفة ويقولون : نحن قطين الله، يعنى سكان الله ، ومن سوى أهل مكة كانوا يقفون بعرفات ، فأنزل الله تعالى : (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ○) ، والحمس: هم أهل الحرم .

(باب ما جاء أن عرفة كلها موقف)

حدثنا : محمد بن بشار نا أبوأحمد الزبيرى نا سفيان عن عبد الرحمن بن الحارث ابن عياش بن أبى ربيعة عن زيد بن على عن أبيه عن عبيد الله بن أبى رافع عن

وكذلك فى القتال والشجاعة ، فهو حمس ككتف ، والحماسة الشجاعة ، ومنه الأحمس : الشجاع ، كالحميس والحمس اه .

—: باب ما جاء أن عرفة كلها موقف :—

أخرج فى الباب حديث على ، وهو حديث طويل ، وفيه عدة مسائل من المناسك ، وفاقية وخلافية . والحديث أخرجه أبو داؤد فى الدفع من عرفة، وفى الصلاة بجمع ، وابن ماجه فى باب الموقف بعرفة ، كل مختصراً .

والوقوف بعرفات من أعظم أركان الحج ، وأجمع المسلمون على كونه ركناً ، وثبت ذلك من فعل النبى ﷺ وقوله . والأحاديث فى وقوف عرفات عدة ، منها فعلية ، وعدة أخرى قولية ، وحديث الباب جمع البابين . وعرفة كلها موقف إلا ابطن عرنة ، ومزدلفة كلها موقف إلا وادى محسر ، وثبت ذلك من حديث جابر عند ابن ماجه فى "سننه" فى باب الموقف بعرفات ،

علي بن أبي طالب قال: « وقف رسول الله ﷺ بعرفة ، فقال : هذه عرفة ، وهو الموقف، وعرفة كلها موقف ، ثم أفاض حين غربت الشمس وأردف

ولفظه مرفوعاً : « كل عرفة موقف ، وارتفعوا عن بطن عرنة، وكل المزدلفة موقف، وارتفعوا عن بطن محسر، وكل منى منحر إلا ماوراء العقبة » ، وفيه القاسم بن عبد الله بن عمر العمري متروك . ومن حديث جبير بن مطعم عند أحمد في " مسنده " (٤ ــ ٨٢) وفيه انقطاع ، ولكن رواه ابن حبان في " صحيحه " باتصال . ومن حديث ابن عباس عند أحمد والطبراني والحاكم وصححه على شرط مسلم ، وقال الهيثمي : رجاله ثقات . ومن حديث ابن عمر عند ابن عدي في " الكامل " بلفظ حديث جابر عند ابن ماجه ، وحديث ابن عباس عند أحمد والحاكم ، وفيه عبد الرحمن بن عبد الله العمري ، وهو ضعيف . ومن حديث أبي هريرة أيضاً عند ابن عدي ، وفيه متروك . وفي حديث جابر الطويل عند مسلم وأبي داود : « وقفت ههنا ، وعرفة كلها موقف» ، هذا كله ملخص في " نصب الراية " و " فتح القدير " وغيرهما بترتيب وزيادة ومحو وإثبات، والله المستعان .

وحد عرفة - على ما قاله الأزرقي وحكاه في " العمدة " و " المجموع " وغيرهما عن ابن عباس - : من قبل المشرق على بطن عرنة إلى جبال عرنة إلى وصيق إلى ملتقى وصيق إلى وادي عرنة ، وراجع للتفصيل " القرى " للطبري و " شرح المهذب " للنووي .

ثم الوقوف عند أكثر أهل العلم وجمهور الأئمة : أنه لا يصح إلا بعرفة ، (بالفاء) دون عرنة (بالنون) ، وعرنة بضم العين ويحكى ابن المنذر ثم الخطابي عن مالك أنه يصح الوقوف بعرنة ويلزمه دم ، فالواقف بعرنة حجه صحيح

أسامة بن زيد وجعل يشير بيده على هينته والناس يضربون

وعليه دم ، كما يقوله الخطابي في "معالمه" (٢ ــ ٢٠٢) والنووي في " شرح المهذب " (٨ ــ ١٠٩) ، ومثله في " المغني " لابن قدامة نقلاً عن الحافظ ابن عبد البر .

ويقول الشيخ ابن الهمام في "فتحه" (٢ ــ ٣٨١) ما ملخصه: أن ظاهر كلام " القدوري" و "الهداية" وغيرهما : أنه لا يجزئ الوقوف بعرنة ولا في وادي محسر ، وإنهما ليسا بمكان الوقوف ، سواء كان عرنة من عرفة أو لم تكن ، وسواء كان محسر من مزدلفة أو لم يكن ، وهو ظاهر الأحاديث، وهو الذي يقتضيه كلام محمد في " الأصل " (أي المبسوط) ، ولكن صرح في "البدائع" بالإجزاء مع الكراهة بالوقوف في وادي محسر ، ولكن لم يصرح مثله في الوقوف بعرنة ـ بالنون ـ . ومقتضى كلامه أن يكون مثله ، وما قاله صاحب " البدائع " خلاف ما يقتضيه كلام الأصحاب من عدم الإجزاء والفصل فيه : إن ثبت كون عرنة من عرفة وكون محسر من مزدلفة والمشعر الحرام صح الوقوف للعمل بالقاطع مع الكراهة لمخالفته أخبار الآحاد وإلا فلا .

قوله : على هينته . اختلف نسخ الترمذي في " هينته " بالنون وفي " هيئته " بالهمز ، قال السيوطي في " القوت" : بهاء ونون ، كزينته ، أي على عادته في سكونه ورفقه . قال أبو موسى المديني : ولغير المصنف " على هيئته" بهمز بدل نون ، كرحمة ، أي هيئته في سيره المعتاد اهـ . وكذلك اختلفت نسخ " الهداية " من الفقه الحنفي ، والذي يميل إليه القلب الأول ، كما يدل عليه قوله ﷺ : « أيها الناس عليكم السكينة » ، ولفظ الشيخين : « عليكم بالسكينة » فإن البر ليس بالإيضاع ، والله أعلم .

قوله : والناس يضربون ، أي الإبل ، كما في رواية " أبي داود " .

يميناً وشمالاً يلتفت إليهم ويقول : يآ أيها الناس عليكم السكينة، ثم أتى جمعاً فصلى بهم الصلاتين جميعاً ، فلما أصبح أتى قزح ووقف عليه وقال : هذا قزح، وهو الموقف، وجمع كلها موقف، ثم أفاض حتى انتهى إلى وادي محسر فقرع ناقته

قوله : يميناً وشمالاً يلتفت إليهم ، هكذا في نسخ الترمذي عندنا ، وفي رواية أبي داود "في باب الدفعة من عرفة": « يميناً وشمالاً لا يلتفت إليهم » ، ومثله في " مسند أحمد " (١ ـ ١٥٧) . قال المحب الطبري في " القرى " (ص ـ ٣٧٥) : قال بعضهم : رواية من روى « يلتفت إليهم » بإسقاط " لا " أصح ، فإنه كان ينظر إليهم وهم يضربون الإبل ليشير إليهم يميناً وشمالاً : السكينة السكينة اهـ . أقول : ويؤيده رواية أحمد في " مسنده " (١ ـ ٧٦) بلفظ : " وهو يلتفت " .

قوله : أتى جمعاً . أي المزدلفة ، ولها أسماء ثلاثة ، الثالث : " المشعر الحرام " ، كما قاله الطحاوي، حكاه ابن الهمام ، وسمي : " جمعاً " لأن آدم عليه السلام اجتمع فيها مع حواء عليها السلام وازدلف إليها : أي دنا منها ، أو لأنه يجمع فيها بين الصلاتين، وأهلها يزدلفون: أي يتقربون إلى الله بالوقوف فيها ، كذا في " العمدة " (٤ ـ ٦٧٨) .

قوله : قزح . بضم القاف كزفر ، وهو الجبل الذي يقف عليه الإمام بمزدلفة ، غير منصرف للعلمية والعدل ، كما في " القرى " و " التاج " و " اللسان " وغيرها . وما في " تحفة الأحوذي" بفتح القاف فغير صحيح .

قوله : وادي محسر . والمحسر بضم الميم وفتح الحاء المهملة وتشديد السين

المهملة وكسرها ، هو: واد بين مزدلفة ومنى ، وقال بعضهم : ماصب منه في المزدلفة فهو منها، وماصب منه في منى فهو منها ، وصوبه بعضهم ، وسمى بذلك لأنه حسر فيه فيل أصحاب الفيل ، أى أعيا ، وقيل : لأنه يحسر سالكيه ويتعبهم . قال الشافعي في " الأم " : وتحريكه ﷺ الراحلة فيه يجوز أن يكون فعل ذلك لسعة الموضع ، وقيل : يجوز أن يكون فعله لأنه مأوى الشياطين ، وقيل : لأنه كان موقف النصارى، فاستحب ﷺ الإسراع فيه ، هذا مختصر ما قاله المحب الطبري في " القرى" . ويقول الزبيدي في " التاج " : وفي كتب المناسك : هو وادي النار، قيل : إن رجلاً اصطاد فيه فنزلت نار فأحرقته ، نقله الأقشهري الخ .

قلت: وذكره صاحب "القرى" أن أهل مكة يسمون هذا الوادي: وادي النار الخ . قال شيخنا رحمه الله : ووادي محسر هو الذي هلك فيه أصحاب الفيل، وذلك أن أبرهة بن الصباح الأشرم ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشي بنى كنيسة بصنعاء ، وسماها : القليس ، وأراد أن يصرف إليها الحاج، فخرج من بني كنانة رجل وتغوط فيها ليلاً ، فأغضبه ذلك ، فحلف ليهدمن الكعبة ، فخرج بالحبشة ومعه فيل اسمه : محمود ، فأصابهم ما أصاب ، وقضى فيهم أمر الله .

قال الراقم: وهذا ملخص ما ذكره ابن كثير والرازي والقرطبي والزمخشري والسيوطي والآلوسي وغيرهم من المفسرين ، ولم أجد من صرح منهم بأن ذلك كان في وادي محسر، إلا ما قاله المحب الطبري، كما أسلفناه منه ، وإلا ما قاله النووي في شرحه لمسلم بلفظ الطبري . . . . وقال : أى أعيا وكل" اهـ ، والله أعلم . ثم رأيت في شرح " الدسوقي " على شرح متن " الخليل " من كتب المالكية (٢ ــ ٤٥) : قال شيخنا العدوي : الحق أن قضية الفيل لم تكن

فخبت حتى جاوز الوادى فوقف وأردف الفضل، ثم أتى الجمرة فرماها، ثم أتى المنحر فقال : هذا المنحر، ومنى كلها منحر، واستفتته جارية شابة من خثعم فقالت: إن أبى شيخ كبير قد أدركتـه فريضة الله فى الحج! أفيجزئ أن أحج عنه ؟ قال : حجى عن أبيك . قال : ولوى عنق الفضل ، فقال العباس : يا رسول

بوادى محسر ، بل كانت خارج الحرام، كما أفاده بعض شيوخنا اهـ . والبدر العينى فى "العمدة" (٤ ــ ٦٩١) نقل عن الطبرى ـ وهو المحب الطبرى ـ ذلك ثم قال : قيل هذا غلط، لأن الفيل لم يعبر الحرم ، وقيل سمى به لأنه يحسر سالكه ويتعبه، ويسمى: وادى النار. ويقال: إن رجلاً اصطاد فيه، فنزلت نار فأحرقته . وحكمة الإسراع لأنه كان موقفاً للنصارى، فاستحب رسول الله ﷺ الإسراع فيه اهـ . وفى "مشكل الآثار" للطحاوى (٢ ــ ٧٣ و٧٤) بإسناده إلى عمرو ابن معدى كرب يقول : كنا عشية عرفة ببطن عرنة نتخوف أن يتخطفنا الجن، فقال لنا رسول الله ﷺ : «أجيزوا إليهم فإنهم إن أسلموا إخوانكم . . . » فكان ما فى الحديث : أنهم كانوا يقفون عشية عرفة ببطن عرنة خوفاً منهم على أنفسهم أن يخطفهم الجن ، وإن النبى ﷺ أمرهم أن يجيزوا إليهم أى إلى ما سوى بطن عرنة من عرفة اهـ مختصراً ، نبه على هذا شيخنا رحمه الله .

وبالجملة ظهرت فيه نكتة أخرى للتجنب عن الوقوف بعرفات والله أعلم .

قوله : فخبت ، من الخبب مضاعف ، قسم من العدو ، كالحفد والعنق والنص والإرقال والتقريب وغيرها .

قوله : إن أبى شيخ كبير قد أدركته فريضة الله الخ . ولفظ "الصحيح" فى "باب الحج عمن لا يستطيع الثبوت على الراحلة" : « إن فريضة الله أدركت أبى شيخاً كبيراً لا يثبت على الراحلة ! أفأحج عنه الخ ؟ » وهو حديث متفق عليه من حديث ابن عباس .

الله ! لم لويت عنق ابن عمك ؟ قال : رأيت شاباً وشابــةً فلم آمن الشيطان عليهما ، فأتاه رجل ، فقال : يا رسول الله إني أفضت قبل أن أحلق ؟ قال : احلق ولا حرج ، أو قصر ولا حرج ، قال : وجاء آخر فقال : يا رسول الله !

والمسألة هذه تسمى في الفقه بـ : " مسألة المعضوب " ، بالعين المهملة ثم الضاد المعجمة . قال الإمام الشافعي في المناسك : وإذا كان الرجل معضوباً لا يستمسك على الراحلة فحج عنه رجل في تلك الحالة فإنــه يجزئه اه . حكاه الزبيدي في " التاج " . قال الفقهاء : وكل من وجب عليه الحج من وجود شرائطه كالزاد والراحلة والقدرة على الركوب والثبات على الراحلة وعجز عن الأداء بنفسه يجب عليه الإحجاج ، بأن يأمر أحداً بالحج عنه في حال حياته أو بعد موته ، ويتحقق العجز بالموت والحبس والمنع والمرض الذي لا يرجى زوالــه كالزمن والفالج وذهاب البصر والعرج والهرم بحيث لا يقدر معـه على الاستمساك على الراحلة . ثم إن قدر بعد العجز وجب عليـه أن يحج بنفسه وهذا ملخص ما قاله صاحب " اللباب " وشارحه وغيرهما ، وتفاصيل المذاهب وبقية الإختلافات محلها كتب الفروع .

قوله : إني أفضت قبل أن أحلق الخ. اعلم أن في يوم النحر أربعة أشياء من مناسك الحج : الرمي ، أي رمي جمرة العقبة ، ثم النحر ، ثم الحلق ، ثم الطواف ، فهذه أمور ثبتت من السنة بهـذا الترتيب ، وكذلك رتبها النبي ﷺ كما وصفها جابر في حديثه الطويل في حجة الوداع ، وروى أنس كما في "سنن أبي داود" : «إن النبي ﷺ رمى ثم نحر ثم حلق» . فلاريب أن الترتيب المطلوب هو هذا ، فإن أخل بترتيبها ناسياً أو جاهلاً فهل يجب عليــه دم أم لا ؟ فاختلفت الأقوال في ذلك كما في " المغني " و " العمـــدة " وغيرهما ، فذهب عطاء وطاؤس ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن : أنه لا شيء عليه ، وإليه ذهب الشافعي وأحمد

وإسحاق وأبو ثور و داود ومحمد بن جرير الطبرى . وقال ابن عباس : عليه دم ، وهو قول النخعى والحسن (فى رواية) وقتادة ، وإليه ذهب أبو حنيفة والنخعى وابن الماجشون، وقال أبو حنيفة: إن كان قارناً فعليه دمان: دم للقران ودم لهذه الجناية . وقال مالك والأوزاعى والثورى : إذا حلق قبل أن يذبح لا شئ عليه ، وهو نص الحديث ، ونقله ابن عبد البر عن الجمهور ، وإليه ذهب أبو يوسف ومحمد صاحبا أبى حنيفة ، فالترتيب واجب عند أبى حنيفة ولكنه فى الثلاثة الأول ، ومسنون عند الجمهور ، وما ورد من الأسئلة فى الأحاديث المروية فهى سبعة كما تجد تفصيل ذلك فى " العمدة " (٤ ــ ٧٥٣ و ٧٥٥) و " الفتح" (٣ ــ ٤٥٥) ، ثم الفروع الفقهية المنشعبة فكثيرة . وفى "شرح الدردير على الخليل" : أن تقديم الرمى على الحلق والإفاضة واجب ، وما عداه مندوب اهـ . ومعنى الواجب : أى ينجبر عندهم بالدم ، كما فى " أقرب المسالك " وغيره ، وعند الحنابلة قولان فيمن أخل بالترتيب عامداً ، فيجب عليه دم فى قول . وراجع " المغنى " لابن قدامة و " إحكام الأحكام " لابن دقيق العيد للتفصيل .

وبالجملة ففى العمد يجب دم عند أحمد فى قول ، وكذا يجب الدم فى بعض الصور عند مالك ، فاتفق مع أبى حنيفة فى عدم جواز تقديم الحلق على الرمى ، وللشافعى قول مثله كما يقوله ابن دقيق العيد ، كما فى " الفتح" وشرح "العمدة" لابن دقيق العيد . وأما عند أبى حنيفة فيجب الدم مطلقاً ، سواء كان عامداً أو ناسياً أو جاهلاً، ولكنه فى الأشياء الثلاثة دون طواف الإفاضة، فلا يجب الدم بتقديمه على بقية المناسك . نعم يجب الدم بتأخيره عن أيام النحر الثلاثة . نعم المفرد بالحج ليس عليه الذبح ، فيجب عليه الترتيب فى الرمى والحلق دون الذبح ، وإنما يجب الترتيب فى الثلاثة على القارن والمتمتع ، وطواف الإفاضة أمره فى

الكل سواء . نعم المندوب فيه أن يكون بعد الفراغ من الثلاثة للقارن والمتمتع أو الأمرين للمفرد ، وهكذا إذا كان السائل مفرداً بالحج فلا شئ عليه بتقديم الذبح وتأخيره عن الرمى ، ولا بتقديم الحلق على الذبح .

وقال الأوزاعى : إن أفاض قبل الرمى اهراق دماً ، وقد اختلف عن مالك فى تقديم الطواف على الرمى ، ويجب إعادة الطواف فى رواية ابن عبد الحكم ، فإن لم يعد وجب عليه الدم .

وحجة أبى حنيفة رحمه الله تعالى ما رواه ابن أبى شيبة بإسناد فيه من ضعف ولكن رواه الطحاوى بإسناد صحيح عن ابن عباس قال : « من قدم شيئاً من حجه أو أخره فليهرق لذلك دماً » . وأخرج أيضاً عن سعيد بن جبير وابراهيم النخعى وجابر زيد أبى الشعثاء نحوه . وأخرج الطحاوى عن ابراهيم ابن مهاجر نحوه ، وصاحب " الهداية " رواه عن ابن مسعود بلفظ : « من قدم نسكاً على نسك فعليه دم » ، ونحن وإن لم نقف عليه فيما عندنا من المآخذ ولكن لا يبعد أن يكون له أصل فى كتب أئمتنا ، وقول ابن عباس قرينة صحة ذلك ، وأئمة الكوفة ألزم الناس لأقوال ابن أم عبد ، وقول ابن الهمام لأثر ابن عباس : "وهو أعرف" أصح من قول الزيلعى : " وهو أصح" .

ومن المؤسف أن الحافظ فى "الفتح" يغمض عن إسناد الطحاوى ويقول: أخرجها ابن أبى شيبة ، ثم يغمزها بابراهيم بن مهاجر .

ويقول الطحاوى ما ملخصه : فهذا ابن عباس أحد من روى عن النبى ﷺ : أنه ما سئل يومئذ عن شئ قدم ولا أخر إلا قال : لا حرج ، فلم يكن نفى الحرج على الإباحة ، بل على نفى الإثم ، بل إنما فعلوه فى حجة النبى ﷺ

كان على الجهل بالحكم فيه ، فعذرهم لجهلهم وأمرهم فى المستقبل أن يتعلموا مناسكهم اه .

ويقول ابن الهمام: وإنما عذرهم بالجهل لأن الحال إذ ذاك فى ابتدائه اه .

قال الراقم : ويتضح ذلك بأن هذه أول حجة للرسول ﷺ وهى حجة الوداع وحجة البلاغ ، والناس الحجاج كانوا فى غاية الكثرة نحو مائة ألف ، بل فوقها ، ولم يتمكنوا من تعلم المناسك قبل ذلك ، ولم يمكن تعليم كلٍ منهم كل المناسك ، وكان العهد عهد التشريع ، والدور دور التعليم ، والمناسك التى لم يسبق لهم بها عهد كثيرة ، والزحمة الغامرة فى غاية الكثرة ، والعصر عصر البؤس والفقر لم يكن عصر الثروة والغنى ، فتحمل جهلهم فى مثل هذا الموقف وعد عذراً ، ويقول السائل : " لم أشعر " ، وقال ابن دقيق العيد : وهذه الأحاديث المرخصة . . . . قد قرنت بقول السائل : " لم أشعر " ، فيختص الحكم بهذه الحالة . . . ولاشك أن عدم الشعور وصف مناسب لعدم المؤاخذة ، وقد علق به الحكم ، كما فى " الفتح " .

وبالجملة ! فمن المعقول: أن يرفع الحرج فى مثل هذه الحالة (وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملـة أبيكم ابراهيم ○) . نعم إذا أخذوا المناسك وتعلموها وبلغ علمهـا كل أحد ، واستقامت الأحوال وانضبطت الأحكام وانتشر معرفتها فلا يكون الجهل عذراً ، وإنما يجب إذن ما يجب بترك العـلم والعمل ، هذا والله أعلم .

وبالجملة ! أثر ابن عباس بخلاف ما يرويه مرفوعاً دليل واضح وحجة قوية على أن المراد من نفى الحرج نفى الإثم فى أحكام الآخرة دون نفى الجزاء من وجوب الدم . وعمل الراوى وهو مثل ابن عباس على خلاف ما يرويه من

المرفوع دليل على أنه متأول عنده ، كما تحقق فى محله من كتب الأصول . ثم استدل الإمام الطحاوى لوجوب الدم مستنبطاً من قوله تعالى : ﴿ ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله ۝ ﴾ بأن الإجماع منعقد على وجوب الدم إن حلق قبل بلوغ المحل، فكذلك القارن إذا قدم الحلق قبل الذبح. قال الإمام الطحاوى: وحديث أسامة بن شريك : « إن الأعراب سألوا رسول الله ﷺ عن أشياء، ثم قالوا : هل علينا حرج فى كذا ؟ وهل علينا حرج فى كذا ؟ فقال رسول الله ﷺ : إن الله عزوجل قد رفع الحرج عن عباده إلا من اقترض من أخيه شيئاً مظلوماً فذلك الذى حرج وهلك » ، قال: فكانوا أعراباً لا علم لهم بمناسك الحج . ثم قال لهم ما ذكر أبو سعيد فى حديثه : " وتعلموا مناسككم " اهـ . ملخصاً .

قال شيخنا : وقال الطحاوى فى موضع آخر من " شرح معانى الآثار " ما حاصله : إن الشرع إذا أجاز عملاً فى الصلاة فذاك غير مفسد لها ، وهذا بخلاف الحج ، فإنه رب شئ فى المناسك يباح ضرورةً ويجب عليه الجزاء فى أحكام الدنيا ، كما إنه أبيح حلق الرأس لمن به أذى من رأسه ، ومع ذلك أوجب عليه فدية ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ فمن كان منكم مريضاً أو به أذىً من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أونسك ۝ ﴾ (البقرة ـــ ١٩٦) ، وكما أبيح للمحصر الخروج عن الإحرام مع وجوب القضاء عليه من العام القابل .

قال شيخنا : وهذا كلام فى غاية القوة ، فثبت أن المراد هو نفى الإثم دون نفى الجزاء ، والله ولى التوفيق .

قال الراقم : ولعل شيخنا يريد بكلام الطحاوى ما قاله فى باب ما يلبس المحرم من الثياب (١ـــ ٣١٢) ، وذكر عدة نظائر من إباحة أشياء محظورة

إنى ذبحت قبل أن أرمى؟ قال : إرم ولاحرج . قال : ثم أتى البيت فطاف به، ثم أتى زمزم فقال : يا بني عبد المطلب! لولا أن يغلبكم عليه الناس لنزعت » .

للمحرم ، ومع ذلك عليه الكفارة . ومما قال : فرأينا الإحرام ينهى عن أشياء قد كانت مباحة قبله ، منها : لبس القميص والعمائم والخفاف والسراويلات والبرانس ، وكان من اضطر فوجد الحر فغطى رأسه، أو وجد البرد فلبس ثيابه أنه قد فعل ما هو مباح له فعله وعليه الكفارة مع ذلك ، إلى آخر ما قال . وقال فى "باب المحصر بالحج" (١ — ٣٦٨) : ثم جعل الله عزوجل لمن فرض عليه الصلوات بالأسباب التى يتقدمها ، والأسباب المفعولة فيها فى ذلك عذراً إذا منع منه ، فجعل فى عدم الماء التيمم ، وفى عدم الثياب الصلاة بادى العورة ، ولمن منع من القبلة أن يصلى إلى غير قبلة ، إلى آخر ما قاله ، وهذا مختصره وملخصه والله المستعان .

قوله : لولا أن يغلبكم عليه الناس لنزعت .

غرضه ﷺ : أنى أحب أن أنزع بنفسى ولكن أخاف أن لوفعلت ذلك لجعله الناس سنة من المناسك ، وكل أحد إذا أراد ذلك غلب الناس عليكم ونزع هذا الفضل منكم يا بنى عبد المطلب، وهذا ملخص ما قالوه .

ولفظ حديث ابن عباس عند أحمد ، كما فى " القرى " للطبرى، يبينه ، ففيه : « لولا أن يتخذها الناس نسكاً ويغلبوكم عليه لنزعت معكم » . وحديث جابر الطويل فى " مسلم " يدل على أنه لم ينزع بنفسه ، ولفظه : « فناولوه دلواً فشرب منه » . ويقول المحب الطبرى: وذكر الملا فى " سيرته " عن ابن خديج : « إن النبى ﷺ نزع لنفسه دلواً فشرب منه ثم عاد إلى منى » . فإما أن

وفى الباب عن جابر . قال أبو عيسى : حديث على حديث حسن صحيح ، لا نعرفه من حديث على إلا من هذا الوجه ، من حديث عبد الرحمن بن الحارث ابن عياش ، وقد رواه غير واحد عن الثورى مثل هذا .

والعمل على هذا عند أهل العلم ، قد رأوا أن يجمع بين الظهر والعصر بعرفة فى وقت الظهر . وقال بعض أهل العلم : إذا صلى الرجل فى رحله ولم

يرجح سياق مسلم أو يجمع بأنه تارةً فعل ذلك وتارةً فعل هذا . وقوله ﷺ فى حديث الباب وأمثاله : « لنزعت » يكون مراده : " لنزعت سقاية الناس واشتركت معكم فى هذه السقاية " والله أعلم .

قوله : قد رأوا أن يجمع بين الظهر والعصر الخ .

اعلم أن الجمع بين العصرين ـــ أى الظهر والعصر ـــ بعرفة جمع التقديم بعرفات ، والجمع بين العشائين ـــ أى المغرب والعشاء ـــ بمزدلفة كل منهما له شروط عند الأئمة ، مختلف فيها ومتفق عليها .

فمذهب أبى حنيفة فى جمع التقديم بعرفة له شروط ستة :

الأول : تقديم الإحرام بالحج عليها .

الثانى : تقديم الظهر على العصر ، فلو صلاهما وظهر أن الظهر كان قبل وقته أعادهما جميعاً .

الثالث : الوقت والزمان ، أى يوم عرفة بعد الزوال .

الرابع : المكان ، وهو وادى عرفات ، أو بقربها ، كمسجد نمرة من أى جهة كان .

يشهد الصلاة مع الإمام إن شاء جمع هو بين الصلاتين مثل ما صنع الإمام.
وزيد بن على هو: ابن حسين بن على بن أبى طالب.

الخامس: الجماعة فيها.

السادس: الإمام الأعظم أو نائبه.

فملخصها: الإحرام، والإمام، والجماعة، والزمان، والمكان، والترتيب، وهذا تنقيح ما ذكره فى شرح "اللباب" للقارى وغيره من الكتب.

وشرائط الجمع بين العشائين بمزدلفة، فيشترط له: الإحرام بالحج، وتقديم الوقوف بعرفات، والزمان — وهو ليلة النحر —، والمكان — وهى مزدلفة —، والوقت وهو العشاء. ولا يشترط له الإمام ونائبه ولا الجماعة، فيفارق جمع التأخير جمع التقديم فى هذين، كما فى شرح "اللباب" وغيره، وإليه ذهب الثورى والنخعى، كما فى "مغنى ابن قدامة". ولا يشترط الإمام ولا الجماعة عند أحمد كما فى "المغنى"، وإليه ذهب الشافعى كما فى شرح المهذب" (٨ — ٩٢)، وإليه ذهب مالك كما فى "أقرب المسالك" (١ — ٢٥٩).

وبالجملة عدم اشتراط الإمام والجماعة هو مذهب جمهور الأئمة والعلماء كما يقوله النووى فى "المجموع".

ثم ههنا مسألة خلافية أخرى: أن الجمع بين الظهرين بعرفة والجمع بين العشائين بمزدلفة، هل هما بأذان واحد وإقامة واحدة أو غير ذلك؟ فالأقوال فى الأولى ثلاثة وفى الثانية ستة.

فالثلاثة الأول فى الأولى: الأول: أداؤهما بأذان واحد وإقامتين لحديث

جابر عند " مسلم " ، وإليه ذهب أبو حنيفة والثورى والشافعى وأبو ثور وأحمد فى رواية ومالك فى رواية ، وبه قال ابن القاسم وابن الماجشون وابن المواز .

والقول الثانى : بإقامتين من غير أذان ، وهو مذهب أحمد المشهور ، وروى ذلك عن ابن عمر .

والثالث: بأذانين وإقامتين ، وهو الأشهر من مذهب مالك ، كما فى " الجلاب" ، وهو المذكور فى " المدونة" ، وروى ذلك عن ابن مسعود .

والمسألة الثانية : من جمع العشائين بمزدلفة ، فالأقوال ستة ، والمشهور منها أربعة :

الأول : أداؤهما بأذان واحد وإقامة واحدة ، وهو مذهب أبى حنيفة وأبى يوسف وقول قديم للشافعى ورواية عن أحمد، وهو قول ابن ماجشون من المالكية ، لدليل حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر من حديث طويل فى " صحيح مسلم " وغيره .

الثانى: بأذان واحد وإقامتين، وإليه ذهب الشافعى ، وصححه النووى فى " المجموع " ، وهو قول لمالك ، وإليه ذهب زفر من أصحاب الإمام ، واختاره الطحاوى، ورجحه ابن الهمام فى " فتحه " (٢ ـ ٣٧٧) .

الثالث : أداؤهما بأذانين وإقامتين، وإليه ذهب مالك ، وروى ذلك عن عمر وابنه وعبد الله بن مسعود .

الرابع : أداؤهما بإقامتين من غير أذان ، وإليه ذهب أحمد فى المشهور، وهو رواية عن الشافعى ، وروى ذلك عن ابن عمر وابنه سالم والقاسم ،

هـذا تنقيح ما قدرنا عليـه من تلخيص المذاهب والأقوال من " معـالم الخطابى" و " مغنى ابن قدامة " و " قواعد ابن رشد " و " مجموع النووى" و "عمـدة البدر العينى" و " بلغة الصاوى" وغيرها . وروى ابن عبد البر عن أحمد بن خالد أنه كان يتعجب من مالك حيث أخذ بحديث ابن مسعود ، وهو من رواية الكوفيين مع كونه موقوفاً ، ويترك ما روى عن أهل المدينة ، وهو مرفوع ، قال ابن عبد البر : وأنا أعجب من الكوفيين حيث أخذوا بما رواه أهل المدينة . . . . وتركوا ما رووا فى ذلك عن ابن مسعود ، مع أنهم لا يعدلون به أحداً ، حكاه العينى ، وقال: قلت: لا تعجب ههنا أصلاً ، أما وجه ما فعله مالك ؟ فلأنه اعتمد على صنيع عمر فى ذلك وإن كان لم يروه فى " الموطأ " . وأما الكوفيون فإنهم اعتمدوا على حديث جابر الطويل الذى أخرجه مسلم الخ .

قال الراقم : ترك مالك حديث ابن عمر وترك أبى حنيفة أثر ابن مسعود كل ذلك دليل واضح على أن هؤلاء الأئمة الأعلام قد بلغوا فى اجتهادهم غاية الجهد فى إدراك ما هو الصواب من دون أن يتأثروا عن رجال بلادهم وأقوال أهل بلدهـم ، فلم يأخذوا من أقوالهم إلا ما تحقق لديهم بعد البحث والتحقيق ما هو الصواب، ولم يتركوا من أقوالهم إلا ما تبين لهم ما هو أقوى مسكة فى الباب، فأخذوا ما أخذوا ببصيرة نافذة وتركوا ما تركوا بحجة واضحة ، فرحمهم الله وجزاهم خيراً وأحسن إليهم .

وبالجملة الأحاديث الصحاح والآثار الصحاح متعارضة، والقصة واحدة، وتستفاد منها صورستة ، وإلى كل ذهب ذاهب ، ورجح كل فريق ما تحقق لديهم من بحث دقيق وتفكير عميق ، حديثاً وفقهاً ، روايةً ودرايةً ، ولكل وجهة هو موليها ، والله المستعان .

ثم ذكر صاحب " الهداية " فى الفقه الحنفى وجهـة الفرق بين صلاتى

عرفة وصلاتى مزدلفة من جهة الفقه والنظر فقال : ولأن العشاء فى وقته فلا يفرد بالإقامة إعلاماً ، بخلاف العصر بعرفة ، لأنه مقدم على وقته ، فأفرد بها لزيادة الإعلام اه . ويقول ابن الهمام : لترجيح ما اختاره من إقامتين ، فإن لم يرجح ما اتفق عليه الصحيحان على ما انفرد به مسلم وأبو داود حتى تساقطا كان الرجوع إلى الأصل يوجب تعدد الإقامة بتعدد الصلاة ، كما فى قضاء الفوائت بل أولى ، لأن الصلاة الثانية هذه وقتية ، فإذا أقيم للأولى المتأخرة عن وقتها المعهود كانت الحاضرة أولى أن يقام لها بعدها اه .

ويقول شيخنا فى وجه الفرق فقهاً بين الظهرين وبين العشائين : بأن صلاة العصر بعرفة ليس فى وقته ، وإنما استعير لها وقت الظهر ، فاحتاجت إلى إقامة ثانية ؛ وصلاة المغرب بمزدلفة فى هذه الليلة فى وقتها بالعشاء حيث جعل ذلك وقتها ثم العشاء فى وقتها ، فيكفى إقامة واحدة لهما فى الوقت ، ويؤيده المسائل المنقولة عن الإمام أبى حنيفة .

فمنها : أن الإمام شرط للجمع بعرفة دون مزدلفة ، ومنها : أن تقديم العصر بعرفة ليس واجباً ، وتأخير المغرب إلى العشاء واجب ، فمن صلى المغرب فى وقته قبل العشاء وجبت عليه إعادتها إلى طلوع الصبح ، فمن لم يعدها وطلع الفجر عادت صحيحة .

ثم السبب فى تقديم العصر وأدائها مع الظهر كان لفراغ الوقت كله إلى وظائف وقوف عرفات من استماع الخطبة والأذكار والأدعية ، ولم يكن مثل هذه الداعية فى صلاة المغرب وتأخيرها عن وقتها ، بل جعل العشاء وقتها فى تلك الليلة ، وهذا هو وجه الوجه الفقهى ، والله أعلم . وما ذكره الشيخ من إعادة المغرب ما لم يطلع الفجر ، وبعد طلوعه انقلبت صحيحة ، المسألة كذلك

(باب ما جاء فى الافاضة من عرفات)

حدثنا : محمود بن غيلان نا وكيع وبشر بن السرى وأبو نعيم قالوا : نا سفيان بن عيينة عن أبى الزبير عن جابر : « إن النبى ﷺ أوضع فى وادى محسر » ، وزاد فيه بشر: « وأفاض من جمع وعليه السكينة وأمرهم بالسكينة » ، وزاد فيه أبو نعيم : « وأمرهم أن يرموا بمثل حصا الحذف، وقال لعلى : لا أراكم بعد عامى هذا » .

ذكرها صاحب "الهداية" ، قال : وإذا طلع الفجر لا يمكنه الإعادة فسقطت الإعادة . وفى شرح "اللباب" للقارى: وقال : هذا بمقتضى قواعدنا . قال : وأما فى مذهب الشافعى فيجب على المكى أن يصلى المغرب فى وقتها ، والمسافر مخير فى إفرادها وجمعها مع غيرها جمع تقديم أو تأخير اه .

قال البدر العينى فى "العمدة" (٤ ـ ٦٨٦) ما تلخيصه : الجمع بين العشائين بمزدلفة لا خلاف فيـه ، وإنما الخلاف فى سببه ، هل هو للنسك ؟ أو لمطلق السفر ؟ أو للسفر الطويل ؟ فيجمع كل حاج للأول ، وكل حاج غير أهل مزدلفة للثانى، ويتم كل الحجاج إلا من طال سفره وجاءه من مسافـة بعيدة . قال العراقى : ثم إن العمل على الجمع استحباباً لا لزوماً حيث لم يتفقوا، فقال سفيان وأبو حنيفة : من صلاهما قبل جمع يعيد . وقال مالك : يصح من عذر . وقال الشافعى بأفضليته ، وبـه قال الأوزاعى واسحاق وأبو يوسف وأبو ثور وأشهب، وحكاه النووى عن أصحاب الحديث، وبه قال عطاء وعروة وسالم والقاسم وابن جبير اه

ــ باب ما جاء فى الإفاضة من عرفات :ــ

أخرج فيه حديث جابر ، وهو حديث صحيح أخرجه مسلم وبقية السنن ،

وفيه حديث على تقدم عند الترمذى ، وفيه حديث أسامة عند أبى داود ، كما أشار إليه الترمذى ، وحديث قيس بن مخرمة عند الحاكم والبيهقى كما فى " نصب الرأية " ، وحديث ابن عمر عند الطبرانى فى " الأوسط " كما فى " زوائد الهيثمى " و " تخريج الزيلعى " ، وهذه زيادة على ما أشار إليه فى الباب .

والإيضاع : الإسراع فى السير ، وقد ورد فى التنزيل العزيز : (ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة ○) ، وجاء من المجرد من باب " فتح " فى هذا المعنى . قال فى " القاموس " وشرحه : وضع البعير حكمته وضعاً وموضوعاً : إذا طأمن رأسه وأسرع . وللوضع والإيضاع معان أخر ، فمعنى أوضع أى : أوضع ناقته ، أى حملها على سرعة السير . وجاء فى حديث آخر فى " الصحيح : « سار سير العنق وإذا وجد فجوة نص » .

و " وادى محسر " قد شرحناه من قبل ، وكذا أسلفنا من كلماتهم حكمة الإسراع فى هذا الوادى من : أنه موقف النصارى ، أو أنه واد نزل به النار لمن اصطاد ، أو كان العرب يتفاخرون بأنسابهم بقصائد فى الجاهلية ، وما إلى ذلك من وجوه ذكروها ، وعلى كل حال الإسراع فيه سنة .

و " حصى الخذف " الخذف بفتحتين المراد : الحصى الصغار ، ما يرمى بالأصابع ، كالباقلاء ونحوه . وفى " حصى الخذف " عدة أحاديث ، منها حديث أم جندب الأزدية أم سليمان بن عمرو بن الأحوص عند " أبى داود " و " ابن ماجه " و " أحمد " و أحاديث أخر . وفى حديث ابن عباس عند أحمد فى " مسنده " (١ — ٢١٥) : قال : قال لى رسول الله ﷺ : « القط لى حصيات من حصى الخذف ، قال : فلما وضعهن فى يده قال : نعم بأمثال هؤلاء ، وإياكم والغلو فى الدين ، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو فى الدين » ،

وفى الباب عن أسامة بن زيد . قال أبو عيسى : حديث جابر حديث حسن صحيح .

(باب ما جاء فى الجمع بين المغرب والعشاء بالمزدلفة)

حدثنا : محمد بن بشار نا يحيى بن سعيد القطان نا سفيان الثورى، عن أبى اسحاق عن عبد الله بن مالك: « أن ابن عمر صلى بجمع فجمع بين الصلاتين بإقامة وقال : رأيت رسول الله ﷺ فعل مثل هذا المكان » .

حدثنا : محمد بن بشار نا يحيى بن سعيد عن اسماعيل بن أبى خالد عن أبى اسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عمر عن النبى ﷺ مثله . قال محمد بن بشار : قال يحيى : والصواب حديث سفيان .

وأخرجه النسائى وابن ماجه والحاكم ، كما فى " نصب الراية " .

قال الراقم : وزاد فى رواية ابن ماجه : « فلقطت له سبع حصيات الخ » . ومن أجل هذا قال الفقهاء : المستحب التقاط سبع حصيات من المزدلفة لاجميعها . نعم لامانع من التقاط البقية ولاسيما فى هذه العصور ، فقد بنيت الشوارع على الطرق الحديثة ، فيشكل التقاط الحصى بوادى منى .

ـ: باب ما جاء فى الجمع بين المغرب والعشاء بالمزدلفة :ـ

حديث الباب أخرجه الشيخان ، البخارى فى " باب من جمع بينهما ولم

وفى الباب عن على وأبى أيوب وعبد الله بن مسعود وجابر وأسامة بن زيد . قال أبو عيسى : حديث ابن عمر برواية سفيان أصح من رواية اسماعيل ابن أبى خالد ، وحديث سفيان حديث صحيح . قال : وروى اسرائيل هذا الحديث عن أبى اسحاق عن عبد الله وخالد ابنى مالك عن ابن عمر ، وحديث سعيد بن جبير عن ابن عمر هو حديث حسن صحيح أيضاً ، رواه سلمة بن كهيل عن سعيد بن جبير ، وأما أبو اسحاق فإنما روى عن عبد الله وخالد ابنى مالك عن ابن عمر . والعمل على هذا عند أهل العلم : أنه لا يصلى صلاة المغرب دون جمع ، فإذا أتى جمعاً - وهو المزدلفة - جمع بين الصلاتين بإقامة واحدة ولم يتطوع فيما بينهما ، وهو الذى اختاره بعض أهل العلم ، وذهبوا إليه ، وهو قول سفيان الثورى ، قال سفيان : وإن شاء صلى المغرب ثم تعشى ووضع ثيابه ثم أقام فصلى العشاء .

يتطوع " ومسلم فى كتاب الحج .

دل حديث الباب على أدائهما بإقامة واحدة ، ويمكن أن يتأول بإقامتين ، فإن لفظ البخارى فيه : « كل واحدة منهما بإقامة » ، وظاهره من غير أذان ، ولم يذهب إليه أحد من الأربعة ، وإنما هو مذهب سفيان ، كما يقوله الترمذى ، قال ابن حزم - كما فى " العمدة " (٤ — ٦٨٧) - : وأشد الاضطراب فى ذلك عن ابن عمر ، فإنه روى عنه من عمله الجمع بينهما بلا أذان وإقامة ، وروى عنه بإقامة واحدة ، وروى عنه موقوفاً ومسنداً بأذان واحد وإقامة واحدة ، وروى عنه مسنداً الجمع بينهما بإقامتين اهـ ملخصاً ، بل بإقامة واحدة كما هو المتبادر من لفظ " الترمذى " . وقد أسلفنا بيان المذاهب فى الباب السابق قبله ، فالأولى إذن ترجيح روايته التى توافق بقية الروايات من أذان واحد وإقامة واحدة . منها : حديث جابر عند ابن أبى شيبة من طريق حاتم

وقال بعض أهل العلم: يجمع بين المغرب والعشاء بالمزدلفة بأذان وإقامتين يؤذن لصلاة المغرب ويقيم ويصلى المغرب ثم يقيم ويصلى العشاء ، وهو قول الشافعي .

ابن اسماعيل عن جعفر بن محمد عن جابر ، وأشار إليه أبو داود فى " سننه " فى " باب صفة حج النبي ﷺ " . ومنها : حديث أبي أيوب عند الطبراني ، كما فى " نصب الرأية " . ولعل لأجل هذه الروايات ترك الحنفية الأخذ فى حديث جابر الطويل فى هذا الجزء ، حيث اختلف على جابر ، فرواه ابن أبي شيبة على ما رواه مسلم وأبو داود .

ثم إنه إن وقع الفصل بين المغرب والعشاء بعشاء ونحوه فيصلى العشاء بإقامة ولا يكتفى بالإقامة الأولى ، كما صرح به فقهاؤنا . قال صاحب "الهداية": ولو تطوع أو تشاغل بشئ أعاد الإقامة لوقوع الفصل ، وكان ينبغى أن يعيد الأذان ، كما فى الجمع الأول بعرفة ، إلا أنا اكتفينا بإعادة الإقامة ، لما روى أن النبي ﷺ صلى المغرب بمزدلفة ، ثم تعشى ثم أفرد الإقامة للعشاء اه . وما انتقد عليه ابن الهمام فى " الفتح" من عدم صحة الدليل فقد أصاب فى الإنتقاد فراجعه (٢ — ٣٧٩) والله أعلم . ويمكن أن يجاب عنــه بأن المراد بتعشيه تعشى من حضر بحضرتــه ﷺ . ومعنى إفراد الإقامة أمره بإفراد الإقامة وإعادته ، فنفسه ﷺ لم يتعش ولم يسبح ولم يتشاغل بشئ ، بل جمع بين العشائين ، ولكن كان جمعاً كثيراً وجماً غفيراً ، ويكون فيه أصحاب عذر ، فأمره ﷺ بإعادة الإقامة لمثل هؤلاء ، فإذن الإسناد مجازى وليس بحقيقى حتى يتوهم التضاد بين الروايات الصحيحة ، ثم إن كان الحديث لا بن مسعود موقوفا فزال الإشكال واستقام الإستدلال ، وزال ما أورده ابن الهمام من الإشكال والإ عضال ، والله أعلم بحقيقة الحال .

(باب ما جاء من أدرک الامام بجمع فقد أدرک الحج)

حدثنا : محمد بن بشار قال : نا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدى قالا نا سفيان عن بكير بن عطاء عن عبد الرحمن بن يعمر : « أن ناساً من أهل نجد أتوا رسول الله ﷺ وهو بعرفة فسألوه، فأمر منادياً فنادى: الحج عرفة، من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد أدرك الحج ، أيام منى ثلاثة ، فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه ، ومن تأخر فلا إثم عليه » .

قال محمد : وزاد يحيى : « وأردف رجلاً فنادى به » .

—: باب ما جاء من أدرك الإمام بجمع فقد أدرك :—

أخرج فى الباب حديثين: الأول : حديث عبد الرحمن بن يعمر الأبلى ، وهو قليل الحديث ، وذكره البغوى فى الصحابة ، وله هذا الحديث ، وابن عبد البر يقول : لم يرو عنه غير هذا الحديث ، ولكن المنذرى يقول : إن له حديثاً آخر فى النهى عن المزفت ، رواه الترمذى والنسائى وابن ماجــه . قاله الزيلعى فى " نصب الرايــة " . وأخرج حديث الباب أبو داود وابن ماجه والنسائى وأحمد وابن حبان والطيالسى والدارقطنى ، كما قاله الزيلعى .

قوله : الحج عرفة . يريد ﷺ أن وقوف عرفة هو الحج ، لأنه معظم أركان الحج، فكأنه الحج، وكل من فاته فقد فاته الحج ولا يتدارك بدم وغيره بل عليه الحج من قابل ، ونظير هذا التعبير كقولـه : " الندم توبة " ، روى مرفوعاً من حديث ابن مسعود عند أحمد وابن ماجه وغيرهما وهو حديث صحيح.

حدثنا : ابن أبى عمر نا سفيان بن عيينة عن سفيان الثورى عن بكير بن عطاء عن عبد الرحمن بن يعمر عن النبى ﷺ نحوه بمعنـاه . قال : وقال ابن أبى عمر : قال سفيان بن عيينة : وهذا أجود حديث رواه سفيان الثورى .

قال أبو عيسى : والعمل على حديث عبد الرحمن بن يعمر عند أهل العلم من أصحاب النبى ﷺ وغيرهم : أنه من لم يقف بعرفات قبل طلوع الفجر فقد فاته الحج ، ولا يجزئ عنه إن جاء بعد طلوع الفجر ، ويجعلها عمرة وعليه الحج من قابل ، وهو قول الثورى والشافعى وأحمد واسحاق . وقد روى شعبة عن بكير بن عطاء نحو حديث الثورى . قال : وسمعت الجارود يقول: سمعت وكيعاً يقول : وروى هذا الحديث فقال : هذا الحديث أم المناسك .

ودل حديث الباب وغيره على أن : وقت الوقوف ممتد إلى قبل طلوع الفجر من ليلـة المزدلفة ، فقال أبو حنيفة والثورى والشافعى : وقته من زوال الشمس والليل ، أى ليلة النحر كله تبع ، فإن وقف جزء من النهار أو جزء من الليل أجزأه ، إلا أنهم يقولون: إن وقف جزء من النهار بعد الزوال دون جزء من الليل كان عليـه دم ، وإن وقف جزء من الليل دون النهار لم يجب عليه دم . وقال مالك: الاعتماد فى الوقوف بعرفة على الليل من ليلة النحر ، والنهار من يوم عرفة تبع ، فالوقوف بجزء من الليل ركن عنده ، فمن خرج من عرفات قبل الغروب ولم يرجع حتى يتداركه بجزء من الليل فاته الحج ، وعليه الحج من قابل ، ومن وقف ليلاً ولم يقف بالنهار فعليه دم . وقال أحمد بن حنبل : الوقوف وقته من طلوع الفجر من يوم عرفة إلى طلوع الفجر من ليلة النحر سواءً بسواء ، ليس عنده فرق بين الليل والنهار . هذا ملخص ما فى "العمدة" (٤ ــ ٦٨٠) و" المنتقى " للباجى (٣ ــ ٢٠) والخطابى وغيرها .

حدثنا : ابن أبي عمر نا سفيان عن داود بن أبي هند واسماعيل بن أبي خالد وزكريا بن أبي زائدة عن الشعبي عن عروة بن مضرس بن أوس بن حارثة بن

وأخرج في الباب أيضاً حديث عروة بن المضرس الطائي ، رواه بقية السنن وابن حبان والحاكم ، كما يقوله الزيلعي ، قال الخطابي في "معالم السنن" (٢ ــ ٢٠٨) : في هذا الحديث من الفقه أن من وقف بعرفات وقفة ما بين الزوال من يوم عرفة إلى أن يطلع الفجر من يوم النحر فقد أدرك الحج . ثم ذكر المذاهب ـ وقد ذكرناها ـ ، ثم قال: وظاهر قوله : "من أدرك معنا هذه الصلاة ـ أي الفجر بمزدلفة ـ شرط لا يصح الحج إلا بشهوده جمعاً " ، وقد قال به غير واحد من أعيان أهل العلم . قال علقمة والشعبي والنخعي : إذا فاته جمع ولم يقف به فقد فاته الحج . . . . . ـ إلى أن قال ـ : (فاذكروا الله عند المشعر الحرام ○) ، وهذا نص والأمر على الوجوب، فتركه لا يجوز بوجه . قال : وقال أكثر الفقهاء : إن فاته المبيت بمزدلفة والوقوف بها أجزأه ، وعليه دم . قال : وقوله : « فقد تم حجه » يريد به معظم الحج، وهو الوقوف بعرفة ، لأنه هو الذي يخاف عليه الفوات ، فأما طواف الزيارة فلا يخشى فواته، وهذا كقوله الحج عرفة ، أي معظم الحج هو الوقوف بعرفة اهـ .

وبالجملة قال شيخنا: ظاهر حديث الباب يوافق الإمام الشافعي في ركنية الوقوف بمزدلفة ، لأن سياق الوقوفين في الحديث واحد ، أما وقوف عرفة فركن متفق بين الأئمة ، وتوارث به العمل وإن كان ثبوته بخبر الواحد اهـ . قال صاحب " الهداية " : ولنا ما روى أنه ﷺ قدم ضعفة أهله بالليل ، ولو كان ركناً لما فعل ذلك ، والمذكور فيما تلا الذكر ، وهو ليس بركن بالإجماع ، وإنما عرفنا الوجوب بقوله عليه الصلاة والسلام: « من وقف معنا هذا الموقف وقد كان أفاض قبل ذلك من عرفات فقد تم حجه » علق به تمام الحج، وهذا

لأم الطائى قال : أتيت رسول الله ﷺ بالمزدلفة حين خرج إلى الصلاة فقلت: يا رسول الله ! إنى جئت من جبلى طيئ ، أكللت راحلتى وأتعبت نفسى ، والله ما تركت من جبل إلا وقفت عليه ، فهل لى من حج؟ فقال رسول الله ﷺ : « من شهد صلاتنا هذه ووقف معنا حتى يدفع - وقد وقف بعرفة قبل ذلك ليلاً أو نهاراً - فقد تم حجه وقضى تفثه » .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

يصلح أمارة الوجوب - أى الوجوب المصطلح فى الفقه الحنفى دون الفرض المقطوع - ، غير أنه إذا تركه بعذر بأن يكون به ضعف وعلة، أو كانت امرأة تخاف الزحام لاشئ عليه لما روينا اه . وأوضحها ابن الهمام فى "الفتح" فراجعه .

قوله : جبلى طيئ . المراد من الجبلين : جبل أجاء وجبل سلمى ، قاله المنذرى ، وحكاه شارح " المنتقى " . وطيئ - بفتح الطاء وتشديد الياء بعدها همزة - على وزن سيد وطيب . والإكلال إفعال من الكلال وهو : الإعياء . والجبل فى قوله: ما تركت من جبل، اختلف النسخ، فى بعضها بالحاء المهملة المفتوحة ثم باء ساكنة ، هو ما اجتمع من الرمل ، فاستطال وارتفع . ويقول العراقى : هو المشهور فى الرواية ، وفى بعضها بالجيم المفتوحة ثم باء مفتوحة ، وهو ما كان من الحجارة معروف، ويدعى السيوطى أنه ليس فى روايتنا ، هذا ملخص ما قالوه .

والمراد من قضاء التفث فى حديث عروة بن مضرس الطائى هو: الأخذ من الشارب وتقليم الظفر والخروج من الإحرام إلى الإحلال ، قاله الخطابى .

وحديث " ابن يعمر " سماه وكيع : " أم المناسك " ، لأن فيه وقوف عرفة ووقتـه ووقوف المزدلفة ورمى الجمرات والنفير ، فجاء فى حديث

(باب ما جاء فى تقديم الضعفة من جمع بليل)

حدثنا : قتيبة نا حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس :

مختصر أمهات المناسك المهمة .

وما قاله سفيان بن عيينة لحديث سفيان الثورى من سياقه لحديث ابن يعمر بأنه أجود حديث رواه سفيان الثورى ، فغرضه أنه لم يقع روايته هذه معنعنة بل وقع التصريح بالسماع ، وأهل الكوفة لا يعتنون كثيراً بهذا ، ولذا وقع فى رواياتهم التدليس ، وليس كذلك هنا بل ثبت سماع الثورى عن بكير ، وسماع بكير عن عبد الرحمن ، وسماع عبد الرحمن عنه ﷺ . هذا تلخيص ما قاله السيوطى وتوضيحه .

قال الراقم فى إسناد الترمذى : ههنا رواية الثورى معنعنة غير مصرحة بالسماع والتحديث . نعم صرح بالتحديث عند أبى داؤد . ثم إن طعن أهل الكوفة بالتدليس فيه من المبالغات ، والتدليس إذا لم يكن للتغطية على ضعيف فليس بحرام ، على أن سفيان تذكر فيه ما ذكر البيهقى فى " المدخل " كلمة : " أبى عامر " ، فحدثنا البيهقى عن محمد بن رافع قال : قلت لأبى عامر : كان الثورى يدلس ؟ قال : لا ، قلت : أليس إذا دخل كورة يعلم أن أهلها لا يكتبون حديث رجل قال : "حدثنى رجل" ، وإذا عرف الرجل بالإسم كناه ، وإذا عرف بالكنية سماه ؟ قال : هذا تزيين وليس بتدليس ، حكاه السيوطى فى "التدريب" .

ـــ : باب ما جاء فى تقديم الضعفة من جمع بليل :ـــ

حديث ابن عباس هذا أخرجه البخارى ومسلم من طريق عكرمة عن ابن عباس ، ولفظ " البخارى " : « بعثنى رسول الله ﷺ من جمع بليل » ؛

قال: « بعثني رسول الله ﷺ في ثقل من جمع بليل » .

وفي الباب عن عائشة وأم حبيبة وأسماء والفضل . قال أبوعيسى : حديث ابن عباس : « بعثني رسول الله ﷺ في ثقل من جمع بليل » حديث صحيح ، روى عنه من غير وجه .

وروى شعبة هذا الحديث عن مشاش عن عطاء عن ابن عباس عن الفضل ابن عباس: «إن النبي ﷺ قدم ضعفة أهله من جمع بليل» ، وهذا حديث خطأ ، أخطأ فيه مشاش ، وزاد فيه عن الفضل بن عباس ، وروى ابن جريج وغيره هذا الحديث عن عطاء عن ابن عباس ولم يذكروا فيه عن الفضل بن عباس .

ولفظه من طريق عبيد الله بن أبي يزيد عنه يقول : « أنا ممن قدم النبي ﷺ ليلة المزدلفة في ضعفة أهله » ، وأخرجه بقية السنن من طرق مختلفة بألفاظ شتى ، وقد صرح الترمذي في آخر الباب على أنه روى عنه من غير وجه ، وهم : عطاء عند مسلم ، والحسن العرني عند أبي داود ، والنسائي وابن ماجه ، وكريب عند البيهقي ، ومقسم عند الترمذي نفسه وتفرد به عن روايته ، فالكل ستة . وفيه حديث عائشة عند الشيخين ، وحديث أسماء عندهما ، وحديث أم حبيبة عند مسلم . وهذا ما أشار إليه الترمذي في الباب . وفيه حديث ابن عمر عند البخاري ومسلم ، وحديث آخر عند البخاري عن عائشة من طريق القاسم عنها ، وحديث ثالث عن عائشة عند أبي داود في " باب التعجيل من جمع " ، فإذن جميع ما في الباب سبعة أحاديث . وهذا ملخص ما في " نصب الرأية " و "عمدة القاري" والأمهات الست ، وكنت أود هذا النهج في باب التخريج ، بيد أن عزمي بإفراد الكتاب في تخريج ما في الباب يثبطني عن مزيد

حدثنا : أبو كريب نا وكيع عن المسعودى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس : « إن النبي ﷺ قدم ضعفة أهله ، وقال : لا ترموا الجمرة حتى تطلع الشمس » .

قال أبو عيسى : حديث ابن عباس حديث حسن صحيح ، والعمل على هذا الحديث عند أهل العلم ، لم يروا بأساً أن يتقدم الضعفة من المزدلفة بليل يسيرون إلى منى . وقال أكثر أهل العلم بحديث النبي ﷺ : أنهم لا يرمون حتى تطلع الشمس ، ورخص بعض أهل العلم فى أن يرموا بليل . والعمل على حديث النبي ﷺ ، وهو قول الثورى والشافعى .

الإطناب فى كل باب . وحديث الفضل بن عباس فيه خطأ كما حققه المؤلف الإمام الترمذى .

ثم المراد : بـ " الضعفة " فى لفظ البخارى ومسلم : النساء والصبيان والمشايخ العاجزين وأصحاب الأمراض ، كما يقوله البدر العينى فى " العمدة " (٤ ـ ٦٩٠) ، لأن العلة خوف الزحام عليهم . و " الثقل " ـ بفتح المثلثة وفتح القاف ـ فى رواية الترمذى معناه : متاع المسافر وما يحمله على دوابه ، كما فى " مجمع البحار " ، وله معان غير هذا فى حديث : « إنى تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتى » ، وفى حديث القبر : « يسمعها إلا الثقلين » ، ويقال لكل خطير نفيس : ثقل ، وهو المراد فى حديث تارك الثقلين .

وقد اختلف السلف فى المبيت بمزدلفة ، كما يقوله البدر العينى وغيره ، فذهب أبو حنيفة وأصحابه والثورى وأحمد وإسحاق والشافعى ـ فى أحد قوليه ـ إلى وجوب المبيت بها ، وإنه ليس بركن ، فمن تركه فعليه دم ، وهو قول عطاء والزهرى وقتادة مجاهد ، وعن الشافعى : سنة ، وهو قول مالك ، وقال

(باب)

حدثنا : على بن خشرم نا عيسى بن يونس عن ابن جريج عن أبى الزبير

علقمة والنخعى والشعبى والحسن : هو ركن ، فمن تركه فاتـه الحج ، وإليه ذهب أبو عبيدة القاسم بن سلام وابن بنت الشافعى وابن خزيمة ، وعن مالك: النزول بها واجب، والمبيت سنة ، وكذا الوقوف مع الإمام سنة ، وتقدم بيان المذاهب فى الوقوف بمزدلفة ، ومن ترك الوقوف بها بعد الصبح من غير عذر فعليه دم عند أبى حنيفة ، وإن كان بعذر الزحام فتعجل السير إلى منى فلاشئ عليه كما يقوله البدر العينى فى " العمدة " (٤ ــ ٦٩٢) . ثم وقت الوقوف بعد طلوع الفجر ، ثم هو إلى الإسفار عند أبى حنيفـة ، وقبل الإسفار عند مالك ، ووقت رمى جمرة العقبة يوم النحر للجواز بعد طلوع الفجر ، وللندب بعد طلوع الشمس ، ولا يجوز للضعفـة قبل طلوع الفجر عند أبى حنيفة ، ويجوز عند بعض الأئمة مطلقاً ، وقد أشار إليه الترمذى ، وسيأتى البيان الشافى فى الباب الآتى، وبالله التوفيق .

ــ: باب :ــ

هكذا وقع " باب" من غير ترجمة الباب فى النسخ التى بأيدينا المطبوعة فى هذه البلاد ، وهو صنيع غير معهود فى " جامع الترمذى " بأن يعقد باباً من غير ترجمة ، ووقع فى نسخة المطبعة الحلبية المطبوعة بالقاهرة بتصحيح الشيخ أحمد شاكر: " باب ما جاء فى رمى يوم النحر ضحى " ، وهو الصواب المعهود فى الكتاب، والله أعلم .

أخرج فيه حديث جابر ، وقد أخرجه البخارى فى " صحيحه " معلقاً ،

عن جابر قال : « كان النبي ﷺ يرمى يوم النحر ضحى، وأما بعد ذلك فبعد

ومسلم موصولاً ، وأخرجه أبو داود فى "سننه" فى "باب رمى الجمار" ، ولفظه : « رأيت رسول الله ﷺ يرمى على راحلته يوم النحر ضحى » .

الوقت المسنون لرمى جمرة العقبــة يوم النحر بعد طلوع الشمس وهو الأفضل ، وجاز قبل طلوعها بعد الفجر عند مالك وأبى حنيفة وأحمد ، وجاز عند الشافعى قبل طلوع الفجر بعد منتصف الليل لحديث أم سلمة ، وقال غيره : هذه رخصة خاصة لها ، فلا يجوز أن يرمى قبل الفجر ، كما فى "معالم السنن" للخطابى (٢ ــ ٢٠٦) ، وفى "العمدة" (٤ ــ ٧٦٥) عن "المحيط" : أوقات رمى جمرة العقبة ثلاثــة : مسنون بعد طلوع الشمس ، ومباح بعد الزوال ، ومكروه وهو الرمى بالليل ولا شئ عليه ، وعن أبى يوسف ـ وهو قول الثورى ـ : عليه دم، ويجب الدم عند أبى حنيفة إذا لم يرمه بالليل وأصبح اهـ مختصراً .

ثم الرمى فى أيام التشريق محله بعد زوال الشمس ، وقد اتفق عليه الأئمة ، وخالف أبو حنيفة فى اليوم الثالث ، فيجوز عنده الرمى قبل الزوال استحساناً ، وقال عطاء وطاؤس : يجوز فى الثلاثة قبل الزوال ، واتفق مالك وأبو حنيفة والثورى والشافعى وأبو ثور أنه إذا مضت أيام التشريق وغابت الشمس من آخرها فقد فات الرمى، ويجبر ذلك بالدم، كذا فى "العمدة" (٤ ــ ٧٦٦) . وبالجملة فوقت الجواز فى اليوم الأول والثانى : من طلوع الفجر إلى طلوع الفجر من اليوم الثالث . وأما فى اليوم الثالث فإلى الغروب، وبالغروب يفوت وقته ، وراجع لبقية التفصيل كتب الفقه .

قوله : ضحىً . بالتنوين ، منصرف على مذهب البصرين سواء قصد بــه

زوال الشمس » :

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح . والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم : أنه لا يرمى بعد يوم النحر إلا بعد الزوال .

(باب ما جاء أن الافاضة من جمع قبل طلوع الشمس)

حدثنا : قتيبة نا أبو خالد الأحمر عن الأعمش عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس : « إن النبي ﷺ أفاض قبل طلوع الشمس » .

التعريف أو التنكير ، ويقول الجوهري : إذا أردت ضحى يومك لم تنونه ، يريد منون عند التنكير وغير منون عند التعريف . ويقول الجوهري : ضحوة النهار بعد طلوع الشمس ، ثم بعده الضحى ـ مقصوراً ـ يؤنث إلى أنها جمع ضحوة ، ويذكر على أنها اسم على فعل ، كصرد ونغر صرف غير متمكن . ثم بعده : الضحاء ـ ممدوداً ـ مذكر عند ارتفاع النهار الأعلى ، انتهى ملخصاً من " العمدة " . فالضحوة : وقت طلوع الشمس ، والضحى : وقت شروقها ، والضحاء : وقت ارتفاعها .

ـ: باب ما جاء أن الإفاضة من جمع قبل طلوع الشمس :ـ

أخرج فيه حديث ابن عباس ، وقد تفرد الترمذى بإخراجه من بين الأمهات الست ، وأخرجه أحمد فى " مسنده " من طريق عكرمة عن ابن عباس بسند آخر . وفيه حديث ابن عمر عند الطبرانى فى " الكبير " ، وفيه حديث أبي بكر الصديق عند الطبرانى فى " الأوسط " من طريق الواقدى ، كما فى

وفى الباب عن عمر . قال أبو عيسى : حديث ابن عباس حديث حسن صحيح . وإنما كان أهل الجاهلية ينتظرون حتى تطلع الشمس ثم يفيضون .

حدثنا : محمود بن غيلان نا أبو داود قال أنبأنا شعبة عن أبى إسحاق قال : سمعت عمرو بن ميمون يقول : كنا وقوفاً بجمع فقال عمر بن الخطاب : « إن المشركين كانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس فكانوا يقولون :

" نصب الراية "، وحديث جابر الطويل فيه : « فدفع قبل أن تطلع الشمس حتى أتى بطن محسر فحرك قليلاً الخ » . وأخرج فيه حديث عمر بعد ما أشار إليه فى الباب، وهو حديث أخرجه البخارى وبقية السنن .

قوله : كنا وقوفاً . الوقوف جمع واقف ، كما فى بيت " معلقة امرىء القيس " :

وقوفاً بها صحبى على مطيهم * يقولون : لا تهلك أسىً وتجمل

لكنه هنا لازم ، وفى بيت " المعلقة " متعد . ومنه ما فى " التنزيل العزيز " : (وقفوهم إنهم مسئولون ○) ، ومصدر اللازم وقف ووقوف ، وفى المتعد وقفاً . وبيت " المعلقة " : [قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل] فيه لازم ، كما فى معاجم اللغة من " القاموس " و " التاج " وغيرهما .

قوله : بجمع ، أى المزدلفة ، وقد تقدم وجه تسميتها بجمع .

قوله : لا يفيضون . بضم الياء من " الإفاضة " وهو : الدفع . قال الجوهرى : وكل دفعة إفاضة ، و " أفاضوا " فى الحديث أى : اندفعوا فيه ، وأفاض البعير : رفع جرته من كرشه فأخرجها

أشرق ثبير ، وإن رسول الله ﷺ خالفهم فأفاض عمر قبل طلوع الشمس » .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

قوله أشرق ، أمر من الإشراق ، وأشرق : إذا دخل فى الشروق ، ومنه قولـه تعالى : (فاتبعوهم مشرقين ۝) ، وذلك مثل " أجنب " : دخل فى الجنوب ، وأشمل : دخل فى الشمال . ومعنى " أشرق ثبير " : لتطلع عليك الشمس ، أو : أدخل أيها الجبل فى الشروق ، أو : أدخل يا جبل فى الإشراق ، هذا ملخص ما فى " العمدة " و " الفتح" .

قوله : ثبير ـ بفتح المثلثة وكسر الباء الموحدة وسكون الياء آخر الحروف وفى آخره راء ـ جبل بالمزدلفة على يسار الذاهب إلى منى . وقيل : هو أعظم جبال مكة باسم رجل من هذيل اسمه : ثبير ، وهناك جبال أخر اسم كل منها ثبير . وقال محمد بن الحسن : إن للعرب أربعة أجبال أسماؤها : ثبير ، وكلها حجازية ، وكذا ثبير اسم ماء لمزينة ، وهو المراد فى حديث : « أقطع رسول الله ﷺ شريح بن ضمرة المزنى ثبيراً » ، وعند ابن ماجه : « أشرق ثبير كيما نغير » من الإغارة ، كيما ندفع ونفيض للنحر ، من أغار الفرس : إذا أسرع فى دفعه ، هذا ملخص ما ذكره العينى والعسقلانى .

وفى الحديث دليل على أن الإفاضة من المزدلفـــة قبل طلوع الشمس من يوم النحر ، وإليه ذهب الجمهور أبو حنيفة والشافعى وأحمد ، كما فى حديث جابر الطويل : « فلم يزل واقفاً حتى أسفر جداً ، فدفع قبل أن تطلع الشمس » . وذهب مالك إلى استحباب الإفاضة قبل الإسفار ، والحديث حجة عليه ، وفيه حديث ابن عباس عند ابن خزيمة والطبرى ، وحديث المسور بن مخرمة عند

(باب ما جاء أن الجمار التي ترمى مثل حصى الخذف)

حدثنا : محمد بن بشار نا يحيى بن سعيد القطان نا ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر قال : « رأيت رسول الله ﷺ يرمى الجمار بمثل حصى الخذف » .

وفى الباب عن سليمان بن عمرو بن الأحوص عن أمه ـ وهى: أم جندب الأزدية ـ وابن عباس والفضل بن عباس وعبد الرحمن بن عثمان التيمى وعبد الرحمن بن معاذ .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، وهو الذى اختاره أهل العلم أن تكون الجمار التى ترمى بها مثل حصى الخذف .

البيهقى كما فى " العمدة " و " الفتح " و " نصب الراية " وغيرها .

وأيضاً فى الحديث دليل على الوقوف بمزدلفة، وقد ذكرنا المذاهب فى ما سلف قريباً ، وإن من تركه فعليه الدم ، وإن كان بعذر الزحام وتعجيل السير إلى منى فلا شئ عليه ، ونقل الطبرى الإجماع على أن من لم يقف فيه حتى طلعت الشمس فإنه الوقوف، قاله فى " الفتح " .

ـــ: باب ما جاء أن الجمار التى ترمى بها مثل حصى الخذف :ـــ

أخرج فيه حديث جابر، وقد أخرجه مسلم فى " صحيحه " وأبو داود فى " سننه " ، وقد ذكرناه من قبل وأسلفنا فيه البيان من أحاديث ابن عمر وابن عباس وغيرهما .

(باب ما جاء فى الرمى بعد زوال الشمس)

حدثنا : أحمد بن عبدة الضبى البصرى نا زياد بن عبد الله عن الحجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال : « كان رسول الله ﷺ يرمى الجمار إذا زالت الشمس » .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن .

(باب ما جاء فى رمى الجمار راكباً)

وحصى الخذف هو القدر المسنون ، والأكبر أو الأصغر منه يكره . كما ذكره العلماء والفقهاء .

—: باب ما جاء فى الرمى بعد زوال الشمس :—

حديث ابن عباس هذا لم يخرجه أرباب الصحاح الستة إلا الترمذى ، وأخطأ صاحب "تحفة الأحوذى" فى عزوه إلى "ابن ماجه" . والحكم كذلك عند الفقهاء من أن الوقت المسنون للرمى للجمرات الثلاث فى اليوم الحادى عشر والثانى عشر بعد زوال الشمس ، وكذلك فى اليوم الثالث عشر عند الجمهور ، وأجازه الإمام أبو حنيفة استحساناً كما أسلفناه من قبل . وأما يوم النحر فوقته المسنون بعد طلوع الشمس ، وكل ذلك فصلناه تفصيلاً ، ولله الحمد بكرةً وأصيلاً .

تنبيه : هذه الأبواب الثلاثة لم يتعرض لها فى " العرف الشذى " اكتفاءً بذكر مسائلها فى ضمن الأبواب السابقة .

—: باب ما جاء فى رمى الجمار راكباً :—

هكذا فى النسخ المطبوعة فى بلادنا ، وفى نسخة المطبعة الحلبية : " باب

حدثنا : أحمد بن منيع نا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة نا الحجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس : « إن النبي ﷺ رمى الجمرة يوم النحر راكباً » .

وفي الباب عن جابر وقدامة بن عبد الله وأم سليمان بن عمرو بن الأحوص . قال أبو عيسى : حديث ابن عباس حديث حسن . والعمل عليه عند بعض أهل العلم ، واختار بعضهم أن يمشي إلى الجمار ، ووجه الحديث عندنا : أنه ركب في بعض الأيام ليقتدى به في فعله ، وكلا الحديثين مستعمل عند أهل العلم .

حدثنا : يوسف بن عيسى نا ابن نمير عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر : « إن النبي ﷺ كان إذا رمى الجمار مشى إليه ذاهباً وراجعاً » .

ما جاء في رمي الجمار راكباً وماشياً " ، وهو أوفق بأحاديث الباب . أخرج فيه حديثين : حديث ابن عباس وحديث ابن عمر ، وحديث ابن عباس أخرجه ابن ماجه في " باب رمي الجمار راكباً " ، وحديث ابن عمر وافقه على إخراجه أبو داود في " باب رمي الجمار " ، وإسناد الترمذي لحديث ابن عمر على شرط البخاري ومسلم ، كما يقوله النووي في " المجموع " .

دل حديث ابن عباس على رمي جمرة العقبة يوم النحر راكباً ، وحديث ابن عمر على رمي الجمار في بقيـــة الأيام ماشياً ، وفيه تفصيل في المذاهب ، فمذهب أبي حنيفـــة المذكور في " الكنز " للنسفي : كل رمي بعده رمي فماشياً وإلا راكباً ، فيستحب على هذا القول رمي جمرة العقبة راكباً في يوم النحر وبعده ، وحقق في "البحر" أنه مذهب أبي يوسف على ما حكاه في "الظهيرية" عن ابراهيم بن الجراح ، قال : دخلت على أبي يوسف فوجدته مغمى عليه ، ففتح عينيه فرآني فقال : يا ابراهيم ! أيما أفضل للحاج : أن يرمي راجلاً أو

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، وقد رواه بعضهم عن عبيد الله ولم يرفعه ، والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم ، وقال بعضهم : يركب يوم النحر ويمشى فى الأيام التى بعد يوم النحر .

قال أبو عيسى : وكأن من قال هذا إنما أراد اتباع النبى ﷺ فى فعله ، لأنه إنما روى عن النبى ﷺ : « أنه ركب يوم النحر حيث ذهب يرمى الجمار ولا يرمى يوم النحر إلا جمرة العقبة » .

راكباً ؟ فقلت : راجلاً ، فخطأنى ، ثم قلت : راكباً ، فخطأنى ، ثم قال : ما كان يوقف عندها فالأفضل أن يرميها راجلاً ، وما لا يوقف عندها فالأفضل أن يرميها راكباً ، قال : فخرجت من عنده فما بلغت الباب حتى سمعت صراخ النساء أنه قد توفى إلى رحمة الله ، فلو كان شئ أفضل من مذاكرة العلم لاشتغل به فى هذه الحالة ، لأن هذه الحالة حالة الندامة والحسرة ا هـ . وحكاه ابن الهمام ولفظه فى الآخر : فتعجبت من حرصه على العلم فى مثل هذه الحالة ا هـ . وذكر صاحب " البحر " : أن قول أبى حنيفة ومحمد على ما فى " الخانية " : أن الرمى كله أفضل راكباً ، وعلى ما فى " الظهيرية " : ماشياً ، قال : ورجح ابن الهمام ما فى " الظهيرية " لقربه إلى التواضع والخشوع ، ورميه ﷺ راكباً ليقتدى به كطوافه راكباً ، انتهى ملخصاً ، وراجع للتفصيل " فتح ابن الهمام " (٢ ــ ٣٩٥) .

وقال النووى فى " شرح المهذب " (٨ ــ ٢٤٢) ما ملخصه : المستحب الرمى فى اليومين ماشياً ، وفى الثالث راكباً بعد الزوال ، وعليه جماهير الأصحاب ، ونص الشافعى فى " الإملاء " . وما ذكره المتولى من أن الصحيح : الرمى ماشياً فى الأيام الثلاثة فغير صحيح ، وما استدل به من حديث

(باب كيف ترمى الجمار ؟)

حدثنا : يوسف بن عيسى نا وكيع نا المسعودى عن جامع بن شداد أبى صخرة

ابن عمر عند أبى داود والبيهقى ففيه عبد الله العمرى ، وهو ضعيف ، والصحيح ما رواه الترمذى من حديث ابن عمر بإسناد على شرط الشيخين اﻫ .

وقال ابن قدامة ما تلخيصه : الرمى يوم النحر راكباً أو ماشياً سواء ، وبقية الأيام يكون ماشياً . ويستفاد من كتب المالكية كـ " أقرب المسالك " وشرحه : ندب يوم النحر راكباً وفى بقيته ماشياً ، فتلخص من هذا أن مذهب أبى حنيفة ومالك متقارب ، ويقرب إليهما مذهب أحمد ، فاتفقوا على استحباب الركوب يوم النحر ، واختلفوا فى البقية ، والنووى فى شرح مسلم فصل تفصيلاً غير هذا ، وجعل مذهب مالك والشافعى فى يوم النحر : أن من وصل إليه راكباً فراكباً أفضل ، ومن وصل ماشياً فماشياً أفضل ، فراجعه والله أعلم .

—: باب كيف ترمى الجمار ؟ :—

أخرج فى الباب حديث ابن مسعود من طريق المسعودى ، وهو : عبد الرحمن ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود الكوفى ، وأخرجه من طريقه ابن ماجه وفيه : «واستقبل الكعبة» ، وقد أخرجه البخارى من غير طريق المسعودى مخالفاً متنه من متن الترمذى ، فدل لفظ الترمذى على أنه استقبل القبلة ، والبخارى لفظه : « فجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه » ، ومثله عند مسلم والنسائى وغيرهما . قال الحافظ فى " الفتح " (٤ — ٤٦٤) : وهو الصحيح ، وهذا ـ أى ما رواه الترمذى ـ شاذ ، فى إسناده المسعودى وقد اختلط اﻫ . وأخرج أيضاً فيه حديث عائشة ، وقد أخرجه الدارمى فى " مسنده " وأبو داود فى " سننه "

عن عبد الرحمن بن يزيد قال : « لما أتى عبد الله جمرة العقبة استبطن الوادى واستقبل الكعبة وجعل يرمى الجمرة على حاجبه الأيمن ، ثم رمى بسبع حصيات

وقد أجمعوا على أنه من حيث رماها جاز سواء استقبلها أو جعلها عن يمينه أو يساره أو من فوقها أو من أسفلها أو وسطها ؟ والإختلاف فى الأفضل ، قاله الحافظ ابن حجر . فالأفضل عند الجمهور الكيفيـة التى وردت فى حديث ابن مسعود عند البخارى وغيره . قال ابن بطال : رمى جمرة العقبة من حيث تيسر من العقبة من أسفلها أو أعلاها أو أوسطها ، كل ذلك واسع ، والموضع الذى يختار بها بطن الوادى من أجل حديث ابن مسعود ، وكان عبـد الله يرميها من بطن الوادى ، وبـه قال عطاء وسالم ، وهو قول الثورى والشافعى وأحمد واسحاق . وقال مالك: رميها من أسفلها أحب إلى . وقد روى عن عمر ﷺ : « أنه جاء والزحام عند الجمرة فصعد فرماها من فوقها اهـ » ، كذا فى "العمدة" (٤ — ٧٦٧) . وأما الجمرة الأولى والثانية فيرمى مستقبل القبلة عندهم جميعاً ندباً لا وجوباً .

قوله : استبطن الوادى، أى وقف فى بطن الوادى .

قوله : بسبع حصيات . قال العينى : الحصيات - بفتح الصاد والياء - جمع حصاة ، وهو الصواب بخلاف ما وقع فى رواية أبى الحسن : " حصايات " . قال : واستفاد منـه أن الرمى لابد أن يكون بسبع حصيات ، وهو قول أكثر العلماء ، وذهب عطاء إلى أنـه : إن رمى بخمس أجزأه ، وقال مجاهد: إن رمى بست فلا شئ عليـه ، وبه قال أحمد واسحاق . . . . . والصحيح الذى عليـه الجمهور : أن الواجب سبع كما هو فى حديث ابن مسعود وجابر وابن عباس وابن عمر وغيرهم ، وما روى عن سعد بن مالك عند النسائى خلافـه ، فهو

يكبر مع كل حصاة ، ثم قال : والله الذى لا إله غيره من ههنا رمى الذى أنزلت عليه " سورة البقرة " » .

حدثنا : هناد نا وكيع عن المسعودى بهذا الإسناد نحوه .

قال : وفى الباب عن الفضل بن عباس وابن عباس وابن عمر وجابر .
قال أبو عيسى : حديث ابن مسعود حديث حسن صحيح . والعمل على هذا

ليس بمسند ، وما روى عن ابن عباس عند النسائى وأبى داود فهو بالشك ، فلايقابل الجزم . ومن رمى بأقل من سبع فالجمهور أن عليه دماً ، وهو قول مالك والأوزاعى ، وذهب الشافعى وأبو ثور إلى أن على تارك حصاة مداً من طعام ، وفى اثنتين مدين ، وفى ثلاث فأكثر دماً ، وله قولان آخران . وذهب أبو حنيفة وصاحباه إلى أنه إن ترك أكثر من نصف الجمرات الثلاث فعليه دم ، وإن ترك أقل من نصفها فى كل حصاة نصف صاع . . . . واختلفوا فيمن رمى سبع حصيات مرة واحدة ، فقال مالك وأبو حنيفة والشافعى : لايجزيه إلا عن حصاة واحدة ، وكذلك مذهب أبى حنيفة فى " المحيط " ، كما ذكره صاحب "التوضيح" وأتبعه الحافظ وغيره ، واقتدى صاحب "تحفة الأحوذى" ، وهو غلط من مذهب أبى حنيفة ، نبه عليه البدر العينى .

قوله : أنزلت عليه " سورة البقرة " . قال البدر العينى فى " العمدة " (٤ — ٧٦٧) : حلف ابن مسعود من غير داع لذلك لأجل تأكيد كلامه ، وذلك أنه لما سمع من عبد الرحمن بن يزيد ما نقل عن هؤلاء الذين يرمون جمرة العقبة من فوق الوادى على خلاف ما يفعله الشارع صعب عليه ذلك وكرهه منهم وأنكر عليهم غاية الإنكار ، حتى ألجأه ذلك إلى اليمين . ثم الحكمة فى ذكر ابن مسعود ا " سورة البقرة " دون غيرها من السور وإن كان قد أنزل

عند أهل العلم ، يختارون أن يرمى الرجل من بطن الوادى بسبع حصيات ويكبر مع كل حصاة ، وقد رخص بعض أهل العلم إن لم يمكنه أن يرمى من بطن الوادى رمى من حيث قدر عليه وإن لم يكن فى بطن الوادى .

حدثنا : نصر بن على الجهضمى وعلى بن خشرم قالا نا عيسى بن يونس عن عبيد الله بن أبى زياد عن القاسم بن محمد عن عائشة عن النبى ﷺ قال : « إنما جعل رمى الجمار والسعى بين الصفا والمروة لإقامة ذكر الله » .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح

عليه كل السور : أن معظم المناسك مذكور فى " سورة البقرة " ، فكأنه قال : من هنا رمى من أنزل عليه أمور المناسك ، وأخذ عنه الشرع ، فهو أولى وأحق بالاتباع ممن رمى الجمرة من فوقها اه .

قوله : يكبر مع كل حصاة . التكبير مع كل حصاة أجمعوا على استحبابه كما حكاه القاضى عياض ، ولو ترك التكبير أجزأه إجماعاً ، ولكن بعضهم يعده واجباً . وقال أصحابنا : يكبر مع كل حصاة ويقول : " بسم الله والله أكبر " رغماً للشيطان وحزبه . وكان على يقول : " أللهم اهدنى بالهدى ونقنى بالتقوى واجعل الآخرة خيراً لى من الأولى " ، وكان ابن مسعود وابن عمر يقولان : " أللهم اجعله حجاً مبروراً وذنباً مغفوراً وسعياً مشكوراً " ، وقال ابن القاسم : فإن سبح فلا شئ عليه انتهى ببعض الإختصار .

قوله : لإقامة ذكر الله . يريد ﷺ أن الرمى والسعى إنهما أفعال ليس ظاهرها عبادة ، ولكن الغرض فيها أيضاً إقامة شعائر الله وذكر الله ، فليكن أمام الحاج أن هذا ذكر فعلى . هذا ملخص ما قال على القارى فى " مرقاته "

(باب ما جاء فى كراهية طرد الناس عند رمى الجمار)

حدثنا : أحمد بن منيع نا مروان بن معاوية عن أيمن بن نابل عن قدامة ابن عبد الله قال: «رأيت النبى ﷺ يرمى الجمار على ناقته ليس ضرب ولا طرد ولا " إليك إليك " » .

وفى الباب عن عبد الله بن حنظلة . قال أبو عيسى : حديث قدامة بن عبد الله حديث حسن صحيح، وإنما يعرف هذا الحديث من هذا الوجه ، وهو حديث حسن صحيح . وأيمن بن نابل هو ثقة عند أهل الحديث .

(٣ — ٢٣٠) ، وراجعه للتفصيل وما ذكره من الطيبى والغزالى .

—: باب ما جاء فى كراهية طرد الناس عند رمى الجمار :—

أخرج فى الباب حديث قدامة بن عبد الله ، وقد أخرجه النسائى فى " باب الركوب إلى الجمار" ، وابن ماجه فى "باب رمى الجمار راكباً" ، ولفظ النسائى فيه زيادة : « قال : رأيت رسول الله ﷺ يرمى جمرة العقبة يوم النحر على ناقة له صهباء الخ » . فكان هذا الرمى رمى جمرة العقبة يوم النحر وكان راكباً على ناقته الصهباء ، ومثله عند ابن ماجه ، والغرض منه أنه ﷺ على سجيته المتواضعة كان يرمى من غير أن يكون هناك ضرب للناقة أو طرد للناس أو قول: " إليك إليك "، وهو اسم فعل بمعنى: تنح عن الطريق، فلا فعل صدر للضرب والطرد ، ولا قول ظهر للإبعاد والتنحية .

والضرب: منع بالعنف ، والطرد : دفع باللطف . والتكرير فى " إليك" للتأكيد ، وهذا ملخص ما قاله الطيبى وابن حجر الهيتمى على نقل القارى والسندى مع زيادة وإيضاح . كل هذا كما فى بقية الروايات فى كيفية سيره فى

(باب ما جاء في الاشتراك في البدنة والبقرة)

بقية المواقع ، فأفاض رسول الله ﷺ من عرفة وعليه السكينة وقال : « يا أيها الناس عليكم بالسكينة ، فإن البر ليس بإيجاف الخيل والإبل » ، كما في حديث ابن عباس ، وفي حديث أسامة : « كان يسير العنق ، فإذا وجد فجوة نص » .
ولفظ حديث ابن عباس في " الصحيح " : « فسمع النبي ﷺ وراءه زجراً شديداً وضرباً للإبل ، فأشار إليهم بسوطه وقال : أيها الناس عليكم بالسكينة ، فإن البر ليس بالإيضاع » .

والراوي الصحابي : قدامة ، بالضم والتخفيف ، أسلم قديماً وسكن مكة ولم يهاجر ، وشهد حجة الوداع ، حكاه في " المرقاة " عن مؤلف " المشكاة " .

و " الصهباء " التي يخالط بياضها حمرة بأن يحمر أعلى الوبر وتبيض أجوافه . وقال الطيبي : الصهبة كالشقرة . وهذا الباب غير مذكور في " العرف الشذي " .

—: باب ما جاء في الاشتراك في البدنة والبقرة :—

أخرج في الباب حديث جابر رضي الله عنه ، وقد أخرجه مسلم في " صحيحه " ، وأخرج حديث ابن عباس النسائي وابن ماجه . والبدنة : ناقة أو بقرة تنحر بمكة ، وجمعها : بدن ، سميت بذلك لأنهم كانوا يسمنونها ، والبدن : التسمين والاكتناز ، وبدن ـ بالتخفيف ـ من باب " كرم " : إذا ضخم ، وبدن ـ بالتشديد ـ : إذا أسن وضعف ، وقيل : من الإبل خاصة عندهم . وقال الداودي : قيل : تكون من البقر أيضاً ، وهذا نقل عن الخليل ا هـ . وخصت في الاصطلاح بالإبل المهداة إلى الحرم . وبالجملة : عند الجوهري في

" الصحاح" : البدنة يعم الناقة والبقرة من جهة اللغة ، وإن كان مخصوصاً من جهة اللغة فيلحق البقرة بها حكماً لحديث : « جعل البدنة عن سبعة ، والبقرة عن سبعة » ، وإليه ذهب الإمام أبو حنيفة ، وبقية الأئمة يخصونها بالإبل ، هذا ملخص ما فى " أحكام الجصاص الرازى" و "عمدة العينى" و " فتح الشهاب العسقلانى" و " صحاح الجوهرى" و" تاج الزبيدى" .

ثم إنه اتفق أبو حنيفة والثورى والأوزاعى والشافعى وأحمد واسحاق على أنه لا تجزئ البدنة والبقرة عن أكثر من سبعة ، ولا الشاة عن أكثر من واحد. وعند المالكيـــة تجوز البدنة والبقرة عن أكثر من سبعة إذا كانت ملكاً لرجل واحد وضحى بها عن نفسه وأهلـه ، كما فى " العمـدة " (٤ ــ ٧٠١) . وقال فى (٤ ــ ٧٢٥) : واعلم أن الشاة لا تجزئ إلا عن واحد ، وأنها أقل ما يجب ، وذكر بعض شراح " الهداية " : أنه إجماع . وقال الكاكى : وقال مالك وأحمد والليث والأوزاعى : تجوز الشاة عن أهل بيت واحد الخ ومثله فى " المغنى " لابن قدامـة . وذكر قبله فى إجزاء البدنة والبقرة عن سبعـة : وهذا قول أكثر أهل العلم ، روى ذلك عن على وابن عمر وابن مسعود وابن عباس وعائشة رضي الله عنهم ، وبه قال عطاء وطاوس وسالم والحسن وعمرو ابن دينار والثورى والأوزاعى والشافعى وأبو ثور وأصحاب الرأى . . . وعن سعيد بن المسيب: إن الجزور عن عشرة والبقرة عن سبعة، وبه قال اسحاق لما روى رافع : « أن النبي ﷺ قسم فعدل عشرة من الغنم ببعير » متفق عليه . وعن ابن عباس قال : « كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فحضر الأضحى ، فاشتركنا فى الجزور عن عشرة والبقرة عن سبعة » ، رواه ابن ماجه . ثم ذكر الاستدلال للجمهور بحديث جابر، وهو حديث الباب، رواه مسلم ، وأجاب عن حديث رافع بأنه ليس فى الأضحية ، بل فى القسمة ، وحديث مسلم أصح من حديث

حدثنا : قتيبة نا مالك بن أنس عن أبي الزبير عن جابر قال : « نحرنا مع رسول الله ﷺ عام الحديبية البقرة عن سبعة والبدنة عن سبعة » .

وفى الباب عن ابن عمر وأبى هريرة وعائشة وابن عباس . قال أبو عيسى: حديث جابر حديث حسن صحيح . والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبى ﷺ وغيرهم : يرون الجزور عن سبعة والبقرة عن سبعة ، وهو قول سفيان الثورى والشافعى وأحمد ، وروى عن ابن عباس عن النبى ﷺ : أن البقرة عن سبعة والجزور عن عشرة، وهو قول اسحاق، واحتج بهذا الحديث ، وحديث ابن عباس إنما نعرفه من وجه واحد .

ابن ماجه والترمذى .

قال الراقم: وفى إسناد ابن ماجه: هدية بن عبد الوهاب المروزى صدوق، ربما يهم، لم يخرج عنه غير ابن ماجه، وأيضاً فيه حسين بن واقد ثقة له أوهام كما فى " التقريب"، وأنكر أحمد حديثه كما فى "التهذيب" ، وحسين بن واقد موجود فى إسناد الترمذى أيضاً ، ولذا قال الترمذى فيه : حسن غريب وراجع لبعض الجهات الأخرى " الفتح" (٣ ــ ٤٢٧) للحافظ .

ويقول شيخنا رحمه الله مجيباً عن مستدل ابن راهويه : بأنها واقعة حال لا عموم لها ، ولا يعلم تفاصيلها ، فالأخذ بالضابطة العامة أقوى . والحديث دل على أن الواقعة كان فى السفر، ولا تجب الأضحية على المسافر ، فإذن الذبح عن العشرة تطوع . أو يكون هذه القسمة للأكل ، أو يقال : يمكن أن يكون هذا فى أول الأمر ثم استقر أخيراً على أن البدنة عن سبعة .

قوله : نحرنا . النحر يكون فى اللبة ، كما أن الذبح يكون فى الحلق ،

حدثنا : الحسين بن حريث وغير واحد قالوا نا الفضل بن موسى عن حسين بن واقد عن علباء بن أحمر عن عكرمة عن ابن عباس قال : «كنا مع النبي ﷺ فى سفر فحضر الأضحى ، فاشتركنا فى البقرة سبعة وفى الجزور عشرة » .

قال أبوعيسى: هذا حديث حسن غريب، وهو حديث حسين بن واقد .

(باب ما جاء فى اشعار البدن)

فالذبح هو: قطع العروق التى فى أعلى العنق تحت اللحيين . وفى الحديث دليل للعلماء على أن نحر البقرة جائز، وإن كان الذبح مستحب عندهم ، لقوله تعالى: (إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرةً ○) . وخالف الحسن بن صالح فاستحب نحرها، وقال مالك: إن ذبح الجزور من غير ضرورة أو نحر الشاة من غير ضرورة لم تؤكل ، وكان مجاهد يستحب نحر البقرة ، والحديث ورد بلفظ " النحر " ، كما فى الباب ، وورد بلفظ الذبح ، وعليه ترجمة البخارى ، وقال القدورى : المستحب فى الإبل النحر ، فإن ذبحها جاز ويكره ، وإنما يكره فعله لا المذبوح ، كذا فى " العمدة " (٤ ــ ٤٢٤) باختصار .

وبالجملة النحر أولى لذى العنق الطويل كالإبل فى الأنعام والبط فى الطيور، وسر ذلك أن ذلك الموضع يكون مجمع العروق ، فبقطعها يخرج الدم بسرعة ، وتنتهى الحياة فى أقرب وقت ، ففيه نجاة للحيوان من تعذيبه وإراحة له فى إخراج روحه بسهولة ، ولعل البقر يستوى فيه النحر والذبح بالنسبة إلى قطع عروقها وأوداجها .

ــ: باب ما جاء فى إشعار البدن :ــ

أخرج فى الباب حديث ابن عباس ، وأخرجه مسلم وأبو داود .

حدثنا : أبو كريب نا وكيع عن هشام الدستوائى عن قتادة عن أبى حسان الأعرج عن ابن عباس : « إن النبى ﷺ قلد نعلين وأشعر الهدى فى الشق الأيمن بذى الحليفة وأماط عنه الدم » .

دل حديث الباب على مشروعية إشعار البدن ، ودل عليه حديث المسور ابن مخرمة وأشار إليه الترمذى ، وقد ذكره البخارى موصولاً ومعلقاً ، وثبت ذلك من حديث عائشة عند البخارى وغيره .

والإشعار لغةً : الإعلام ، وفى إصطلاح المحدثين : أن يكشط جلد البدنة حتى يسيل دم ، ثم يسلته فيكون ذلك علامة على كونها هدياً . ثم هو فى صفحة سنامها اليمنى أو اليسرى أو مطلقاً ؟ أقوال ، وقد ذهب إليه الجمهور ، وإلى أنها سنة ، وهو مذهب مالك والشافعى وأحمد ، ويروى عن أبى يوسف ومحمد ابن الحسن : بأنه حسن ، ويروى عن " اختلاف العلماء " للطحاوى كراهته عن أبى حنيفة ، ولكن الطحاوى فى " شرح معانى الآثار " - وهو أشهر كتبه متداول بين أهل العلم سلفاً وخلفاً ، والطحاوى أعلم الناس بمذاهب الفقهاء خصوصاً بمذهب إمامه أبى حنيفة - يقول : لم يكره أبو حنيفة أصل الإشعار ، ولا كونه سنة ، وإنما كره ما يفعل على وجه يخاف منه هلاك البدن لسراية الجرح ، ولا سيا فى حر الحجاز مع الطعن بالسنان أو الشفرة ، فأراد سد الباب على العامة ، لأنهم لا يراعون الحد فى ذلك ، وأما من وقف على الحد فقطع الجلد دون اللحم فلا يكرهه ، وذكر الكرمانى صاحب "المناسك" عنه استحسانه ، قال : وهو الأصح ، لا سيا إذا كان بمبضع أو نحوه ، فيصير كالفصد والحجامة .

وذكر ابن أبى شيبة فى " مصنفه " بأسانيد جيدة عن عائشة وابن عباس : « إن شئت فأشعر وإن شئت فلا » . هذا ملخص ما ذكره البدر والشهاب ،

وفى الباب عن المسور بن مخرمة . قال أبو عيسى : حديث ابن عباس حديث حسن صحيح . وأبو حسان الأعرج اسمه : مسلم . والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم ، يرون الإشعار، وهو قول الثورى

ويقول الشهاب : ويتعين الرجوع إلى ما قال الطحاوى، فإنـه أعلم من غيره بأقوال أصحابه اهـ . وابن حزم فى " محلاه " قد شدد النكير على أبى حنيفة كعادته فى الأخذ على الأئمـة ، وكافح البدر العينى عن الإمام ورد قوله فى " العمـدة " (٤ ــ ٧١٢) وقال : حاشا من أهل الإنصاف أن يصدر منهم ما لا يليق ذكره فى حق الأئمة الأجلاء الخ . والحافظ فضل الله التوربشتى الحنفى فى شرح " المصابيح " لشيخه الإمام البغوى الشافعى كلام جيد متين فى المسألة أحكيها بنصه وفصه عن حاشية " نصب الرأية " و " التعليق الصبيح " للشيخ الكاندلوى .

قلت : وقد كان هذا الصنيع ـ إشعار الهدى ـ معمولاً به قبل الإسلام ، وذلك أن القوم كانوا أصحاب غارات ، لا يتناهون عن الغصب والنهب ولا يتماسكون عنه ، وكانوا مع ذلك يعظمون البيت وما أهدى إليـه ، ولا يرون التعرض لمن حجه أو اعتمر ، فكانوا يعلمون الهدايا بالإشعار والتقليد ، وذلك بأن يقلدوها نعلاً أو عروة أو مزادة أو لحاء شجرة لئلا يتعرض لها متعرض . فلما جاء الله بالإسلام أقر ذلك بغير المعنى الذى ذكرناه ، بل ليكون مشعراً بالخروج ما أشعر عن ملك من يتقرب إلى الله تعالى ، وليعلم أنه هدى ، فإن نفر لم يركب ولم يحلب ولم يختلط بالأموال ولم يتصرف فيـه كما يتصرف فى اللقطة ، وإن عطب لم يؤكل منه إلا على الوجه الذى شرع .

هذا وقد اختلف فى الإشعار بالطعن وبإسالة الدم ، فرآه الجمهور، ونفر عنه نفر يسير، وقد صادفت بعض علماء الحديث يشدد فى النكير على من يأباه

والشافعي وأحمد وإسحاق . قال : سمعت يوسف بن عيسى يقول : سمعت وكيعاً

حتى أفضى به مقاله إلى الطعن فيه والإدعاء بأنه عاند رسول الله ﷺ فى قبول سنته ، ويغفر الله لهذا الفرح بما عنده كيف سوغ الطعن فى أئمة الاجتهاد ، وهم لله يكدحون ، وعن سنة نبيه يتناضلون ، فأنى يظن بهم ذلك ! أو لم يدر أن سبيل المجتهد غير سبيل الناقل ، وأن ليس للمجتهد أن يتسارع إلى قبول النقل والعمل به إلا بعد السبك والإتقان وتصفح العلل والأسباب . فلعله علم من ذلك ما لم يعلمه ، أو فهم منه ما لم يفهمه ، وأقصى ما يرى به المجتهد فى قضيته يوجد فيها حديث مخالف أن يقال : لم يبلغه الحديث، أو بلغه من طريق لم ير قبوله ، مع أن الطاعن لو قيض له ذوقهم فألقى إليه القول من معادنه وفى نصابه ، وقال : إن النبى ﷺ ساق بعض هديه من ذى الحليفة وساق بعضه من قديد ، وأتى على رضى الله عنه ببعضها من اليمن ، فجميع ما ساق النبى ﷺ إلى البيت إما ست وثلاثون أو سبع وثلاثون بدنة ، والإشعار لم يذكر إلا فى واحدة منها .

وقد روى أيضاً عن ابن عمر رضى الله عنهما : « إن النبى ﷺ اشترى هديه من قديد » ، وقديد قرية بين مكة والمدينة ، وبينها وبين ذى الحليفة مسافة بعيدة . فلا يحتمل أن يتأمل المجتهد فى فعل النبى ﷺ فيرى أن النبى ﷺ إنما أقام الإشعار فى واحدة ثم تركه فى البقية حيث رآى الترك أولى ، لاسيما والترك آخر الأمرين ، واكتفى عن الإشعار بالتقليد ، لأنه يسد مسده فى المعنى المطلوب منه ، والإشعار يجهد البدنة ، وفيه ما لا يخفى من أذية الحيوان ، وقد نهى عن ذلك قولاً ثم استغنى عنه بالتقليد ، ولعله مع هذه الاحتمالات رآى القول بذلك أن النبى ﷺ حج ، وقد حضره الجمع الغفير ، ولم يرو حديث الإشعار إلا شرذمة قليلون ، رواه ابن عباس ولفظ حديثه على ما ذكرنا ، ورواه المسور بن مخرمة ، وفى

يقول حين روى هذا الحديث فقال : لا تنظروا إلى قول أهل الرأى فى هذا ،

حديثه ذكر الإشعار من غير تعرض للصيغة . ثم إن المسور وإن لم ينكر فضله وفقهه فإنـــه ولد بعد الهجرة بسنتين ، ورونه عائشة ، وحديثها ذلك أوردها المؤلف فى هذا الباب ، ولفظ حديثها : « فتلت قلائد بدن النبى ﷺ بيدى ، ثم قلدها وأشعرها وأهداها ، فما حرم عليه شئ كان أحل له » ، ولم يتعلق هذا الحديث بحجة النبى ﷺ ، وإنما كان ذلك عام حج أبو بكر رضى الله عنه ، والمشركون يومئذ كانوا يحضرون الموسم ثم نهوا . وروى عن ابن عمر : أنه أشعر الهدى ولم يرفعه ، فنظر المجتهد إلى تلك العلل والأسباب ورآى على كراهـة الإشعار جمعاً من التابعين ، فذهب إلى ما ذهب ليسارع فى العذر قبل مسارعته فى اللوم وإلا أسمع نفسه : " ليس بعشك (هذا) فادرجى " ، والله يغفرلنا ولهم ، ويجيرنا من الهوى فإنه شريك العمى اه .

وبالجملة لو ثبت عن الإمام أبى حنيفة القول بالكراهة تبعاً لمن سبقه من بعض التابعين ، وملاحظـــة لما دار حول الموضوع من بحث وتحقيق ، فلا لوم عليه ، وهذا وجهه ، ويمكن أن يكون رجع عن قوله ثم آل أمره إلى ما اتفق عليه الجمهور ، كما يحتمل أن يكون رجع عن قول الجمهور ، واستقر على ما آل إليه اجتهاده بعد طول البحث إلى ما هداه أدلة الفقه والنظر . وتأول الشيخ الإمـام أبو منصور الماتريدى فى القول بالكراهـة فقال : إنما كره ايثاره على التقليد كإيثار الكتابية على المسلمة ، حكاه الشيخ سعدى چلپى فى حاشيته على "العناية" و" الهداية" . بيد أن الجادة المثلى السكون إلى قوله الذى عليه السلف والخلف لئلا تتسع ساحـة الخلاف ، ويرجح ما تبادر من الروايات من غير تنطع ، والله ولى التوفيق .

قوله : أهل الرأى. الرأى فى اصطلاح القدماء هو الفقه ، وهو المراد فى

الإمام ربيعة الرأى، وهو الإمام ابن عبد الرحمن التيمى المدنى شيخ مالك، سمى بذلك لاختصاصه بالفقه حيث كان صاحب الفتوى بالمدينة، ولأجل هذا كان يقول مالك لما توفى رحمه الله: " ذهبت حلاوة الفقه منذ مات ربيعة " كما فى " التهذيب". وكلمة: عبيد الله بن عمر فيه فى " التهذيب": " هو صاحب معضلاتنا وأعلمنا وأفضلنا اهـ" يشير إلى تلك الخصوصية. ومنه " هلال الرأى" وهو الإمام ابن أحمد، وقيل: محمد البصرى الفقيه المحدث، آخر من روى عن أبى مسلم الكجى بالبصرة، كما فى "الجواهر" للقرشى نقلاً عن "ميزان الذهبى"، اشتهر بذلك اللقب لاختصاصه بالفقه بين محدثى البصرة. ويطلق الحافظ ابن تيمية فى تصانيفه " أهل الرأى" على "الفقهاء" إلا أن أول إطلاق هذا اللفظ على أبى حنيفة وأصحابه، لأنهم دونوا الفقه المجرد، وسبقوا فى استنباط أحكام النوازل من النصوص، وأصبح الناس عالةً على أبى حنيفة وأصحابه، كما يقول الإمام الشافعى: " الناس كلهم فى الفقه عيال على أبى حنيفة"، كما حكاه ابن عبد البر فى " الإنتقاء " عن أبى عبيد وحرملة وغيرهما. ويقول الشافعى: من أراد أن يتبحر فى الفقه فليلزم أصحاب أبى حنيفة، كما يحكيه الإمام البزدوى فى آخر " أصوله "، فاختصوا بهذا اللقب من بين سائر الفقهاء، كمالك والثورى والأوزاعى وغيرهم. والحافظ أبو عمر ابن عبد البر من أجل هذا سمى كتابه: " الإستذكار لمذاهب علماء الأمصار لما فى الموطأ من معانى الرأى والآثار".

وبالجملة كان هذا لقباً لمدحهم، لأجل براعتهم وتفوقهم فى الاستنباط لمسائل الفقه الغير المنصوصة من نصوص الكتاب والسنة، فقد دانت الدنيا لهم بالاعتراف بهذا الفضل، والتنويه بشأنهم فى تذليل معضلات المسائل وعويصات النوازل، لا لهجوهم، فليس المراد من " الرأى" هو المذموم ما كان من هوى

فإن الإشعار سنة، وقولهم بدعة . قال: سمعت أبا السائب يقول: كنا عند وكيع

وبدعة ، وإنما هو رأى ممدوح فى استنباط حكم النازلة من النص على طريقة الصحابة والتابعين ، كما ساق الخطيب فى كتابه " الفقيه والمتفقه " غالب تلك الآثار من استنباطهم ، وكذا الحافظ ابن عبد البر فى " جامع بيان العلم " والحافظ ابن القيم فى " إعلام الموقعين" ، ومن راجع إلى هذه المصادر النابعة الفياضة يثلج صدره بمعنى الرأى الممدوح المطلوب المرادف للفقه والقياس والاجتهاد ، ويكفى للوقوف على الحقيقة ما ذكره الشيخ الكوثرى فى مقدمة " نصب الراية " للزيلعى ، واكتفى هنا منها بنقل كلام للشيخ سليمان بن عبد القوى الطوفى الحنبلى فى شرح " مختصر الروضة فى أصول الحنابلة" فقال: واعلم أن "أصحاب الرأى" بحسب الإضافة هم: كل من تصرف فى الأحكام بالرأى، فيتناول جميع علماء الإسلام ، لأن كل واحد من المجتهدين لا يستغنى فى اجتهاده عن نظر ورأى ، ولو بتحقيق المناط وتنقيحه الذى لا نزاع فى صحته . وأما بحسب العلمية فهو فى عرف السلف من " الرواة " بعد محنة خلق القرآن علم على أهل العراق ، وهم أهل الكوفة أبو حنيفة ومن تابعه منهم . . . . وبالغ بعضهم فى التشنيع عليه . . . . وإنى والله لا رأى إلا عصمته مما قالوه ، وتنزيهه عما إليه نسبوه . وجملة القول فيه : إنه قطعاً لم يخالف السنة عناداً ، وإنما خالف فيما خالف منها اجتهاداً بحجج واضحة ودلائل صالحة لائحة ، وحججه بين أيدى الناس موجودة ، وقل أن ينتصف منها مخالفوه، وله بتقدير الخطأ أجر وبتقدير الإصابة أجران، والطاعنون عليه إما حساد أو جاهلون بمواقع الإجتهاد، وآخر ما صح عن الإمام أحمد رضى الله عنه : إحسان القول فيه والثناء عليه . ذكره أبو الورد من أصحابنا فى كتاب " أصول الدين " اه .

قوله : وقولهم بدعة . تأدب وكيع مع الإمام فلم يصرح بالبدعة لما نقل،

فقال لرجل ممن ينظر فى الرأى : أشعر رسول الله ﷺ ، ويقول أبو حنيفة : هو مثلة ؟ قال الرجل : فإنه قد روى عن ابراهيم النخعى أنه قال : الإشعار مثلة ، قال : فرأيت وكيعاً غضب غضباً شديداً وقال : أقول لك : " قال رسول الله ﷺ " وتقول : " قال ابراهيم " ؟ ما أحقك بأن تحبس ثم لا تخرج حتى تنزع عن قولك هذا .

عن أبى حنيفة وأبهم الأمر بالنسبة إلى أهل الرأى ، نعم لم يرض بقوله ، وأما غضبه غضباً شديداً على ذلك الرجل ، فذلك لأنه عارض قول رسول الله ﷺ بقول ابراهيم معارضة ، ومثل هذه المعارضة وإن كانت معارضة صورية غير متحملة ، ومن أجل هذا حكم أبو يوسف الإمام على قتل من قال : " أنا لا أحبه " بعد ما روى أبو يوسف بأنه ﷺ كان يحب الدباء ، كما ذكره الشيخ محمد بن حسين الطورى فى تكملة " البحر الرائق " كما حكاه شيخنا رحمه الله . وقد أسلفنا فى أوائل الطهارة من الجزء الأول هذا وما عداه من المعارضات الصورية فراجعه .

ثم إن وكيعاً كان يفتى بمذهب أبى حنيفة ، كما فى " التهذيب" عن ابن معين ، وحكاه شيخنا عن " عقود الجواهر المنيفة " للزبيدى ، وعن "كتاب الضعفاء " لأبى الفتح الأزدى . وحكاه الكوثرى عن الذهبى فى تقدمة " نصب الرايــة " ، وحكاه فى " التأنيب" عن الخطيب من طريق الصيمرى عن ابن معين ما فى " تهذيب التهذيب" . وتجاهل صاحب " التحفة" عن هذا مستدلاً بما فى هذا المقام من قول وكيع عجيب ، فإن نسبة عالم إلى مذهب من المذاهب المتبوعة باعتبار أنه قائل بمعظم مسائل ذلك المذهب أصلاً وفرعاً ، لا باعتبار أنه لا يخالف مسألة من مسائله ، وأتباع السلف المحدثين والقدماء للأئمة المتبوعين كلهم من هذا القبيل ، ثم إنهم يقلدون الإمام ، أو يفتون بآرائه فيما لم يظهر

له وجه من السنة والحديث، فيتبعونه ويقتدون بأقواله فى المسائل الغير المنصوصة ما لم تصل إليها أفكارهم وقصر عنها اجتهادهم . وقد قال يحيى بن معين أيضاً بأن : يحيى بن سعيد القطان يفتى بقول أبى حنيفة أيضاً ، كما فى " التأنيب" ، وذكره غير واحد ، ومن هذا القبيل كون الترمذى شافعياً مع أنه رد عليه فى " جامعه" على الشافعى فى مسألة الإبراد بالظهر ، وكون أبى داود حنبلياً وتقليد سائر المحدثين من أرباب التآليف أئمة المذاهب كله من هذا الوادى .

والحاصل : أن إتباع هؤلاء المحدثين الجهابذة الكبار لأئمة الأمصار غير تقليد العامى لإمامه ، وبينهما فرق كبير ، ولا يخرج أحد عن دائرة إمامه باختياره عدة من مسائل غيره ، فرجل ربما يلوح لـــه دليل قوى خلاف قول إمامه ويسكن إليه قلبه ، فيخالفه فى مسائل مع شدة اتباعه فى بقية المسائل ، ولا أدرى كيف خفى على الشيخ المباركفورى هذا مع وضوحه ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

وبالجملة وكيع بن الجراح الكوفى شيخ أحمد ، عد من أصحاب أبى حنيفة ، وفيه يقول أحمد : " ما رأيت أوعى للعلم من وكيع ، ولا أحفظ منه " . ويقول أحمد : عليكم بمصنفات وكيع . وقد روى الخطيب بإسناده الصحيح فى "تاريخه" (١٤ — ٢٤٧) : كنا عند وكيع يوماً فقال رجل : أخطأ أبو حنيفة ، فقال وكيع : يقدر أبو حنيفة يخطئ ، ومعه مثل أبى يوسف وزفر فى قياسهما ، ومثل يحيى بن أبى زائدة ، وحفص بن غياث وحبان ومندل فى حفظهم الحديث؟ إلى أن قال : ومن كان هؤلاء جلساؤه لم يكد يخطأ ، لأنه إن أخطأ ردوه اه . كما حكيت العبارة برمتها فى بحث الفاتحة خلف الإمام من هذا الكتاب . فعلم من هذا تقدير وكيع لأبى حنيفة وتوقيره .

ويحكى شيخنا كما فى "العرف الشذى" عن " ميزان الإمام الشعرانى" قول

وكيع أنه قال: لو لم ألق ابن المبارك والثورى وأبا حنيفة لكنت من العوام . غير أنى لم أقف عليه فى " ميزان الشعرانى " فى عجلة المستوفز مع مطالعتى لمظنته من الكتاب نحو تسعين صفحة بالقطع الكبير ، وقد قرأت فى عدة مواقع قول ابن المبارك مثل هذا فى أبى حنيفة وسفيان . علا أن ابن المبارك مع علو طبقته ثبت روايته عن وكيع ، والله أعلم .

وعلى كل حال كون وكيع من أصحاب الإمام وتقديره لآرائـه واتباعه لاجتهاده والإفتاء بمذهبه لا ينكره إلا من أنكر الذكاء فى منتصف النهار ، فقد ذكر القرشى فى " الجواهر " عن أبى عبد الله الصيمرى: أنه ذكره فيمن أخذ العلم عن الإمام أبى حنيفة ، ويقول: " كان يفتى بقوله " ، وخلافه فى مسألة أو مسائل لا يخرجه عن إذعانه لأبى حنيفة وأتباعه إياه ، ونكيره الشديد على الرجل عند معارضة حديث الرسول عليه صلوات الله وسلامه بقول النخعى أمر معقول فى غاية من الفقه ووضع كل شئ فى موضعه ، والله ولى التوفيق .

تنبيه : لصاحب " التحفة " المباركفورى ههنا كلمات فى حط إمام العصر صاحب الأمالى على " جامع الترمذى ، يغنى ما كتبته عن استقلال الرد عليه ، وتأويله لقول ابن معين كما فى " تذكرة الحفاظ" و " التهذيب" : " بأنه كان يفتى على قول أبى حنيفة " فى شرب النبيذ خاصة" يثبت عداوه الكامن فى قلبه مع أبى حنيفة الإمام وأصحابه وأتباعه ، وقد أطبقت كلماتهم من ابن معين إلى الذهبى بأنـه كان يتبع أبا حنيفة الإمام فى قولـه ، وسياق كلام الذهبى فى " طبقاته " (١ ــ ٢٨٢) هكذا : قال يحيى - أى ابن معين - : ما رأيت أفضل منه يقوم الليل ويسرد الصوم ويفتى بقول أبى حنيفة ، وكان يحيى القطان يفتى بقول أبى حنيفة اهـ . فيا ترى هل هذا السياق يدل على ما يدعيه هذا الزاعم المتأول ؟ كلا ثم كلا ! وتشبثه لذلك بقول الذهبى : ما فيـه إلا شربه لنبيذ

(باب)

حدثنا : قتيبة وأبو سعيد الأشج قالا ثنا ابن اليمان عن سفيان عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر : « إن النبى ﷺ اشترى هديه من قديد » .

الكوفيين كيف يستقيم ؟ وأنى يصح وهو كوفى؟ والكوفيون كلهم على جواز شرب النبيذ ، فلا خصوصية لأبى حنيفة فى ذلك .

وأما مسألة النبيذ فنقول له : ع

وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

وليس ذاك النبيذ إلا إلقاء تميرات فى الماء ليلاً وشربه نهاراً ليحلو الماء ، فليس بمسكر ولا غليظ ، وإنما هو تدبير لجعل الماء الغير الحلو حلواً ، وحسب المرأ أن لا يدخل فى غير فنه ، وقد أسلفنا بعض التفصيل فى الطهارة عند الكلام بجواز الطهور بالنبيذ ، وما قاله ﷺ : « تمرة طيبة وماء طهور » فراجعه، وكأن هذا المسكين سامحه الله ينتظر فرصة تسنح له فى خلاف أبى حنيفة ومن تمسك بمذهبه ، ورحم الله من أنصف .

وأما أحاديث النهى عن المثلة أخرجها الزيلعى فى " نصب الراية " عن ثلاثة عشر من أصحاب رسول الله ﷺ ، فيمكن أن يقال : تعارض هذه الأحاديث حديث الإشعار، كما يقوله صاحب " الهداية " ، وكما أشار إليه الحافظ التوربشتى ، وليس هذا الوجه للمعارضة بغريب ، وإن كنت لا أجنح إليه استدلالاً بما أسلفناه .

—: باب :—

هكذا من غير ترجمة ، وأخرج فيه حديث ابن عمر المرفوع ، وقد تفرد

قال أبو عيسى : هذا حديث غريب، لا نعرفه من حديث الثوري إلا من حديث يحيى بن اليمان .

وروى عن نافع : « أن ابن عمر اشترى من قديد » .

قال أبو عيسى : وهذا أصح .

(باب ما جاء في تقليد الهدي للمقيم)

الترمذي بروايته من بين أصحاب الأمهات الست ، وعلل الترمذي حديث الباب المرفوع بأن يحيى بن اليمان تفرد به عن الثوري ولم يتابعه أحد ، وهو العجلي الكوفي ، صدوق عابد يخطئ كثيراً وقد تغير ، كما في " التقريب " . ولاريب أن تفرد مثله لا يكون حجة . وفيه يقول زكريا الساجي: ضعفه أحمد ، وقال: حدث عن الثوري بعجائب، كما في " التهذيب " ، ولم يخرج عنه البخاري ، وأخرج له مسلم والسنن، ولكن مسلم ينتقي لمثل هؤلاء ، ويكفي لغرابته وضعفه تفرد الترمذي من بين أرباب الصحاح .

ثم حديث الباب المرفوع يعارض حديث ابن عمر في " الصحيحين " ، وفيه : « فساق معـه الهدي من ذي الحليفة » ، وكذا يخالف بقية الروايات الدالة على أن الهدي كان معه وساقه معه من المدينـة ، فمن أجل ذلك رجح الترمذي روايته موقوفاً على ابن عمر وقال : وهو أصح . و" قديد" مصغراً : موضع بين مكة والمدينة ، كما يقوله ابن الأثير. وقال الجوهري: ماء بالحجاز. وقال ابن سيدة : وبعضهم لا يصرفه بجعله إسماً للبقعة اهـ ، كما في " التاج" .

وهذا الباب لم يتعرض إليه في " العرف الشذي" .

ـ: باب ما جاء في تقليد الهدي للمقيم :ـ

أخرج فيه حديث عائشة ، وقد أخرجه الشيخان وبقية السنن .

حدثنا : قتيبة نا الليث عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة أنها قالت : « فتلت قلائد هدى رسول الله ﷺ ثم لم يحرم ولم يترك شيئاً من الثياب » .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح . والعمل على هذا عند بعض أهل العلم ، قالوا : إذا قلد الرجل الهدى وهو يريد الحج لم يحرم عليه شئ

و " الهدى " : ما يهدى إلى الحرم من الأنعام لتنحر . وتقليدها أن يجعل في أعناقها قلادة من لحاء أو صوف أو نعل وغيرها ، ليكون ذلك علامةً لكونها هدى الحرم فلايتعرض لها بنهب أو غصب أو سرقة ، وخصوصاً إذا ضل أمن من الضباع .

ودل حديث الباب على من أرسل هدياً إلى الحرم والكعبة وأقام لم يصر بذلك محرماً سواء أراد الحج والعمرة من عامه هذا أم لا ، فبمجرد سوق الهدى لا يصير محرماً حتى يجب عليه الإجتناب من محظورات الإحرام ، بل إذا أراد الحج أو العمرة وأحرم يصير محرماً . وعلى هذا جماعة أئمة الفتوى وفقهاء الأمصار : مالك وأبو حنيفة والأوزاعي والثوري والشافعي وأحمد واسحاق وأبو ثور . قال مالك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن ابراهيم عن ربيعة بن الهدير : أنه رأى رجلاً متجرداً بالعراق ، فسأل عنه ؟ فقالوا : أمر بهديه أن يقلد فلذلك تجرد ، فذكر ذلك لابن الزبير؟ فقال : بدعة ورب الكعبة . قال الطحاوي : لا يجوز عندنا أن يكون حلف ابن الزبير على ذلك إلا أنه قد علم أن السنة على خلافه . وإليه ذهب ابن مسعود وعائشة وأنس وابن الزبير وآخرون . ويحكى ابن المنذر عن عمر وعلى وقيس بن سعد وابن عمر وابن عباس والنخعي وعطاء وابن سيرين وآخرين بأن : من أرسل الهدى وأقام حرم عليه ما يحرم

من الثياب والطيب حتى يحرم . وقال بعض أهل العلم : إذا قلد الرجل الهدى فقد وجب عليه ما وجب على المحرم .

على المحرم، ولكن ثبوته عن عمر وعلى عند ابن أبى شيبة بإسناد فيه انقطاع ، كما يذكره الحافظ ابن حجر ، وجاء عن الزهرى ما يدل على أن الأمر استقر على خلاف ما قال ابن عباس . وأخرج البيهقى عنه قال : " أول من كشف العمى عن الناس وبين لهم السنة فى ذلك " ، فذكر الحديث عن عروة وعمرة ، قال : فلما بلغ الناس قول عائشة أخذوا به وتركوا فتوى ابن عباس ، وما نقله الخطابى عن مذهب أصحاب الرأى مثل ابن عباس خطأ . قال الحافظ : فالطحاوى أعلم بهم منه ، هذا مقتبس مما قاله الحافظ البدر العينى فى " العمدة " (٤ ــ ٧١٤) والحافظ العسقلانى فى " الفتح" (٣ ــ ٤٣٦) ببعض زيادة من الراقم . وقال محمد فى " مؤطئه " بعد حديث عائشة : وبهذا نأخذ ، وإنما يحرم على الذى يتوجه مع هديه يريد مكة وقد ساق بدنة . . . . وأما إذا كان مقيماً فى أهله لم يكن محرماً ولم يحرم عليه شئ حل له ، وهو قول أبى حنيفة اه .

وبالجملة : الأحاديث الصحيحة فى الأمهات الست الصحيحة دالة على مذهب الجمهور ، وما روى خلاف ذلك عن الصحابة عدا ابن عباس فلم ترو فى هذه الأمهات ، مع أن أسانيدها فيها مغامز . علا أن عائشة صاحبة الواقعة ، وتقول: « أنا فتلت قلائد هدى رسول الله ﷺ بيدى وبعث بها مع أبى الخ » ، فالقول قولها ، والله ولى التوفيق .

ثم إن إرسال الهدى إلى الحرم لينحر بمنى قربة كما بعث رسول الله ﷺ مع أبى بكر ، ولكنه لايصير بذلك محرماً يجتنب عما يجتنب المحرم من المحظورات .

(باب ما جاء فى تقليد الغنم)

حدثنا : محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدى عن سفيان عن منصور

—: باب ما جاء فى تقليد الغنم :—

أخرج فيه حديث عائشة ، وقد أخرجه بقيــة الأمهات الست . ودل الحديث على تقليد الغنم والشاة ، وهو مذهب الشافعى وأحمد واسحاق وأبى ثور وابن حبيب . وقال أبو حنيفة ومالك : لاتقلد ، وهو رواية عن أحمد ، بل جعله صاحب " رحمة الأمة " مذهب أحمد، ولم يذكره ابن قدامة فى " المغنى " .

وقال أبو عمر ابن عبد البر : احتج من لم يره بأن الشارع إنما حج حجة واحدة لم يهد فيها غنماً ، وأنكروا حديث الأسود الذى فى " البخارى " فى تقليد الغنم ، قالوا : هو حديث لا يعرفــه أهل بيت عائشة ، أى عروة وعمرة وغيرهما ، وناقشه الحافظ فى " الفتح " ، ورده العينى وانتصر لأبى عمر ، وذكر صاحب " الهداية " و " البدائع " : أن تقليد الشاة غير معتاد وليس بسنة ، وما ذكره الأسود فلم يتابعـه أحد ، ولهذا قال صاحب " المبسوط " : شاذ ، وما يذكر فى الروايات من تقليد الغنم فيدعى البدر العينى : أنه فى غير الغنم التى سيقت إلى الحرم أو فى الإحرام ، ويقول : إن التقليد فى البدنة لا فى الغنم ، والغنم ليست ببدنة ، ولا ريب أن عامة من روى عنها إنما هو فى هدى رسول الله ﷺ فى الإبل، فللمجتهد أن ينظر فى هذه الرواية الغريبة بأنه لم يتابع الأسود فيها غيره ، وبقية روايات التقليد للبدن يرويها غير واحد . فلاشك أن من توبع عليه روايته أقوى ممن لم يتابع ، وليس مسألة عدم الذكر فقط بل عدم الذكر فى مثله كذكر العدم . واستدل ابن قدامة فى " المغنى " (٣ — ٥٤٩) لمالك وأبى حنيفة بما لفظه : لايسن تقليد الغنم ، لأنه لو كان سنة لنقل كما نقل

عن ابراهيم عن الأسود عن عائشة قالت : «كنت أفتل قلائد هدى رسول الله ﷺ كلها غنماً ثم لا يحرم».

فى الإبل اه . وهذا أيضاً يشير إلى أن تقليد الغنم ليس فى شهرة الرواية مثل تقليد الإبل .

ويقول أبو بكر الكاسانى فى "البدائع" (٢ — ١٦٢) : والدليل على أن الغنم لا يقلد قوله تعالى: (ولا الهدى ولا القلائد) عطف القلائد على الهدى، والعطف يقتضى المغايرة فى الأصل ؛ واسم الهدى يقع على الغنم والإبل والبقر جميعاً ، فهذا يدل على أن الهدى نوعان : ما يقلد وما لا يقلد . ثم الإبل والبقر يقلدان بالإجماع ، فتعين أن الغنم لا تقلد ، ليكون عطف القلائد على الهدى عطف الشئ على غيره فيصح اه .

قال الراقم: ويؤيده ما حكاه الإمام أبو بكر الرازى الجصاص فى "أحكام القرآن" : وقد روى فى تأويل القلائد وجوه عن السلف، فقال ابن عباس : أراد الهدى المقلد . قال أبو بكر : هذا يدل على أن من الهدى ما يقلد ومنه ما لا يقلد ، والذى يقلد : الإبل والبقر ، والذى لا يقلد: الغنم اه . ويفسر فى "الكشاف" فى أحد وجهى التفسير : القلائد بذوات القلائد . فكلام صاحب "البدائع" كلام متين عربية وذوقاً وفقهاً . ثم اتفاق مالك وأبى حنيفة وأبى يوسف ومحمد على عدم استحباب تقليد الغنم ينبئ عن التعامل ، فاتفاق أبى حنيفة ومالك أقرب مظنة إلى أن هذا القول أظهر الأقوال تعاملاً ، وقد بحثت عن مذهب الثورى والأوزاعى فيما عندى من المآخذ من "العمدة" و "الفتح" وشرح "التقريب" للعراقى و "المغنى" لابن قدامة و "المجموع" و "رحمة الأمة" و "ميزان الشعرانى" و "قواعد ابن رشد" فلم أصادف ، فلو

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح . والعمل على هذا عند بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم : يرون تقليد الغنم .

وجدت اتفاق هؤلاء الفقهاء الأربعة : أبي حنيفة ومالك والثورى والأوزاعى لاطمأننت إلى أن التعامل على ذلك ، والتعامل هو القول الفصل فى معترك الروايات ، والله أعلم .

ثم إنه قال شيخنا ما توضيحه : أراد فقهاؤنا من نفى تقليد الغنم التقليد بالنعل لا من الخيط المفتول ، فإذا صح الحديث بتقليد الغنم ـ ولا شك أنه من العهن وهو الصوف المصبوغ ، كما ورد ذلك فى روايـــة فى الصحيح : « فتلت قلائدها من عهن عندى » ، والعهن هو الصوف المصبوغ أى لون كان ، كما فى المحكم ، وقال ابن قرقول : هو الأحمر من الصوف ، حكاه البدر العينى ـ فمحل نفى تقليد الغنم هو تقليدها بالنعال وما يشبهها ، ومحل إثبات التقليد هو بالخيوط المفتولة من الصوف والوبر ، فإذن لا يخالف حديث الباب مذهب أبي حنيفة ، وفقهاؤنا الحنفية لم يذكروا التقليد بالخيط لا نفياً ولا إثباتاً ، فكتبنا ساكتة عن هذا خاصة . فالقول والتمسك بهذا الحديث لا يخالف المذهب اه .

ثم إن مذهب أبي حنيفـــة ومالك يقول العراقى فى شرح " التقريب " (٣ ــ ١٥٠) : ورواه ابن أبي شيبة عن ابن عمر وسعيد بن جبير ، ويوافقه كلام البخارى فإنـــه بوب على هذا الحديث : (فتل القلائد للبدن والبقر) ، فحمل الحديث عليها ولم يذكر الغنم اهـ . وأيضاً ذكر فى (٣ ــ ١٥١) : ذكر أصحابنا الشافعيـــة أن التقليد بالخيوط المفتولة يكون فى الغنم فيقلدها . . . وأما الإبل والبقر فقالوا : يستحب تقليدها بنعلين اهـ .

قال الراقم : وقد جاءك فى هذا بيان كاشف عن صورة الحال ، فما قال

(باب ما جاء اذا عطب الهدى ما يصنع به ؟)

حدثنا : هارون بن اسحاق الهمدانى نا عبدة بن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه عن ناجيـــة الخزاعى قال : « قلت : يا رسول الله ! كيف أصنع بما

الحافظ فى " الفتح " : " فمن ادعى اختصاص الإبل بالتقليد فعليه البيان اﻫ " فقد جئناك ببيان ، وامتثلنا أمر الحافظ ، وبالله التوفيق .

ثم إن لفظ حديث الباب : « كنت أفتل قلائد هدى النبى ﷺ كلها غنماً » فى وقوع الغنم حالاً من المضاف إليه - أى الهدى المضاف إلى النبى ﷺ - إشكال من جهة العربية ، بأنه لا يصح الحال من المضاف إليه إلا أن يصح ذكر المضاف إليه محل المضاف لا مطلقاً . والمسألة خلافية عند النحاة . فأقول : إن كل ذلك من تصرف الرواة ، فروايات البخارى فى " صحيحه " كلها على خلاف هذا اللفظ ، فلفظ البخارى من طريق الأعمش عن ابراهيم : « كنت أفتل القلائد للنبى ﷺ فيقلد الغنم » . وفى لفظ آخر : « كنت أفتل قلائد الغنم للنبى ﷺ » ، ولا إشكال فى هذه الألفاظ .

ــ: باب ما جاء إذا عطب الهدى ما يصنع به ؟ :ــ

أخرج فيه حديث ناجية الخزاعى ، وهو : ابن كعب بن جندب ، أو جندب بن كعب ، ليس له فى الستة إلا هذا الحديث ، وكان اسمه : ذكوان ، فسماه النبى ﷺ حين نجا من قريش ، كما يقوله السيوطى فى " القوت " ، وقد أخرجه أبو داود وابن ماجه ، وفى معناه حديث أبى قبيصة ذويب الخزاعى عند مسلم ، وهو ما أشار إليــه فى الباب ، وأيضاً فيـه حديث ابن عباس عند مسلم ، وهذه زيادة على ما أشار إليه فى الباب .

عطب من الهدى ؟ قال: انحرها ، ثم اغمس نعلها فى دمها ، ثم خل بين الناس وبينها فيأكلوها » .

والعطب ـ بفتحتين ـ من باب " علم " هو : الهلاك ، وأريد به هنا : قربه للهلاك بأن اعترته آفة تمنعه من السير فيكاد يعطب ، فمعنى عطب أى : عجز عن السير ، كما فى " مجمع البحار" . قال ابن الهمام فى " الفتح " : لأن النحر بعد حقيقة الهلاك لا يكون اه .

ثم المذاهب فى حديث الباب ، فقال أبو حنيفـــة : إذا عطبت البدنة فى الطريق فإن كانت تطوعاً نحرها وصبغ نعلها بدمها وضرب بها صفحة سنامها ولا يأكل هو ولا غيره من الأغنياء . والمراد بالنعل قلادتها ، وذلك ليعلم أنـه هدى فيأكل منه الفقراء دون الأغنياء، وإن كانت واجبة أقام غيرها مقامها وصنع بها ما شاء فإنه ملكها كسائر أملاكه ، فلـه التصرف كما يشاء من بيع أو هبة أو أكل . ومثله مذهب الثورى وأحمد وابن القاسم صاحب مالك، كما فى "مغنى ابن قدامة " . وقال الشافعى : إن كان هدى تطوع كان له أن يفعل فيه ماشاء من بيع وذبح وأكل وإطعام ، ولو تركه فلا شئ عليه ، وإن كان نذراً زال ملكه عنه وصار للمساكين، فلا يجوز بيعه ولا إبداله بغيره ، كما فى " المهذب" لأبى اسحاق الشيرازى وشرح "مسلم" للنووى، وراجع للتفصيل "شرح المهذب" (٨ ـــ ٣٧٠) . ومذهب مالك كما فى " شرح الدردير " (٢ ـــ ٨٩) على هامش " الدسوقى" قريب من مذهب أبى حنيفة ، فذكر عدم الأكل للمهدى والسائق فى هدى التطوع والمنذور .

فتلخص أن مذهب أبى حنيفـة ومالك والثورى وأحمد متقارب فى أكثر التفصيلات، ويخالفهم مذهب الشافعى فى هدى التطوع . فما ذكره الترمذى من

وفى الباب عن ذويب أبى قبيصة الخزاعى . قال أبو عيسى : حديث ناجية حديث حسن صحيح ، والعمل على هذا عند أهل العلم ، قالوا فى هدى

مذهب الشافعى يخالف ما ذكره النووى فى شرح "المهذب" وفى شرح "مسلم" ، وكذا ما حكاه البدر العينى فى " العمـــدة " (٤ — ٧٣٣) من التوضيح من مذهب الشافعى مثل أبى حنيفـــة ومالك ، فلعله قول للشافعى ، والمدار فى نقل مذهبه على مثل النووى لا غير . وما ذكره الترمذى من مذهب بعض أهل العلم فهو مذهب مالك من وجوب البدل ، كما ذكره الخطابى ، وفى "شرح الدردير" وغيره من كتب المالكية فيه تفصيل . وملخصه : أن هدى التطوع إن عطب قبل محله فلا يأكل منه ، وإن وصل إلى محله سالماً فإنه يأكل منه ، وفى عطب الواجب قبل المحل لا يجوز له الأكل ، وبعد البلوغ إلى المحل يجوز له الأكل . وراجع كتب المالكية للتفصيلات ، ولم أقدر على تلخيص المذاهب وتنقيحها من مصادرها الموثوقة كما أرتضيه لتشويش الخاطر ، ومن أفرغ المجهود فقد أعذر .

ولا بأس بأن أنقل كلام ابن رشد فى " قواعده " حيث لخصه تلخيصاً جيداً ولكن أختصره اختصاراً ، فقال فى أواخر كتاب الحج قبل الجهاد : وأجمعوا على أن هدى التطوع إذا بلغ محله أنه يأكل منه صاحبه كسائر الناس ، وإذا عطب قبل البلوغ لم يأكل منه . واختلفوا فيما يجب على كل من أكل منه ؟ فقال مالك : إن أكل منه وجب عليه بدله . وقال الشافعى وأبو حنيفة والثورى وأحمد وابن حبيب : عليه قيمة ما أكل أو أمر بأكله طعاماً يتصدق به ، وروى ذلك عن على وابن مسعود وابن عباس وجماعة من التابعين . وأما الهدى الواجب إذا عطب قبل المحل فلصاحبه أن يأكل منه ، لأن عليه بدله ، ومنهم من أجاز له بيع لحمه وأن يستعين به فى البدل ، وكره ذلك مالك . واختلفوا فى الأكل من الهدى الواجب إذا بلغ محله ، فقال الشافعى : لا ، ولحمه وكذلك جله

التطوع إذا عطب: لا يأكل هو ولا أحد من أهل رفقته ويخلى بينه وبين الناس يأكلونه وقد أجزأ عنه. وهو قول الشافعي وأحمد واسحاق. وقالوا: إن أكل

والنعل الذي قلده به كله للمساكين. وقال مالك: يؤكل من الهدى الواجب إلا جزاء الصيد ونذر المساكين وفدية الأذى. وقال أبو حنيفة: لا يؤكل من الواجب إلا هدى المتعة والقران. قال ابن رشد: وعمدة الشافعي تشبيه جميع أصناف الهدى الواجب بالكفارة، وأما من فرق فلأنه يظهر في الهدى معنيان: عبادة مبتدأة وكفارة، وأحد المعنيين في بعضها أظهر، فمن غلب شبهه بالعبادة على شبهه بالكفارة في نوع من أنواع الهدى ـ كهدى القران والتمتع، وبخاصة عند من يقول بأفضليتها ـ لم يشترط أن لا يأكل، لأن هذا الهدى عنده فضيلة لا كفارة تدفع العقوبة، ومن غلب شبهه بالكفارة قال: لا يأكل للاتفاق بأن صاحب الكفارة لا يأكل من كفارته، انتهى كلامه الملخص باختصار وحذف. وقد كافأت تشويشي بتلخيص كلامه، ثم رأيت كلام الشيخ أبي عبد الله محمد الأبي المالكي في "إكمال إكمال المعلم" (٣ ـ ٤٥٥) فقد لخص المذاهب تلخيصاً جيداً فقال: ما عطب من هدى التطوع قبل بلوغ محله أباح لصاحبه أن يأكل منه عند عائشة. وقال ابن عباس: لا يأكل منه صاحبه ولا سائقه ولا أهل الرفقة لنص الحديث. وقال مالك والجمهور: لا يأكل منه صاحبه ويخلى بينه وبين الناس، وإن أكل منه ضمنه. ومذهب مالك والجمهور: أنه لا بدل على صاحبه فيما عطب، وهو موضع بيان. وأما ما عطب من الهدى الواجب قبل النحر فقال مالك والجمهور: يأكل منه صاحبه والأغنياء، لأن صاحبه يضمنه، لأنه تعلق بذمته، واختلف هل له بيعه؟ فمنعه مالك وأجازه الجمهور. وأما ما بلغ من الهدى محله فمشهور مذهب مالك: أنه لا يأكل من ثلاثة، من الجزاء والفدية ونذر المساكين، ويأكل ما سوى ذلك. وبه قال فقهاء الأمصار وجماعة من السلف. . . . . وقال

منه شيئاً غرم مقدار ما أكل منه . وقال بعض أهل العلم : إذا أكل من هدى التطوع شيئاً فقد ضمن .

الشافعي : لا يأكل من الواجب ويأكل من التطوع . . . ويهدى ويدخر . . . وقال أبو حنيفة: يأكل من هدى التمتع والقران والتطوع ولا يأكل من غيرها، إلى آخر ما قال ، انتهى ببعض الإختصار، والله المستعان .

وما ذكره الترمذى عند نقل المذاهب بأنه لا يأكل هو ولا أحد من رفقته هو نص حديث ابن عباس فى " صحيح مسلم " وفيه : ولا تأكل منها أنت ولا أحد من أهل رفقتك . قال النووى فى شرح " مسلم " : ويجوز للفقراء من غير أهل هذه الرفقة ، ولا يجوز للفقراء الرفقة . قال : والمراد " بالرفقة " : هم الذين يخالطون المهدى فى الأكل وغيره دون باقى القافلة أو جميع القافلة، وقال: والثانى أصح ، انتهى مختصراً .

ثم إن ما ورد فى حديث ابن عباس قال بـه ابن عباس والشافعى وابن المنذر، ولم يذهب إليه الجمهور. ويقول الأبى فى شرح " مسلم " : قيل: نهاه عن ذلك حماية أن يتساهل فينحر قبل أوانه ، لأنه لو لم يمنعهم أمكن أن يبادر فينحره قبل أوانه ، وهو من المواضع التى وقعت فى الشرع وحملت مالكاً على القول بسد الذرائع ، وهو أصل عظيم لم يظفر بـه إلا مالك رحمه الله لدقة نظره اه .

قال شيخنا العثمانى فى " فتح الملهم " : وقد استعمله أصحابنا أيضاً كثيراً فى مسائلهم اهـ .

(باب ما جاء في ركوب البدنة)

حدثنا : قتيبة نا أبو عوانة عن قتادة عن أنس بن مالك : « إن النبي ﷺ رأى رجلاً يسوق بدنة فقال له : اركبها ، فقال : يا رسول الله إنها بدنة ؟ فقال له فى الثالثة أو فى الرابعة : اركبها ويحك ، أو ويلك » .

ــ: باب ما جاء فى ركوب البدنة :ــ

أخرج فى الباب حديث أنس ، وقد اتفق على تخريجه الشيخان فى "صحيحيهما" . والرجل فى هذه الرواية وكذا فى رواية أبى هريرة عندهما لم يدر اسمه . وقوله : « يسوق بدنة » ووقع فى رواية أبى هريرة عند "مسلم" : « بدنة مقلدة » ، والبخارى فى رواية عكرمة عن أبى هريرة : « . . . والنعل فى عنقها » . فعلم من ذلك أنه لم يخف ذلك على النبى ﷺ لكونها مقلدة والنعل فى عنقها ، ولهذا لما زاد فى مراجعته قال: « ويلك » ، ووقع فى رواية الترمذى هنا : « ويلك أو ويحك » بالشك ، ووقع فى رواية البخارى فى حديث أبى هريرة: « ويلك » بالجزم ، ووقع فى رواية أحمد فى حديث أبى هريرة : « ويحك » بالجزم . وكلمة " ويل " يقال لمن وقع فى هلكة يستحقها ، و " ويح " لمن وقع فى هلكة لا يستحقها . ويقول الأصمعى : " ويل " كلمة عذاب، و " ويح " كلمة رحمة . وقال سيبويه : " ويح " زجر لمن أشرف على هلكة . وفى الحديث « ويل واد فى جهنم » ، وكل هذا أصل الكلمة فى الحقيقة، ولكن المتبادر: أنه ﷺ قالها له تأديباً لأجل مراجعته له مع عدم خفاء الحال عليه ، قاله ابن عبد البر وابن العربى والقرطبى فإذن يكون إنشاء . وقيل : كان أشرف على الهلكة من الجهد ، فإذن يكون إخباراً ، وقيل : هى كلمة تدعم بها العرب كلامها ولا يقصد معناها ، تجرى على اللسان من

وفى البـاب عن على وأبى هريرة وجابر . قال أبو عيسى : حديث أنس حديث صحيح حسن ، وقد رخص قوم من أهل العـلم من أصحاب النبى ﷺ

غير قصد لما وضعت له مثل: " لا أم لك " و" تربت يمينك " وأشباه ذلك ، ويقويه ما وقع بدله: " ويحك " عند أحمد ، فإذن لا يكون إنشاءً ولا إخباراً ، وقيل : هى هنا إغراء لما أمر به من الركوب حين رآه يخرج منـه ، وهذا أيضاً إنشاء . هذا ملخص ما فى " العمـدة " و" الفتح " و" شرح الأبى على مسلم " .

ثم المذاهب فى ركوب البدنة نحو سبعة :

الأول : الجواز مطلقاً ، وبـه قال عروة بن الزبير ، وروى عن أحمد واسحاق ، وبه قال الظاهرية ، وبه جزم النووى فى " الروضة " ، وعزاه فى " شرح المهذب" إلى القفال والماوردى .

الثانى : الجواز مقيداً بالحاجـة لامطلقاً ، وحكاه الترمذى عن الشافعى وأحمد واسحاق، وحكاه النووى عن أبى حامد والبندينجى ، وإليه ذهب الرؤيانى.

الثالث : الجواز عند شدة الحاجة ، وهو الاضطرار ، وهو المنقول عن جماعة من التابعين ، وهو المنقول عن الشعبى والحسن البصرى وعطاء ، وهو قول أبى حنيفة وأصحابه ، ولذا قيده صاحب " الهداية " بالاضطرار ، وإليه ذهب الثورى .

الرابع : الجواز مع الكراهة من غير حاجـة ، نسبه ابن عبد البر إلى الشافعى ومالك .

الخامس : الجواز الركوب بقدر الحاجـة ، فإذا استراح نزل ، قاله

وغيرهم فى ركوب البدنــة إذا احتاج إلى ظهرها ، وهو قول الشافعى وأحمد واسحاق . وقال بعضهم : لا يركب ما لم يضطر إليه .

(باب ما جاء : بأى جانب الرأس يبدأ فى الحلق ؟)

حدثنا : أبو عمار نا سفيان بن عيينـة عن هشام بن حسان عن ابن سيرين

إبراهيم النخعى ، قال : يركبها إذا أعيي قدر ما يستريح على ظهرها . ويؤيده حديث جابر ما أشار إليــه الترمذى فى الباب ، وقد أخرجه مسلم ولفظه : « إركبها بالمعروف إذا ألجئت إليها حتى تجد ظهراً » فإن مفهومه : تركها إذا وجد غيرها ، وربما يكون هذا والثالث ما ذكرناه عن الإمام واحداً ، ولأجل هذا قلت : نحو سبعة ، وحديث مسلم هذا يؤيد أبا حنيفة رحمه الله .

السادس : المنع مطلقاً ، نقله ابن العربى عن أبى حنيفة وشنع عليــه ، ورده البدر والشهاب .

السابع : وجوب الركوب . نقله ابن عبد البر عن أهل الظاهر .

ثم إنه كره أبو حنيفة ومالك والشافعى وأكثر الفقهاء شرب لبن الناقــة بعد رى فصيلها ، وهل يحمل متاعــه عليها ؟ منعه مالك وأجازه الجمهور . وكذلك إن حمل عليها غيره أجازه الجمهور ومنعه مالك . ونقل عياض الإجماع على أنه لا يؤجرها . هذا ملخص ما قاله البدر العينى فى "العمدة" (٤ ــ ٧٠٥) والشهاب العسقلانى فى " الفتح" (٣ ــ ٤٢٩ و ٤٣٠) .

ــ : باب ما جاء: بأى جانب الرأس يبدأ فى الحلق ؟ :ــ

أخرج فيه حديث أنس ، وقد أخرجه البخارى مختصراً جداً فى الوضوء

عن أنس بن مالك قال : « لما رمى رسول الله ﷺ الجمرة نحر نسكه ثم ناول الحالق شقه الأيمن فحلقه فأعطاه أبا طلحة ، ثم ناوله شقه الأيسر فحلقه فقال : اقسمه بين الناس » .

فى (باب الماء الذى يغسل به شعر الإنسان) ولفظه : « إن رسول الله ﷺ لما حلق رأسه كان أبو طلحة أول من أخذ شعره » . قال العينى : ولم يخرجه أحد من الستة غيره بهذه العبارة آ هـ . وأخرجه مسلم فى الحج بألفاظ مختلفة . ودل حديث الباب على أن الحاج إذا وصل إلى منى يوم النحر يبدأ أولاً برمى الجمرة الكبرى جمرة العقبة ثم ينحر ، وقد أسلفنا بيان المذاهب فى ترتيب الأشياء الأربعة يوم النحر وبيان حكمها عند فقهاء الأمصار .

قوله : ثم ناول الحالق شقه الأيمن . اسم الحالق : معمر بن عبد الله العدوى ، ذكره البخارى . وقيل : خراش بن أمية - بكسر الخاء - ابن ربيعة الكلبى ، والصحيح : أن الخراش كان بالحديبية ، كما ذكره البدر العينى فى " العمدة " (١ — ٧٨١) . ودل الحديث على أن الحلق نسك ، وإنه أفضل من التقصير ، وإنه يستحب البداءة بالجانب الأيمن من رأس المحلوق ، قاله النووى . قال : وهذا مذهبنا ومذهب الجمهور . وقال أبو حنيفة : يبدأ بجانبه الأيسر ا هـ . قال الراقم : وفى " لباب المناسك " وشرحه للقارى : ويبدأ بالجانب الأيمن من رأس المحلوق هو المختار ، كما فى " منسك ابن العجمى " و " البحر " ، وقال فى " النخبة " : وهو الصحيح ، وقد روى رجوع الإمام عما نقل عنه الأصحاب . . . فصح تصحيح قوله الأخير ، واندفع ما هو المشهور عند المشايخ من البداءة من يمين الحالق وأيسر المحلوق . قال : ولو قام الحالق من وراء المحلوق حال كونهما مستقبلين (القبلة) لاجتمع الابتداء بيمين الحالق والمحلوق وارتفع الخلاف . . . نعم إذا تعذر الجمع فلا بد من الترجيح ،

حدثنا : ابن أبي عمر نا سفيان بن عيينة عن هشام نحوه .

ولعل هذا هو سبب تردد الإمام من أن العبرة للحالق أو المحلوق ؟ والمتبادر الأول . وقال ابن الهمام : السنة فى الحلق والبداءة بيمين المحلوق رأســه ، وهو خلاف ما ذكر فى المذهب ، وهو الصواب . وقال السروجى : . . . . وذكر كذلك بعض أصحابنا . . . والسنة أولى ، وقد صح بداءة رسول الله ﷺ بشق رأسه الكريم من الجانب الأيمن ، وليس لأحد بعده كلام ، وقد كان يحب التيامن فى شأنه كله ، إلى آخر ما قال . وقال ابن عابدين بعد نقل كلام ابن الهمام : أقول : ويوافقه ما فى " الملتقط " عن الإمام : " حلقت رأسى فخطأنى الحلاق فى ثلاثة أشياء ، لما أن جلست قال : استقبل القبلة ، وناولته الجانب الأيسر فقال : ابدأ بالأيمن ، فلما أردت أن أذهب قال : ادفن شعرك ، فرجعت فدفنته اه " " نهر " . فهذا يفيد رجوع الإمام إلى قول الحجام - إلى أن قال - : ومثله فى " المعراج " و " غاية البيان " . فتلخص أن الصواب ما عليه الجمهور بتصريح ابن الهمام والسروجى وقوام الدين الكاكى وعميد الدين الإتقانى وابن العجمى وابن نجيم وغيرهم . قال البدر العينى فى " العمدة " (٤ — ٧٤١) : وعند الشافعى يبدأ بيمين المحلوق ، والصحيح عن أبى حنيفة مثله اه .

قال شيخنا رحمه الله : بعد تسليم أن الحكاية ثابتــة تدل هذه الحكاية على جلالة قدر الإمام ، وقبول شيئ عن مثل الحجام إذا وقع نحو ذهول فى المقام ، مع أن القولين رويا عن أبى حنيفة ، وللمجتهد أن يبحث عن التيامن المطلوب المروى فى الحديث . هل المراد به تيامن الحالق أو المحلوق ؟ اه . ولفظ حديث وقع فيه التصريح بشقه الأيمن منه ﷺ لا يمكن أن يكون نصاً فى مورد النزاع ، فإن اختلاف الروايات فى أمثال هذا مستمر ، فلا يكون روايـة واحدة ولفظ واحد ينفصم به الخلاف .

هذا حديث حسن .

قال الراقم : وما نقله الشيخ المباركفورى فى " تحفته " من نقل كلام إمام العصر من " العرف الشذى " فقد خان فى النقل وترك عمود كلامه ومدار بحثه ، وقد ذكرناه كاملاً فسامحه الله وغفرله أمثال هذه الشحائن والضغائن مع العلماء الربانيين ، وإمام العصر الكشميرى محقق هذه العصور ويتيمة العلماء الجهابذة ونابغة هذه القرون ، والله سبحانه ولى التوفيق والهداية . ثم ما ذكره عن " تلخيص الحافظ " : أن القصة مشهورة أخرجها ابن الجوزى فى " مثير العزم الساكن " بإسناده إلى وكيع اه ، ففيه أنه لم يذكر فيه مسألة الحلق أصلاً ، وإنما ذكر التوجه إلى القبلة والتكبير ودفن الشعر ، وهذا أيضاً من جملة ما اضطربت الحكاية ولم تثبت على جانب واختلاف الروايات والحكايات فى أبى حنيفة الإمام على ألسنة الأبرياء بأسانيد صالحة غير غريب ، وللتفصيل مجال آخر ، ورحم الله عزوجل من عدل وعدل وصفح عمن سها وزل .

ثم إن المتبادر من حديث الباب : أن شعر شقيه ﷺ أعطاه أبا طلحة ، وهو مصرح فى رواية مسلم فى حديث الباب من نفس طريق الترمذى ، وكذلك هو المتبادر فى لفظ حديث أبى عوانة ، كما يذكره البدر العينى ، غير أن فى رواية حفص بن غياث غير هشام أنه قسم الأيمن فيمن يليه . وفى لفظ : « فوزعه بين الناس الشعرة والشعرتين وأعطى الأيسر أم سليم » ، وفى لفظ : « أبا طلحة » ، ويمكن أن يجمع بأن ناول أبا طلحة كلاً من الشقين ، فأما الأيمن فوزعه أبو طلحة بأمره بين الناس ، وأما الأيسر فأعطاه لأم سليم زوجته بأمره ﷺ ، وزاد أحمد فى رواية له : « لتجعله فى طيبها » . هذا ملخص ما فى " العمدة " (١ — ٧٨١) و " الفتح " (١ — ٢٣٩) . وفى " العمدة " (٤ — ٧٣٩) تفصيل وتحقيق مزيد فراجعها إن شئت . ورجح المحب الطبرى

تقسيم شعر الجانب الأيمن بكثرة الرواة ، ورجح العراقى توزيع شعر الجانب الأيسر لاتفاق الشيخين عليه ، وقسم شعر الجانب الأيمن قال: من أفراد مسلم . وأبو طلحة هذا هو الأنصارى زوج أم سليم والدة أنس راوى حديث الباب .

ثم إن فى حديث الباب التبرك بشعره ﷺ وجواز اقتنائه ، وفيه المواساة بين الأصحاب فى العطية والهدية ، وإن المواساة لا تلزم المساواة . قال البدر العينى فى " العمدة " (٤ — ٧٤٠) : فيه التبرك بشعره ﷺ وغير ذلك من آثاره . بأبى وأمى ونفسى هو، وقد روى أحمد فى " مسنده " بسنده إلى ابن سيرين أنه قال : فحدثنيه عبيدة السلمانى، يريد هذا الحديث، فقال: لأن يكون عندى شعرة منه أحب إلى من كل بيضاء وصفراء على وجه الأرض وبطنها . وقد ذكر غير واحد : أن خالد بن الوليد رضي الله عنه كان فى قلنسوته شعرات من شعره ﷺ ، فلذلك كان لا يقدم على وجه إلا فتح له . ويؤيد ذلك ما ذكره الملا فى " سيرته ": أن خالداً سأل أبا طلحة حين فرق شعره ﷺ بين الناس : أن يعطيه شعر ناصيته ؟ فأعطاه إياه ، فكان مقدم ناصيته مناسباً لفتح كل ما أقدم عليه اهـ .

وذكر العينى فى " العمدة " (١ — ٧٤١) : أن خالد بن الوليد رضي الله عنه جعل فى قلنسوته من شعر رسول الله ﷺ ، فكان يدخل بها فى الحرب ويستنصر ببركته ، فسقطت عنه يوم اليمامة فاشتد عليها شدة وأنكر عليه الصحابة ، فقال : إنى لم أفعل ذلك لقيمة القلنسوة لكن كرهت أن تقع بأيدى المشركين وفيها من شعر النبى عليه الصلاة والسلام اهـ .

ثم إن حديث عبيدة السلمانى رواه البخارى فى "صحيحه" عن ابن سيرين، قال : قلت لعبيدة : عندنا من شعر النبى ﷺ ، أصبناه من قبل أنس أو من

قبل أهل أنس ، فقال : لأن تكون عندى شعرة منه أحب إلى من الدنيا وما فيها اهـ .

قال شيخنا رحمه الله : وهذا الحديث وأمثالـه أصل فى أخذ التبركات والعناية بها ، وتبركاته عليه صلوات الله وسلامه فى غاية الكثرة ، ومن جملتها بردته ﷺ ، أعطاها كعب بن زهير بن أبى سلمى حين أنشأ قصيدته المعروفة بقصيدة " بانت سُعاد " بحضرته ﷺ ، واشتراها بعد ذلك الخلفاء العباسيون ، ويتداولونها بينهم اهـ .

قال الراقم: ولأجل هذا سميت قصيدة كعب بن زهير هذه : " قصيدة البردة " . وأما "قصيدة البردة" المشهورة للبوصيرى فإسمها المناسب لحقيقتها : " قصيدة البرءة " حيث شفاه الله من الشلل والفالج بتوسله بهذه القصيدة ، كما هو المعروف فى شأنها .

قال الراقم : وفى " السيرة الحلبية " (٣ — ٢٤٢) ما ملخصه : إنه لما أنشد قصيدته ألقى عليه ﷺ بردة كانت عليه ﷺ ، وأراد معاوية بن أبى سفيان أن يشتريها من كعب لعشرة آلاف ، فقال كعب: ما كنت لأوثر بثوب رسول الله ﷺ أحداً ، فلما مات كعب رضي الله عنه اشتراها من ورثته بعشرين ألف درهم وتوارثها خلفاء بنى أمية ثم خلفاء بنى العباس ، واشتراها السفاح أول خلفاء بنى العباس بثلاث مائة دينار بعد انقراض دولة بنى أمية ، وذكر ابن كثير : أنه اشتراها معاوية من أهل كعب بأربعين ألف درهم ، ثم توارثها الخلفاء الأمويون والعباسيون حتى أخذها التترمنهم سنة أخذ بغداد وقال : هذا من الأمور المشهورة جداً اهـ .

(باب ما جاء فى الحلق والتقصير)

حدثنا : قتيبة نا الليث عن نافع عن ابن عمر قال : « حلق رسول الله

قال الشيخ : ولفظ " حسان " فى هشام بن حسان ـ أو أين ما أوقع ـ إن كان من " الحسن " فنصرف ـ ووزنه فعال ـ ، وإن كان من " الحس " بغير النون فغير منصرف ، ووزنه فعلان .

ـ: باب ما جاء فى الحلق والتقصير :ـ

أخرج فى الباب حديث ابن عمر فى الحلق والتقصير ، وإن الحلق أفضل . والحديث هذا اتفق عليه الشيخان فى " صحيحيهما " وأخرجاه فى الحج . وجواز التقصير وأفضلية الحلق كلمة اتفاق عند الأمة كما إن كون الحلق أو التقصير نسك وعبادة عند جمهرة الأمة ، وإليه ذهب أبو حنيفة ومالك والشافعى وأحمد ، ونسب إلى الشافعى وطائفة : أنه استباحة محظور ، وكذا فى رواية عند أحمد . ودعاء النبى ﷺ للمحلقين والمقصرين أوضح دليل على أنه نسك لا إطلاق من محظور فقط . ثم إنه قد وجه أفضلية الحلق بأنه أبلغ فى العبادة ، وأبين للخضوع والذلة ، وأدل على صدق النية ، والذى يقصر يبقى على نفسه شيئاً مما يتزين بخلاف الحالق ، فإنه يشعر بأنه ترك ذلك لله تعالى ، وفيه إشارة إلى التجرد ، ومن ثم استحب الصلحاء إلقاء الشعور عند التوبة ، والله أعلم ، قاله الحافظ فى " الفتح " (٣ ـ ٤٥٠) .

واختلفوا فى مقدار الواجب من الحلق والتقصير ، فقال مالك بوجوب جميع الرأس ، وإليه ذهب أحمد فى رواية ، كالمسح فى الوضوء ؛ وبوجوب أكثره فى روايـة عن مالك وأحمد ؛ وقال أبو حنيفة بوجوب ربعه ؛ وقال

إن رسول الله ﷺ وحلق طائفة من أصحابه ، وقصر بعضهم . قال ابن عمر :

أبو يوسف بوجوب نصفه ؛ وقال الشافعي بوجوب حلق ثلاث شعرات ولم يكتف بشعرة أو بعضها ، كما اكتفى بذلك فى مسح الرأس فى الوضوء ، وهو وجـه لبعض أصحابه فى الاكتفاء بشعرة فى الحلق أيضاً . والاستيعاب بالحلق والتقصير مستحب عند أبى حنيفة والشافعي ، هذا ملخص ما فى " العمدة " و " الفتح " و" مغنى ابن قدامة " .

وقال بتعيين الحلق لكل من لبد أو عقص أو ضفر مالك والثورى والشافعي وأحمد ، وقال أبو حنيفة باستحبابه لا بوجوبه ، كما يقوله ابن قدامة ، وهو القول الجـديد للشافعي كما فى " الفتح " . والأصلع يجب عليـه إمرار الموسى عند أبى حنيفة ، وعند الثلاثة : لا يجب ، لأنه لإلقاء الشعور ولا شعر له . وقال أبو حنيفة : يجب ، لقوله ﷺ : « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منـه ما استطعتم » فلو كان ذا شعر وجب عليه إزالتـه وإمرار الموسى عليه ، فإذا سقط أحدهما لتعذره وجب الآخر ، كما فى " مغنى ابن قدامـة " (٣ ـــ ٤٣٧) . وذكر فى " الغاية " للسروجى ـ كما فى حاشية چلپى على " العناية " و " الهداية " ـ مذهب مالك مثل أبى حنيفـة فى الوجوب ، وقال : سنة عند الشافعي ، ومستحب عند أحمد .

قال الراقم مذهب مالك فى كتب أصحابه مثل أبى حنيفة ، كما فى "بلغة السالك " للصاوى والشيخ ابن الهمام فى " الفتح" اختار فى المسألة قول مالك فى وجوب استيعاب الرأس بالحلق والتقصير ، ويقول : هو مقتضى الدليل ، وقياسه على المسح قياس مع الفارق ، ويقول : وهو الذى أدين الله به اهـ . وملخص ما استدل به ابن الهمام وأطال فيه الكلام واضحاً : أن صاحب "الهداية" قاس حلق الرأس على مسح الرأس كقياس الشبه دون قياس العلة ، فكما أن

اكتفى فى الوضوء بربع الرأس فكذلك اكتفى فى الحلق بربع الرأس فى التحلل ، وهذا القياس غير صحيح ، لأن إثبات الحكم فى حلق الرأس ليس بالقياس ، وإنما هو بنص الكتاب ، مثل المسح بنص الكتاب ، غير أنه اكتفى فى المسح بالربع لأجل الإجمال ، والتحق به حديث المغيرة للبيان ، وإذا لم ينقل بالإجمال فالوجه أن " الباء " للإلصاق ، فهناك إلصاق اليد كلها بالرأس ، والفعل تعدى إلى الآلة بنفسها فيشملها ، وتمام اليد يستوعب الربع عادةً ، فتعين هذا القدر ثم إن " الباء " للتبعيض عند الشافعى ، وللإلصاق عند أبى حنيفة ومالك ، غير أن أبا حنيفة لاحظ تعدى الفعل للآلة فوجب قدرها ، ومالك لم يلاحظ فأوجب الكل ، أو جعله صلة ، كما فى قوله : (وامسحوا بوجوهكم) فى التيمم ، وليس هكذا فى حلق الرأس فقال : (محلقين رؤسكم) ، فدل على كل الرأس لا بعضه ، ولحق به فعله ﷺ كالبيان ، فوجب الاستيعاب ، كما ذهب إليه مالك ، انتهى ملخصاً منقحاً .

قال شيخنا رحمه الله : إن القول بوجوب حلق الرأس كله فى التحلل من جملة تفرداته (١) . وليس منشأ الخلاف ما ذكره من التبعيض والإلصاق ، بل هناك أصل شرعى آخر ، وهو أن الشارع إذا أمر بفعل متعد إلى المحل فأى قدر يخرج به من عهدة الإمتثال ؟ فاختلفوا فيه ، فقال أبو حنيفة : هو القدر المعتد به وهو الربع . وقال مالك باستيعاب المحل كله . وقال الشافعى : يكفى بعضه ،

(١) وقد سمعت شيخنا رحمه الله يقول : إنه تفرد الشيخ ابن الهمام فى تسع مسائل ، وقال صاحبه الحافظ المحدث الفقيه المحقق الشيخ قاسم بن قطلوبغا : إن تفرداته غير مقبولة . البنورى عفا الله عنه .

ومعنى " قطلوبغا " لغةً : الفحل الذكى ، سمعته من الشيخ الكوثرى رحمه الله .

ﷺ قال : " رحم الله المحلقين" مرةً أو مرتين، ثم قال: " والمقصرين" » .

فكان الاحتمالات فى المقام ثلاثة ، من الكل ، أو البعض المعتد به ، أو البعض المطلق ، وإلى كل ذهب ذاهب .

وقد عمل أبو حنيفة بأخذ الربع فى عدة من مسائلـه غير هذه المسألة ، فنها : قوله ببطلان الصلاة بكشف ربع العضو الذى وجب ستره ، ومنها : قوله بفساد الصلاة بنجاسة ربع الثوب، ومنها : عدم جواز نعم الأضحية بقطع ربع أذنها ، وغيرها من المسائل . فهذا هو أصل أبى حنيفة فى اعتباره بالربع فى هذه المسائل قاعدة أصوليـة فى الباب ، لا ما ظنه الشيخ ابن الهمام ، ويؤيد هذا الأصل ما جاء فى حديث الوصيـة فى " الصحيحين " فى إجازة الثلث ، وقال : " والثلث كثير " . فدل لفظ الحديث بأن المرضى هو ما دون الثلث ، وهو الربع ، وهو القدر المعتد به ، والله أعلمُ .

قوله : « رحم الله المحلقين» مرةً أو مرتين ثم قال : « والمقصرين » .

اللفظ هكذا فى رواية "الترمذى" من طريق ليث عن نافع ، ولفظ حديث ابن عمر فى " صحيح البخارى" من طريق مالك عن نافع: « اللهم ارحم المحلقين، قالوا: والمقصرين يا رسول الله ؟ قال: اللهم ارحم المحلقين، قالوا: والمقصرين؟ قال : والمقصرين » ، وقد اختلفت الألفاظ فى مرة أو مرتين أو ثلاثاً ، أو قال فى الرابعة : « والمقصرين » ، وقد تكفل بيانها الشارحان البدر والشهاب بما شفى وكفى .

قوله : والمقصرين ، معطوف على محذوف تقديره : " قل: والمقصرين " ، ويسمى هذا بالعطف التلقينى فيعطى المعطوف حكم المعطوف عليه ولو تخلل بينهما

وفى الباب عن ابن عباس وابن أم الحصين ومارب وأبى سعيد وأبى مريم وحبشى بن جنادة وأبى هريرة . قال : هذا حديث حسن صحيح . والعمل على هذا عند أهل العلم : يختارون للرجل أن يحلق رأسه ، وإن قصر يرون أن ذلك يجزئ عنه . وهو قول سفيان الثورى والشافعى وأحمد واسحاق .

سكوت لغير عذر كما قاله الشارحان الجليلان، ونظير هذا فى " التنزيل العزيز " : (إنى جاعلك للناس إماماً ، قال : ومن ذريتى ○ الآية) .

ثم هذا الدعاء منه ﷺ للمحلقين مرتين أو ثلاثاً ، وللمقصرين مرة فى الثالثة أو الرابعة . هل هو فى حجة الوداع أو الحديبية ؟ فجنح الحافظ ابن عبد البر إلى أنه فى الحديبية ، قال : وهو المحفوظ ، وجزم به إمام الحرمين فى " النهاية " . وقال النووى : الصحيح المشهور أنه كان فى حجة الوداع . وقال القاضى عياض : فى الموضعين جميعاً ، وصوبه البدر العينى والشهاب العسقلانى مؤيدين له بالروايات وغرر نقول أرباب السير . أنظر " العمدة " (٤ ـــ ٧٤٢) و " الفتح " (٣ ـــ ٤٤٩) . قال الحافظ ابن دقيق العيد : وهو الأقرب . قال الحافظ : إلا أن السبب فى الموضعين مختلف ، فالذى فى الحديبية كان بسبب توقف من توقف من الصحابة للإحلال لما دخل عليهم من الحزن لكونهم منعوا من الوصول إلى البيت مع اقتدارهم فى أنفسهم على ذلك ، فخالفهم النبى ﷺ وصالح قريشاً على أن يرجع من العام المقبل، وأشارت أم سلمة أن يحل قبلهم ففعل فتبعوه فحلق بعض وقصر بعض ، وكان من بادر إلى الحلق أسرع إلى الإمتثال ، ويؤيده لفظ رواية ابن عباس عند ابن ماجه . . . . وأما السبب فى حجة الوداع فلما قاله الخطابى وغيره : أن عادة العرب أنها كانت تحب توفير الشعر والتزين به ، وكان الحلق فيهم قليلاً ، وربما كانوا يرونه من الشهرة ومن زى الأعاجم ، فلذلك كرهوا الحلق واقتصروا على التقصير

(باب ما جاء في كراهية الحلق للنساء)

حدثنا : محمد بن موسى الجرشي البصري نا أبو داود الطيالسي نا همام عن قتادة عن خلاس بن عمرو عن علي قال : « نهى رسول الله ﷺ أن تحلق المرأة رأسها » .

انتهى مختصراً . ومثله قاله البدر العيني . والتقصير على قدر الأنملة . قال الحافظ : ويستحب أن لا ينقص عن قدرها وإن اقتصر على دونها أجزأ . قال الحافظ : وهذا للشافعية ، وهو مرتب عند غيرهم على الحلق اهـ . وفي " اللباب " وشرحه : وأما التقصير فأقله قدر أنملة .

—: باب ما جاء في كراهية الحلق للنساء :—

أخرج في الباب حديث علي ، وقد تفرد به الترمذي من بين الستة . ثم الحكم للنساء في التحلل التقصير بقدر الأنملة ، هذا هو المشروع لهن بالإجماع ، لورود النهي لهن عن الحلق ، كما في حديث الباب ، وفيه حديث ابن عباس عند أبي داود مرفوعاً : « ليس على النساء الحلق وإنما على النساء التقصير » . وفيه حديث عثمان عند البزار وحديث عائشة عنده كما في " زوائد الهيثمي " (٣ — ٢٦٣) ، والحديثان وإن كان فيهما ضعف غير أنهما يصلحان شاهدين . وقال جمهور الشافعية : لو حلقت أجزأها ويكره . وقال القاضيان أبو الطيب وحسين : لا يجوز اهـ . هذا ملخص ما في " العمدة " و" الفتح " بزيادة . وفي " اللباب " وشرحه للقاري : التقصير واجب لهن لكراهة الحلق كراهة تحريم في حقهن إلا لضرورة اهـ .

قال شيخنا رحمه الله : وقع في حديث أبي سلمة عن عائشة عند " مسلم "

حدثنا : محمد بن بشار نا أبو داود عن همام عن خلاس نحوه ، ولم يذكر فيه عن علي .

في الطهارة في قدر الماء في الغسل (١ — ١٤٨) : « وكان أزواج النبي ﷺ يأخذن من رؤسهن حتى تكون كالوفرة » ، وقد أشكل على الشارحين قديماً وحديثاً ، وتوجه إليه المازري والقاضي عياض والقرطبي والنووي والأبي ، فقالوا في حله : المعروف أن نساء العرب إنما كن يتخذن القرون والذوائب ، ولعل أزواج النبي ﷺ فعلن هذا بعد وفات النبي ﷺ لتركهن التزين ، واستغنائهن عن تطويل الشعر ، وتخفيفاً لمؤنـة رؤسهن . قال النووي : وهذا الذي ذكره القاضي عياض من كونهن فعلنه بعد وفاته ﷺ لا في حياته ، كذا قال أيضاً غيره وهو متعين ولا يظن بهن فعله في حياته ﷺ اهـ .

قال شيخنا : ولا يطمئن القلب بهذا الحل ، قال : وسألت شيخنا محمود حسن الديوبندي رحمه الله قال : وربما يكون ذلك عند خفة الشعر وقلتها حالة المشيب اهـ . قال الشيخ : والذي عندي : أن ذلك وقع مرةً عند التحلل عن الإحرام لا مطلقاً في سائر الأوقات ، ويؤيده حديث في " معجم الطبراني " وقرائن غيره .

قال شيخنا العثماني رحمه الله في "فتح الملهم (١ — ٤٧٢) : قلت : وعندي أن المراد : كن يقصرن شعورهن المسترسلة ويعقدنها على القفا أو على الرأس من غير أن يتخذنها قروناً وضفائر ، فتكون كالوفرة في عدم مجاوزتها الأذنين كفعل كثير من العجائز والأيامى في عصرنا ، بل عامة النساء عند الإغتسال بعد غسل الرأس ، فإن الشعر الطويل المسترسل ربما يكون مانعاً عن وصول الماء إلى الجزء من البدن المستور تحت الشعر المسترسل ، فيكون في وصول الماء

قال أبو عيسى : حديث على فيه اضطراب ، وروى هذا الحديث عن حماد بن سلمة عن قتادة عن عائشة : « إن النبي ﷺ نهى أن تحلق المرأة

كلفة ، انتهى ببعض التغيير والإختصار .

وما أشار إليه الشيخ من حديث الطبرانى فى "معجمه" فلم أقف عليه فى مظانه فى "زوائد الهيثمى" فى الطهارة والحج والجنازة والنكاح غيرها . ثم قال الشيخ رحمه الله : وأكثر إشكالاً من حديث مسلم حديث ذكره الحافظ الزيلعى فى "التخريج" : « بأن ميمونة كانت محلوقة الرأس حين دفنت » .

قال الراقم : هوما أخرجه الزيلعى فى الحج (٣ ـــ ٩٦) من حديث وهب ابن جرير عن أبيه عن أبى فزارة عن يزيد بن الأصم عند ابن حبان فى "صحيحه" ، وفيه : « كانت قد حلقت رأسها فى الحج، فكان رأسها محجماً » كذا فى نسخة "الزيلعى" ، ولعل الصحيح : « مجمماً » من التجميم من الجمة .

وروى ابن سعد فى "الطبقات" (٨ ـــ ١٤٠) طبعة بيروت، بإسناده الصحيح بنفس إسناد ابن حبان عن يزيد بن هارون ووهب بن جرير قالا حدثنا جرير بن حازم عن أبى فزارة عن يزيد الأصم قال : « دفنا ميمونة بسرف فى الظلة التى بنى بها فيها رسول الله ﷺ ، وكانت يوم ماتت محلوقة الرأس ، قد حلقت فى الحج الخ » . وهذا الحديث أراده الشيخ رحمه الله ، ولا ريب أن هذا الحديث من أقوى القرائن على أن أخذهن شعور الرؤس وجعلها كالوفرة إنما كان عند التحلل عن الإحرام فى الحج، فلأجل المبالغة فى تقصير الشعور أصبحت شعورهن كالوفرة ، والوفرة أشبع وأكثر من اللمة ، وهى ما يغطى الأذنين ، ثم ليست وفرة وإنما هى كالوفرة . ثم يحتمل

رأسها » . والعمل على هذا عند أهل العلم: لا يرون على المرأة حلقاً ، ويرون: أن عليها التقصير .

أن الراوى بالغ فيها فجعلها كالوفرة، فجاءت مبالغة منهن فى التقصير ، ثم جاءت مبالغة من الراوى فى التعبير، ومن الجهتين حدثت مشكلة .

ثم إن ميمونة حلقت فى الحج عند التحلل ، ولعل ذلك أن نهى النساء عن الحلق يكون عندها نهى إرشاد لا نهى حكم ، *فحلقت رأسها اختياراً منها لترك الزينة . ولعل يكون هذا فى آخر حجة حجها وماتت بسرف فى العودة، ويؤيده أيضاً ما فى " طبقات ابن سعد " (٨ — ١٣٨) عن يزيد بن الأصم : « إن ميمونة حلقت رأسها فى إحرامها فماتت ورأسها محمم » أى كان شعرها جمة ، وهى دون اللمة ودون الوفرة . وأيضاً أخرج ابن سعد : عن يزيد بن الأصم قال : « رأيت أم المؤمنين ميمونـــة تحلق رأسها بعد رسول الله ﷺ فسألت عقبة: لم ؟ فقال: أراها تبتل اهـ » . وليس تحلق رأسها عادة مستمرة وإنما كان فى حجة ، كما شهدت بـه الرواية السابقة والله أعلم . وهى آخر من مات من أزواج رسول الله ﷺ فى إمارة يزيد بن معاوية فى سنة إحدى وستين، ولها يوم توفيت إحدى وثمانون سنة ، رضى الله عنها وأرضاها وجعل الجنـــة متقبلها ومثواها .

وما ذكر الترمذى : " حديث على فيه اضطراب " فغرضه أنه اختلف فى إرساله وإسناده ، فروى مرسلاً وروى مسنداً ، ثم المسند فيه اضطراب ، هل من مسند على أو مسند عائشة ؟ ولا ريب أن خلاس بن عمـــرو البصرى ثقة ، أخرج له الشيخان وأرباب السنن، غير أنه اختلف فى سماعه عن على ، ويذكرون أنه كتاب ، وثبت سماعـــه عن عائشة وعمار وابن عباس ، كما فى " تهذيب التهذيب" ، وخلاس هذا كان على شرطة على ، كما يقوله العقيلى

(باب ما جاء فى من حلق قبل أن يذبح أو نحر قبل أن يرمى)

حدثنا : سعيد بن عبد الرحمن المخزومى وابن أبى عمر قالا نا سفيان بن عيينة عن الزهرى عن عيسى بن طلحة عن عبد الله بن عمرو : « إن رجلاً سأل رسول الله ﷺ قال : حلقت قبل أن أذبح ؟ فقال : اذبح ولا حرج ، وسأله آخر فقال : نحرت قبل أن أرمى ؟ قال ارم ولا حرج » .

والجوزجانى ، كما فى " التهذيب" . قال شيخنا : وشهد معه الحروب ، فإذن سماعه عن على غير بعيد

وبالجمله فهمام عن قتادة يرفعه ، وهشام الدستوائى وحماد بن سلمة عن قتادة يرسلانه ، كما يقول عبد الحق فى " أحكامه " كما فى " نصب الرأية " ، ولا شك أن الرفع زيادة ، وهمام ثقة ، وزيادة الثقات معتبرة .

والحديث أخرجه النسائى فى الزينة فى "باب النهى عن حلق المرأة رأسها" (٢ ـــ ٢٧٥) . وبالجملة الحديث وإن كان فيه شئ من الاضطراب غير أن له شواهد من حديث ابن عباس عند أبى داود ، وحديث عائشة وحديث عثمان عند البزار كما ذكرنا ، والحكم متفق عليه بين الأئمة وبين الأمة ، فلا يضر ضعفه والله أعلم .

ـــ : باب ما جاء فى من حلق قبل أن يذبح أو نحر قبل أن يرمى :ـــ

أخرج فى الباب حديث عبد الله بن عمرو ، وقد أخرجه أبو داود فى سننه ، فى الحج وابن ماجه فى المناسك ، وقد أسلفنا البحث فى حكم حديث

وفى الباب عن على وجابر وابن عباس وابن عمر وأسامة بن شريك .
قال أبو عيسى : حديث عبد الله بن عمرو حديث حسن صحيح . والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم ، وهو قول أحمد واسحاق . وقال بعض أهل العلم : إذا قدم نسكاً قبل نسك فعليه دم .

(باب ما جاء فى الطيب عند الاحلال قبل الزيارة)

الباب تفصيلاً مع بيان المذاهب وأدلتها فى حكم ترتيب الوظائف الأربعة يوم النحر من الرمى والنحر والحلق وطواف الزيارة بأنه مطلوب عند الجميع ، ثم هو مسنون أو مندوب أو واجب؟ أقوال ومذاهب. ثم إن السائل فى حديث الباب إن كان مفرداً بالحج فلا جزاء عليه عند أبى حنيفة فى تقديم الذبح أو النحر على الرمى والحلق ، حيث أن المفرد ليس عليه الهدى الواجب فلا شئ عليه قدم النحر أو أخر ، فحديث الباب لا يخالف أبا حنيفة إذا كان السائل غير قارن أو غير متمتع . وفى كتاب " الحجة على أهل المدينة " للإمام محمد بن الحسن عن أبى حنيفة فى الرجل يجهل وهو حاج فيحلق رأسه قبل أن يرمى الجمرة: أنه لا شئ عليه اه . وقال أهل المدينة : إذا جهل الرجل فحلق رأسه قبل أن يرمى الجمرة افتدى اه . وهذا نقل خلاف ما فى عامة كتبنا ، وجعل مذهب الإمام عدم لزوم الفدية على من ارتكب سوء الترتيب جاهلاً ، وعزا إلى مالك وأهل المدينة ما فى عامة كتبنا من مذهب أبى حنيفة . ولاريب أن محمد بن الحسن أعلم الناس بمذهب مالك وأهل المدينة كما هو أعلم بمذهب شيخه ومدون مذهبه . أنظر " الحجة " (٢ — ٣٧١) طبعة إحياء المعارف النعمانية .

—: باب ما جاء فى الطيب عند الإحلال قبل الزيارة :—

أخرج فى الباب حديث عائشة ، واتفق الشيخان على تخريجه كلاهما فى

حدثنا : أحمد بن منيع نا هشيم نا منصور بن زاذان عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة قالت : « طيبت رسول الله ﷺ قبل أن يحرم ويوم النحر قبل أن يطوف بالبيت بطيب فيه مسك » .

وفي الباب عن ابن عباس . قال أبو عيسى : حديث عائشة حديث حسن صحيح . والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم :

الحج . ودل حديث الباب على جواز استعمال الطيب قبل الإحرام بما شاء من طيب سواء كان يبقى عنه كالمسك أو أثره كالعود والبخور وماء الورد من بعد الإحرام أو لا . وبه قال أبو حنيفة والشافعي وأحمد والثوري والأوزاعي ، وإليه ذهب عائشة وسعد بن أبي وقاص وابن عباس وابن الزبير وابن جعفر وأبو سعيد الخدري والبراء بن عازب وأنس وأبو ذر والحسين بن علي . قال الخطابي : وهو مذهب أكثر الصحابة ، وجماعة من التابعين من أهل الحجاز والعراق . وقال مالك : يكره الطيب للمحرم إذا يبقى أثره بعد الإحرام ، وإليه ذهب محمد بن الحسن ، واختاره الطحاوي ، وهو مذهب عمر وابنه وعثمان ابن عفان وغيرهم .

وأما الطيب بعد رمي الجمار والذبح والحلق قبل طواف الزيارة فكذلك يجوز كما في حديث الباب ، بل يستحب ، وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي وأحمد وإسحاق ، وعليه فقهاء المدينة ، كقاسم وسالم وعبد الله بن عبد الله بن عمر وخارجة بن زيد وعمر بن عبد العزيز وأبو بكر بن عبد الرحمن . وكرهه مالك وطائفة قليلة من التابعين . ودعوى اختصاص بعض المالكية كمهلب وأبي الحسن القصار وأبي الفرج وابن العربي غير صحيحة ، فإن الخصائص لا تثبت بالاحتمال . وبالجملة مذهب الجمهور أقوى حديثاً وتعاملاً ، وراجع " العمدة "

يرون أن المحرم إذا رمى جمرة العقبة يوم النحر وذبح وحلق أو قصر فقد حل له كل شئ حرم عليه إلا النساء . وهو قول الشافعي وأحمد واسحاق .

وقد روى عن عمر بن الخطاب أنه قال . حل لـه كل شئ إلا النساء والطيب . وقد ذهب بعض أهل العلم إلى هذا من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم وهو قول أهل الكوفة .

(٤ — ٥١٦) لتفصيل روايات عائشة وغيرها فى الباب، وما ذكره الترمذى من عدم الجواز قول أهل الكوفـة ، فليس هو مذهب أهل الكوفة من الإمام أبي حنيفة وأصحابه ، بل هو مذهب محمد بن الحسن الشيبانى من أصحابه ، كما صرح به فى " الموطأ " بعد رواية أثر عمر الفاروق فقال : وبهذا نأخذ . . . . قال : وأما أبو حنيفة فإنه كان لا يرى به بأساً اهـ . هكذا عبارة الإمام محمد فى " موطئه " ، وما ذكره الشيخ المباركفورى فى " تحفتـه " معزواً إلى " الموطأ " فقد غلط وأخطأ فى نقل عبارته، ولا أدرى ماذا حدث له والله أعلم .

ثم : إن التحلل الأول من الإحرام هو بالحلق ، فيحل لـه كل شئ إلا النساء ، والتلحل الثانى هو بطواف الإفاضة فيحل لـه النساء ، فالحلق والطواف محللان . وقال صاحب " الهداية " : يحل له النساء بالحلق السابق لا بالطواف، إلا أنه أخر عمله فى حق النساء ، فحكم الحلق حصول التحلل ، فيباح به جميع المحظورات حتى الطيب دون النساء .

وذكر ابن فرشته فى شرح " المجمع " عن " الخانيـة " : الصحيح أن الطيب لا يحل له ، لأنه من دواعى الجماع ، وهو مذهب مالك ، ويمكن حمل قول الترمذى على هذا القول ، ويؤيده حديث عبد الله بن الزبير عند الحاكم فى "المستدرك " كما فى " نصب الراية " (٣ — ٥٩) قال : ومن سنة الحج

(باب ما جاء متى تقطع التلبية فى الحج ؟)

حدثنا : محمد بن بشار نا يحيى بن سعيد القطان عن ابن جريج عن عطاء

وفيه : فإذا رمى الجمرة الكبرى حل له كل شئ إلا النساء والطيب حتى يزور البيت ، وقال : حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

أقول : وأقره الذهبى فى " تلخيصه " . وبالجملـــة فهناك إحلالان : إحلال بالحلق ، ويحل به كل شئ إلا النساء على ما هو المشهور من مذهب الجمهور ، وإلا الطيب على مذهب مالك وروايـــة عن أبى حنيفة . وإحلال بالطواف، ويحل به النساء أيضاً ، و روى عن عمر ذلك بطريق فيه انقطاع . هذا ملخص ما فى شرح " اللباب " للقارى و " الهداية " و " نصب الرأية " بزيادة من الراقم .

قال شيخنا رحمه الله : والوجه الفقهى يؤيد تعليل صاحب " الهداية " ، فإن الطواف ليس بمحظور فى حالة الإحرام، والذى يحل ينبغى أن يكون ما هو المحظور فى الإحرام ، والله أعلم .

ـــ: باب ما جاء متى تقطع التلبية فى الحج ؟ :ـــ

أخرج فى الباب حديث الفضل بن عباس ، ورواه البخارى ومسلم فى " صحيحيهما " كلاهما فى الحج .

دل حديث الباب على أن التلبية تستمر من وقت الإحرام إلى رمى جمرة العقبة ، وذكر الطحاوى أن الإجماع وقع من الصحابة والتابعين على : أن التلبية لا تقطع إلا مع رمى جمرة العقبة، إما مع أول حصاة أو بعد تمامها على اختلاف فيه ، ودليل الإجماع أن عمر بن الخطاب كان يلبى غداة المزدلفة بحضور ملأ من

عن ابن عباس عن الفضل بن عباس قال : « أردفني رسول الله ﷺ من جمع إلى منى فلم يزل يلبي حتى رمى جمرة العقبة » .

الصحابة وغيرهم فلم ينكر عليه أحد منهم بذلك، وكذلك فعل عبد الله بن الزبير ولم ينكر عليه أحد ممن كانوا هناك من أهل الآفاق من الشام والعراق واليمن ومصر وغيرها ، فصار ذلك إجماعاً لا يخالف فيه كما في " العمدة " (٤ — ٧٠٠) ، ثم قال أبو حنيفة والثوري والشافعي وأبو ثور : يقطع مع أول حصاة يرميها من جمرة العقبة . وقال أحمد واسحاق وطائفة : لا يقطعها حتى يرمى جمرة العقبة بأسرها ، ويؤيد الأول ما رواه البيهقي بإسناده عن عبد الله قال : « رمقت النبي ﷺ فلم يزل يلبي حتى رمى جمرة العقبة بأول حصاة » ، وكذا ما رواه الطحاوي بإسناد صحيح عن عبد الرحمن بن يزيد قال : « حججت مع عبد الله فلما أفاض إلى جمع جعل يلبي الخ » ، ويؤيد الثاني ما رواه ابن خزيمة في " صحيحه " في حديث الفضل بن عباس المرفوع : « فلم يزل يلبي حتى رمى جمرة العقبة يكبر مع كل حصاة ، ثم قطع التلبية مع آخر حصاة » ، لكن قال البيهقي : هذه زيادة غريبة ليست في الروايات عن الفضل . . . وقال الذهبي : فيه نكارة ، وقوله : " يكبر مع كل حصاة " يدل على أنه قطع التلبية مع أول حصاة ، وهذا ظاهر لا يخفى .

وقال طائفة : يقطعها إذا راح إلى الموقف ، رواه ابن المنذر وسعيد بن منصور عن عائشة وسعد بن أبي وقاص وعلي ، وبه قال مالك ، وقيده بزوال الشمس يوم عرفة ، وهو قول الأوزاعي والليث . وأشار الطحاوي إلى أن كل من روى عنه ترك التلبية من يوم عرفة أنه تركها للاشتغال بغيرها من الذكر لا على أنها لا تشرع . ثم روى ابن المنذر بإسناد صحيح عن ابن عباس : أنه كان يقول : « التلبية شعار الحج ، فإن كنت حاجاً فلب حتى بدأ حلك » .

وفى الباب عن على وابن مسعود وابن عباس . قال أبو عيسى : حديث الفضل حديث حسن صحيح . والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبى ﷺ وغيرهم : أن الحاج لا يقطع التلبية حتى يرمى الجمرة ، وهو قول الشافعى وأحمد وإسحاق .

وبالجملة مذهب الجمهور والأئمة الثلاثة أن التلبية مستمرة إلى رمى جمرة العقبة يوم النحر ، وبعدها يشرع الحاج فى التحلل . هذا ملخص ما فى "العمدة" (٤ — ٦٩٦ و ٦٩٧ و ٧٠٠) و "الفتح" (٣ — ٤٢٦) . وما حكاه عن البيهقى فقد حكاه الزيلعى عنـــه فى "كتاب المعرفة" استنباطاً من حديث ابن مسعود ، وكذلك قال فى "السنن الكبرى" (٥ — ١٣٧) ، ومثله يقول ابن قدامة فى "المغنى"

وهذا حكم تلبية الحاج ، أما المعتمر فقال أبو حنيفــة : يقطعها إذا استلم الحجر الأسود . وقال مالك : إن أحرم من الميقات قطعها إذا دخل الحرم ، وإن أحرم من الجعرانـــة أو التنعيم قطعها إذا دخل بيوت مكـة أو إذا دخل المسجد . وقال الشافعى : لا يقطعها حتى يفتتح الطواف . وقال الليث : إذا بلغ الكعبة . وحجة أبى حنيفـة حديث ابن عباس : « لا يقطع المعتمر التلبية حتى يستلم الركن » ، هذا ملخص ما قاله فى "العمدة" (٤ — ٦٩٧) . والحديث هذا يأتى فى الباب اللاحق .

قال شيخنا رحمه الله : التلبية شعار الحج ، فإذا انقطعت فكأن الحج قد تم ، وإذا تم الحج فلا يكون الترتيب واجباً فيما بقى من أفعال الحج من النحر والحلق والطواف . وهذه النكتة يفيد مذهب الجمهور ، ومعهم صاحبا أبى حنيفة من عدم وجوب الترتيب فى أفعال الحج الأربعة .

(باب ما جاء : متى تقطع التلبية فى العمرة ؟)

حدثنا : هناد نا هشيم عن ابن أبى ليلى عن عطاء عن ابن عباس قال : يرفع الحديث أنه كان يمسك عن التلبية فى العمرة إذا استلم الحجر » .

قال الراقم : ويمكن أن يقال : أن الحج فى الأصل ما يكون فريضة ، وهو حج الإفراد دون القران والتمتع ، فإنهما من باب الفضائل . والحاج المفرد إذا رمى جمرة العقبة تم حجه ، فيحلق وليس عليه ذبح . فتشريع التلبية إنما هو للحج فقط ، فليس الترتيب واجباً فى حقه حيث لم يبق له إلا طواف الإفاضة ، وطواف الإفاضة ليس فيه الترتيب حتى على القارن والمتمتع أيضاً فضلاً عن المفرد ، والله أعلم .

—: باب ما جاء : متى تقطع التلبية فى العمرة ؟ :—

اخرج فى الباب حديث ابن عباس المرفوع ، وهو حديث فعلى ، وقد أخرجه أبو داود فى " سننه " فى (باب متى يقطع المعتمر التلبية) من حديث قولى بلفظ : « إن النبى ﷺ قال : يلبى المعتمر حتى يستلم الحجر » ، فإذن هما حديثان من رواية ابن عباس : قولى أخرجه أبو داود ، وفعلى أخرجه الترمذى . قال الإمام الزيلعى : ولم ينصف المنذرى فى عزوه هذا الحديث للترمذى ، فإن لفظ الترمذى من فعل النبى ﷺ ، ولفظ أبى داود من قوله ، فهما حديثان ، ولكنه قلد أصحاب الأطراف ، إذ جعلوهما حديثاً واحداً ، وهذا مما لا ينكر عليهم . قال : وقد بينا وجه ذلك فى حديث : « ابدأوا بما بدأ الله به » . قال : وروى الواقدى فى كتاب المغازى : حدثنا أسامة بن زيد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : « إن النبى ﷺ لبى - يعنى فى عمرة القضية حتى - استلم الركن » .

وفى الباب عن عبد الله بن عمرو . قال أبو عيسى : حديث ابن عباس حديث صحيح . والعمل عليه عند أكثر أهل العلم ، قالوا : لا يقطع المعتمر التلبية حتى يستلم الحجر ، وقال بعضهم : إذا انتهى إلى بيوت مكة قطع التلبية . والعمل على حديث النبي ﷺ ، وبه يقول سفيان والشافعي وأحمد واسحاق .

قال الراقم : وهذا حديث عبد الله بن عمرو ، أشار إليه الترمذى فى الباب ولم يقف عليه المباركفورى صاحب "التحفة" فقال : فلينظر من أخرجه ، وأخرجه أحمد عن عبد الله بن عمرو كما فى "القرى" للطبرى قال : «اعتمر رسول الله ﷺ ثلاث عمر كلها فى ذى القعدة يلبى حتى يستلم الحجر » . ثم إن الحديثين من طريق ابن أبى ليلى ، وهو : محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى وفيه مقال ، ومع هذا فقد صححه الترمذى وقال : حديث ابن عباس حسن صحيح ، وقال أبو داود : رواه عبد الملك بن أبى سليمان وهمام عن عطاء عن ابن عباس موقوفاً .

وبالجملة ابن أبى ليلى يرفعه ، والرفع زيادة ، وابن أبى ليلى جملة ما قيل من سوء حفظه بعد ما ولى القضاء . ويقول فيه زائدة : كان أفقه أهل الدنيا . ويقول العجلى : كان فقيهاً صاحب سنة صدوقاً جائز الحديث . وقال يعقوب ابن سفيان : ثقة عدل فى حديثه بعض المقال ، لين الحديث عندهم . هذا كله فى "تهذيب التهذيب" .

ثم احتجاج من تمسك من الأئمة بهذه الرواية تصحيح لها منهم ، وهم : أبو حنيفة والثورى والشافعى وأحمد واسحاق ، ولا فرق بين مذهب أبى حنيفة والشافعى حيث بداءة الطواف من استلام الحجر الأسود ، فإذن لاخلاف بين الأئمة الأربعة الفقهاء ما عدا مالك ، ولهذا قال الطبرى بعد تخريج روايات ابن عباس ـ بألفاظ مختلفة ـ وعبد الله بن عمرو ـ فى قطع التلبية عند استلام الحجر ـ :

(باب ما جاء فى طواف الزيارة بالليل)

حدثنا : محمد بن بشار نا عبد الرحمن بن مهدى نا سفيان عن أبى الزبير عن ابن عباس وعائشة : « إن النبي ﷺ أخر طواف الزيارة إلى الليل » .

وهذا قول أكثر أهل العلم : أن المعتمر يلبى حتى يفتتح الطواف . قال ابن عباس : يلبى المعتمر إلى أن يفتتح الطواف مستلماً وغير مستلم . وبه قال الثورى والشافعى وأحمد واسحاق ، فإذن الفرق بين استلام الحجر وبين بداءة الطواف فرق فى التعبير دون الواقع ، فارتفع الخلاف ، والشافعى نفسه أخرج حديث ابن عباس كما فى " القرى" مستدلاً به . وفى شرح " اللباب" للقارى ذكر قطع التلبية فى العمرة بأول شروعه فى الطواف اه .

وهذا الباب غير مذكور فى " العرف الشذى" اكتفاءً بما ذكر فى الباب السابق .

ـ : باب ما جاء فى طواف الزيارة بالليل :ـ

أخرج فى الباب حديث ابن عباس وعائشة ، وقد أخرجه ابن ماجه من بين أرباب الستة . ودل حديث الباب على تأخيره ﷺ طواف الزيارة إلى الليل ، وطواف الزيارة يسمى: طواف الإفاضة ، وطواف الركن ، وطواف الفرض . وما ذكره فى "الفتح" بأنه يسمى : "طواف الصدر" فإن لم يكن زلة قلم فهو غريب، فإن طواف الصدر هو طواف الوداع .

ثم إن ما أفاده حديث الباب من تأخير الزيارة إلى الليل معارض بما رواه ابن عمر عند مسلم وأبى داود والنسائى وما رواه جابر عند مسلم وأبى داود فى الحديث الطويل وما روته عائشة عند أبى داود ، كل هذه الأحاديث الصحيحة

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن ، وقد رخص بعض أهل العلم في أن يؤخر طواف الزيارة إلى الليل ، واستحب بعضهم أن يزور يوم النحر ،

تدل على أنه ﷺ أفاض يوم النحر نهاراً . فلفظ حديث ابن عمر : « إن رسول الله ﷺ أفاض يوم النحر ثم رجع فصلى الظهر بمنى » . ولفظ حديث جابر : « ثم ركب رسول الله ﷺ فأفاض إلى البيت فصلى بمكة الظهر » . ولفظ حديث عائشة : « أفاض رسول الله ﷺ من آخر يومه حين صلى الظهر ثم رجع إلى منى » ، فهذا كله صريح معارض لحديث الباب . وأيضاً حديث عائشة في "الصحيح" : « فأفضنا يوم النحر » يتبادر منه نهاراً لا ليلاً . والجواب :

أولاً : أن أحاديث طواف الإفاضة يوم النحر نهاراً أصح وأثبت ، وهي أحاديث "الصحيحين" ، فترجح على أمثال حديث الباب .

وثانياً : أن تحمل تلك الأحاديث على الطواف يوم النحر ، وحديث الباب على الطواف في بقية أيام النحر .

وثالثاً : أن المراد بحديث الباب التأخير إلى ما بعد الزوال والغرض تأخير الزيارة إلى العشي ، وحملها على ما بعد الغروب بعيد جداً .

ورابعاً : بما ذكره ابن حبان من أنه ﷺ رمى جمرة العقبة ونحر ثم تطيب للزيارة ثم أفاض فطاف بالبيت طواف الزيارة ثم رجع إلى منى فصلى الظهر بها والعصر والمغرب والعشاء ورقد رقدة بها ، ثم ركب إلى البيت ثانياً وطاف به طوافاً آخر بالليل . فإذن ما رواه أحمد في "مسنده" عن عائشة وابن عمر : « إن رسول الله ﷺ زار ليلاً » إما أن يكون المراد به طواف الوداع أو طواف تطوع وزيارة محضة نافلة . وقد روى البيهقي : « إن رسول الله ﷺ كان يزور البيت كل ليلة من ليالي منى » . هذا ملخص ما ذكره البدر العيني في "العمدة"

ووسع بعضهم أن يؤخر ولو إلى آخر أيام منى .

(٤ ـــ ٧٤٥ و ٦٤٦) ، وحديث ابن حبان ذكره الطبرى فى " القرى " من حديث أنس .

والجواب الأول لشيخنا رحمه الله لم يذكره البدر العينى ، وما ذكره البخارى فى " صحيحه " فى ترجمة الباب بصيغة التمريض : « إن النبى ﷺ كان يزور البيت أيام منى » فقد وصله الطبرانى ، ولفظه : « إن النبى ﷺ كان يزور البيت كل ليلة ما أقام منى ، وله شاهد مرسل أخرجه ابن أبى شيبة عن طاؤس : « إن النبى ﷺ كان يفيض كل ليلة » ، كما قاله البدر والشهاب ، وزاد البدر : يعنى ليالى منى اهـ .

وقال المحب الطبرى فى "القرى" (ص ـــ ٤٢٠) بعد نقل حديث الباب : قال ابن حزم : وهذا حديث معلول ، لأنه يرويه أبو الزبير عن ابن عباس وعائشة ، وهو يدلس فيما لم يقل فيه : " أخبرنا " و " حدثنا " أو " سمعت " ، فهو غير مقطوع بإسناده إلا ما كان من رواية الليث عنه عن جابر فإنه كله سماع ، ولسنا نحتج بحديثه إلا بما كان فيه بيان أنه سمعه ، وليس فى هذا بيان سماعه منها اهـ .

ثم إنهم اختلفوا فى صلاته ﷺ صلاة الظهر يوم النحر : هل هى بمكة أو بمنى ؟ بناءً على اختلاف الروايات فيها ، ففى رواية جابر عند مسلم ما لفظه : « فأفاض إلى البيت فصلى بمكة الظهر » ، وكذلك فى حديث عائشة عند أبى داود وغيره ، وفى حديث ابن عمر فى " صحيح مسلم " : « أنه ﷺ أفاض يوم النحر ثم رجع فصلى الظهر بمنى » ، فتعارض حديث جابر وحديث ابن عمر ، فذهب طائفة إلى الترجيح وطائفة إلى الجمع والتطبيق ، فرجح ابن حزم

فى كتاب حجة الوداع له حديث جابر وحديث عائشة ، ووافقه جماعة من المحدثين بأربعة أوجه :

أولاً : أنهما اثنان وحديثان ، واثنان أولى من واحد .

وثانياً : بأن عائشة أخص الناس به ، ولها من القرب والاختصاص ما ليس لغيرها .

وثالثاً : بأن سياق حديث جابر أوفى سياق لقصة حجه ﷺ وأضبطه للجزئيات ، حتى ضبط كثيراً ما لا علاقة له بالمناسك ، كنزوله فى الطريق ، وبوله عند الشعب ، ووضوئه وضوءً خفيفاً ، فمن كان يضبط أمثاله فهو لمثل بيان صلاة الظهر أضبط .

ورابعاً : أن حجة الوداع كانت فى شهر آذار من الشهور الرومية الشمسية ، وهو شهر سادس فى السنة ، يستوى فيه الليل والنهار ، ولا يكون النهار أطول من الليل ، فلا يتمكن من أداء أعمال من الدفع من المزدلفة إلى منى ، ثم رميه جمرة العقبة ونحره البدن وقسمها وطبخ لحمها له ﷺ وحلقه رأسه وخطبته ﷺ ثم طواف الإفاضة وشربه من ماء زمزم بحيث أن يعود فى وقت الظهر إلى منى فيصلى بها . ورجحت طائفة أخرى حديث ابن عمر بأمور أربعة أخرى : بأن حديث ابن عمر اتفق عليه الشيخان ، وبأن حديث عائشة من رواية ابن اسحاق وقد عنعنه ، وبأن المحفوظ أنه كان يصلى بأصحابه فى حجته فى منزله ومقامه دون جوف مكة ، وبأن حديث عائشة مضطرب فى وقت طوافه ﷺ طواف الزيارة : هل كان نهاراً أو ليلاً ؟ وذهبت إلى الجمع والتوفيق . ثم منهم من قال ـ كالنووى ـ : بأنه صلى بمكة الظهر ثم مرةً أخرى بأصحابه بمنى متنفلاً بناءً على مذهبه من صحة اقتداء المفترض خلف المتنفل ، ومنهم من قال ـ كالمحب الطبرى ـ : بأنه يحتمل أنه صلى

منفرداً فى أحد الموضعين وبالجماعة فى موضع آخر ، أو كرر الصلاة بالموضعين لبيان جواز الأمرين فى هذا اليوم توسعة على الأمة ، أو أن يكون صلاة فى موضع بإذنه فنسب إليه مجازاً ، أو كما قال النووى . ويقول ابن الهمام : وإذا تعارضا ، ولا بد من صلاة الظهر فى أحد المكانين ففى مكة بالمسجد الحرام أولى لثبوته مضاعفة الفرائض فيه ، ولو تجشمنا الجمع حملنا فعله على الإعادة بسبب اطلاع يوجب عليه نقصان المؤدى أولاً .

قال الراقم : وهذا الجمع ضعيف جداً فى نظرى . ويحكى البدر العينى فى " العمدة " (٤ ـــ ٧٤٧) عن ابن حزم قولـه : وهذا هو الفصل الذى أشكل علينا الفصل فيه لصحة الطرق فى كل ذلك ، ولا شك فى أن أحد الخبرين وهم ، ولا ندرى أيهما هو؟ اه . ولعلـه زال توقفه فى كتابه فى حجة الوداع ، كما حكاه عنه الطبرى فى " القرى " ، فرجح حديث جابر على حديث ابن عمر والله أعلم . وينقل الزيلعى الحافظ عن الحافظ ابن سيد الناس اليعمرى فى " سيرته " مثل ما حكاه البدر العينى عن ابن حزم ، وينقل الزيلعى عن ابن حزم بأن أحد الخبرين وهم إلا أن الأغلب أنه صلى الظهر بمكة لوجوه ذكرها اه .

وقال شيخنا رحمه الله : ويحتمل أنه صلى الظهر بمنى بعد رجوعه من مكة مقتدياً خلف رجل من أصحابه ، أى لما جاء وجدهم كانوا يصلون الظهر فاقتدى خلفه . هذا غاية ما قدرنا عليه من صفوة البحث وخلاصته من "شرح المواهب اللدنية " (٨ ـــ ٢٠٧) و" القرى" للطبرى (٤٢١ ـــ ٤٢٢) و " العمدة " (٤ ـــ ٧٤٧) و " نصب الرأية " و " فتح ابن الهمام " وغيرها من مظان البحث والتحقيق . وبالله التوفيق .

تنبيـــه : إن ما ذكروه من عزو حديث ابن عمـر إلى " الصحيحين "

فغير صحيح، فإن حديث ابن عمر باللفظ الذى ذكرنا من أفراد مسلم، والبخارى أخرجه موصولاً موقوفاً على ابن عمر، وليس فيه ذكر صلاة الظهر، واختصره اختصاراً، فروى من طريق سفيان عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر: «أنه طاف طوافاً واحداً، ثم يقيل ثم يأتى منى يعنى يوم النحر» هكذا موقوفاً على ابن عمر من فعله. ثم قال: ورفعـه عبد الرزاق قال: أخبرنا عبيد الله فعلقـه. ولعل الإمام البخارى رحمه الله نظراً إلى التعارض فى حديث جابر وحديث ابن عمر اكتفى بالقدر المتفق بين روايتى جابر وابن عمر، وحذف الجزء الذى ذكره مسلم فى رواية ابن عمر، وأشار إلى نحو اضطراب بين رواية سفيان عن عبيد الله وبين رواية عبد الرزاق عن عبيد الله فى الوقف والرفع، فإذن عزوه إلى "صحيح البخارى" فى غير محله وإن كان أصل الحديث واحداً، ويمكن تأويله بأن البخارى رواه ـ أى أصله ـ دون اللفظ الذى رواه مسلم.

وبالجملة الحافظ الزيلعى فى "نصب الراية" (٣ ــ ٨٢) عزا حديث ابن عمر إلى "صحيح مسلم" بقوله: قلت: أخرجه مسلم عن عبيد الله بن عمر. وقال الحاكم: على شرط الشيخين ولم يخرجاه، فأصاب فى أن البخارى لم يخرجه كما أخطأ فى القول بعدم إخراجه مسلم، كذلك البيهقى فى "المعرفـة" عزاه إلى مسلم، كما يقوله الزيلعى، وكذلك فى "سننه الكبرى" (٥ ــ ١٤٤) عزاه إلى مسلم، والبدر العينى أيضاً لما قال البخارى تعليقاً، ورفعه عبد الرزاق قال أخبرنا عبيد الله. قال: ووصل التعليق المذكور مسلم فقال: أنبأنا محمد بن رافع عن عبد الرزاق عن عبيد الله الخ. وكذلك النابلسى فى أطرافه فى كتابه "ذخائر المواريث" عزاه إلى مسلم وأبى داود.

فكل هذا دليل واضح على أن حديث ابن عمر من أفراد مسلم مثل حديث

(باب ما جاء فى نزول الابطح)

حدثنا : اسحاق بن منصور قال ثنا عبد الرزاق نا عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال: « كان النبى ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان ينزلون الأبطح » .

جابر ، وارتفع وجه ترجيح حديث ابن عمر على حديث جابر بأنه اتفق عليه الشيخان ، كما ثبت الوهم فى عزوه إلى "الصحيحين" . ثم لا يبعد أن البخارى خلى صحيحه عن هذه القطعة مع تعرضه لحديث ابن عمر لأجل تردده فى الحكم وعدم جزمه بجانب من الأمرين . وقد عرفنا من عادته أنه يفعل كذلك أحياناً إذا لم يتبين لـه الأمر حق التبين ، كما إنه لا يعقد ترجمـة على حديث لا يرى العمل عليه فقهاً وإن كان يخرجه فى سياق آخر فى "صحيحه" ، والله أعلم .

فتنقح أنه : رجحت طائفة وجمعت طائفة ، وأخرى توقفت ، منهم الحافظ اليعمرى فى "سيرته" وابن حزم فى بعض كتبه ، ولو كان لمثلى أن يدخل فى هذا الغبار فأقول : والراجح عندى الترجيح لحديث جابر وعائشة بأنه صلى الظهر بمكة ، وأما رواية صلاته ظهر بمنى ، فكما قال شيخنا بأنه لما وصل وجدهم يصلون فاقتدى بالإمام وصلى معهم ، فصلى إماماً بمكـة ومأموماً بمنى . هذا ما تيسر والله ولى التوفيق .

ـ: باب ما جاء فى نزول الأبطح :ـ

أخرج فى الباب حديث ابن عمر ، وقد أخرجه مسلم فى الحج ، وأخرجه ابن ماجه من بقية السنن . وأما نفس نزوله ﷺ المحصب ففيه أحاديث ، منها : حديث أبى هريرة عند الشيخين ، وحديث أنس عند البخارى ، وحديث عائشة عند الأمهات الست ، وحديث آخر لا بن عمر عند البخارى .

وفى الباب عن عائشة وأبى رافع وابن عباس . قال أبو عيسى : حديث ابن عمر حديث حسن صحيح غريب ، إنما نعرفه من حديث عبد الرزاق عن عبيد الله

والأبطح وكذا البطحاء والبطيحة : يقال لمسيل واسع فيه دقاق الحصا ، كما فى معاجم اللغة ، وأصبح كالعلم لبطحاء مكة ، وهى مسيل واديها ، وهو المحصب . والتحصيب : النزول بالمحصب ، ويسمى : الحصباء والخيف وخيف بنى كنانة .

ودل الحديث على نزوله ﷺ بطحاء مكة ثم أبى بكر وعمر وعثمان الخلفاء بعده . وحديث أنس فى "الصحيح" لفظه : « إن النبى ﷺ صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم رقد رقدة ثم ركب إلى البيت فطاف به ، وكان هذا يوم النفر الثانى اليوم الثالث عشر بعد ما رمى ﷺ الجمرات الثلاثة بعد الزوال ، فركب ووصل إلى المحصب فصلى الصلوات الأربع.

واختلف العلماء فى مسألة استحباب التحصيب مع الإتفاق على أنه ليس من المناسك . ويدعى الحافظ زكى الدين المنذرى استحبابه عند جميع العلماء ، وكذلك يدعى قبله القاضى عياض ، وادعى العراقى فيه النظر لحكاية الترمذى الاستحباب عن بعض أهل العلم . وحكى النووى استحبابه عن مذهب الشافعى ومالك والجمهور . قال العينى : وهذا هو الصواب . وحكى ابن عبد البر فى " الإستذكار" عدم التحصيب عن أسماء وعروة ، وحكاه ابن بطال عن عائشة أيضاً . وثبت فى " الصحيحين" أيضاً كما فى " الترمذى " عن ابن عباس أنه قال : « ليس التحصيب بشئ ، إنما هو منزل نزله رسول الله ﷺ » ، ومعنى قوله : " ليس بشئ " أى من أمر المناسك الذى يلزم فعله ، قاله ابن المنذر . وثبت عن ابن عمر : أنه كان يرى التحصيب سنة . ويقول الحافظ فى " الفتح"

ابن عمر . وقد استحب بعض أهل العلم نزول الأبطح من غير أن يروا ذلك واجباً إلا من أحب ذلك .

(٤ ـ ٤٧١) : فالحاصل أن من نفى أنــه سنة ـ كعائشة وابن عباس ـ أراد أنــه ليس من المناسك ، فلا يلزم بتركه شئ ، ومن أثبته ـ كابن عمر ـ أراد دخوله في عموم التأسي بأفعالـه ﷺ لا الإلزام بذلك . ويستحب أن يصلي بـه الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، ويبيت به بعض الليل ، كما دل عليه حديث أنس وحديث ابن عمر اهـ . هذا ملخص ما في "العمدة" و " الفتح" و" شرح الزرقاني على المواهب" .

ومذهب أبي حنيفة كما في " اللباب " وشرحه وكتب الفقه : أن السنة أن ينزل به ولو ساعــة ويدعو ، أو يقف على راحلته ويدعو . ويقول شمس الأئمة السرخسي وصاحب " الهداية " و " الكافي" وغيرهم : إن النزول بــه سنة عندنا ، فلو تركه بلا عذر يصير به مسيئاً اهـ .

قال شيخنا رحمه الله : وما روى الترمذي عن الشافعي يكون رواية عنه وإن كان كتب مذهبــه على الاستحباب ، فإن الترمذي من أوثق من ينقل مذهب الشافعي اهـ .

والحكمة في نزوله عليه الصلوات والتحيات والتسليمات ما أشار إليه حديث البخاري ومسلم ، واللفظ للبخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : « قال النبي ﷺ من الغد يوم النحر وهو بمنى : "نحن نازلون غداً بخيف بني كنانة حيث تقاسموا على الكفر" يعني بذلك المحصب ، وذلك أن قريشاً وكنانة تحالفت على بني هاشم وبني عبد المطلب ـ أو بني المطلب ـ أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم حتى يسلموا إليهم النبي ﷺ » . وفي روايــة أحمد : « أن لا يناكحوهم

قال الشافعي : ونزول الأبطح ليس من النسك فى شىء ، إنما هو منزل نزله رسول الله ﷺ .

ولا يخالطوهم » وفى رواية الإسماعيلى : « وأن لا يكون بينهم وبينهم شىء » . وتجوز فى لفظ " الغد " عن الزمان المستقبل القريب كما يتجوز " بالأمس " عن الماضى القريب ، كما فى " العمدة " (٤ ــ ٥٩٥) .

وقصة ذلك ملخصاً : أنه لما بلغ قريشاً فعل النجاشي بجعفر وأصحابه ، وإكرامـــه إياهم حين هاجروا من مكـة إلى الحبشة ، كبر ذلك عليهم جداً وغضبوا وأجمعوا على قتل سيدنا رسول الله عليه صلوات الله وسلامه ، وكتبوا كتاباً على بنى هاشم : « أن لا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولا يخالطوهم » ، فهكذا تعاهدوا على المقاطعة وعلقوا ذلك الكتاب والصحيفة فى جوف الكعبة ، وحصروا بنى هاشم فى شعب أبى طالب ليلــة هلال المحرم سنـة سبع من حين النبوة ، وانحاز بنو المطلب بن عبد مناف إلى أبى طالب فى شعبه وقطعوا عنهم الميرة والمادة ، فكانوا لا يخرجون إلا من موسم إلى موسم حتى بلغهـــم الجهد ، فأقاموا فيه ثلاث سنين ، ثم اطلع الله رسوله ﷺ على أمر صحيفتهم بأن الأرضة أكلت ما كان فيها من جور وظلم وبقى ما كان فيها من ذكر الله عزوجل ، فذكر ذلك رسول الله ﷺ لأبى طالب ، فقال أبو طالب لقريش : إن ابن أخى أخبرنى ولم يكذبنى قط : « إن الله قد سلط على صحيفتكم الأرضة » إلى آخر ما ذكره ، فإن كان صادقاً نزعتم من سوء رأيكم ، وإن كان كاذباً دفعته إليكم فقتلتموه ، قالوا : قد أنصفتنا ، فإذا هى كما أخبره به الرسول عليه صلوات الله وسلامه ، فسقط فى أيديهم ونكسوا على رؤسهم ، فاختلفوا وتلاوموا إلى أن رضوا بخروجهم إلى مساكنهم ، وكان ذلك فى السنة العاشرة من النبوة ، كما حكاه البدر العينى عن " الطبقات " ، وهو فى " طبقات ابن سعد " المطبوع

حدثنا : ابن أبي عمر نا سفيان عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس قال : « ليس التحصيب بشئ ، إنما هو منزل نزله رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

فى بيروت (١ ــ ٢٠٨ - ٢١٠) . وتعرض إليه الحافظ فى " الفتح " (٧ ــ ١٤٦) فذكر عن ابن اسحاق وموسى بن عقبة والواقدى ما يغاير بعض ما ذكره ابن سعد فراجعه ، وذكر عن موسى بن عقبة : ولم يكن يأتيهم شئ من الأقوات إلا خفيـة حتى كانوا يؤذون من اطلعوا على أنه أرسل إلى بعض أقاربه شيئاً من الصلات الخ . وذكر السهيلى فى " الروض الأنف " (١ ــ ٢٣٢) : حتى كانوا يأكلون الخبط وورق السمر حتى إن أحدهم ليضع كما تضع الشاة ، وكان فيهم سعد بن أبى وقاص ، روى أنه قال : « جعت حتى أنى وطئت ذات ليلة على شئ رطب فوضعته فى فى وبلعته وما أدرى ما هو إلى الآن » . وفى رواية يونس أن سعداً قال : « خرجت ذات ليلة لأبول فسمعت قعقعة تحت البول ، فإذا قطعـة من جلد بعير يابسة ، فأخذتها وغسلتها ثم أحرقتها ثم رضضتها وسففتها بالماء تقويت بها ثلاثاً الخ » . فراجعـه ففيه ما لم يذكره ابن سعد ولا موسى بن عقبة ولا الواقدى ولا ابن اسحاق .

وبالجملة فعلم من ذلك أن نزوله صلى الله عليه وسلم كان تذكيراً للنعمة وتحديثاً عملياً بذكرى نعم الله سبحانه على عبده الرسول الأمين عليه صلوات الله وسلامه ، من القضاء على الكفر وإظهار دينه ونصرته وتأييده وإقامة الحجة على الناس بإحقاق الحق وإبطال الباطل وقطع دابر الكافرين ، والحمد لله رب العالمين .

ثم إن المحصب هذا بين منى ومكة ، وأقرب إلى منى ، ويقول عياض : وإلى منى يضاف ، ودليله قول الشافعى وهو عالم مكة وأحوازها :

يا راكباً قف بالمحصب من منى * واهتف بقاطن خيفها والناهض

قال أبو عيسى : التحصيب: نزول الأبطح . قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

قال الأبي : وإنما يصح الاحتجاج به إذا جعل "من منى" في موضع الصفة للمحصب، وأما إذا علق بـ "راكباً" فلا حجة فيه . وأبين منه قول مجنون بني عامر :

وداع دعا إذ نحن بالخيف من منى * فهيج لوعات الفؤاد وما يدري
دعا باسم ليلى غيرها فكأنما * أطار بليلى طائراً كان في صدري

قال - الأبي - : وظاهر قول مالك في " المدونة " : " إذا رحلوا من منى نزلوا بأبطح مكة وصلوا الخ " أنه ليس من منى . هذا ما قاله الزرقاني في " شرح المواهب" (٨ — ٢٠٩) .

قال الراقم : وأصبح اليوم عمران مكة متسعاً ومتصلاً من وادي التنعيم إلى منى ، فاتسعت مكة من جهتيها من ضواحيها ونواحيها ، واتصلت أسافلها بأعاليها ، وعمرت وازدانت بقصور شامخة وبيوت باذخة وشوارع معبدة واسعة وأسواق للتجارة ومتاجر من الحضارة ، وترقرقت الدنيا ببهجتها ، وترفرفت أعلام المدنية الحاضرة على معيشتها . فما بقي خيف بني كنانة ولا واديها، ولا من يعرف حصباء مكة من قاصيها ودانيها إلا من كان عالماً بالآثار يعلم باديها وخافيها ، أسماء تقرؤها في التاريخ . نعم هناك مسجد بني في عهد الأتراك ، ذكرى من الذكريات لخيف بني كنانة ، يسمى : " مسجد الإجابة " ، وهو عند منعطف الشارع الرئيسي اليوم من قصر الملك إلى الجهة اليمنى عمن كان مستقبل الكعبة ، وهو المعروف بمحل نزوله ﷺ ، ولله در القائل :

جرت الرياح على محل ديارهم * فكأنما كانوا على ميعاد
فإذا النعيم وكل ما يلهى بــه * يوماً يصير إلى بلى ونفاد

(باب من نزل الابطح)

حدثنا : محمد بن عبد الأعلى نا يزيد بن زريع نا حبيب المعلم عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: « إنما نزل رسول الله ﷺ الأبطح ، لأنه كان أسمح لخروجه » .

وقال آخر :

يا حار ما راح قوم ولا ابتكروا * إلا وللموت فى آثارهم حادى
يا حار ما طلعت شمس ولا غربت * إلا تقرب آجالاً لميعاد
هل نحن إلا كأرواح يمر بها * تحت التراب وأجساد كأجساد

عبر فى الدنيا بصائر للآخرة تغيرت البلاد وتنكرت الأخلاق والعباد ، فأتمثل بما قالت سيدة أهل الجنة فاطمة الزهراء عند قبر سيد المرسلين عليه صلوات الله وسلامه :

إنا فقدناك فقد الأرض وابلها * وغاب مذ غبت عنا الوحى والكتب
فليت قبلك كان الموت صادفنا * لما نعيت وحالت دونك الكتب

ــ: باب من نزل الأبطح :ــ

وقعت ترجمة الباب هكذا فى النسخة المطبوعة بالمكتبة الحلبية بالقاهرة ، والنسخ المطبوعة فى هذه البلاد وقعت فيها كلمة : " باب" غير مترجمة .

أخرج فى الباب حديث عائشة ، وهو حديث متفق عليه ، أخرجه البخارى فى " باب المحصب" من كتاب الحج، وأخرجه مسلم فى الحج . وقد استوفينا البيان تفصيلاً فى الباب السابق . ومعنى : « كان أسمح لخروجه » أى

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

حدثنا : ابن أبي عمر نا سفيان عن هشام بن عروة نحوه .

(باب ما جاء في حج الصبي)

حدثنا : محمد بن طريف الكوفي نا أبو معاوية عن محمد بن سوقة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال : « رفعت امرأة صبياً لها إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله! ألهذا حج ؟ قال : نعم، ولك أجر».

أسهل يتوجهه إلى المدينة ، ليستوي في ذلك البطئ والمعتدل ، ويكون مبيتهم وقيامهم في السحر ورحيلهم بأجمعهم إلى المدينة ، قالــه البدر والشهاب في "الفتح" (٣ ــ ٤٧١) و"العمدة" (٤ ــ ٧٨٠) . وفي لفظ "البخاري": « بالأبطح» ، وفي رواية مسلم : « كان أسمح لخروجه إذا خرج» . وقد تقدم أن النزول به اقتداء به ﷺ واقتداء بخلفائه من بعده ونزول الخلفاء من بعده كل ذلك دليل على أن النزول مطلوب وهدى متبع . وهذا الباب غير مذكور في " العرف الشذي" اكتفاءً بالسابق .

ــ: باب ما جاء في حج الصبي :ــ

أخرج في الباب حديثين: حديث جابر وقد رواه ابن ماجه في " سننه " في (باب حج الصبي) من كتاب المناسك ، وحديث السائب بن يزيد أخرجه البخاري في (باب حج الصبيان) من كتاب جزاء الصيــد . واستنبط منــه البخاري حج الصبي ، وأصرح حديث في الباب ما أشار إليــه الترمذي في

وفى الباب عن ابن عباس ، وحديث جابر حديث غريب .

حدثنا : قتيبة نا قزعة بن سويد الباهلى عن محمد بن المنكدر عن جابر ابن عبد الله عن النبى ﷺ نحوه ، وقد روى عن محمد بن المنكدر عن النبى ﷺ مرسلاً .

الباب وأصحه ، أخرجه مسلم فى " صحيحه " عن ابن عباس قال: « رفعت امرأة صبياً لها فقالت : يا رسول الله! ألهذا حج ؟ قال : نعم ، ولك أجر » ، وهذا لفظ حديث جابر عند الترمذى .

قال ابن بطال : أجمع أئمة الفتوى على سقوط الفرض عن الصبى حتى يبلغ ، إلا أنه إذا حج به كان له تطوعاً عند الجمهور ، قاله فى " الفتح " (٤ — ٦١) . قال العينى فى " العمدة " (٥ — ١٢٢) ما ملخصه : إن الأئمة الأربعة وأتباعهم والثورى والنخعى ومجاهد وعطاء وآخرين من علماء الأمصار ذهبوا إلى أنه لا يجزئ حج الصبى عن حجة الإسلام وعليه بعد البلوغ حجة أخرى . وذهب داود وأتباعه وطائفة إلى أنه: لا يلزم الصبى حجة أخرى اهـ . وقد نسب النووى فى "شرح مسلم" إلى أبى حنيفة: عدم صحة حج الصبى وإنما هو تمرين ، وهذه النسبة غير صحيحة ، فقد اتفقت كلمات المشائخ الحنفية كلهم ، بل كلام الأئمة من محمد بن الحسن إلى الشرنبلالى وابن عابدين إلى أن حجه صحيح وإحرامه منعقد ، ويلزم وليه أن يجرده من الثياب ويلبسه الإزار والرداء ويجنبه من محظورات الإحرام ، غير أنه إذا ارتكب شيئاً من محظورات الإحرام لا شئ على الصبي ولا على الولى . ثم إذا كان الصبى مميزاً يقوم بنفسه لأداء المناسك ويباشر الأفعال ، وإن كان غير مميز ينوب عنه الولى فى النية والتلبية والأفعال . قال السرخسى فى "المبسوط" (٤ — ١٧٣) : ولو أن

حدثنا : قتيبة بن سعيد نا حاتم بن اسماعيل عن محمد بن يوسف عن السائب بن يزيد قال : « حج بى أبى مع رسول الله ﷺ فى حجة الوداع وأنا ابن سبع سنين » .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، وقد أجمع أهل العلم : أن الصبى إذا حج قبل أن يدرك فعليه الحج إذا أدرك ، لا تجزئ عنه تلك الحجة عن حجة الإسلام ، وكذلك المملوك إذا حج فى رقه ثم اعتق فعليه الحج إذا وجد إلى ذلك سبيلاً ، ولا يجزئ عنه ما حج فى حال رقه ، وهو قول الثورى والشافعى وأحمد واسحاق .

الصبى أهل بالحج قبل أن يحتلم ثم احتلم قبل أن يطوف بالبيت أو قبل أن يقف بعرفة لم يجزه عن حجة الإسلام عندنا ، إلا أن يجدد إحرامه قبل أن يقف بعرفة ، فحينئذ يجزئه عن حجة الإسلام ، وكذلك العبد والرقيق يصح حجه وإحرامه ، ولا يجزئه عن حجة الإسلام إذا أعتق اهـ . أنظر "المبسوط" للسرخسى (٤ — ١٧٤) . وكذلك نص محمد فى " الأصل " يدل على صحة حجه ، كما حكاه ابن عابدين . وشيخنا العثمانى نقل نصوص الكتب فى " فتح الملهم " (٣ — ٢٧٣ و ٣٧٣) فراجعه إن شئت. نعم عند أبى حنيفة: إذا أفسد الصبى حجه لاقضاء عليه ولا فدية ، ويجب عند المالكية الفدية إذا ارتكب محظوراً من محظورات الإحرام . قال المحب الطبرى فى " القرى" (ص — ٥٠) - بعد ذكر الأحاديث -: وفى هذه الأحاديث كلها حجة لنا ولمالك ولأحمد على أن الصبى ينعقد حجه ويجتنب ما يجتنب المحرم ، وإنما الخلاف عندنا فى أن المترتب على جنايته هل هو فى ماله أو فى مال الولى ؟ وفيه قولان، وأبو حنيفة لا يرى ذلك . . . ولا خلاف بين أهل العلم جواز حج الصبى إلا قوماً من أهل العراق منعوه ، وفعل رسول الله ﷺ وقوله وإجماع الأمة يرد قولهم ، وإنما الخلاف فى أنه

(باب)

حدثنا : محمد بن اسماعيل الواسطى قال : سمعت ابن نمير عن أشعث بن

هل ينعقد حكم الحج عليهم ؟ وفائدة الخلاف تظهر فى وجوب الفدية ، فأبوحنيفة لا يلزمهم شيئاً ، إنما يجتنبون ذلك على وجه التمرين والتعليم ، وفيما تقدم عن عطاء موافقة له ، وباقى الأئمة يرون وجوب الفدية . وقد قال كثير من أهل العلم : إن الصبى يثاب على طاعته ، وتكتب له حسناته دون سيئاته ، وروى ذلك عن عمر بن الخطاب ، وقد تقدم ما يدل عليه فى الباب الأول ، وهو قوله ﷺ : « جهاد الكبير والصغير الحج والعمرة » . وقوله : « ولك أجر » ، أى فيما تتكلفين من أمره بالحج وتعليمه إياه والقيام بأمره . ثم إن كان الصبى يعقل عقل مثله أحرم بنفسه ، وإن لم يعقل أحرم عنه ، إلى آخر ما قال ، وراجعه فإنه نفيس جيد ملخص .

وحديث الباب إسناده صحيح، فإن محمد بن طريف الكوفى من رجال مسلم والسنن ، وأبو معاوية محمد بن خازم الضرير الكوفى من رجال الستة ، ومحمد بن سوقة من رجال الستة ، والترمذى قال فيه : غريب، ولم يصححه . وحديث ابن عباس فى " صحيح مسلم " بلفظه شاهد له ، فهو صحيح لذاته ، وعلى الأقل لغيره ، والله أعلم .

ــ: باب :ــ

باب من غير ترجمة ، ويمكن أن يترجم له : (باب التلبية عن الصبيان والرمى عنهم) .

أخرج فيه حديث جابر من طريق أشعث بن سوار عن أبى الزبير عنه ،

سوار عن أبي الزبير عن جابر قال : «كنا إذا حججنا مع النبي ﷺ فكنا نلبي عن النساء ونرمي عن الصبيان» .

قال أبو عيسى : هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وقد أجمع أهل العلم : أن المرأة لا يلبي عنها غيرها بل هي تلبي ، ويكره لها رفع الصوت بالتلبية .

وأخرجه ابن ماجه في (باب الرمي عن الصبيان) ، والحديث ضعيف ، فإن أشعث بن السوار ضعيف عندهم ، وأخرج له مسلم في "صحيحه" في المتابعات .

قوله : فكنا نلبي عن النساء .

قال شيخنا رحمـه الله : لم يقل به أحد بأن يلبي الرجال عن النساء وإنما يلبين بأنفسهن ، فيتأول في الحديث بأن الغرض إسرارهن بالتلبية ، والرجال يجهرون بها ، فكأنهم نابوا عنهن بالجهر بها ، مع أن الحديث ضعيف معلول .

قال الراقم : قال المحب الطبري في " قراه " مثل ما قاله شيخنا ، فقد توارد آراؤهما في توجيه الحديث ، فقال في " القرى " (ص ـــ ٥١ و ٥٢) ـ بعد تخريج حديث جابر عن "جامع الترمذي" ـ : أجمع أهل العلم على أن المرأة لا يلبي عنها بل تلبي هي عن نفسها ، لكن يكره لها رفع الصوت ، فيكون المراد ـ والله أعلم ـ بالتلبيـــة عنهن : رفع الصوت ، لأن رفع الصوت بها في الحج مقصود ، قال ﷺ : «أفضل الحج العج والثج» ، والعج : رفع الصوت بالتلبيـة ، لكن لما خشي الافتتان بصوت المرأة كره لها رفعـــه بها ، وانفرد الرجال بهذه السنة ، فكأنهم نابوا عن النساء فيها لما وقع الاجتزاء بهم ، ويكون قد عبر بالتلبية عن رفع الصوت بها تجوزاً ، وذلك جائز . قال : وأما الرمي عن الصبيان فمحمول على غير المميز ، وأما من يميز ويعلم ماهية الرمي وكيفيته

(باب ما جاء في الحج عن الشيخ الكبير والميت)

حدثنا : أحمد بن منيع قال ثنا روح بن عبادة نا ابن جريج قال أخبرني

ولو بالتعليم فيرمى عن نفسه ولا يجزئ الرمى عنه اه .

ومن حسن الصدفة : أن وقع تعبيرى عن غرض الشيخ بنفس تعبير المحب الطبرى، وما كنت وقفت عليه إلا بعد ما عبرت وحررت، ولله الحمد على ما وفق وأنعم . ثم أقول : ولفظ ابن ماجه من طريق أبى بكر بن أبى شيبة : « حججنا مع رسول الله ﷺ ومعنا النساء والصبيان ، فلبينا عن الصبيان ورمينا عنهم » ، فليس فيه التلبية عن النساء بل عن الصبيان ، ولأجل هذا قال شيخنا : معلول . وبالجملة لفظ ابن ماجه هو الأقرب والأشبه ، وعزاه فى "المنتقى" إلى أحمد بمثل لفظ ابن ماجه . وقال شارحه : أخرجه ابن أبى شيبة ، وفى إسناده أشعث بن سوار وهو ضعيف - إلى أن قال - : قال ابن القطان : ولفظ ابن أبى شيبة أشبه بالصواب، فإن المرأة لا يلبى عنها غيرها، أجمع على ذلك أهل العلم ا هـ .

-: باب ما جاء فى الحج عن الشيخ الكبير والميت :-

أخرج فى الباب حديث الفضل بن عباس ، وقد أخرجه البخارى فى (باب الحج عمن لا يستطيع الثبوت على الراحلة) فى كتاب جزاء الصيد ، ومسلم أخرجه فى كتاب الحج، وكذا أخرجه بقية السنن، وهو حديث الخثعمية . ودل الحديث على صحة النيابة فى الحج ، فقال الفقهاء : إن من فرض عليه الحج ثم عجز يأمر غيره أن يحج عنه ، ولو مات يوصى بالحج ، وتجرى وصيته فى ثلث ماله ، فتقضى فريضة الحج عنه وتبرأ ذمته ، فإن لم يوص أو أوصى ولكن

لم يكن مال يؤدى بـه فريضة الحج وتبرع عنـه أحد الورثة بماله يرجى من فضل الله براءة ذمته ، فالأول وعد وحق ، وهذا رجاء وفضل . هذا ملخص ما قال فقهاؤنا الحنفية ، وله شروط وتفصيلات تراجع من الكتب . فقد ذكر فى " اللباب " عشرين شرطاً ، وما ذكرته من قول الفقهاء فقد ذكره السروجى فى " مناسكه " ابن عابدين وغيره .

ثم اختلفوا ، فقالت طائفة : لا يحج أحد عن أحد ، روى هذا عن ابن عمر والقاسم والنخعى . وقال مالك والليث : لا يحج أحد عن أحد إلا عن ميت لم يحج حجة الإسلام ، ولا ينوب عن فرضـه . فإن أوصى الميت بذلك فعند مالك وأبى حنيفة : يخرج من ثلثه ، وهو قول النخعى . وعند الشافعى من رأس ماله . وقال أبو حنيفة : من مات وعليه حجة الإسلام لم يلزم الورثة سواء أوصى بأن يحج عنـه أولا . نعم إن حج عنه يحج عنه من ثلث ماله إن كان يبلغ من بلده ، وإن لم يمكنه من بلده بطلت الوصية فى القياس ، وفى الاستحسان يحج عنـه من حيث بلغ وإلا بطلت الوصية وجرى فيـه التوريث . هذا ملخص ما قاله العينى فى " العمدة " ومختصره ، أنظر " العمدة " (٥ ــ ١١٩) .

والحج عن المعضوب يقول به أبو حنيفة والثورى والشافعى وأحمد خلافاً لمالك ، فقال : إذا زمن الرجل بعد الوجوب سقط عنه ، كما فى " القرى " وغيره . ثم استطاعة البدن شرط لنفس الوجوب عند أبى حنيفة ، ولوجوب الأداء عند صاحبيه أبى يوسف ومحمد ، كما تجد تفصيلـه فى كتب الفقه . ثم اختلفوا فى تفسير " الاستطاعـة " ، فقال أبو حنيفة والشافعى وأحمد بالبدن والمال ، وقال مالك بالبدن . ثم إن من فرض عليه الحج وكان قادراً ثم أدركه العجز عنه فمثله يجب عليـه الإحجاج فى حياته ، أو الوصية عند موته ، كما تقدم . وراجع "فتح ابن الهمام" (٢ ــ ٣٢٩) لبعض التفاصيل و (٣ ــ ٦٨) .

ابن شهاب قال حدثنى سليمان بن يسار عن عبد الله بن عباس عن الفضل بن عباس : « إن امرأةً من خثعم قالت : يا رسول الله ! إن أبى أدركته فريضة الله فى الحج وهو شيخ كبير لا يستطيع أن يستوى على ظهر البعير ؟ قال : حجى عنه » .

وفى الباب عن على وبريدة وحصين بن عوف وأبى رزين العقيلى وسودة وابن عباس . قال أبوعيسى : حديث الفضل بن عباس حديث حسن صحيح .

ثم النيابة فى العبادات المالية كالزكاة أو المركبة من البدن والمال كالحج ، وجعلها للغير كلمة اتفاق بين الأئمة . فأما البدنية المحضة كالصلاة والتلاوة والصوم فأنكر فيها النيابة مالك والشافعى ، وأجازها أبو حنيفة وأحمد ، أنظر شرح " اللباب " للقارى و" فتح ابن الهمام " (٢ — ٦٧ وما بعدها) .

قوله : الفضل بن عباس ، هو : أخو عبد الله بن عباس ، وكان أكبر ولد العباس ، وبه كان يكنى ، وكان شقيق عبد الله ، وأمهما أم الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث بن حزن الهلالية ، قاله البدر .

قوله : خثعم ـ بفتح الخاء المعجمة وسكون الثاء المثلثة ـ : قبيلة مشهورة من اليمن ، قاله الحافظان .

قوله : إن أبى أدركته فريضة الله الخ . اتفقت الروايات كلها عن ابن شهاب على أن السائلة كانت امرأة ، وخالفه يحيى بن أبى اسحاق عن سليمان بن يسار ، ففيها : أن السائل رجل ، قاله البدر العينى والحافظ العسقلانى . قال الطيبى : "شيخاً" حال وما بعده صفة ، ويحتمل أن يكون حالاً ، ويكون من الأحوال المتداخلة . وقال العينى : نصب على الاختصاص ، وما بعده صفة أو حال . والمعنى : أنه وجب عليه الحج بأن أسلم وهو بهذه الصفة ، أى إن إلزام الله

وروى عن ابن عباس أيضاً عن سنان بن عبد الله الجهنى عن عمته عن النبى ﷺ . وروى عن ابن عباس عن النبى ﷺ . فسألت محمداً عن هذه الروايات؟ فقال : أصح شئ فى هذا ما روى ابن عباس عن الفضل بن عباس عن النبى ﷺ .

قال محمد : ويحتمل أن يكون ابن عباس سمعه من الفضل وغيره عن النبى ﷺ ثم روى هذا فأرسله ولم يذكر الذى سمعه منه .

عباده بالحج الذى وقع بشرط الاستطاعة صادف أبى بصفة من لا يستطيع، فهل أحج عنه ؟ هل يجوز ذلك ؟ أو: هل فيه أجر ومنفعة ؟ فقال : نعم . أو المفاد : أن فريضة الحج ثبتت عليه ، والحج مكتوب عليه كما وقع لأحمد فى رواية . هذا ملخص ما قاله البدر والشهاب فى " العمدة " و " الفتح " .

قال الراقم : فعلى الأول تطوع ، وعلى الثانى تبرع بأداء الفريضة نيابة ويجرى فيه الاختلاف الذى أشرنا إليه .

قوله : وروى عن ابن عباس الخ . أشار الترمذى إلى اضطراب فى إسناده، فذكر أربعة طرق فى الإسناد فى رواية ابن عباس ، وهل هو مسند الفضل بن ابن عباس أو حصين بن عوف أو عمة ابن سنان الجهنى أو عبد الله بن عباس . ثم نقل عن الإمام البخارى ترجيح رواية ابن عباس عن الفضل بن عباس واحتمالا سماع ابن عباس عن البقية ، وأما روايته عنه ﷺ قال : فلعله أرسله . وذكر الحافظان وجه الترجيح بأن الفضل كان رديف النبى ﷺ ، وابن عباس قد تقدم من المزدلفة إلى منى مع الضعفة فكأن الفضل حدث أخاه بما شاهده . وهذا الاختلاف على سليمان بن يسار، والبخارى أخرج حديثه عن عبد الله بن عباس

قال أبو عيسى : وقد صح عن النبى ﷺ فى هذا الباب غير حديث . والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبى ﷺ وغيرهم . وبــه يقول الثورى وابن المبارك والشافعى وأحمد واسحاق ، يرون أن يحج عن الميت . وقال مالك : إذا أوصى أن يحج عنه حج عنه، وقد رخص بعضهم أن يحج عن الحى إذا كان كبيراً وبحال لا يقدر أن يحج ، وهو قول ابن المبارك والشافعى .

(باب منه)

عن الفضل ، كما أخرجه الترمذى ، وكذلك وقع اضطراب فى متنه كما بينه البدر فى " العمدة " (٥ ــ ١٢١) والشهاب فى " الفتح" (٣ ــ ٥٦) .

ثم إن الحديث بعمومه فيه دليل للإمام أبى حنيفة على جواز حج الصرورة الذى لم يحج فحج عن غيره نيابة خلافاً للجمهور ، واستدلوا بحديث ابن عباس فى السنن فى قصة شبرمة كما فى "الفتح" .

قال الراقم : ويمكن أن يحمل حديث شبرمة على الأولى ، وقد أطال الزيلعى الكلام فى إعلاله فى " نصب الراية " (٣ ــ ١٥٥ ــ ١٥٦) نقضاً وإبراماً ، وسكت عنــه الحافظ مع علمه . وفى حديث الباب فوائد شتى فى روايات " الصحيحين" تعرض إليها البدر والشهاب فمن شاء فليراجعها .

قوله : وبـه يقول الثورى الخ . وبـه يقول أبو حنيفـة كما قدمناه ، وقد ذكره محمد فى " مؤطئه " وقال : وهو قول أبى حنيفة والعامة من فقهائنا اه . فالثلاثة ومعهم الثلاثة الثورى وابن المبارك واسحاق .

ــ: باب منه :ــ

أخرج فى الباب حديثان : حديث أبى رزين العقيلى وأخرجه بقية السنن

حدثنا : يوسف بن عيسى نا وكيع عن شعبة عن النعمان بن سالم عن عمرو ابن أوس عن أبى رزين العقيلى : « أنه أتى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله ! إن أبى شيخ كبير لا يستطيع الحج ولا العمرة ولا الظعن ؟ قال : حج عن أبيك واعتمر » .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، وإنما ذكرت العمرة عن النبى ﷺ فى هذا الحديث : أن يعتمر الرجل عن غيره .

وأبو رزين العقيلى اسمه : لقيط بن عامر .

حدثنا : محمد بن عبد الأعلى نا عبد الرزاق عن سفيان الثورى عن عبد الله بن عطاء عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : « جاءت امرأة إلى النبى ﷺ فقالت : إن أمى ماتت ولم تحج ، أفأحج عنها ؟ قال : نعم حجى عنها » .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

وأحمد وابن حبان والحاكم كما فى "نصب الراية" ، وحديث بريدة وأخرجه مسلم فى " صحيحه " فى كتاب الصيام ، وأخرجه أبو داود فى الوصايا ، والحديثان أشار إليهما الترمذى فى الباب الذى قبله ، والحديثان صححها الحاكم على شرطهما . وهذه المرأة السائلة لا شك أنها غير الخثعمية . ثم هل هى الجهنيــة ؟ أو امرأة سنان بن سلمة الجهنى ؟ وهل الحج هذا منذور كما فى رواية الجهنية أو غيره ؟ وهل هى واقعــة واحدة أو واقعتان ؟ وهل هى السائلة بنفسها أو الإسناد مجازى ؟ راجع لكل ذلك "عمــدة البدر العينى" (٥ ــ ١١٨) . والظعن ـ بفتح الظاء المعجمة وسكون العين ، وبفتح العين ، وبهما قرئ فى " القرآن المجيد " ـ : الركوب على الراحلة ، ثم يطلق على السير مطلقاً والظعينة : المرأة

(باب ما جاء في العمرة ، أواجبة هي أم لا ؟)

حدثنا : محمد بن عبد الأعلى الصنعاني ثنا عمر بن علي عن الحجاج عن محمد بن المنكدر عن جابر : « إن النبي ﷺ سئل عن العمرة : أواجبة هي ؟ قال : لا ، وأن يعتمروا هو أفضل » .

في الهودج ، وأيضاً : الهودج كانت فيه امرأة أم لا . والظعون : البعير الذي يحمل عليه كما في " الصحاح " و " القاموس " وغيرهما .

وهذا الباب غير مذكور في " العرف الشذي " وقد أسلفنا ما يتعلق به في الباب السابق إجمالاً وتفصيلاً ، وجعل الباب هذا بابين في النسخة الحلبيـــة ، وأفرد كل حديث بباب .

ـــ : باب ما جاء في العمرة ، أ واجبة هي أم لا ؟ :ـــ

أخرج في الباب حديث جابر من طريق الحجاج ، وهو ابن أرطاة ، وقد تفرد بإخراجه الترمذي من بين أرباب الصحاح الستة ، وقد صححه الترمذي مع أن فيه الحجاج بن أرطاة . قال المنذري : وفي تصحيحه له نظر ، فإن في سنده الحجاج بن أرطاة ولم يحتج به الشيخان في " صحيحيهما " ، وقال ابن حبان : تركه ابن المبارك ويحيى القطان وابن معين وأحمد ، وقال الدارقطني : لا يحتج به ، وإنما روى هذا الحديث موقوفاً على جابر ، وقال البيهقي : ورفعه ضعيف ، حكاه البدر العيني في الجزء الخامس من " العمدة " (ص ـــ ٤) وقال : قلت : قال الشيخ تقي ابن دقيق العيد في كتاب " الإمام " : وهذا الحكم بالتصحيح في رواية الكروخي لكتاب الترمذي ، وفي رواية غيره حسن لا غير . قال شيخنا زين العراقي : لعل الترمذي إنما حكم عليه بالصحة لمجيئه من وجه آخر ، ثم ذكره

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، وهو قول بعض أهل العلم ، قالوا : العمرة ليست بواجبــة ، وكان يقال : هما حجان : الحج الأكبر يوم

من طريق عبد الله بن عمر (العمرى) عن أبى الزبير عن جابر ، أخرجــه فى " الإمام " ، و " العمرى " وإن كان ضعيفاً ولكن تابعه عبيد الله بن المغيرة عن أبى الزبير عند الدارقطنى اﻫ مختصراً ملخصاً .

و " العمرة " فى اللغــة : الزيارة ، يقال : اعتمر ، أى زار وقصد ، وقيل : مشتقة من عمارة المسجد الحرام . وشرعاً : زيارة البيت الحرام بشروط مخصوصة مذكورة فى الفقه ، قاله البدر والشهاب . و " العمرة " بضم العين والميم ، وبضم العين وسكون الميم ، وبفتح العين وسكون الميم ، كما فى " شرح المهذب " (٧ ــ ٩) .

ثم حكم " العمرة " : إنها واجبة عند الشافعى وأحمد على ما هو المشهور ، وسنة وتطوع عند أبى حنيفــة ومالك . وتأول العراقى فى نقل الترمذى عن الشافعى أنها سنة ، أى ثابتة لا ترخص فى تركها . وفى " الدر المختار " وشرحه لابن عابدين : والعمرة فى العمر مرةً سنــة مؤكدة . وصحح فى " الجوهرة " وجوبها . قال فى " البحر " : واختاره فى " البدائع " وقال : إنــه مذهب أصحابنا . ومنهم من أطلق اسم السنة ، وهذا لا ينافى الوجوب اﻫ . والظاهر من الرواية : السنية ، فإن محمداً نص على أن العمرة تطوع ، ومال إلى ذلك فى " الفتح " ، وقال بعد سوق الأدلــة : تعارض مقتضيات الوجوب والنفل فلا تثبت ، ويبقى مجرد فعله عليه الصلاة والسلام وأصحابه والتابعين ، وذلك يوجب السنة فقلنا بها اﻫ . وفى " المغنى " لابن قدامة (٣ ــ ٢٢٣) : وتجب العمرة على من يجب عليــه الحج فى إحدى الروايتين ، روى ذلك عن عمر

النحر والحج الأصغر العمرة . وقال الشافعي: العمرة سنة ، لا نعلم أحداً رخص في تركها ، وليس فيها شئ ثابت بأنها تطوع . قال : وقد روى عن النبي

وابن عباس وزيد بن ثابت وابن عمر وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير وعطاء وطاؤس ومجاهد والحسن وابن سيرين والشعبي ، وبـه قال الثوري واسحاق والشافعي ـ في أحد قوليه ـ . والرواية الثانية ليست بواجبة، وروى ذلك عن ابن مسعود ، وبه قال مالك وأبو ثور وأصحاب الرأي ، ثم ذكر أدلـة الفريقين ، فراجعـه . وفي " شرح المهذب " (٧ ــ ٧) : أن الصحيح من مذهبنا أنها فرض، ثم ذكر أسماء من روى من الصحابة والتابعين مثل ما ذكره ابن قدامة، ثم ذكر مذهب مالك وأبي حنيفة وأبي ثور: بأنها سنة وليست بواجبة . قال : وحكاه ابن المنذر وغيره عن النخعي اهـ .

ثم أداء العمرة في التمتع والقران يكفي للعمل بالعمرة كما صرح به ابن قدامة وغيره .

تنبيه : المراد في كتب أئمتنا من الوجوب الوجوب المصطلح دون الفرض المتطوع وفوق السنة ، والمراد عند بقية الأئمـة من الشافعي وأحمد الوجوب المرادف للفرض ، حيث ليس عندهم مرتبـة بين السنة والفرض تسمى : واجباً ، ولذا عبر عنه النووي في "شرح المهذب" بأنها فرض عند الشافعي .

ثم إن أبا حنيفـة والشافعي ذهبا إلى استحباب تكرار العمرة في السنة الواحدة مراراً . وقال مالك وأصحابه : يكره أن يعتمر في السنة الواحدة أكثر من عمرة . وقال ابن قدامة : قال آخرون : لا يعتمر في شهر أكثر من عمرة واحـدة . واستدل الحافـظ في " الفتح " (٣ ــ ٤٧٦) بحديث لابن مسعود لاستحباب الاستكثار من الإعتمار فراجعه ، ونقل الأثرم عن أحمد : إذا اعتمر

ﷺ وهو ضعيف لا تقوم بمثله الحجة، وقد بلغنا عن ابن عباس أنه كان يوجبها .

فلابد أن يحلق أو يقصر، فلا يعتمر بعد ذلك إلى عشرة أيام ليمكن حلق الرأس فيها . قال ابن قدامة : هذا يدل على كراهة الاعمار عنده دون عشرة أيام اه . وراجع "القرى" للمحب الطبرى، فقد استوفى فى الموضوع أقوال الصحابة وآثارهم . وعند أبى حنيفة تكره العمرة فى خمسة أيام، يوم عرفة والنحر وأيام التشريق . وقال أبو يوسف: تكره فى أربعة أيام : عرفة والتشريق ، كذا فى " العمدة " (٥ — ٤) . ونص أحمد على أن أهل مكة ليست عليهم عمرة ، كما فى " المغنى " ، وإنما عمرتهم طوافهم بالبيت .

قال شيخنا: واختار البخارى الوجوب، وما ذكره من الأدلة وإن كانت قوية ولكنها نازلة عن شأن البخارى أن يأتى بمثلها ، ولعل الشيخ يريد أنها ليست بصريحة فى الوجوب أى الأحاديث التى أخرجها فى باب وجوب العمرة، والله أعلم .

وقال الشيخ: وقوله تعالى : (وأتموا الحج والعمرة لله ○) يؤيد القول بالوجوب وأجاب عنه القائلون بعدم الوجوب: بأن الإتمام يكون بعد الشروع ، فإذا شرع فيها يجب الإتمام .

قال الشيخ: غرض الآية على ما هو الصحيح بأن يؤدوا الحج والعمرة تامين.

قال الراقم : وحكى البدر العينى فى " العمدة " عن على رضى الله عنه : « أنه قال فى هذه الآية : . . . أن تحرم من دويرة أهلك » ، قال : وكذا قال ابن عباس وسعيد بن جبير وطاوس ، إلى آخر ما ذكره من التفصيل . وراجع " القرى" للطبرى (ص — ٥٥٨) لأدلة الفريقين ولمذاهب الصحابة والتابعين،

(باب منه)

حدثنا : أحمد بن عبدة الضبي ثنا زياد بن عبد الله عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن ابن عبـاس : أن النبي ﷺ قال : « دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة » .

وكذا " تفسير القاضي ثناء الله الفاني فتي " حافظ هذه العصور (١ ـ ٢١٦) . ورواية على عزاه في " القرى " لسنن سعيد بن منصور ، وذكر مثله عن عمر معزواً إلى تخريج البيهقي عن الشافعي ، أنظر " القرى " (ص ـ ٧٧) .

ـ: باب منه :ـ

أخرج في الباب حديث ابن عباس ، وقد أخرجه أبو داود في " سننه " في (باب إفراد الحج) من طريق شعبة عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال : « هذه عمرة استمتعنا بها ، فمن لم يكن عنده هدى فليحل الحل كله ، وقد دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامـــة » ، ثم قال : قال أبو داود هذا منكر ، وإنما هو قول ابن عباس .

قوله : دخلت العمرة في الحج . قد شرحه الترمذي نقلاً عن الأئمـــة ، الشافعي وأحمد واسحاق، وهو الذي حكاه النووي عن الجمهور، قال: واختلف العلماء على أقوال أصحها وبه قال جمهورهم : أن العمرة يجوز فعلها في أشهر الحج إلى يوم القيامة ، والمقصود به بيان إبطال ما كانت الجاهلية تزعمه من امتناع العمرة في أشهر الحج، وذكر ثلاثة تأويلات أخرى من أن معناه جواز القران وإدخال أفعالها في أفعال الحج في القران ، أو أن العمرة ليست واجبـــة ، أو جواز فسخ الحج إلى العمـــرة وضعفها . وذكر الخطابي الأول والثاني في

وفى الباب عن سراقة بن مالك بن جعشم وجابر بن عبد الله . قال أبو عيسى : حديث ابن عباس حديث حسن ، ومعنى هذا الحديث : أن لا بأس بالعمرة فى أشهر الحج ، وهكذا قال الشافعى وأحمد واسحاق .

ومعنى هذا الحديث : أن أهل الجاهلية كانوا لا يعتمرون فى أشهر الحج ، فلما جاء الإسلام رخص النبى ﷺ فى ذلك ، قال : « دخلت العمرة فى الحج إلى يوم القيامة » يعنى لا بأس بالعمرة فى أشهر الحج . وأشهر الحج : شوال

" معالمه " (٢ — ١٦٦) . وقال شيخنا : المراد به دخول العمرة فى الحج ، يعنى أداؤها مع الحج بصورة التمتع أو القران .

قال الراقم : وربما يرجع هذا إلى جواز العمرة فى أشهر الحج سواء كان ذلك بإفراد العمرة فيها للآفاقيين ، أو بانضمامها إلى الحج تمتعاً وقراناً . ثم إنه وقعت هذه القطعة بمعناها فى " صحيح مسلم " فى حديث جابر الطويل ، وكذا فى المختصر من ألفاظه .

قوله : وأشهر الحج. قال الحافظ فى "الفتح" (٣ — ٣٢٣) : وأجمع العلماء على أن المراد بأشهر الحج ثلاثة ، أولها شوال ، لكن اختلفوا هل هى ثلاثة بكمالها ؟ وهو قول مالك ونقل عن " الإملاء " للشافعى ، أو شهران وبعض الثالث ، وهو قول الباقين .

ثم اختلفوا فقال ابن عمر وابن عباس وابن الزبير وآخرون : عشر ليال من ذى الحجة ، وهل يدخل يوم النحر أولا ؟ قال أبو حنيفة وأحمد : نعم ، وقال الشافعى فى المشهور المصحح عنه : لا ، . . . . واختلف العلماء أيضاً فى اعتبار

وذو القعدة وعشر من ذى الحجـة ، لا ينبغى للرجل أن يهل بالحـج إلا فى أشهر الحج .

هذه الأشهر هل هو على الشرط أو الاستحباب ؟ فقال ابن عمر وابن عباس وجابر وغيرهم من الصحابة والتابعين : هو شرط ، فلايصح الاحرام بالحج إلا فيها ، وهو قول الشافعى الخ . وقال قبلـه : قال الشيخ أبو اسحاق فى " المهذب " : المراد وقت إحرام الحج ، لأن الحج لا يحتاج إلى أشهر ، فدل على أن المراد وقت الإحرام به اه .

قال الشيخ رحمه الله : اعلم أنهم قالوا : أن للحج ميقاتاً زمانياً وهو أشهر الحج وتقديم الإحرام عليها مكروه ، وميقاتاً مكانياً وتقديم الإحرام عليه مستحب عند أبى حنيفة خلافاً للجمهور اه . قال القاضى فى " تفسيره " : الآية حجة للشافعى حيث إن أحرم قبلها للحج انعقد الإحرام للعمرة ، وقال أبو حنيفـة ومالك وأحمد : إن أحرم قبلها انعقد لكنه يكره . ووجهه أن الإحرام شرط للحج وليس بركن ، ومن ثم جاز مبهماً ، فإذا كان شرطاً جاز تقديمه مثل تقديم الوضوء على الوقت ، ولكن فيه شبه بالركنية ، فإذا أعتق عبد بعد ما أحرم قبل يوم عرفة لا يتأدى فرضه ، فلذا قلنا بالكراهة ، ثم رجح قول الشافعى ، انتهى مختصراً ملخصاً ، وكذلك لخص فيه القول بمثل هذا القاضى ابن رشد فى " قواعده " تحت قوله : القول فى ميقات الزمان ، فراجعه إن شئت .

قال الشيخ كما فى " العرف الشذى " : تعرض المفسرون إلى البحث فى الآية بأن المذكور فيها " الأشهر " بصيغة الجمع ، مع أن المراد شهران وبعض الثالث ، وتأويلـه بكون الجمع فوق الواحد خلاف ما عليـه جمهور أهل العربية ، فإذن فى الآية استثناء لا تخصيص عند الجمهور ، نعم عند مالك يصح

وأشهر الحرم : رجب وذوالقعدة وذوالحجة والمحرم .

إطلاق الثلاثة ، حيث جوز الأضحية إلى آخر شهر ذى الحجة . ثم عامة كتبنا على أن الشهرين وعشرة أيام ذى الحجة هى أيام الحج .

قلت : مدار الحج على وقوف عرفة ، وهو ينتهى قبل صبح يوم النحر ، هذا توضيح ما قاله بتغير تعبير " العرف الشذى " . ولا لزوم لتخريج هذه الكلمات وشرحها ، حيث ما ذكرنا قبله فيه غنى عنه ، وبالله التوفيق .

قوله : وأشهر الحرم الخ . قال الشيخ : كان الكفار فى جاهليتهم يحترمون الأشهر الحرم ، فلا يقاتلون فيها ، وكذلك كان الحكم فى البداية للمسلمين ، أن لا يقاتلوهم فى الأشهر الحرم ، ثم نسخت الحرمة اه .

قال الراقم : ما قاله الشيخ رحمه الله هكذا قاله أكثر العلماء ، فقالوا فى قوله تعالى : (ويسألونك عن الشهر الحرام قتال فيــه ، قل قتال فيه كبير ○) " البقرة " : أنه منسوخ بقولـه تعالى فى " التوبة " : (فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ○) ، وهذه الأشهر الحرم ليس المراد بها من كل سنة ، بل أشهر معينة أبيح للمشركين فيها السياحة بقوله تعالى : (فسيحوا فى الأرض أربعــة أشهر ○) فبعد انسلاخها حكم قتالهم مأمور به فى جميع الأمكنة من حل وحرم ، وجميع الأزمنة من أشهر حرم وغيرها ، ، فإذن هو من قبيل نسخ الخاص بالعام ، ويقولون به الحنفيــة . وأطال فى رد هذا القاضى ثناء الله فى تفسيره " المظهرى" فى الجزء الأول (من ص ــ ٢٦١ إلى ٢٦٣) ، ثم قال : فلم يثبت منسوخية حرمــة الأشهر ، وقال : ولكن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى : (الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص ، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ○)

هكذا روى غير واحد من أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم .

لأنها تدل على إباحة القتال في الأشهر الحرم إن كانت البداية في القتال من الكفار ، لأن هذه الآية نزلت قبل غزوة بدر ، وتلك نزلت في عمرة القضاء سنة سبع ، فبقي البداية بالقتال في الأشهر محرماً ، والله أعلم اهـ .

وذكر الآلوسي في " تفسيره " (٢ ـ ١٠٨) بعد تفصيل : فالإنصاف أن القول بالنسخ ليس بضروري . نعم وهو ممكن ، وبه قال ترجمان القرآن ابن عباس رضي الله عنهما ، كما رواه عنه الضحاك ، وأخرج ابن أبي حاتم عن سفيان الثوري : أنه سئل عن هذه الآية ؟ فقال . هذا شيء منسوخ ، ولا بأس بالقتال في الشهر الحرام ، وخالف عطاء في ذلك ، فقد روى عنه أنه سئل عن القتال في الشهر الحرام ؟ فحلف بالله : ما يحل للناس أن يغزوا في الحرم ، ولا في الشهر الحرام إلا أن يقاتلوا فيه . قال الآلوسي : وجعل ذلك حكماً مستمراً إلى يوم القيامة ، والأمة اليوم على خلافه في سائر الأمصار اهـ .

والإمام الحافظ الجصاص أبي بكر الرازي في " أحكام القرآن " يميل إلى أن حكم قتالهم مطلقاً غير منسوخ ، حيث قال بعد تحقيق : فثبت بذلك حظر القتال في الحرم ، إلا أن يقاتلوا فيه . وقال قبله : فدل على أن حكم الآية باق غير منسوخ ، وإنه لا يحل أن نبتدأ فيها بالقتال لمن لم يقاتل اهـ . ثم ذكر الاختلاف في نسخه ، وراجعه (١ ـ ٣٠٣ و ٣٠٦) .

قال الشيخ رحمه الله : قال الحافظ ابن تيمية وصاحبه ابن القيم : إن بداءة القتال اليوم من المسلمين غير جائز كما كان ذلك في ملة ابراهيم غير جائز اهـ . قال الراقم : ولعله قاله الحافظ ابن تيمية في " فتاواه " ، فراجع الجزء الثامن والعشرين ، الطبع الجديد من الطبعة الملكية بالحجاز ، فالجزء كله في الجهاد ،

(باب ما جاء في ذكر فضل العمرة)

حدثنا : أبو كريب نا وكيع عن سفيان عن سمى عن أبى صالح عن أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « العمرة إلى العمرة تكفر ما بينهما ،

ولم أقف عليه فى عجلة المستوفز ، ولم أتوغل فى البحث عن محله ، لأنه لم يكن عليـــه مدار مسائل الباب ، ولو لم يكن الحرص على ذكر كل ما ألقاه الشيخ فى " إملائه " لم أكن لأشير إليه .

—: باب ما جاء فى ذكر فضل العمرة :—

أخرج فى الباب حديث أبى هريرة فى ثواب العمرة ، وهو حديث متفق عليه من رواية الشيخين البخارى فى أبواب العمرة ومسلم فى الحج . ثم لم يذكر الترمذى ما فى الباب هنا اكتفاءً بما أسلفه فى (باب ما جاء فى ثواب الحج والعمرة) من حديث عبد الله فى الباب الثانى من كتاب الحج قبل تسعة وثمانين باباً ، وأشار هناك إلى ستة أحاديث ، وقد أخرجها كلها الحافظ البدر العينى فى " العمدة " (٥ — ٥) . وجميع من روى حديث الباب فهو من طريق : سمى ـ بضم السين المهملة وفتح الميم وتشديد الياء ـ . قال ابن عبد البر : تفرد سمى بهذا الحديث ، واحتاج إليه الناس فيه ، فرواه عنه مالك والسفيانان وغيرهم . . . . فهو من غرائب الصحيح ، قاله الحافظ .

قوله : تكفر ما بينهما . ولفظ الشيخين : « كفارة لما بينهما » ، أشار ابن عبد البر إلى أن المراد تكفير الصغائر دون الكبائر . قال : وقد ذهب بعض العلماء من عصرنا إلى تعميم ذلك ، ثم بالغ فى الإنكار عليه ، واستشكل بعضهم كون العمرة كفارة ، مع أن اجتناب الكبائر يكفر ، فماذا تكفره العمرة ؟

والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » .

والجواب أن تكفير العمرة مقيد بزمنها ، وتكفير الاجتناب عام لجميع عمر العبد ، فتغايرا من هذه الحيثية .

ثم إن ظاهر الحديث أن المكفرة هي العمرة الأولى حيث وقع الخبر عنها أنها تكفر، ولكن الظاهر من حيث المعنى أن الثانية هي المكفرة ، فإن التكفير وقوع الذنب خلاف الظاهر .

قوله : والحج المبرور. المبرور: المقبول، قاله ابن خالويه، من "برالله عمله" إذا قبله ، فقيل: هو الذي لا يخالطه شئ من مأثم ، ورجحه النووي، وقيل : ما لا رياء فيه ولا سمعة ولا رفث ولا فسوق، وقيل: ما لم يتعقبه معصية، وقد ورد تفسير الحج المبرور بغير هذا في رواية جابر مرفوعاً عند أحمد في " مسنده " وفيه : « فقيل : يا رسول الله ! ما بر الحج ؟ قال : إفشاء السلام وإطعام الطعام » ، وفي رواية بدل « إفشاء السلام » : « طيب الكلام » ، وفي رواية « لين الكلام » ، ورواه الحاكم . قال الحافظ (٣ ـــ ٣٠٢): وفي إسناده ضعف، فلو ثبت لكان هو المتعين دون غيره اهـ .

قال القرطبي : الأقوال التي ذكرت في تفسيره متقاربة ، وهي أن الحج الذي وفيت أحكامه ووقع موقعاً لما طلب من المكلف على الوجه الأكمل ، هذا ملخص ما ذكره الحافظان في " الفتح" (٣ ـــ ٣٠٢ و ٤٧٦) و " العمدة " (٥ ـــ ٥) . وقال العيني (١ ـــ ٢١٩) : ومن علامات القبول أنه إذا رجع يكون حاله خيراً من الحال الذي قبله اهـ .

قوله : ليس له جزاء إلا الجنة . أي ليس الجزاء مقتصراً على تكفير الذنوب فقط بل يدخل الجنة، قاله العيني. هذا الباب غير مذكور في "العرف الشذي" .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

(باب ما جاء فى العمرة من التنعيم)

حدثنا : يحيى بن موسى وابن أبى عمر قالا نا سفيان بن عيينة عن عمرو

ـ: باب ما جاء فى العمرة من التنعيم :ـ

أخرج فيه حديث عبد الرحمن بن أبى بكر فى إعمار أختها عائشة من التنعيم ، وهو حديث اتفق عليه البخارى ومسلم .

قوله : أن يعمر عائشة من التنعيم . قال المحب الطبرى : التنعيم أبعد من أدنى الحل إلى مكة ، وليس بطرف الحل ، بل بينهما نحو ميل ، ومن أطلق عليه أدنى الحل فقد تجوز . قال الحافظ بعد نقله : أو أراد بالنسبة إلى بقية الجهات . قال : وروى الفاكهى من طريق عبيد بن عمير قال : إنما سمى : " التنعيم " لأن الجبل الذى عن يمين الداخل يقال له : " ناعم " ، والذى عن اليسار يقال له : "منعم" ، والوادى: " نعمان " اه . وقال الحافظ نقلاً عن الفاكهى : والتنعيم ـ بفتح المثناة وسكون النون وكسر المهملة ـ : مكان معروف خارج مكة ، وهو على أربعة أميال من مكة إلى جهة المدينة اهـ . قال البدر العينى فى " العمدة " (٥ـ ١٦) : " ذكر ما يستفاد منه " فيه أن المعتمر المكى لا بد له من الخروج إلى الحل ثم يحرم منه ؟ وإنما عين التنعيم هنا دون المواضع التى خارج الحرم لأن التنعيم أقرب إلى الحل من غيرها .

وذكر البدر العينى فى " العمدة " (٥ ـ ١٧) : ومن ذلك ما استدل به على أن أفضل جهات الحل التنعيم . ورد بأن إحرام عائشة من التنعيم إنما وقع لكونه أقرب جهات الحل إلى الحرم ، كما ذكرنا ، لا أنه أفضل اه . وقال

ابن دينار عن عمرو بن أوس عن عبد الرحمن بن أبى بكر : « إن النبى ﷺ أمر عبد الرحمن بن أبى بكر : أن يعمر عائشة من التنعيم » .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

ابن قدامة : وقد روى عن أحمد فى المكى كلما تباعد فى العمرة فهو أعظم للأجر، هى على قدر تعبها اهـ . والبخارى قد عقد باباً عليه ، فقال : (باب أجر العمرة على قدر النصب)، وأخرج فيه حديث عائشة وفيه: « ولكنها على قدر نفقتك أو نصبك » .

وحكى الحافظان عن الطحاوى ما ملخصه : ذهب قوم إلى أنه لا ميقات للعمرة لمن كان بمكة إلا التنعيم ، وخالفه آخرون فقالوا : ميقاتهم للعمرة الحل، وأمره ﷺ عائشة بالإحرام من التنعيم لقربه من مكة من بقية الجهات ، واستدل لذلك بحديث صريح عن عائشة قالت : « وأدناها من الحرم التنعيم فاعتمرت منه » فثبت أن ميقات مكة للعمرة الحل والتنعيم وغيره سواء . قال الطحاوى: وهو قول أبى حنيفة وأصحابه والشافعى .

ثم إن البخارى فى (باب مهل أهل مكة للحج والعمرة) أخرج حديث ابن عباس وفيه : « حتى أهل مكة من مكة » ، واستدل بعموم لفظه على أن المكى يحرم من مكة فى الحج والعمرة . قال البدر العينى (٤ ـ ٤٩٨) : قضية عائشة رضى الله عنها تخصص هذا ا هـ . قال المحب الطبرى: لا أعلم أحداً جعل مكة ميقاتاً للعمرة اهـ . حكاه الحافظ (٣ ـ ٣٠٦) .

قال الراقم : مذهب أحمد كما فى " المغنى " ومذهب مالك فى " بلغة السالك " و " شرح الدردير " وغيرهما مثل مذهب أبى حنيفة والشافعى . وبالجملة اتفقت الأئمة والأمة على : أن ميقات إحرام المعمر من أهل مكة الحل

(باب ما جاء فى العمرة من الجعرانة)

حدثنا : محمد بن بشار نا يحيى بن سعيد عن ابن جريج عن مزاحم بن أبى مزاحم عن عبد العزيز بن عبد الله عن محرش الكعبى : « إن رسول الله

دون الحرم ، وقد أفاض ابن قدامة فى التدليل عليه فقهاً وروايةً ، فإذن البخارى تفرد به فى الأمة بجواز إحرام أهل مكة من مكة ، ومن جملة ما استدل على الخروج إلى الحل بأن يتحقق نوع سفر فى الخروج، والله أعلم .

—: باب ما جاء فى العمرة من الجعرانة :—

أخرج فى الباب حديث محرش الكعبى ، وقد أخرجه النسائى وأبو داود كلاهما فى المناسك فى " سننيهما " .

والمحرش : بضم الميم وفتح الحاء المهملة وتشديد الراء وكسرها ثم شين معجمة ، هكذا حكاه البخارى ، وقيده ابن عبد البر عن أكثر أهل الحديث ، وكذلك قيده أبو نصر . ويحكى أنه : " مخرش " ، بكسر الميم وإسكان الخاء المعجمة وفتح الراء المهملة ثم شين، قاله الطبرى فى " القرى " . وذكر فى " الإصابة " كما فى " شرح المواهب " قولاً آخر ، وهو سكون الحاء المهملة وفتح الراء ، قال : وصوبه ابن السكن تبعاً لابن المدينى .

و الكعبى منسوب إلى: كعب بن عمرو ، بطن من خزاعة، كما فى " شرح المواهب" . وقد ورد حديثه بألفاظ مختلفة ، ففى لفظ رواه أحمد وسعيد بن منصور: « إن رسول الله ﷺ اعتمر من الجعرانة ليلاً ، فنظرت إلى ظهره

ﷺ خرج من الجعرانة ليلاً معتمراً فدخل مكة ليلاً فقضى عمرته ، ثم خرج من ليلته فأصبح بالجعرانة كبائت ، فلما زالت الشمس من الغد خرج فى بطن سرف حتى جاء مع الطريق طريق جمع ببطن سرف ، فمن أجل ذلك خفيت عمرته على الناس » .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب ، ولا نعرف لمحرش الكعبي عن النبي ﷺ غير هذا الحديث .

كأنه سبيكة فضة ، فاعتمر من ليلته ثم أصبح بها كبائت » . وفى لفظ الملا فى " سيرته " : « خرج رسول الله ﷺ من الجعرانة ليلاً وهو محرم حتى دخل مكة ليلاً ، ولم يزل يلبى حتى رآى البيت » . وفى رواية : « حتى استلم الركن ، ثم طاف بالبيت سبعاً ، ثم خرج يسعى على راحلته بين الصفا والمروة ، فلما انتهى إلى المروة فى آخر الأشواط حلق رأسه ثم عاد فخرج من ليلته فعاد إلى العسكر فى ليلته ثم راح إلى المدينة » . كذا فى " القرى " . وذكر نقلاً عن الواقدى : أن هذه العمرة كانت ليلة الأربعاء لإثنتى عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة ، ثم انصرف إلى الجعرانة من ليلته ثم سار منها يوم الخميس حتى خرج على سرف ، وكانت سنة ثمان بعد غزوة الفتح وغزوة حنين وهوازن .

والجعرانة : بكسر الجيم وإسكان العين المهملة ، وقد تكسر وتشدد الراء لغتان ، قال ابن المدينى : أهل المدينة يثقلون ، وأهل العراق يخففون ، وبالتخفيف قيده المتقنون . وقال الخطابى فى تصحيف المحدثين : إن هذا مما ثقلوه وهو مخفف ، قاله الطبرى فى " القرى " . وذكر البدر العينى : وإلى التخفيف ذهب الأصمعى ، وصوبه الخطابى . وهى ما بين الطائف ومكة ، وهى إلى مكة أقرب .

(باب ما جاء فى عمرة رجب)

حدثنا : أبو كريب نا يحيى بن آدم عن أبى بكر بن عياش عن الأعمش عن حبيب بن أبى ثابت عن عروة قال : « سئل ابن عمر : فى أى شهر اعتمر رسول الله ﷺ ؟ فقال : فى رجب. قال: فقالت عائشة: ما اعتمر رسول الله ﷺ إلا وهو معه - تعنى ابن عمر - وما اعتمر فى شهر رجب قط » .

و " سرف " بفتح السين المهملة وكسر الراء المهملة آخره فاء ، موضع على بعد عشرة أميال من مكة ، وقيل : سبعة ، وقيل : ستة . بها تزوج ﷺ ميمونة وبنى بها ، وبها توفيت رضى الله عنها .

قال الشيخ: ودخل رسول الله ﷺ عام فتح مكة بلا إحرام ، وهذا من خصائصه ﷺ ، ووقع فى الصحابة اختلاف فى عمرته من الجعرانة ، فيثبتها بعض وينفيها آخرون ، وذلك لوقوعها بالليل ، فقد خفى أمرها على كثير

قال الشيخ : قوله : « حتى جاء مع الطريق » ووقع فى بعض النسخ : « حتى جامع الطريق » ولعله تصحيف .

-: باب ما جاء فى عمرة رجب :-

أخرج فى الباب حديث ابن عمر ، واتفق الشيخان على تخريجه ، البخارى فى أبواب العمرة ومسلم فى الحج. ولفظ البخارى فيه تفصيل ، فقد أخرج من طريق منصور عن مجاهد قال : «دخلت أنا وعروة بن الزبير المسجد - أراد بها المسجد النبوى- فإذا عبد الله بن عمر جالس إلى حجرة عائشة ، وإذا أناس يصلون فى المسجد صلاة الضحى، قال: فسألناه عن صلاتهم ؟ فقال: بدعة ، ثم قال له: كم اعتمر النبى ﷺ ؟ قال : أربع ، إحداهن فى رجب ، فكرهنا أن نرد عليه .

قال أبو عيسى : هذا حديث غريب، سمعت محمداً يقول : حبيب بن أبي ثابت لم يسمع من عروة بن الزبير .

حدثنا : أحمد بن منيع نا الحسن بن موسى نا شيبان عن منصور عن مجاهد عن ابن عمر : « إن النبي ﷺ اعتمر أربعاً إحداهن فى رجب » .

قال أبو عيسى : هذا حديث غريب حسن صحيح .

قال : وسمعنا استنان عائشة أم المؤمنين فى الحجرة ، فقال عروة : يا أماه ! يا أم المؤمنين ! ألا تسمعين ما يقول أبو عبد الرحمن ؟ قالت : ما يقول ؟ قال : يقول : إن رسول الله ﷺ اعتمر أربع عمرات، إحداهن فى رجب، قالت : يرحم الله أبا عبد الرحمن ! ما اعتمر عمرة قط إلا وهو شاهد ، وما اعتمر فى رجب قط » . وفى رواية عطاء عن عروة عند مسلم : « وابن عمر يسمع ، فما قال : لا ، ولا : نعم ، سكت» . وسكوته دليل على أنه نسى، أو اشتبه عليه، أو شك ، كما يقوله النووى .

ثم إنه وقع إثبات أربع عمر له ﷺ فى حديث أنس رواه الشيخان ، وفيه: « اعتمر أربع عمر كلهن فى ذى القعدة إلا التى مع حجته الخ » .

قال شيخنا : ولفظ : " رجب" غير منصرف، كما يقوله التفتازانى: بأنى رأيت فى نسخة " أصول فخر الإسلام البزدوى " بخطه كلمة " رجب " منصوباً من غير تنوين ، فدل على عدم انصرافه . ثم قوله : " فى رجب قط" وقع هنا منصرفاً ، لأنه وقع نكرة ، وإذا نكر صرف .

قال الراقم : ولم أقف على مأخذه ومحل نقلــه فيما عندى من المراجع ، وعامــة من يذكرونه كأنه منصرف ، والله أعلم . ولم يتعرض إليه أبو على

(باب ما جاء في عمرة ذي القعدة)

حدثنا : العباس بن محمد الدوري ثنا اسحاق بن منصور السلولي الكوفي عن اسرائيل عن أبي اسحاق عن البراء: « إن النبي ﷺ اعتمر في ذي القعدة » .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح . وفي الباب عن ابن عباس .

الأصفهاني في كتاب " الأزمنة والأمكنة " ، ولعل أبا بكر الإسكافي تعرض إليه في كتابه "مبادئ اللغة العربية" كما أتذكر ، وليس عندي الآن .

فائدة : ذكر الطبري في " القرى" (ص — ٥٦٨) عن ابن عمر رضي الله عنهما : أنه كان يعتمر في رجب كل عام ، ويتبع في ذلك فعل عمر وعثمان، وكلاهما كان يعتمر في رجب، ويرونه شهراً حراماً من أوسط الشهور، وأحق أن يعتمر فيه لتعظيم حرمات الله . قال : أخرجه أبو ذر في منسكه . . . . وعن القاسم عن عائشة رضي الله عنها: «أنها تعتمر من المدينة في رجب وتهل من ذي الحليفة» . ذكره ابن الحاج وابن الصلاح في منسكيهما . قال ابن الصلاح : وروي الاعتمار في رجب عن جماعة من السلف اه .

—: باب ما جاء في عمرة ذي القعدة :—

أخرج في الباب حديث البراء ، وهو: ابن عازب ، وقد أخرجه البخاري في (باب كم اعتمر النبي ﷺ) ولفظه: « اعتمر رسول الله ﷺ في ذي القعدة قبل أن يحج مرتين» ، وقد تقدم في روايات أنس وعائشة : « أن العمر كلها ثلاث ما عدا التي مع حجته: عمرة الحديبية، وعمرة القضاء ، وعمرة الجعرانة » ، ولعل البراء جعل عمرتي الحديبية والقضاء واحدة ، أو خفي عليه عمرة الجعرانة كما خفي على غيره . وما أشار إليه الترمذي في الباب من حديث ابن عباس

(باب ما جاء في عمرة رمضان)

حدثنا : نصر بن علي نا أبو أحمد الزبيري ثنا اسرائيل عن أبي اسحاق عن الأسود بن يزيد عن ابن أم معقل عن أم معقل عن النبي ﷺ قال : «عمرة في رمضان تعدل حجة» .

فلعله ما يذكره المحب الطبري في " القرى" (ص ــ ٥٥٩) . وقد روى ابن حزم بسنده عن أبي داود إلى ابن عباس قال : « اعتمر رسول الله ﷺ أربع عمر : عمرة الحديبية ، والثانية حين تواطئوا على عمرة من قابل ، والثالثة من الجعرانة ، والرابعة التي قرن مع حجته » ، قال المباركفوري في " تحفته " : ولينظر من أخرجه، والله أعلم . وهذا الباب غير مذكور في "العرف الشذي" .

ــ: باب ما جاء في عمرة رمضان :ــ

أخرج في الباب حديث أم معقل ، وقد أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه ، وفي معناه حديث ابن عباس رواه الشيخان ، وما أشار إليه الترمذي في الباب أخرج كلها الحافظ البدر العيني في " العمدة " (٥ ــ ١٤) ما عدا حديث أبي هريرة ، وزاد على ما في الباب عدة أخرى ، وحديث أم معقل اختلف في إسناده كما ذكره البدر والشهاب فراجعها ، وما وقع في إسناد الترمذي عن ابن أم معقل فقد ذكره العيني وسماه ابن أبي معقل ، قال : اسمه: معقل ، كما صرح به ابن مندة في "كتاب الصحابة" ، وذكر أن معقل معدود في الصحابة من أهل المدينة ، وذكر أن أم معقل لم يدر اسمها، وهي أسدية ، من بني أسد بن خزيمة ، وقيل : أنصارية ، وقيل : أشجعية .

ولفظ حديث ابن عباس عند البخاري: « فإن عمرة في رمضان حجة » .

وفى الباب عن ابن عباس وجابر وأبى هريرة وأنس ووهب بن خنبش .
قال أبوعيسي : ويقال : هرم بن خنبش . قال بيان وجابر : عن الشعبي عن
وهب بن خنبش . وقال داود: عن الأودى عن الشعبي عن هرم بن خنبش ،
ووهب أصح .

أو نحواً مما قال . ولفظ مسلم : « فإن عمرة فيه تعدل حجـة » . وفى رواية
أخرى له : « فعمرة فى رمضان تقضى حجة أو حجة معى » . وكذا ورد فى
حديثه عند ابن حبان فى "صحيحه" : «عمرة فى رمضان تعدل حجة معى » ،
كما فى "الفتح" ، وذكره فى "العمدة" وليس فيها كلمة : "معى" . وكذا
وقعت كلمة: "معى" فى حديث ابن عباس فى "سنن أبى داود": «أنها تعدل
حجة معى » بالجزم .

ثم فى روايات البخارى ومسلم وأبى داود قصة فى الحديث، ويدل سياقها
على تعدد كما حققه المحب الطبرى فى "القرى" ثم البدر والشهاب . قال أبو بكر
المعافرى : وحديث العمرة فى رمضان حديث صحيح مليـح فضل من الله ونعمة
أدركت العمرة منزلة الحج معه ﷺ بانضمام رمضان إليها . وقال أبو الحسن
على بن خلف القرطبي قوله : "كحجة" يريد فى الثواب، والفضل لا يدرك
بقياس ، والله يؤتى فضله من يشاء : حكاهما الطبرى فى "القرى" .

وقال ابن خزيمة : إن الشئ يشبـه بالشئ ، ويجعل عدله إذا أشبهـه
فى بعض المعانى لا جميعها ، لأن العمرة لا يقضى بها فرض الحج ولا النذر .
وقال ابن العربى مثل ما قاله أبو بكر المعافرى ، وقال ابن الجوزى : فيه أن
ثواب العمل يزيد بزيادة شرف الوقت كما يزيد بحضور القلب وبخلوص القصد، حكى
القولين البدر العينى فى "العمدة" (٥ ــ ١٣) والحافظ فى "الفتح". وقال الحافظ فى

وحديث أم معقل حديث حسن غريب من هذا الوجـــه . وقال أحمد واسحاق : قد ثبت عن النبي ﷺ : « أن عمرة فى رمضان تعدل حجة » . قال " الفتح " (٣ — ٤٨٢) : فالحاصل أنه أعلمها أن العمرة فى رمضان تعدل الحجة فى الثواب، لا أنها تقوم مقامها فى إسقاط الفرض للإجماع على أن الإعتمار لا يجزئ عن حج الفرض . . . . وقال ابن التين: قوله : "كحجة" يحتمل أن يكون على بابـــه ، ويحتمل أن يكون لبركة رمضان ، ويحتمل أن يكون مخصوصاً بهذه المرأة . قال الحافظ : وقد قال به بعض المتقدمين ، أى سعيد ابن جبير ، والظاهر حمله على العموم اهـ مختصراً . وكلام الإمام ابن راهويه ذكره الترمذى .

قال الراقم : إن الله سبحانه خص رمضان بنزول القرآن ، وخصه بليلة القدر بنص القرآن ، وخصه بمضاعفة الفرض سبعين فرضاً فى غيره ، وخصه بجعل أجر النفل مثل أجر الفريضة فى غير رمضان بنص حديث أخرجه البيهقى فى " شعب الإيمان " من حديث سلمان ، وكذلك رواه ابن خزيمة فى " صحيحه " وابن حبان ، كما قاله المنذرى فى " الترغيب " إلى غير ذلك من مزايا رمضان التى وردت فى أحاديث صحاح، فكذلك إن خصه الله بهذه المزية بأن تكون عمرة فى رمضان تعدل حجة أو حجة معه ﷺ فلا غرو ولا بعد فى فضل الله سبحانه ، والله ذوالفضل العظيم .

قال الحافظ فى "الفتح" ما ملخصه: لم يعتمر النبى ﷺ إلا فى أشهر الحج، وقد ثبت فضل العمرة فى رمضان ، ولعل العمرة فى رمضان أفضل لغيره ﷺ ، وكان الأفضل فى حقه العمرة فى أشهر الحرم لاستيصال شأفة الجاهلية من منع العمرة فعلاً وقولاً . وذكر ابن القيم : أن عدم اعتماره فى رمضان لعل ذلك لأجل اشتغالـــه بما هو أهم من العمرة وخشى على الأمة من المشقة ، وقد كان

اسحاق : معنى هذا الحديث مثل ما روى عن النبى ﷺ أنه قال : « من قرأ " قل هو الله أحد " فقد قرأ ثلث القرآن » .

يترك العمل ، وهو يحب أن يعمله خشية الافتراض وخشية المشقة ، هذا ملخص ما قالاه .

قال الراقم - وبالله التوفيق - : إن جميع الأسئلة عنه ﷺ وجميع ما أرشده إليه ﷺ كانت فى السنة العاشرة عند حجة الوداع ، إما قبل الحج وإما بعده ، فالأسئلة متكررة والقضايا متعددة ، سواء كانت حديث أم معقل ، أو أم سليم ، أو أم الهيثم ، أو أم طلق أو طليق ، أو أم سنان الأنصارية ، أو امرأة مبهمة . وعلى الأقل أربع وقائع كما حققه المحب الطبرى ، ولم يثبت بيانه ﷺ قبل ذلك فى فضل عمرة فى رمضان . فلعل الله سبحانه تفضل بذلك فى حجه وأوحى إليه بهذه الفضيلة تسكيناً للقلوب التى تململت بحرمانها عن الحج معه ﷺ وشفاء لغليلها ، كما أخرج ابن حزم فى حجة الوداع الكبرى بسنده ، كما يقوله المحب الطبرى : قالت : « تهيأ رسول الله ﷺ لحجة الوداع وأمر الناس بالخروج معه وأصابتهم هذه القرحة : الجدرى أو الحصبة ، قالت : فدخل علينا ما شاء الله أن يدخل لمرض أبى معقل ومرضت معه ، فقال رسول الله ﷺ : أما إذا فاتتك هذه الحجة معنا يا أم معقل فاعتمرى عمرة فى رمضان فإنها تعدل حجة » ، فهذه وأمثالها من عاقه عن الحج معه وحبسه العذر نزل عليه ﷺ الوحى بهذه الفضيلة فى هذه السنة فى شأن هؤلاء أولاً خاصة ، ثم عم هذا الفضل الناس كافة ، وتوفى الله نبيه ﷺ قبل أن يأتى عليه رمضان فلم يعش ﷺ إلى عام قابل حتى يعتمر فى رمضان ، وجميع أعمال الأمة يكتب أجرها له ﷺ حيث

كان هو الباعث ، وهو الهادى، وهو الآمر ، وهو الداعى ، عليه صلوات الله وسلامه .

ثم كم أحاديث قولية فى الترغيب ولا يكون فيها حديث فعلى، أو يكون قليلاً جداً مثل صلاة التسبيح وصلاة الضحى ، وما إلى ذلك . وأرجو أن يكون هذا ألطف مما قاله الحافظان ابن القيم وابن حجر ، والله المستعان . ولو ثبت سماع هذا الحديث قبل حجة الوداع بسنين لكان لما قالاه وجه .

قال المحب الطبرى فى " القرى" (ص ـــ ٥٦٦) : وفى أحاديث هذا الفصل دليل على استحباب تكرار العمرة من وجهين: الأول: أن النكرة فى سياق التفضيل، الظاهر منها إرادة العموم، فإنك إذا قلت: "رجل من بنى تميم يعدل قبيلة من غيرها " لم يتبادر إلى الفهم إلا أن كل واحد منها كذلك ، فكذلك كل عمرة فى رمضان . الثانى: أن المراد بعمرة فى رمضان إما أن يقال : كل عمرة لكل أحد ، أوعمرة لكل أحد ، أوعمرة لواحد لا بعينه . والأول هو المطلوب، والثالث غير مراد بالاتفاق ، والثانى لازم للأول، فيتعدى الحكم .

بيان الملازمة: إن اتصاف الفعل بالفضل إنما نشأ من جهة الزمان لا محالة، فإذا ثبت لفعل لزم ثبوته لمثله وإن تكرر لقيام موجب الصفة ولعدم جواز تخلف الحكم عن مقتضيه ، ومن ادعى تخصيصها بعدم التكرار ، أو تخصيصها بالمخاطبة ، أو بميقات دون غيره ، أو معارضاً ، فعليه البيان اهـ . وقد أسلفنا بيان المذاهب فى تكرار العمرة ، فأجازها أبو حنيفة والشافعى ، وكرهه مالك إلا مرة فى سنة ، وأحمد فى أقل من شهر. وهذا الباب لم يذكره فى " العرف الشذى " .

(باب ما جاء فى الذى يهل بالحج فيكسر أو يعرج)

حدثنا : اسحاق بن منصور نا روح بن عبادة نا حجاج الصواف نا يحيى ابن أبى كثير عن عكرمة قال : حدثنى الحجاج بن عمرو قال : قال رسول الله

ـ: باب ما جاء فى الذى يهل بالحج فيكسر أو يعرج :ـ

أخرج فى الباب حديث الحجاج بن عمرو ، وقد أخرجه أبو داود فى " سننه " فى (باب الإحصار) ، وابن ماجه فى (باب المحصر) . وكلمة : " فيكسر" مجهول من الكسر، و " يعرج" معلوم من العرج فى ترجمة الباب ، وكذلك وقع فى متن الحديث : "كسر" مجهولاً و " عرج " معلوماً . وعرج هنا من باب " سمع" : من كان أعرج ، وله أبواب ثلاثة ، ويختلف معانيه باختلاف الأبواب . قال الجوهرى فى " الصحاح " : عرج فى الدرجة والسلم يعرج عروجاً : إذا ارتقى ـ وبابه نصر ـ . وعرج أيضاً : إذا أصابه شئ فى رجله فخمع ومشى مشية العرجان وليس بخلقة ـ أى بابه ضرب ـ ، فإذا كان خلقة قلت : عرج ـ بالكسر ـ فهو أعرج بين العرج من قوم عرج وعرجان ـ بالضم فيهما ـ يريد بابه سمع ، وحكى فى " القاموس " من باب نصر أيضاً فى المعنى الثانى، أى مشية العرجان ، وقال : أو يثلث فى غير الخلقة .

واختلف الأئمة فى مسألة الباب فى موضعين : معنى الإحصار، وحكم الإحصار . فالمشهور عن أكثر أهل اللغة ـ منهم : الأخفش والكسائى والفراء وأبو عبيدة وأبو عبيد وابن السكيت وثعلب وابن قتيبة وأبو اسحاق وغيرهم ـ: أن الإحصار إنما يكون بالمرض ، وأما بالعدو فهو الحصر . وبهذا قطع النحاس كما فى " الفتح" بزيادة . وقيل : الحصر والإحصار واحد ، وإليه ذهب ابن القوطية وابن القطاع وأبو عمرو الشيبانى والأزهرى كما فى " التاج" بتلخيص ،

ﷺ : « من كسر أو عرج فقد حل ، وعليه حجة أخرى » ، فذكرت ذلك لأبي هريرة وابن عباس فقالا : صدق .

فيكون بمرض أو عدو ، وقيل بعكس الأول ، وإليه ذهب الشافعي ، وعليه ظاهر القرآن حيث سمى الله صد العدو إحصاراً . وفي " الصحاح " للجوهري : قال ابن السكيت : أحصره المرض : إذا منعه من السفر ، أو من حاجة يريدها ، قال الله تعالى : (فإن أحصرتم ○) ، قال : وقد حصره العدو يحصرونه : إذا ضيقوا عليه وأحاطوا به ، وحاصره محاصرة وحصاراً اهـ ، فهذا من جهة اللغة . وأما من جهة الفقه ، فقال أبو حنيفة وأبو يوسف ومحمد وزفر والثوري : يتحقق حكم الإحصار والحصر بأي حابس من مرض وكسر وعرج وعدو وذهاب نفقة ونحوها ، وإليه ذهب ابن مسعود وزيد بن ثابت وابن عباس وابن الزبير وعلقمة وسعيد بن المسيب وعروة ومجاهد والنخعي وعطاء ومقاتل بن حيان . وقال مالك والشافعي وأحمد وإسحاق : لا يكون الإحصار إلا بالعدو ، ولا يكون بالمرض ، وإليه ذهب الليث ، وهو قول عبد الله بن عمر . وهذا ملخص ما ذكره العيني في " العمدة " (٥ — ٣٨ و ٣٩) .

ويقول الحافظ المحقق المارديني في " الجوهر النقي " (١ — ٣٥٨) : وأكثر أهل اللغة على أن الإحصار بالمرض ، والحصر بالعدو ، فوجب استعمال اللفظ في حقيقته ، وهو المرض ، ويدخل فيه العدو بالمعنى ، ولما كان سبب نزول الآية العدو وعدل عن لفظ " الحصر " المختص بالعدو إلى " الإحصار " المختص بالمرض دل على أنه أريد باللفظ ظاهره وهو المرض ، ولما حل عليه السلام وأمر به أصحابه دل على أن الحصر من حيث المعنى كذلك ، وأيضاً لما أجاز الإحلال بالعدو لتعذر الوصول إلى البيت وذلك المعنى موجود في المرض ساواه في حكمه ، ولهذا لو حبس في دين أو غيره فتعذر وصوله كان كالمحصر ،

حدثنا : اسحاق بن منصور نا محمد بن عبد الله الأنصارى عن الحجاج مثله ، قال : وسمعت رسول الله ﷺ يقول .

ولو منعها من حج التطوع بعد الإحرام جاز لها الإحلال انتهى كلامه ، وهو كلام كله فقه وتحقيق ، وهو مأخوذ من كلام الإمام أبى بكر الرازى الجصاص فى " أحكام القرآن " ، فيقول : ولما ثبت بما قدمته من قول أهل اللغة أن اسم " الإحصار " يختص بالمرض ، وقال الله تعالى : (فإن أحصرتم فما استيسر من الهدى ۝) وجب أن يكون اللفظ مستعملاً فيما هو حقيقة فيه ، وهو المرض ، ويكون العدو داخلاً فيه بالمعنى ، ثم ذكر عن الفراء : أن الإحصار فيهما ، فقال : لو صح لكان عموماً فيهما موجباً للحكم فى المريض والمحصور بالعدو جميعاً .

ثم ذكر ما خلاصته : إن نزول الآيـة وإن كان فى شأن الحديبيـة حين كان ﷺ وأصحابه ممنوعين بالعدو ، ولكن مع هذا عدل الله سبحانه عن اللفظ المختص بالعدو ، وهو الحصر إلى الإحصار المختص بالمرض ، وذلك لأجل إفادة الحكم فى المرض استعمالاً للفظ على ظاهره ، وأمرهم بالإحلال وأحل هو إرادة لحصر العدو من طريق المعنى لا من جهة اللفظ ، فكان النزول مفيداً للحكم فى الأمـرين ، وإلا كان التعبير وقع بلفظ مختص وهو " الحصر " ، ولو ثبت أن الإحصار للمعنيين لم يكن نزولها على سبب موجباً للاقتصار عليه ، بل الواجب فى مثله اعتبار عموم اللفظ دون السبب ، ثم ذكر ما يدل عليه من السنة بإسناده حديث الحجاج بن عمرو الأنصارى ، وقال : معنى قوله : " فقد حل " فى الحديث فقد جاز له أن يحل ، كما يقال : حلت المرأة للزوج ، يعنى جاز لها أن تتزوج اهـ .

والغرض أن الله سبحانه بين الحكم فى الصورتين معاً ، فى صورة المرض

قال أبوعيسى : هذا حديث حسن، وهكذا رواه غير واحد عن الحجاج الصواف نحو هذا الحديث .

وروى معمر ومعاوية بن سلام هذا الحديث عن يحيي بن أبي كثير عن عكرمة عن عبد الله بن رافع عن الحجاج بن عمرو عن النبي ﷺ هذا الحديث،

باللفظ ، وفى العدو بالواقعة ، فاشتملت الآية الكريمة على حكم نوعى الحصر والإحصار جميعاً . ثم الواقعة كانت مشاهدة محسوسة وحقيقة ملموسة ، واقعة تاريخية عظيمة كبرى مشهودة بالأبصار ما كان لها أن تنسى وتذهل ، وكان دلالـة اللفظ يمكن أن ينكر عنها لأجل شأن النزول فى المرض وكل حابس ، فبينه النبي ﷺ بقوله فى حديث الحجاج بن عمرو وغيره امتثالاً لقوله تعالى : (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ○) .

ويقول الإمام أبوجعفر ابن جرير الطبرى فى " تفسيره" الذى لا عديل له ولا مثيل بعد تفصيل طويل : وأولى التأويلين بالصواب فى قوله تعالى : (فإن أحصرتم) تأويل من تأوله بمعنى : فإن أحصركم خوف عدو أو مرض أو علة عن الوصول إلى البيت أى صيركم خوفكم أو مرضكم تحصرون أنفسكم فتحبسونها عن النفوذ لما أوجبتموه على أنفسكم من عمل الحج والعمرة ، فلذا قيل : أحصرتم إلى آخر ما قال فراجعه . ويقول الراقم : أى بعد فى أن يكون الحبس بالعدو، والوحى ينزل بلفظ يدل على المرض اشتراكاً فى العلة لكى يتبين الحكم فى كل صورة ، وقد بينه ﷺ ، فيكون قوله بياناً للقرآن العظيم ، فخذ البحث محرراً وكن من الشاكرين .

وحديث الباب حجة لأبى حنيفة فى تعميم حكم الإحصار للعدو والمرض وكل حابس . قال شيخنا : وإليه ذهب البخارى . وحجـــة الآخرين حديث

وحجاج الصواف لم يذكر فى حديثه عبد الله بن رافع ، وحجاج ثقة حافظ عند أهل الحديث ، وسمعت محمداً يقول : رواية معمر ومعاوية بن سلام أصح .

حدثنا : عبد بن حميد نا عبد الرزاق نا معمر عن يحيى بن أبى كثير عن عكرمة عن عبد الله بن رافع عن الحجاج بن عمرو عن النبى ﷺ نحوه .

ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب، والزبير هذا عم رسول الله ﷺ . والحديث وإن أخرجه البخارى غير أنه لم يخرجه فى الحج ، وسيأتى ما يتعلق به فى الباب اللاحق .

وأما الاختلاف فى حكم الإحصار، فقال ابن مسعود وابن عباس : يبعث دماً ويحل به إذا نحر فى الحرم ، وهو قول أبى حنيفة ومحمد ، أى يبعث الهدى إلى الحرم ويعين وقتاً بمن يبعث على يديه للنحر والذبح ، فيحل فى ذلك الوقت ويخرج عن الإحرام ويقضى من قابل ، إن حجاً فحج ، وإن عمرةً فعمرة . والقول بوجوب القضاء قول النخعى ومجاهد والشعبى وعكرمة ، كما يقوله الخطابى، وإن لم يتمكن من إرسال الهدى فلا يمكن له الخروج من الإحرام ، وسواء فى ذلك العدو والمرض ، وليس عليه أن يحلق، لأنه قد ذهب عنه النسك كله . وقال أبو يوسف : يحلق ، وإن لم يحلق فلا شئ عليه . وقال مالك والشافعى وأحمد : إذا كان الحصر بعدو فإنه ينحر هديه حيث حصر ويتحلل، أى يحلق أو يقصر، مثل الحاج والمعتمر وينصرف ولا قضاء عليه ، وأما الحصر بالمرض فلا يحله إلا الطواف بالبيت إلا أن يشترط عند الإحرام ، كما يأتى فى الباب الذى بعده .

وقد أجمعوا على أن المحصر بمرض أو ما أشبهه عليه القضاء ، هذا ملخص ما قاله فى " العمدة " من غرر النقول من الطحاوى والجصاص وابن عبد البر

(باب ما جاء في الاشتراط في الحج)

حدثنا : زياد بن أيوب البغدادى نا عباد بن العوام عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس : « إن ضباعة بنت الزبير أتت النبى ﷺ فقالت :

و " قواعد ابن رشد " ، ومن شاء بقية الخلافيات وبعض التفاصيل والأدلة بقول ملخص فليراجع " بدايـة المجتهد " لابن رشد ، و" التفسير المظهرى " للشيخ ثناء الله الفانى فتى (١ — ٢٢٤) فقد أجادا وأفادا رحمهما الله تعالى رحمةً واسعةً ، ويضيق نطاق هذا الشرح عن أمثال هذه الأحكام الخلافية ، وقد توسع النووى فى "شرح المهذب" فى الجزء التاسع من تفصيل جزئيات مذهبه فراجعه .

—: باب ما جاء فى الاشتراط فى الحج :—

أخرج فى الباب حديث ابن عباس فى قصة ضباعـة بنت الزبير بن عبد المطلب بن هاشم ، والحديث أخرجه الشيخان من حديث عائشة ، البخارى أخرجه فى النكاح فى (باب الأكفاء) بكلمة فى روايته ، وهى قوله: « وكانت تحت المقداد بن الأسود » ، وقد خفى على كثير محله فى الصحيح لإخراجه فى غير محله المعروف عند القوم ، فأنكروه وادعوا أنه ليس متفقاً عليه ، كالشيخ أحمد شاكر والشيخ العثمانى صاحب " إعلاء السنن" وغيرهما . وأخرجه مسلم فى الحج من حديث عائشة مثل البخارى ، ومن حديث ابن عباس مثل الترمذى ، وأخرجه ابن خزيمة من حديث ضباعة نفسها ، كما فى " التلخيص الحبير " .

وحكم هذا الباب فقهاً كما تعرض إليه الإمام الترمذى من نقل خلاف فيه . فاختلفوا فى هذا الاشتراط ، فأجازه عمر وعثمان وعلى وابن مسعود وعمار وابن عباس وسعيد بن المسيب وعروة وعطاء وعلقمة وشريح ، وهو الأظهر

يا رسول الله ! إنى أريد الحج، أفأشترط ؟ قال : نعم ، قالت: كيف أقول ؟ قال : قولى : « لبيك اللهم لبيك ، محلى من الأرض حيث تحبسنى » .

عند الشافعى ، وهو قول أحمد واسحاق . وقال آخرون : لا عبرة به ولا حاجة له ، روى ذلك عن ابن عمـــر وعائشة ، وهو قول النخعى والحكم وطاؤس وسعيد بن جبير ، وهو مذهب أبى حنيفة ومالك وسفيان الثورى قالوا: لا ينفعه اشتراط ويمضى على إحرامه حتى يتم، كذا فى "العمدة" مختصراً (٩ ــ ٣٧٦) . وزاد ابن قدامة فى " المغنى " قول الزهرى أيضاً مع هذه الطائفـــة الأخيرة . وفى " العمدة " (٥ ــ ٤٥) بعد تفصيل المذاهب: قلت : حكى الخطابى ثم الرؤيانى من الشافعية الخصوص بضباعة اهـ .

ويذكر النووى فى "شرح المهذب" (٨ ــ ٣١٠) ما يظهر منه أن الشافعى فى كتاب المناسك نصه الجديد: عدم القول بصحة الاشتراط ، وإنه لا يتحلل ، ولكن البيهقى ومن بعده يلزمون إمامهم قولهم بالاشتراط، وابن عمر روايته فى " الصحيح " صريحة فى عدم الاشتراط ، ولفظه : « إنه كان ينكر الاشتراط فى الحج، ويقول: أليس حسبكم سنة رسول الله ﷺ ؟ » رواه الشيخان . ويقول البيهقى : عندى أن ابن عمر لو بلغه حديث ضباعة فى الاشتراط لم ينكره كما لم ينكره أبوه . وحاصله : أن السنة مقدمة عليه اهـ .

أقول : هذه جرأة، فيحتمل أن يكون عند ابنه علم برأى أبيه من توجيه لرأيه، فيكون كتطييب لخاطرها وإزاحة لما كان يختلج فى صدرها من العوائق ، ولا شك أن المتبادر أن يكون الإبن أعلم على قول أبيـــه من البيهقى وغيره ، وربما يكون له محملاً لقول عمر لم يقف عليه البيهقى . وعلى كل حال لو كان عند

وفى الباب عن جابر وأسماء وعائشة . قال أبوعيسى : حديث ابن عباس حديث حسن صحيح ، والعمل على هذا عند بعض أهل العلم : يرون الاشتراط

ابن عمر السنة فى جهة وفى أخرى سنة أبيه لا بد أن يقدم سنة الرسول عليه صلوات الله وسلامه على سنة أبيه رضى الله تعالى عنهما ، وتنقيح مذاهب الصحابة فى غاية الدقة ، وشغف ابن عمر فى اقتداء سنته معروف لاينكر حتى كان يتبع رسول الله ﷺ فى عاداته فضلاً عن عباداته . ثم ينقل ابن قدامة فى " المغنى " عن أبى حنيفة : إن الاشتراط يفيد سقوط الدم ؛ وأما التحلل فهو ثابت عنده بكل إحصار . وعلى هذه الرواية الاشتراط نافع عند أبى حنيفة ولم يكن لغواً ، مع ما فيه من تطييب خاطرها بالدعاء بالعون والاعتراف بالعجز مع بذل الجهد فى بلوغ الغرض من إتمام العبادة لما يخاف من عوائق المرض ، تريد إنى يا رب خارجة رجاء عونك على البلوغ إلى قضاء نسكى ، فإن حبستنى دون ذلك فإنى إنما أمسك عن التمادى ، حيث حبستنى وسلبت قوتى على قضاء نسكى ، كما يقوله القاضى أبو الوليد الباجى فى " المنتقى " .

قال شيخنا رحمه الله : وافقنا الإمام البخارى فى مسألة الاشتراط حيث لم يخرجه فى بابه ، وإنما أخرجه فى النكاح ، ومن آدابه وعاداته فى التراجم والأبواب : أنه لا يعقد ترجمة ولا باباً إذا لم يذهب إليه ، ونظير ذلك أنه أخرج حديث الركعتين بعد الوتر جالساً ولم يبوب عليه ترجمة ، ولم يخرجه فى أبواب الوتر وإنما أخرجه فى السنة قبل الفجر ، وهذا شئ يحتاج إلى تنبيه اهـ .

قال الراقم : وحكاه البدر العينى فى " العمدة " (٩ ــ ٣٧٦) عن ابن المرابط ، فقال : وزعم ابن المرابط أن عدم ذكر البخارى هذا الحديث فى كتاب الحج دلالة على أن الاشتراط عنده لا يصح اهـ . ثم نظر فيه العينى ، ولعل ذلك

في الحج، ويقولون: إن اشترط فعرض له عرض أو عذر فله أن يحل ويخرج من إحرامــه ، وهو قول الشافعي وأحمد واسحاق ، ولم ير بعض أهل العلم

أن هذه العادة ليست مطردة ، وإن كانت أكثرية ، كما يذكره شيخنا العثماني في " فتح الملهم " (٣ ـــ ٢٤٦) .

وحكى شيخنا العثماني كلاماً لشيخه المحمود ما صفوته ولبابه : إن معنى عدم الاشتراط عند أبي حنيفة هو عدم تأثيره في التحلل وعدم الحاجة إليه ، لا أنه فعل عبث ، ففيه من فائدة عظيمة .

أما أولاً : فهو تسكين لقلبها حيث كانت مريضة وجعة تخاف من عدم إتمام الحج، فلو اتفق لها المانع مفاجأة لكان أشق عليــه وأفجع لها ، كما كان التحلل في الحديبية شق عليهم ، وكما شق عليهم فسخ الحج إلى العمرة .

وأما ثانياً : فإذا اشترطت ولاحظت عذرها والتحلل بسهولـة عند طروء العارض بمرض أو غيره كان نفوذها في العمل أهون وأيسر ، ويكون قلبها مطمئناً بأن المخاص لها موجود عند ظهور العوارض هان عليه الخطب وزال القلق ، انتهى ملخصاً بتعبيري وتحريري .

وبالجملة مذهب أبي حنيفة ومالك والثوري أئمـــة عصر واحد وفقهاء أمة : ذهبوا إلى عدم الاشتراط ، وهو قول الشافعي الجديد ، وعليــه مثل الخطابي والروياني من أئمة الشافعية بحمل حديث ضباعة على الاختصاص . وتعليل مذاهب الصحابة والتابعين في الاشتراط غير مقطوع ، ويحتمل محامل مختلفة ، ونص التنزيل العزيز وكذا حديث الحجاج بن عمرو الأنصاري نص مطلق تحوى قاعدة عامة خرجت مخرج التشريع العام، والوقائع الجزئية لا عبرة بها أمام القواعد الكلية العامة حيث تحتمل محامل من الخصوصية ، أو فائدة جزئية ، والله أعلم .

الاشتراط فى الحج، وقالوا : إن اشترط فليس لــه أن يخرج من إحرامه ، ويرونه كمن لم يشترط .

(باب منه)

حدثنا : أحمد بن منيع نا عبد الله بن المبارك أخبرنى معمر عن الزهرى

ثم أقول : ولما ضاق الأمر عند الشافعية والحنابلة عند عروض المرض للمحرم ولم يكن له سبيل غير انتظار البرأ والشفاء وإتمام ما أحرم له اضطروا إلى القول بالاشتراط، حيث وجدوا مساغاً لرفع تلك الكلفة ، فسروا بحديث ضباعة الهاشمية وانشرحوا له ، حيث وجدوا شفاءً للداء ودواءً للمرض والشقاء ، فقالوا به ، ومع ذلك جعلوه جائزاً كالشافعية ، أو مندوباً كالحنابلة ، لا واجباً كالظاهرية . وكان أبو حنيفة والثورى ومالك لما قالوا بتحقيق الحصر بالمرض ورأوا عذراً للتحلل مثل العدو سواءً بسواء استغنوا عن مثل حديث صباعة الهاشمية الذى يحتمل الخصوصية ، أو تطيبياً لخاطرها وجبراً لفؤادها وسداداً لثلمة اضطرابها ، فخذ هذا راضياً ومرضياً ، وكن من الشاكرين .

ولنعم ما قال شيخنا رحمه الله :

فإن شئته فادع الخير والخير للذى • هداك وأهدى من حديث المسائل

وما هى إلا ذكرة ثم فكرة • تمثل شيئاً من حديث الأماثل

ومــا هى إلا عبرة ثم عبرة • تجدد عهــداً بالديار المواثل

فإن جئت مرضاة وإلا فإنهــا • بذى تسلم الحسنى لـديك فجامل

ــ: باب منه :ــ

أخرج فى الباب حديث ابن عمر ، وقد أخرجــه البخارى ، وهو من

عن سالم عن أبيه : « أنه كان ينكر الاشتراط في الحج ويقول : أليس حسبكم سنة نبيكم ؟ » .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

(باب ما جاء في المرأة تحيض بعد الافاضة)

أفراده ، وفيه زيادة : « إن حبس أحدكم عن الحج طاف بالبيت وبالصفا والمروة ، ثم حل من كل شئ حتى يحج عاماً قابلاً فيهدى أو يصوم إن لم يجد هدياً » .

قوله : أليس حسبكم سنة نبيكم ؟ . يريد : أليس يكفيكم سنة رسول الله ﷺ ، ومعنى " الحسب" : الكفاية ، و" حسبكم " مرفوع ، لأنه اسم ليس ، و" سنة نبيكم ﷺ " منصوب على أنه خبر ليس ، وهذا التركيب متعين في رواية الترمذي . وأما في رواية البخاري فيمكن أن يقال : أن يكون الخبر " طاف بالبيت " ، و" سنة " منصوب على الاختصاص ، كما يقوله القاضي عياض ، أو على إضمار فعل أي : " تمسكوا " ، كما يقوله السهيلي، كما حكى ذلك الحافظان البدر والشهاب . والغرض من كلام ابن عمر إنكاره من الاشتراط ، ووقع التصريح به في رواية النسائي أنه قال : ينكر الاشتراط في الحج، ويقول : أما حسبكم سنة نبيكم أنه لم يشترط ، وهكذا رواه الدارقطني كما حكاه البدر العيني ، وقد تقدم آنفاً في الباب الذي قبله البحث عن مسألة الاشتراط وتفصيل المذاهب . وهذا الباب غير مذكور في " العرف الشذي " .

—: باب ما جاء في المرأة تحيض بعد الإفاضة :—

أخرج في الباب حديث عائشة ، وقد اتفق على تخريجه الشيخان في الحج

حدثنا : قتيبة نا الليث عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة قالت : « ذكر لرسول الله ﷺ أن صفية بنت حيي حاضت في أيام منى ، فقال : أحابستنا هي ؟ قالوا : إنها قد أفاضت ، فقال رسول الله ﷺ : فلا إذن » .

والبخارى فى عدة أبواب بألفاظ مختلفة ، وأخرج حديث ابن عمر ، وقد تفرد به الترمذى من بين الستة .

قوله : إن صفية بنت حيي . " صفية " : بفتح الصاد المهملة وتشديد الياء آخر الحروف . و " حيي " : بضم الحاء المهملة وبالياءين الأول مفتوحة مخففة ، والثانية مشددة ، وهو : ابن أخطب النضرية من ذرية هارون أخى موسى عليهما السلام ، سباها النبى ﷺ عام فتح خيبر ثم أعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها ، روى البخارى لها عشرة أحاديث ، ماتت فى خلافة معاوية سنة ستين ، وقيل : فى خلافة على سنة ست وثلاثين ، كما فى " العمدة " (٢ — ١٤٥) .

قوله : أحابستنا ؟ . الهمزة للاستفهام ، أى مانعتنا من التوجه من مكة إلى المدينة فى وقت أردناه ظناً منه ﷺ أنها ما طافت طواف الإفاضة .

قوله : إنها قد أفاضت ، أى طافت طواف الإفاضة ، ويسمى : "طواف الركن " و " طواف الفرض " و " طواف الزيارة " .

قوله : فلا إذن ، معناه : فلا تحبسنا حينئذ لأنها أدت الفرض الذى هو كن الحج .

دل الحديث على أن طواف الوداع يسقط بعذر الطمث ، وهذا قول عامة أهل العلم ، وعامة الفقهاء بالأمصار : ليس على الحائض التى قد أفاضت طواف

وفى الباب عن ابن عمر وابن عباس . قال أبو عيسى : حديث عائشة حسن صحيح . والعمل على هذا عند أهل العلم ، أن المرأة إذا طافت طواف الإفاضة ثم حاضت فإنها تنفر وليس عليها شئ ، وهو قول الثورى والشافعى وأحمد واسحاق .

وداع ، خلافاً لطائفة من الصحابة ، وهو قول عمر وابن عمر وزيد بن ثابت ، كما قاله ابن المنذر ، وقال : وقد ثبت رجوع ابن عمر وزيد بن ثابت عن ذلك وبقى عمر ، وقد روى ابن أبى شيبة من طريق القاسم بن محمد : «كان الصحابة يقولون : إذا أفاضت المرأة قبل أن تحيض فقد فرغت ، إلا عمر رضى الله عنه فإنه كان يقول : آخر عهدها بالبيت » ، ويؤيده حديث عند أحمد وأبى داود والترمذى والنسائى والطحاوى من حديث الحارث بن عبد الله الثقفى . وقال الطحاوى : إنه نسخ بحديث عائشة وبحديث ابن عباس وبحديث أم سليم . ولا شك أن طواف الوداع واجب يجب بتركه دم ، وهو قول أكثر العلماء ، وإليه ذهب أبو حنيفة والشافعى وأحمد . وقال مالك: هو سنة لا شئ فى تركه، واختاره ابن المنذر وداود ، ولكنه يسقط بعذر الحيض والنفاس ، ولا يجب دم عند أحد . هذا ملخص "العمدة" (٤ ــ ٧٧٦) و" الفتح" (٣ ــ ٤٦٧) .

ويقول الخطابى فى "معالم السنن" (٢ ــ ٢١٦) فى توجيه قول الفاروق: وهذا على سبيل الاختيار فى الحائض إذا كان فى الزمان نفس وفى الوقت مهلة ، فأما إذا أعجلها السير كان لها أن تنفر من غير وداع بدليل خبر صفية . وممن قال : أنه لا وداع على الحائض : مالك والأوزاعى والشافعى وأحمد واسحاق ، وهو قول أصحاب الرأى، وكذلك قال سفيان اهـ . وراجع لبقية مباحث الحديث واختلافات الألفاظ " الفتح" و" العمدة " .

وبالجملة المرأة إذا طافت طواف الإفاضة ثم حاضت فلا عليها أن لا تقيم للوداع ، وأما إذا لم تطف طواف الإفاضة فلا بد أن تنتظر للفراغ من طمثها

حدثنا : أبو عمار نا عيسى بن يونس عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال : « من حج البيت فليكن آخر عهده بالبيت إلا الحيض ، ورخص لهن رسول الله ﷺ » .

قال أبو عيسى : حديث ابن عمر حديث حسن صحيح . والعمل على هذا عند أهل العلم .

إلى أن تطهر فتطوف للإفاضة فإنها ركن وفريضة . قال شيخنا : وقد أفتى الحافظ ابن تيميـــة للمرأة التي لا تستطيع البقاء بعد الحج ولم تطف للإفاضة : بأنها تطوف طواف الإفاضة في حال طمثها وتهرق الدم وتحلل على مذهب أبي حنيفة .

قال الراقم : ولعل الشيخ يريد ما ذكره في " الفتاوى " ، وهي في الطبعة الجديدة الملكية في الجزء السادس والعشرين (ص ـــ ٢٢٥) . فذكر أولاً ما خلاصته : إن من حاضت قبل طواف الإفاضة فعليها أن تحتبس حتى تطهر وتطوف إذا أمكن ذلك ، هذا إذا كانت الطرق آمنة والبقاء متيسر من جهة الأمير والقافلة . ثم ذكر : وأما هذه الأوقات فكثير من النساء لا يمكن لهن الاحتباس لوجوه ، فهذه المسألة عمت بها البلوى ، فهذه تطوف وهي حائض وتجبر بدم أو بدنة على مذهب أبي حنيفة وأحمد في إحدى الروايتين عنه إلى آخر ما قال .

قال الراقم : والمسألة مذكورة في " المغني " لابن قدامة (٣ ـــ ٣٧٧) فقال : إن الطهارة من الحدث والنجاسة والستارة شرائط لصحة الطواف في المشهور عن أحمـــد ، وهو قول مالك والشافعي ، وعن أحمد : إن الطهارة ليست شرطاً ، فمتى طاف للزيارة غير متطهر أعاد ما كان بمكة ، فإن خرج

(باب ما جاء ما تقضى الحائض من المناسك)

حدثنا : على بن حجر نا شريك عن جابر ـ وهو ابن يزيد الجعفى ـ عن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه عن عائشة قالت : « حضت فأمرنى النبى ﷺ أن أقضى المناسك كلها إلا الطواف بالبيت » .

إلى بلده جبره بدم . . . . وقال أبو حنيفة : ليس شئ من ذلك شرطاً اهـ . قال فى " البدائع " (٢ ــ ١٢٩) : فأما الطهارة عن الحدث والجنابة والحيض والنفاس فليست بشرط لجواز الطواف ، وليست بفرض عندنا بل واجبة حتى يجوز الطواف بدونها . ثم أطال فى الاستدلال ، وبعد تفصيل فى التدليل قال : إن كان محدثاً فعليه شاة ، وإن كان جنباً فعليه بدنة ، إلى آخر ما قال . وذكر فى " الهداية " ومتنها وجوب الصدقة إذا طاف للقدوم أو للوداع محدثاً ، وتجب شاة إذا طاف للزيارة محدثاً ، وبدنة إذا كان جنباً . أقول : وفى حكم الجنب الحائض والنفساء . وتعرض إليه فى " العمدة " (٤ ــ ٥٤٦) و (٢ ــ ٨١) .

ــ : باب ما جاء ما تقضى الحائض من المناسك :ــ

أخرج فى الباب حديث عائشة وحديث ابن عباس ، وحديث عائشة اتفق عليه البخارى فى كتاب الحيض ومسلم فى الحج ، البخارى فى (باب تقضى الحائض المناسك كلها) ، وفى (باب الأمر بالنفساء إذا نفسن) وغيرهما . وحديث ابن عباس تفرد به الترمذى من بين أرباب الصحاح الستة .

ومسألة الباب متفق عليها فى الأمة . قال ابن بطال : العلماء مجمعون على أن الحائض تشهد المناسك كلها غير الطواف بالبيت . وقال المهلب : إنما منعت

قال أبو عيسى : والعمل على هذا الحديث عند أهل العلم : أن الحائض تقضي المناسك كلها ما خلا الطواف بالبيت . وقد روى هذا الحديث عن عائشة من غير هذا الوجه أيضاً .

الحائض من الطواف على غير طهارة تنزيهاً للمسجد عن النجاسات، ولأمره ﷺ الحيض في العيدين بالاعتزال ، حكاه في " العمدة " (٤ ـ ٦٦٢) . وروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح عن ابن عمر قال : « تقضي المناسك كلها إلا الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة » ، ولم يذكر ابن المنذر عن أحد من السلف اشتراط الطهارة للسعي إلا عن الحسن البصري . وحكى المجد ابن تيمية من الحنابلة رواية عندهم مثله ، حكاه الحافظ في " الفتح" (٣ ـ ٤٠٣) .

وبالجملة المسألة كذلك عند الإمام أبي حنيفة مثل الجمهور ، نعم الفرق بينه وبين الجمهور: أن الطهارة شرط وفرض عندهم، وواجب مطلوب عنده كما تقدم بيانه ، وما اعترضه النووي بتفرد أبي حنيفة به فرده الحافظ بأن الحكم وحماداً (ابن أبي سليمان) ومنصوراً وسليمان وافقوا أبا حنيفة كما حكى عنهم ابن أبي شيبة ، وعند أحمد رواية مثل أبي حنيفة واجبة تجبر بالدم ، وكذا عند المالكية قول يوافق ، كما في " الفتح " (٣ ـ ٤٠٤) . ثم السعي لها أن تسعى بين الصفا والمروة في حالة الحيض، ولكن السعي مسبوق بالطواف، فإذا لم تطف لم تسع ، لا لأجل اشتراط الطهارة للسعي بل لعدم سبق الطواف . نعم إذا حاضت بعد ما طافت أو طافت أربعة أشواط فإن للأكثر حكم الكل كما في " البدائع " وغيره ، فلها أن تسعى مثل قضاء بقية المناسك كلها . وكذلك تحرم عند الحيض ، ويسن لها الاغتسال للنظافة لا للطهارة ، وهذا متفق عليه بين الأئمة .

قال شيخنا رحمه الله : وما ذكره شارح " الوقاية " من تعليل منع الحائض

حدثنا : زياد بن أيوب نا مروان بن شجاع الجزرى عن خصيف عن عكرمة ومجاهد وعطاء عن ابن عباس رفع الحديث إلى النبى ﷺ : « أن

عن الطواف بقوله : " فإنه فى المسجد ولايجوز للحائض دخوله اهـ " فغير صحيح ، فإن المؤثر فى منع الطواف هو فقدان الطهارة ، والطهارة من واجبات الطواف ، ولا تأثير فيه للمسجد .

قال الراقم : ومثله يقول الشيخ ابن الهمام فى " الفتح " (٢ — ٤٥٩) . . . . فيكون المنع لعدم الطهارة لا لعدم دخول المسجد للحائض اهـ . فما قاله المهلب ـ كما سبق ـ غير متجه . ووجوب الدم على ذلك لأجل أن المدار على الطهارة ، وعليه عامة عبارات فقهاء المذاهب والله أعلم . نعم ربما يقال أنه يزيد منع الطواف حرمةً عند اجتماع الأمرين عدم الطهارة ثم كون الطواف فى المسجد . ويقول الحافظ فى " الفتح " (٣ — ٤٠٤) : لأنها إذا أمرت باعتزال المصلى ـ أى فى حديث : « ويعتزل الحيض المصلى » ـ كان اعتزالها للمسجد بل للمسجد الحرام بل للكعبة من باب الأولى اهـ .

قال شيخنا رحمه : والحائض إن كانت قارنةً فترفض العمرة وتقضى مناسك الحج كلها ثم تقضى العمرة ، ويكون حجها حج إفراد ، مثل سيدتنا عائشة رضى الله عنها رفضت العمرة ، هذا عندنا ، وعند الإمام الشافعى : إذا كانت قارنةً دخلت أفعال العمرة فى الحج ، فلا حاجة إلى رفض العمرة ، وتقضى المناسك كلها وتنتظر للطواف حتى تطهر فتطوف لهما جميعاً طوافاً واحداً . ثم العمرة التى قضتها بعد الحج عمرة مستقلةً ، إنما هى لتطييب خاطرها عندهم ، وأما عندنا فكانت قضاءً لما رفضتها اهـ .

قال الراقم : الروايات فى إحرام عائشة وكلمات الرواة فى حديثها فى غاية

النفساء والحائض تغتسل وتحرم وتقضى المناسك كلها ، غير أن لا تطوف بالبيت حتى تطهر » .

الاختلاف ، وكل ذلك تجده فى روايات البخارى فى "صحيحه" ، فيمكن أن يستدل ببعضها لقرانها ، وببعض لتمتعها ، وبآخر لإفرادها . وخوفاً من طول البحث وسآمة الباحث نطوى الكشح عن خطبها . وكل فريق يستدل بما يوافق مذهبه . قال عياض : اختلفت الروايات فى إحرام عائشة اختلافاً كثيراً اهـ ، حكاه الحافظ فى "الفتح" (٣ — ٣٣٠) ، وحكاه البدر العينى عنه ، وعن ابن عبد البر قبله ، ولفظه : والأحاديث عن عائشة فى هذا مضطربة جداً اهـ . وكأن مشية الله الأزلية جرت وسبقت فى أن تكون بيد كل إمام مسكة ودليل يشفى به غلة أتباعه وأصحابه ، وأن يؤجر ويثاب بجده واجتهاده ، ويطمئن كل بالبلوغ إلى غاياته وأغراضه ، فتارةً تراعى الألفاظ وتارةً تراعى الأغراض ، والمجتهد حيناً يرجح لفظاً على لفظٍ وآخر يجمع بين لفظٍ ولفظٍ ، وكل على صواب . فيقول الحافظ فى "الفتح" (٣ — ٣٣٦) ما ملخصه : إن قول الكوفيين أن عائشة تركت عمرتها وحجت مفردة ، تمسكاً بحديثها فى "الصحيح" : « دعى عمرتك » ، وفى لفظ : « ارفضى عمرتك » و« أهلى بالحج » . واستدلوا بها على أن المرأة إذا تمتعت ثم حاضت قبل أن تطوف تترك العمرة وتهل بالحج مفرداً مثل عائشة . ولكن رواية مسلم من حديث جابر : « إن عائشة أهلت بعمرة حتى إذا كان بسرف حاضت ، فقال لها النبى ﷺ : أهلى بالحج ، حتى إذا طهرت طافت بالكعبة وسعت ، فقال لها النبى ﷺ : قد حللت من حجتك وعمرتك » ، يقول الحافظ : فهذا صريح فى أنها كانت قارنةً وإنما أعمرها من التنعيم تطييباً لقلبها ، حيث لم تطف بالبيت لما دخلت معتمرة اهـ .

وذكر البدر العينى فى "العمدة" (٤ — ٥٤٥) ما ملخصه : إن حديث

وهذا حديث غريب من هذا الوجه .

عروة عن عائشة فى "الصحيح" : « فأهللنا بعمرة » رده الأوزاعى والشافعى وأبو ثور وابن علية ، وقالوا : هذا غلط من عروة ولم يتابع عليـه . وقال اسماعيل بن اسحاق - ابن علية القاضى - : اجتمع القاسم والأسود وعمرة على أن أم المؤمنين عائشة كانت محرمة بحج لا بعمرة ، وكذلك رده مالك وأحمد بن حنبل ثم ابن حزم ، إلى آخر ما قال ، فراجعها . وفى "العمدة" (٤ ـ ٥٥٩) : رجح لفظ عروة على تحقيق القاضى عياض : بأنها أحرمت بالحج أولاً ثم أحرمت بالعمرة ، ثم رفضت العمرة بسبب حيضها وأهلت بالحج . وقال بعد بيان الجمع فى الروايات : فلا يحتاج إلى تغليط عروة وهو أعلم الناس بحديثها اه . والعينى فى " العمدة " (٤ ـ ٧٧٩) قال مثل ما قال الحافظ ابن حجر : بأنها كانت قارنـةً ، واحتج بحديث مسلم ، وهذا التعارض غريب من مثل العينى .

قال الإمام محمد بن الحسن فى " مؤطئه" بعد روايات ابن عمر : وحديثى عائشة من طريق القاسم ومن طريق عروة كلها من طريق مالك . قال محمد : وبهذا نأخذ ، الحائض تقضى المناسك كلها ، غير أن لا تطوف ولا تسعى بين الصفا والمروة حتى تطهر ، فإن كانت أهلت بعمرة فخافت فوت الحج فلتحرم بالحج وتقف بعرفة وترفض العمرة ، فإذا فرغت من حجها قضت العمرة كما قضتها عائشة ، وذبحت ما استيسر من الهدى ، بلغنا : « أن النبى ﷺ ذبح عنها بقرةً » ، وهذا كله قول أبى حنيفـة رحمه الله اهـ . وتجد ما يشرح هذا ما بسطه الإمام الطحاوى فى (باب القارن كم عليه من الطواف لعمرته ولحجته ؟) . والشيخ المحدث السندى فى كتابه " المواهب اللطيفـة " رجح الجمع على الترجيح بضوء ما أفاده البدر العينى ، كما حكاه شيخنا العثمانى فى " فتح الملهـم " والله الموفق .

(باب ما جاء من حج أو اعتمر فليكن آخر عهده بالبيت)

حدثنا : نصر بن عبد الرحمن الكوفي نا المحاربي عن الحجاج بن أرطاة عن عبد الملك بن مغيرة عن عبد الرحمن بن السلماني عن عمرو بن يونس عن الحارث

ـ: باب ما جاء من حج أو اعتمر فليكن آخر عهده بالبيت :ـ

أخرج في الباب حديث الحارث بن عبد الله بن أوس ، وهو الثقفي الحجازي سكن الطائف ، روى عنه ﷺ وعن عمر ، وعنه عمرو بن أوس الثقفي ، كما في " التهذيب" .

والحديث أخرجه أبو داود والنسائي من أصحاب السنن ، وأخرجه أحمد والطحاوي . ولفظ أبي داود : « قال : أتيت عمر رضي الله عنه فسألته عن المرأة تطوف بالبيت يوم النحر ثم تحيض ؟ قال : ليكن آخر عهدها بالبيت ، فقال الحارث : كذلك أفتاني رسول الله ﷺ ، فقال عمر : أربت عن يديك ! سألتني عن شئ سألت عنه رسول الله ﷺ لكيما أخالفه » . وهذا أوضح وأبسط.

قال العيني في "العمدة" (٤ ـ ٧٧٦) : ومعنى "أربت عن يديك" : سقطت آرابك ، وهو جمع " أرب" وهو: العضو . ولفظ الترمذي : « خررت عن يديك » سقطت . وفيه ألفاظ أخر، جمعها كلها الطبري في " القرى" (ص ـ ٥١٠) وشرحها .

قال شيخنا : اتفقوا على أن طواف الوداع ليس على المعتمر ، وإنما هو على الحاج . وحديث الترمذي من طريق الحجاج بن أرطاة ، ومن طريقه هذه الزيادة ، وهو ليس بذاك . ورواه أبو داود من غير طريقه وليس فيه

ابن عبد الله بن أوس قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « من حج هذا البيت أو اعتمر فليكن آخر عهده بالبيت ، فقال له عمر : خررت من يديك ! سمعت هذا من رسول الله ﷺ ولم تخبرنا به ؟ » .

ذكر المعتمر، فالترمذى مشى على ظاهر ما عنده من لفظ الحجاج بن أرطاة ، فعقد عليه الباب وذكره فى الترجمة ، وكان المناسب أن يكتفى فى الترجمة بقوله: " من حج " ، ولا يزيد عليه " أو اعتمر " .

ثم قال الشيخ : فى قول عمر : « خررت عن يديك » أن عمر كان يأمر بطواف الوداع للحاج ولم يكن عنده نص من حديث عن رسول الله ﷺ ، فلما سمعه عن الحارث قال له ـ أى مغضباً ـ : بأنه لم يخبره بهذا اهـ . هكذا فى " العرف الشذى" . وأرى أنه وقع فيه تغيير من كلام الشيخ وسهو من الضابط فى ضبط الإملاء وحفظ الإلقاء، وربما ذكره للرد عليه فإنه ذكره بعضهم وليس بصحيح . وسياق حديث أبى داود واضح جداً ، ويدل على أن غضبه على أنه سمع من رسول الله ﷺ بأن طواف الوداع لا يسقط بعذر الحيض ، ثم سأل عنه ما سأل عنه رسول الله ﷺ ، فربما أخطأ فى الحكم وذهب إلى خلاف ما قاله ﷺ .

ثم إنه قد تقدم البحث الشافى بأن سيدنا عمر الفاروق تفرد بالقول بطواف الوداع للحائض بأن تبقى إلى أن تطهر ثم تطوف. وذكرنا توجيه الخطابى لرأيه ، وكلام الطحاوى: بأنه منسوخ والحكم فى حديث عائشة عند الأمة .

وأما مسألة طواف الوداع على المعتمر ، فقال ابن بطال : لا خلاف بين العلماء أن المعتمر إذا طاف فخرج إلى بلده أنه يجزئه من طواف الوداع كما فعلت عائشة اهـ. والبخارى رحمه الله ترجم عليه ولم يقطع فقال : (باب المعتمر

وفى الباب عن ابن عباس . قال أبو عيسى : حديث الحارث بن عبد الله ابن أوس حديث غريب، وهكذا روى غير واحد عن الحجاج بن أرطاة مثل هذا ، وقد خولف الحجاج فى بعض هذا الإسناد .

إذا طاف طواف العمرة ثم خرج هل يجزئه من طواف الوداع ؟) ، فالحافظ الشهاب العسقلانى يقول : لأجل التردد ترجم هكذا ، والحافظ البدر العينى يميل إلى أن حكمه فى حديث عائشة : أنها لم تطف للوداع ، فكأنه جزم بعدمه . هذا خلاصة بحثها .

وفى "الهداية" وشرحها لابن الهمام: وليس على أهل مكة ومن كان داخل الميقات، وكذا من اتخذ مكة داراً ثم بدا له الخروج، ليس عليهم طواف صدر، وكذا فائت الحج ، لأن العود مستحق عليه ، ولأنه صار كالمعتمر، وليس على المعتمر طواف الصدر . ذكره فى " التحفة " . قال ابن الهمام : وفى إثباته على المعتمر حديث ضعيف رواه الترمذى - يريد به حديث الباب - . وفى "البدائع" (٢ — ٢٢٧): فأما طواف الصدر فلا يجب على المعتمر، وقال الحسن بن زياد: يجب عليه ، كذا ذكره الكرخى اهـ .

ثم إن طواف الوداع يكون فى آخر عهده بالبيت عند الخروج ، فإن اشتغل بعده بتجارة أو إقامة فعليه الإعادة عند مالك والشافعى وأحمد ، وليس عليـه الإعادة عند أبى حنيفة وإن أقام شهراً أو أكثر . هذا ملخص ما فى " المغنى " لابن قدامة (٣ — ٤٥٩) و " شرح المهذب" (٨ — ٢٨٥) .

دليل الجمهور ظاهر حديث الباب، ولأبى حنيفة أنه طاف بعد النفر بعد ما حل فقضى ما كان عليـه ، والحديث لا يدل على الوجوب ويكفى أن يكون للندب والاستحباب . فالحديث للفريقين ، فعندهم للوجوب، وعنده للندب ،

(باب ما جاء أن القارن يطوف طوافاً واحداً)

حدثنا : ابن أبي عمر نا أبو معاوية عن الحجاج عن أبي الزبير عن جابر : « إن رسول الله ﷺ قرن الحج والعمرة ، فطاف لهما طوافاً واحداً » .

فما يقوله صاحب " القرى" : " وفي الحديث دلالة على استواء الحج والعمرة في طواف الوداع إيجاباً واستحباباً " ففيه نظر، فإن الحديث الذي عليه مدار طواف الوداع للمعتمر ضعيف ، وقد صرح به نفسه . فكيف يثبت الوجوب بمثله والإجماع على خلافه ؟ والله أعلم .

وبالجملة ليس على المعتمر طواف الوداع كما ليس عليه طواف القدوم ، ويسمى طواف الوداع : طواف الصدر وطواف آخر عهد بالبيت، كما في "الهداية" ، ويسمى طواف القدوم: "طواف اللقاء" أيضاً . وحديث ابن عباس الذي أشار إليه الترمذي رواه مسلم وأحمد ، وليس فيه ذكر الحاج والمعتمر، ثم الترمذي قد صرح بما في حديث الحارث من الضعف بقوله : غريب . ثم قال : وقد خولف الحجاج في بعض هذا الإسناد . وقال المنذري في سند الترمذي : فيه ضعيف، وفي سند أبي داود : فيه حسن اه ، كما في " نصب الراية " .

وبالجملة ابن أرطاة تفرد به ولم يتابع عليه ، وعامة الأحاديث لم يذكر فيه ما ذكره الحجاج بن أرطاة ، فلم يقل به الأئمة ولم يعمل به الأمة .

ـ: باب ما جاء أن القارن يطوف طوافاً واحداً :ـ

أخرج في الباب حديث جابر، أخرجه النسائي عن أرباب السنن في (باب طواف القارن من المناسك) ، وأخرج حديث ابن عمر بعد ما أشار إليه في

وفى الباب عن ابن عمر وابن عباس . قال أبو عيسى : حديث جابر حديث حسن . والعمل على هذا عند بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ

الباب ، وقد أخرجه ابن ماجه فى (باب طواف القارن) . ودل حديثا الباب على تداخل أفعال العمرة فى الحج للقارن من الطواف والسعى ، فالقارن عليه طواف واحد لهما ، وكذا سعى واحد لهما .

والمسألة خلافية من أقدم عهده إلى اليوم ، وذكر الترمذى فى كل جانب بعض أهل العلم من الصحابة رضى الله عنهم . وما ذكره من المذاهب فى المسألة فلخص ما قاله النووى فى " شرح مسلم " وابن قدامة فى " المغنى " (٣ — ٤٦٥) والعينى فى " العمدة " (٤ — ٥٤٦) : أن القارن لابد له من طوافين وسعيين . وحكى ذلك عن عمر وعلى والحسن والحسين وابن مسعود والشعبى والنخعى وجابر بن زيد وعبد الرحمن بن الأسود ومجاهد وعلقمة والأسود بن يزيد وشريح القاضى ومحمد بن على بن حسين وهو مذهب أبى حنيفة وأصحابه ، والثورى والأوزاعى والحسن بن صالح وحماد بن سلمة وحماد بن أبى سليمان والحكم بن عتيبة وزياد بن مالك وابن شبرمة وابن أبى ليلى ، وهو رواية عن أحمد . وقال مالك والشافعى وأحمد واسحاق وأبو ثور وداود : على أن القارن يكفى له طواف واحد وسعى واحد . ويروى ذلك عن ابن عمر وجابر وعائشة وعطاء والحسن وطاؤس .

وبالجملة فقهاء عصر واحد من فقهاء الأمصار أبى حنيفة وسفيان والأوزاعى وأحمد فى رواية فى جهة واحد ، ومعهم من كبار فقهاء الصحابة والتابعين جماعة ، ومالك والشافعى وأحمد فى أشهر الروايتين فى جهة أخرى ، ومعهم طائفة من الصحابة وشرذمة من التابعين رضى الله عنهم أجمعين . وفا.

وغيرهم ، قالوا : القارن يطوف طوافاً واحداً ، وهو قول الشافعى وأحمد واسحاق . وقال بعض أهل العلم من أصحاب النبى ﷺ وغيرهم : يطوف طوافين ويسعى سعيين، وهو قول الثورى وأهل الكوفة .

اتفقوا جميعاً على أن القارن عليه ثلاثة أطوفة : طواف القدوم واللقاء ، وهو سنة ، وطواف الإفاضة والزيارة ، وهو فرض ، وطواف الوداع والصدر ، وهو واجب .

واختلفوا فى طواف العمرة، فأثبته أبو حنيفة والثورى والأوزاعى وأحمد فى رواية ، ونفاه مالك والشافعى وأحمد ، كما اتفقوا على أنه ﷺ طاف فى حجته حجة الوداع ثلاثة : طوافاً يوم قدومه ، وطوافاً يوم النحر ، وطوافاً للوداع ليلة أربع عشرة من ذى الحجة .

قال شيخنا : ولم يثبت طواف النفل منه عليه صلوات الله وسلامه إلى العاشر، نعم ثبت بعد العاشر فى ليالى منى برواية قوية اه .

قلت : وتقدم بيانه ، فالطواف الأول هو للقدوم عند الشافعى ومالك ، ويوم النحر للإفاضة عند الجميع ولكنه دخل فيه طواف العمرة عندهم، وللوداع متفق بيننا وبينهم جميعاً . والاختلاف فى الثانى : هل هو للحج ـ كما هو عندنا ـ أو للحج والعمرة معاً ـ كما هو عندهم ـ ؟ .

قال شيخنا رحمه الله : ويمكن أن يقال : أن الطواف الأول يوم القدوم كان للعمرة وتداخل فيه طواف القدوم ولكن لم أجد من صرح من علمائنا بذلك ولكن قالوا: من ترك طواف القدوم ـ وهو سنة ـ لاشئ عليه ولا يلزمه شئ ؛ غير أن فى عبارة الإمام الطحاوى فى " شرح معانى الآثار" إشارة اه .

قال الراقم : لاشك أن طواف القدوم تحية للبيت كتحية المسجد

حدثنا : خلاد بن أسلم البغدادى نا عبد العزيز بن محمد عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمـر قال : قال رسول الله ﷺ : « من أحرم بالحج والعمرة أجزأه طواف واحد وسعى واحد منهما حتى يحل منهما جميعاً » .

بالركعتين، ومن دخل المسجد وصلى السنة ونوى التحية فيها دخل صلاة التحية فى السنة ، كما صرح بذلك غير واحد من أرباب التآليف، وله نظائر غير هذا، فيمكن أن يجعل هذا من هذا القبيل . وما ذكره الشيخ من إشارة الإمام الطحاوى فلعله يريد بها قوله فى (باب القارن كم عليه من الطواف؟) : فاستحال بذلك أن يكون الطواف الذى كان رسول الله ﷺ فعله للعمرة التى انقلبت إليها مجزيـة عنه من طواف حجته الخ .

قال الراقم : ويقول المحدث الفانى فنى فى " تفسيره " (١ — ٢٣٠) قلت : وذلك الطواف والسعى كان لعمرته وكفاه عن طواف القدوم لحجه اه فالذى صرح به الشيخ قد وقفت إليه الإشارة الخاطفة من الإمام الطحاوى ، وصرح بمثله المحدث الفقيه العارف الفانى فنى، فلله الحمد على هذا التوارد والتوافق .

ثم إنه لا شك أن حديث الباب وأمثاله من الإكتفاء بطواف واحد للقارن مؤول عند الكل ، فليس هناك واحد وإنما الثلاثة متفق عليها بين الأئمة جميعاً ، فإذن الاختلاف فى التخريج والتحليل ، بل الاختلاف فى الأول فقط ، فعندنا للعمرة داخل فيه طواف القدوم ، وعندهم للقدوم فقط كما إن الطواف الثانى يوم النحر عندنا للحج فقط وعندهم للحج والعمرة .

وحجـــة مالك والشافعى وأحمد فى اكتفاء القارن بطواف واحد وسعى واحد عدة أحاديث فى الصحاح الستة :

منها : حديث عائشة فى " الصحيحين " من حديث طويل ، وفيه :

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب صحيح ، تفرد به الدراوردى على ذلك اللفظ ، وقد رواه غير واحد عن عبيد الله بن عمر ، ولم يرفعوه وهو أصح .

« وأما الذين جمعوا بين الحج والعمرة طافوا طوافاً واحداً » واللفظ للبخارى .

وحديث ابن عمر عند الشيخين وفيه : " فطافا لهما طوافاً واحداً " وفى طريق آخر عند البخارى : « قال ابن عمر : كذلك فعل رسول الله ﷺ » .

وحديث جابر عند النسائى والترمذى كما فى الباب . وحديث ابن عمر عند الترمذى .

وحجة أبى حنيفة وأصحابه والثورى والأوزاعى وأحمد ـ فى رواية ـ عدة أحاديث :

الأول : حديث الصبى بن معبد التغلبى ، أخرجه أبو حنيفة عن حماد ـ وهو ابن أبى سليمان ـ عن ابراهيم عن الصبى بن معبد من حديث طويل قال : « أقبلت من الجزيرة حاجاً ـ إلى أن قال ـ : كنت رجلاً بعيد الشقة قاصى الدار أذن الله لى فى هذا الوجه ، فأحببت أن أجمع عمرةً إلى حجة فأهللت بهما جميعاً ولم أنس» ، وفيه : «مضيت فطفت طوافاً لعمرتى وسعيت سعياً لعمرتى، ثم عدت ففعلت مثل ذلك ثم بقيت حراماً أصنع كما يصنع الحاج». وفى طريق آخر : «كنت حديث عهد بنصرانية فقدمت الكوفة أريد الحج فى زمان عمر بن الخطاب» وفيه : « فلما قدم الصبى مكة طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة لعمرته ثم رجع حراماً لم يحل من شئ ، ثم طاف بالبيت وبين الصفا والمروة لحجته » . وفيه : « فضرب عمر على ظهره وقال : هديت لسنة نبيك ﷺ » ، ولحديثه طرق وألفاظ جمعها الشيخ محمد عابد السندى فى ترتيبه لـ " مسند أبى حنيفة "

على رواية الحصكفي ، وأصل الحديث مختصراً رواه أحمد وإسحاق والطيالسي في مسانيدهم ، وأبو داود والنسائي وابن ماجه في سننهم ، وابن أبي شيبة في " مصنفه " وابن حبان في " صحيحه " ، والدارقطني في " العلل " ، ورواية أبي داود والنسائي عن منصور ، ورواية ابن ماجه عن الأعمش ، كلاهما عن أبي وائل عن صبي بن معبد التغلبي ، وليس فيه ذكر الطوافين والسعيين لهما ، ولا شك عندهم جميعاً في صحة المختصر ، بل إسناده في غاية الصحة ، ولكن ينكرون هذه الزيادة .

وروى محمد بن الحسن الشيباني في " مبسوطه " : « إن الصبي بن معبد قرن فطاف طوافين وسعى سعيين، فذكر ذلك لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: هديت لسنة نبيك ﷺ » ، حكاه البدر العيني في " البناية " كما في شرح الشيخ أحمد حسن السنبلي على " مسند أبي حنيفة " . وفي " المحلى " لابن حزم (٧ ـــ ١٧٥) : روينا من طريق حماد بن سلمة عن حماد بن أبي سليمان عن ابراهيم النخعي : « إن الصبي بن معبد - التغلبي - قرن بين العمرة والحج فطاف طوافين وسعى سعيين ولم يحل بينهما وأهدى ، وأخبر بذلك عمر بن الخطاب فقال : هديت لسنة نبيك ﷺ اه » . وغاية ما يقال فيه أن ابراهيم لم يدرك عمر ولا الصبي ، فيقول الحافظ علاء الدين المارديني في " الجوهر النقي " (١ ـــ ٣٤٣) : والنخعي وإن لم يدرك عمر ولا الصبي فقد قال أبو عمر في أوائل "التمهيد" : وكل من عرف فإنه لا يأخذ إلا عن ثقة ، فتدليسه وترسيله مقبول ، فمراسيل سعيد بن المسيب ومحمد بن سيرين وابراهيم النخعي عندهم صحاح .

ثم ذكر أبو عمر بسنده عن الأعمش : قلت لإبراهيم : إذا حدثتني حديثاً فأسنده، فقال : إذا قلت : عن عبد الله - يعني ابن مسعود - فاعلم أنه عن غير واحد ، وإذا سميت لك أحداً فهو الذي سميت . قال أبو عمر : إلى هذا نزع من

أصحابنا من زعم أن مرسل الإمام أولى من مسنده ، لأن فى هذا الخبر ما يدل على أن مراسيل النخعى أولى من مسانيده ، وهو لعمرى كذلك . وقال البيهقى فى (باب ترك الوضوء من القهقهة) : قال ابن معين : مرسلات النخعى صحيحة إلا حديث تاجر البحرين وحديث الضحك فى الصلاة ا هـ . وما حكاه عن " التمهيد " فهو فى المطبوع الطبعة الملكية المغربية (١ ـــ ٣٠) و (١ ـــ ٣٧ و ٣٨) . فلا شك إذن أن الزيادة من الثقات معتبرة ، فرواية مثل النخعى عن الصبى وإن كان فيه انقطاع وإرسال مقبول عندهم جميعاً ، على أن أبا حنيفة ومالكاً لا يريان الانقطاع قادحاً فى الصحة . ثم لا شك أن أهل الكوفة أدرى الناس برجالها وأسانيدها ورواياتها وأحاديثها ، فأهل مكـــة أدرى بشعابها . وهؤلاء الجهابذة من أكابر الكوفيين من التابعين ممن ذكرنا أسماءهم عند ذكر المذاهب الأسانيد بها صحاح ، ذكرها عبد الرزاق فى " مصنفه " . وحكى عنه ابن حزم فى " محلاه " ، واعترف بصحتها فقال (٧ ـــ ١٧٦) : ولكنه عمن ذكرنا من التابعين صحيح إلا عن الأسود وحده فإنه من رواية جابر الجعفى اهـ .

قلت : وقد وافقه من تابعى البصرة : زياد بن مالك وأبو الشعثاء وجابر ابن زيد ، ومن أهل مكة : مجاهد ، ومن أهل المدينة : أبو جعفر محمد بن على بن الحسن الباقر وغيره ، فإذن لا وجه لأحد أن يزاحمهم فى رواياتهم ، ثم لم ينفرد بذلك أبو حنيفة وحده ومعه فى هذه المسألة إمام أهل الكوفة سفيان الثورى وإمام أهل الشام الأوزاعى كما يذكره ابن حزم أيضاً ، وهو رواية عن أحمد ، ووافق أبا حنيفة مثل أبى يوسف ومحمد وغيرهما ، فهل هؤلاء كلهم على خطأ وضلال ؟ غايـة ما يقال إنه وقع التعارض فى الروايات فوقع الترجيح فقهاً واجتهاداً .

الثانى : حديث على أخرجه النسائى فى "الكبرى" فى مسند على من طريق حماد

ابن عبد الرحمن الأنصاري الأزدي عن إبراهيم بن محمد بن الحنفية قال: «طفت مع أبي وقد جمع بين الحج والعمرة فطاف لهما طوافين وسعى لهما سعيين، وحدثني: أن علياً فعل ذلك، وقد حدثه: أن رسول الله ﷺ فعل ذلك»، كما في "نصب الراية" (٣ — ١١٠). والأزدي ذكره ابن حبان في الثقات، كما في "نصب الراية" و "التهذيب"، «فلا ينزل عن الحسن»، ويقول الحافظ في "الدراية" (ص — ٢٠٤): ورواته موثقون، ويقول: وأخرجه محمد بن الحسن من قول علي موقوفاً بلفظ الأمر، وفي إسناده راو مجهول.

قال الراقم: واستدلال مثل الإمام محمد عليه دليل توثيقه عنده. وبالجملة فقد روي عن علي موقوفاً ومرفوعاً، وأخرجه الإمام الشافعي من وجه آخر عن علي في القارن يطوف طوافين كما في "الدراية". ثم تأوله الشافعي على طواف القدوم وطواف الركن، ويرده الحافظ المارديني بقوله: ولو كان كما تأول لم يكن فيه خصوصية بالقارن، فإن المفرد أيضاً يفعل كذلك، ويطوف هذين الطوافين، وسيأتي ما يؤيده في سياق الآثار

والحديث على إسناد آخر أخرجه الدارقطني في "سننه" من طريق الحسن ابن عمارة عن الحكم عن ابن أبي ليلى عن علي مرفوعاً ثم ضعفه بالحسن بن عمارة فقال: وهو متروك. قال الراقم: والحسن بن عمارة يروي عنه السفيانان ويحيى ابن سعيد القطان، وهو قاضي بغداد، ومدار تضعيفه على رأي شعبة فيه، وقد كشف عن وجهه ما حققه القاضي أبو محمد الرامهرمزي في "المحدث الفاصل بين الراوي والواعي"، ونقلته كله في الأوراق الملحقة بـ "نصب الراية" في أول المجلد الثالث، وأشرت إليه في مبحث الفاتحة خلف الإمام، ومداره على أنه يفتي بخلاف ما يرويه.

ويقول الرامهرمزى : وليس يلزم المفتى أن يفتى بجميع ما يعى . ولا يلزمه أيضاً أن يترك رواية ما لا يفتى به ، وعلى هذا جميع فقهاء الأمصار . ثم ذكر أمثلته عن مالك وأبى حنيفة - إلى أن قال - : والإنصاف أولى بأهل العلم ، وكان أبو بسطام سيئ الرأى فى الحسن ، والله يغفرلهما . وله إسنادان آخران عند الدارقطنى ، أفليس تعدد الطرق مما يزيل الضعف والوهن ؟ !

الثالث : حديث ابن عمر من طريق الحسن بن عمارة عند الدارقطنى مرفوعاً ، وليس فيه من يتهم غير الحسن بن عمارة عندهم ، ولم يمكن للدارقطنى الكلام فيه بغير جرحه بالحسن بن عمارة وغير إثبات معارضته بحديث الحسن ابن عمارة نفسه من حديث ابن عباس مرفوعاً ، ولاريب أن المحدث يروى روايتين عن صحابيين متعارضتين ، والفقيه يختار منهما اجتهاداً وفقهاً واحداً منهما .

الرابع : حديث عمران بن حصين ، أخرجه الدارقطنى من طريق محمد ابن يحيى الأزدى مرفوعاً : « إن النبى ﷺ طاف طوافين وسعى سعيين » ، ثم ضعفه الدارقطنى وبين علتـه : بأن محمد بن يحيى حدث من حفظه فوهم فى متنه ، والصواب بهذا الإسناد : « إن النبى ﷺ قرن الحج والعمرة » ، وليس فيه ذكر الطواف ولا السعى ، ويقال : إنه رجع عنـه اهـ . ورده الحافظ علاء الدين فى " الجوهر النقى " وقال : قوله : " حدث به من حفظه فوهم" لم ينسبه إلى أحد ممن يعتمد عليـه ، وكذا قوله : " ويقال : إنه رجع عنه " والظاهر أن المراد سكت عنه ، وإذا ذكر هذه الزيادة مرة وسكت عنها مرة لعذر لا تترك الزيادة ، ولو كان فى الحديث علـة أخرى غير هذا لذكرها الدارقطنى ظاهراً اهـ .

وبالجملة علته غير قوية ، وكثيراً ما يروى الراوى روايةً تارةً مختصرةً وتارةً كاملةً ، ونظائره أكثر من أن تحصى . فالحديث متحمل ، ورد مثله تحامل . ويقول ابن الهمام : ومحمد بن يحيى ثقة ، قاله الدارقطنى ، وذكره ابن حبان فى الثقات ، فإذن زيادته مقبولة ، والله أعلم .

الخامس : حديث ابن مسعود عند الدارقطنى مرفوعاً من طريق أبى بردة عمرو بن يزيد عن حماد عن ابراهيم عن علقمـــة عن عبد الله قال : « طاف رسول الله ﷺ لعمرته وحجته طوافين وسعى سعيين ، وأبو بكر وعمر وعلى » . ثم يقول الحافظ الدارقطنى : وأبو بردة متروك ، ومن دونه فى الإسناد ضعفاء . ويقول الحافظ ابن حجر فى " الدراية " : وفيه أبو بردة عمرو بن يزيد أحد الضعفاء ، ورواه عن حماد بن أبى سليمان .

قلت : وهو كوفى ، يروى عنه مثل وكيع وأبو معاوية الضرير وطلق بن غنام وأحمد بن يونس ويحيى الحمانى وآخرون ، وأخرج له ابن ماجه . وقال ابن عدى : وهو ممن يكتب حديثه من الضعفاء ، وذكره ابن حبان فى الثقات ، كما فى " التهذيب" ، ومثل هذا يتحمل ، ولا سيما إذا كان له شواهد .

فهذه خمسة أحاديث مرفوعة من رواية الصبى بن معبد وعلى وابن مسعود وابن عمر وعمران بن حصين ، وقد عرفت حال أسانيدها .

وأما الآثار :

فمنها : أثر على ، أخرجـــه الإمام محمد بن الحسن الشيبانى فى كتاب " الآثار" قال أخبرنا أبو حنيفة نا منصور بن المعتمر عن ابراهيم النخعى عن أبى نصر السلمى عن على بن أبى طالب قال : « إذا أهللت بالحج والعمرة فطف لهما طوافين واسع لهما سعيين بالصفا والمروة » . قال منصور : فلقيت مجاهداً وهو

يفتى بطواف واحد لمن قرن فحدثته بهذا الحديث فقال : لو كنت سمعتـــه لم أفت إلا بطوافين ، وأما بعد فلا أفتى بها ، وأخرجه الطحاوى من طريق أبى نصر ومن طريق ابن أذينـــة ، وأخرجه البيهقى فى " المعرفة " من طريق الشافعى عن رجل عن جعفر بن محمد عن أبيه عن على ، ورواه الثورى وشعبة وابن عيينة كلهم عن منصور عن مالك بن الحارث عن أبى نصر عن على ، ويرجحه البيهقى على إسناد الشافعى عن رجل ، هذا ملخص ما قاله الزيلعى ، ويضعفه البيهقى بجهالة أبى نصر .

قال الراقم : رجال الإسناد دون السلمى كلهم ثقات أثبات ، ومنصور لما حدث مجاهداً بحديثه فقبله ووافقه ، ورواية مثل النخعى عنه يرفع جهالته ، واستدلال أبى حنيفـــة الإمام ومن وافقه توثيق للرواية . وقد ذكر الحافظ فى " تعجيل المنفعة " : إن ابن خلفون فى الثقات سما أباه عمراً ، وذكر فى شيوخه ابن عمر ، وفى الرواة عنه ابنه ، وقد سها التهانوى العثمانى فى نقل عبارة "تعجيل المنفعة " فقال : ذكره ابن خلفون فى الثقات ، فكأنه بجلـــة . أنظر " تعجيل المنفعة " (ص — ٥٢٣) من الكنى . وما ذكره فى " العرف الشذى " من توثيق العجلى إياه على نقل " التهذيب " فلم أجده . وعلى كل حال هو من كبار التابعين ، يروى عن على ، وهو كوفى ، ذكره ابن سعد فى " طبقاته " (٦ — ٢٣٨ طبعة بيروت) فى تابعى الكوفة ، يروى عن على قال : أخبرنا محمد بن عبيد نا محمد بن أبى اسماعيل عن عبد الرحمن بن أبى نصر عن أبيه قال : « خرجت حاجاً فأدركت علياً بذى الحليفة وهو يلبى بعمرة وحجة » ، وفى الحديث طول . ثم ليس المدار على أبى نصر فقد رواه آخرون عن على بأسانيد جياد ليس فيه أبو نصر ، كما استوفاه الطحاوى ثم ابن حزم فى "المحلى"، وحكاه الحافظ الماردينى ، فقد رواه الأعمش عن ابراهيم ـ وهو النخعى ـ ومالك بن

الحارث عن عبد الرحمن بن أذينة ، ورواه ابن شبرمة والحكم بن عتيبة وزياد بن مالك متابعين لأبي نصر ابن عمرو السلمي ، كلهم عن علي ، أنظر " المحلى " (٧ ـــ ١٧٥) و " الجوهر النقي " (١ ـــ ٣٤٣) . والحكم وابن شبرمة لم يدركا علياً ، فيكون انقطاعاً ، وهو غير قادح عندنا . وقد ذكر أبو عمر ابن عبد البر في " التمهيد " رواية السلمي هذا عن علي ، وزياد بن مالك ذكره ابن حبان في الثقات ، ويميل الحافظ إلى أن إسناد ابن أذينـــة أمثلها . وشيخنا جنح إلى أن أمثلها رواية أبي نصر ، وتأويل الإمام الشافعي في المتن دليل قبوله الإسناد من غير كلام . ويقول الحافظ في " الفتـح " (٣ ـــ ٣٩٥) : لكن روى الطحاوي وغيره مرفوعاً عن علي وابن مسعود ذلك بأسانيد لا بأس بها إذا اجتمعت اهـ . فرحم الله من عدل وأنصف ولم يتعصب ولم يتعسف .

ومنها : أثر عبد الله بن مسعود رضي الله عنـه ، أخرجه ابن أبي شيبة في " مصنفه " كما في " نصب الراية " عن هشيم عن منصور بن زاذان عن الحكم عن زياد بن مالك أن علياً وابن مسعود قالا في القارن : « يطوف طوافين ويسعى سعيين » ، ورواه سعيد بن منصور والطحاوي ، وسكت عليه الحافظ في " الدراية " في تلخيص " نصب الراية " ، وزياد بن مالك ثقة ، وذكره ابن حبان في الثقات كما ذكر آنفاً .

فلا شك أن الوارثين لعلوم علي وابن أم عبد هم تابعوا الكوفة ، وعلومهم وصلت ناضجة إلى أبي حنيفة الإمام ، فاجتماع هؤلاء الجمهرة على روايات عن هذين الصحابيين الجليلين أقوى حجة لما ذهب إليه أبو حنيفة وسفيان الثوري والأوزاعي وأبو يوسف ومحمد وغيرهم من الأئمة ، والله المستعان .

ومنها : أثر سيدنا الحسن بن علي ، رواه ابن أبي شيبة عن حفص بن

غياث عن حجاج - وهو ابن أرطاة - عن الحكم عن عمرو عن الحسن بن على قال : « إذا قرنت بين الحج والعمرة فطف طوافين واسع سعيين » كما فى " نصب الراية " ، وسكت عليه الحافظ فى " الدراية " . وابن أرطاة لا ينزل عن الحسن عند كثير ، وكم صحح له الترمذى فى " جامعـــه " . فإسناد ابن أبى شيبة لا غائلة فيه .

ومنها : أثر سيدنا الحسين بن على ، ذكره ابن حزم فى " محلاه " ، وجرحه بعباد بن كثير وياسين . أقول : وعباد بن كثير إن كان هو الفلسطينى فقال ابن معين : ثقة ، وقال مرة : لا بأس به ، كما فى " التهذيب" ، وهو من رجال ابن ماجه ، وإن كان هو الثقفى البصرى فهو من رجال أبى داود وابن ماجه ، ضعيف عندهم . وياسين هو : ابن شيبان ، أو : ابن سنان العجلى الكوفى ، يقول الحافظ فى " التقريب " : لا بأس به ، ومتابعة مثله لعباد بن كثير قويـة .

فهذه أخبار وآثار يستدل بها الأئمة أبى حنيفة والثورى والأوزاعى وأبى يوسف ومحمد وغيرهم ، واستدلالهم بها تقوية من عندهم لرواياتهم ومروياتهم ، وتضعيف من جاء بعدهم لا يضرهم ، على أن نفس صحة الإسناد وكون الرواة ثقات لا تكفى ما لم تكن سالمة عن مغامز معنوية . ألا ترى أن حديث ابن عمر فى الصحاح فى رفع اليدين كان أقوى حديث فى الباب وحجـة الله على العالمين عندهم ! ولكن قد علمت حاله بعد الفحص الدقيق والبحث العميق بحيث يشكل الاحتجاج بمثله فى معترك الخصام كما أسلفناه مفصلاً فى مسألة رفع اليدين . والآن نتصدى لتوجيه الأفكار إلى البحث فى مستدلاتهم التى هى فى غاية الصحة .

وقد قلت قديماً وأقول : هؤلاء الأئمة الكبار أرباب الصحاح - من البخارى

ومسلم وأبي داود وغيرهم - قد انحازوا إلى جهـــة تفقهاً واجتهاداً . أو اتباعاً لأئمتهم في دقائق الفقه والاجتهاد وغوامض المسائل واختاروا جانباً في الخلافيات ، ثم لما ألفوا أخرجوا في تآليفهم ما يوافق مذاهبهم الفقهية . وسرى فقههم إلى الحديث وتركوا ما عداهم حيث لم يذهبوا إليها إلا من التزم إخراج أحاديث الفريقين كالإمام الترمذي غالباً ، وكابن أبي شيبة وعبد الرزاق في "مصنفيهما" ، وأحمد في " مسنده " . وقل لي بالله عليك ! إن اتفاق مثل الثوري وأبي حنيفة والأوزاعي وأبي يوسف على مسألة ثم موافقـــة جهابذة وصيارفة من أهل الروايات واتفاق طائفة كبيرة من التابعين الثقات الأثبات قبل أن يخلق البخاري وقبل أن يولد مسلم أو يأتي الترمذي وأبو داود ، أفهلا يكون أوثق وأقوى من روايات وإن كانت صحيحة الأسانيد ، وشغب مثل ابن حزم والمتعصبين من أرباب المذاهب ، ما ذا يضر الأئمة الأجلاء الذين أخذوا بما أخذوا وببصيرة نافذة قد كفوا ، وهؤلاء يستشيطون غيظاً إذا خالفه أحد ، كأنهم أصحاب حمى وحريم ، لا يسمحون لأحد أن يدخل حريمهم فالمسائل الخلافية بين الصحابة ثم الأئمة الأربعـــة والفقهاء المجتهدين تجعل الأمة في سعة من أمرهم رحمة من الله بهم ، فينبغي اتساع الصدور فإنه لا يمكن أن ينفصم خلاف في الأولين حدث قبل أرباب التصنيف بقرون والتمسك بمحض الروايات ، وألفاظ الرواة والتغاضي عن التعامل أو الإعراض والتغافل عما دار في الموضوع من محو وإثبات أمر غير محمود أو شئ غير معقول !

ولنعم ما قال شيخنا رحمه الله : الإسناد كان لأجل أن لا يدخل في الدين ما ليس منه ، لا لأجل أن يخرج به من الدين ما كان منه . وكان يقول : وهل يظن أن وقائع العالم إذا لم تكن لها إسناد أنها غير واقعة . وكان يقول في حق الإمام ابن حزم إذ كان يرد على الإمام أبي حنيفة أو على غيره من الأئمة : كأنه

وحده على الحق ، وأن من عداه من أئمـة الدين جاءوا بالدين من بيداء أو التقطوه فى الصحراء ، فياسبحان الله العظيم ! هذا والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

ثم إن الشيخ القاضى ثناء الله فى تفسيره " المظهرى " استدل لتعدد السعى بقوله : « وإنه ﷺ لما قدم مكة طاف وسعى بين الصفا والمروة ، ثم لم يقرب الكعبة بطوافه حتى رجع من عرفة » رواه البخارى . قلت : . . . . وكان ذلك الطواف والسعى ماشياً كما هو مصرح فى حديث حبيبة بنت أبى تجراه ، وابن عمر وجابر عند مسلم وغيره ، ثم إنـه ﷺ سعى بين الصفا والمروة ثانياً بعد طواف الزيارة كما يدل عليه حديث جابر قال : « طاف رسول الله ﷺ على راحلته بالبيت وبالصفا والمروة ليراه الناس وليشرف وليسألوه » ، رواه مسلم . وفى روايه طاف فى حجة الوداع على راحلته يستلم الركن بمحجنه ، وقال : هذا ما حصل لى من بعد جمع الروايات المختلفة اهـ . وقال قبله : وهذه أبحاث طويلة ذكرناها فى "منار الأحكام" اهـ . وهو كتابه المتكفل لمذاهب الفقهاء وأدلتهم .

قال الشيخ : وإثبات تعدد السعى من أحاديثهم المحتج بها أول من استدل به القاضى ثناء الله فى "منار الأحكام" مفصلاً وفى تفسيره مختصراً ، وتمسك على التعدد بوجه صحيح حيث يلزم ذلك من رواياتهـم المخرجة فى الصحاح لزوماً ظاهراً ، فوقع سعيـه ﷺ فى بعضها راكباً ، وفى بعض آخر ماشياً ، كما فى " صحيح مسلم " (١ ــ ٣٩٦) . فالسعى الأول ماشياً للطواف الأول عند القدوم ، وهو للقدوم عندهم ، وللعمرة عندنا كما أسلفنا ، وذلك كما وقع حديث جابر الطويل عند مسلم وأبى داود : « ثم نزل المـروة حتى انصبت قدماه فى بطن الوادى سعى حتى إذا صعدنا مشى حتى أتى المروة ، ففعل على المروة كما فعل على الصفا الخ » ، فهذا صريح فى السعى راجلاً وماشياً على الأقدام .

ووقع عند مسلم فى (باب جواز الطواف على بعير) (١ ــ ٤١٣) : عن جابر : " طاف فى حجة الوداع على راحلته يستلم الحجر بمحجن ليراه الناس الخ ، (كما وقع ذلك عنده من حديث ابن عباس ، ومن حديث عائشة ومن حديث أبى الطفيل مرفوعاً عنده) .

قال الشيخ : وتاريخ السعى الثانى غير معلوم ، ولكن الأقرب أن يكون يوم النحر بعد طواف الإفاضة ، وعليه يدل مسائل الحنفية حيث يكون السعى مسبوقاً بطواف ولم يكن طاف إلى يوم النحر إلا الطواف الأول عند الجميع . وما تأول به ابن حزم الظاهرى من ترك الظاهر بأن المراد بأنه انصبت قدماه ، أى وهو على راحلته ، وأريد بالنزول والصعود : نزول الناقة وصعودها . فهذا تأويل مردود يخالف ظاهر الحديث وتبادر كلماته . ثم إن الراكب لا يسعى بين الميلين بل يمشى ، ويرده حديث حبيبة بنت أبى تجراه عند الدارقطنى ـ ورواه الشافعى وأحمد وإسحاق والحاكم والبيهقى ـ : « فرأيت رسول الله ﷺ يسعى وإن مئزره ليدور من شدة السعى حتى إنى أقول : إنى لأرى ركبتيه ، وسمعته يقول : اسعوا فإن الله كتب عليكم السعى » ، " الدارقطنى " (ص ــ ٢٧٠) .

قال الشيخ : والإسناد قوى ـ والحافظ يقول : وفيه عبد الله بن المؤمل وفيه ضعف ، والبدر العينى ينقل عن المنذرى : أنه حسن . أنظر " العمدة " (٤ ــ ٦٥٧) ـ . و " تجراه " ضبطه الحافظ : بكسر التاء الفوقانية فجيم فراء ثم ألف وهاء ، ولكن ليس فيه تصريح أنه كان فى حجته أو فى إحدى عمراته ، وليست واقعة عمرة الجعرانة حيث كانت بالليل ، فيحتمل أن يكون فى عمرة القضاء أو فى حجته ، وهو الغالب على ظنى لقرائن ، وكذا ما تأول به ابن حزم بأن بعض الأشواط من السعى كان راكباً ، وبعضه ماشياً يرده حديث أبى الطفيل عن ابن عباس عند أبى داود فى (باب الطواف الواجب) (١ ــ

٢٥٩) وفيه: « طاف سبعاً على راحلته » . ونفس الحديث أخرجه مسلم ولكن ليست هذه اللفظة فيه . ومن أعظم القرائن وأقواها أن هذا فى حجة الوداع ما وقع فى رواية مسلم بإسناده عن أبى الطفيل قال : «قلت لابن عباس: أرانى قد رأيت رسول الله ﷺ ، قال: فصفه لى ؟ قال: رأيته عند المروة وقد كثر الناس عليه ، قال : فقال ابن عباس : ذاك رسول الله ﷺ ، إنهم كانوا لا يدعون عنه ولا يكهرون » . فكثرة الناس وسؤالهم لا يكون إلا فى حجة الوداع حيث كانوا أربعين ألفاً إلى سبعين، وكانوا فى عمرة القضاء نحو ألف وخمسمائة (وعلى قول من قال : إن الكل لم يعتمروا قضاءً كانوا أقل من هذا العدد بكثير) وكانوا يحفظونه عن المشركين لكيلا يصيبه أحد بحجارة كما فى رواية البخارى ولفظه : « لما اعتمر رسول الله ﷺ سترناه من غلمان المشركين ومنهم أن يؤذوا رسول الله ﷺ » ، وأبو الطفيل من آخر الصحابة موتاً ، وولادته عام أحد كما فى " مسند أحمد " ، وعمره فى عمرة القضاء خمس سنين ، وفى حجة الوداع ثمانى سنوات ، ويدل على قصر عمره عند ذاك ما أخرجه أبو داود (٢ — ٧٠٠) فى (باب برالوالدين) من كتاب الأدب: « رأيت النبى ﷺ يقسم لحماً بالجعرانة، قال أبو الطفيل: وأنا يومئذ غلام أحمل عظم الجزور الخ» .

وبالجملة حديث مسلم وأبى داود فيهما قصة حجة الوداع لا غير ، وحكاه شيخنا العثمانى فى " فتح الملهم " أيضاً من غير تخريج ، واطمأن إليه . فتبين من هذا كله أن تعدد السعى لا بد من القول به ، فما يقوله الشاه ولى الله الدهلوى رحمه الله فى " المصفى شرح المؤطأ" من عدم ثبوت تعدد السعى مستدلاً برواية جابر ليس بذاك ، والقول بالتعدد هو التحقيق كما قاله المحدث الفانى فتى ، وهو الصواب إن شاء الله تعالى . نعم حقق الشاه ولى الله كما أسلفنا من أن القول

بوحدة الطواف إنما نشأ من أجل الاختلاف فى التخريج ولم يختلفوا فيما شاهدوه بأعينهم ، راجع " المصفى " .

وحان لنا إذن أن نتكلم فيما يدور حول أدلـة القائلين بوحدة الطواف والسعى للقارنين إيفاءً للكيل من غير بخس وإرهاق ، ونخوض فى طرف من غمارها استيفاءً للبحث من أطرافها وإخراجاً للأصداف واللآلى من بحارها ، فأقول والله الموفق :

أما حديث عائشة المخرج فى " الصحيحين " فأقول :

أما أولاً : فلا ريب أن سيدتنا عائشة كانت من أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ بعد أبيه ، ولها مكانتها من الفقه والعلم والبحث ، ولكن الذى وصل إلينا من أحاديثها فى حجتها وحجته ، وربما يكون ذلك من أجل الرواة عنها ما يدهش الفكر ولا تزال الأفكار مختلفة فيها من أقدم العصور من عهد الأئمة إلى اليوم ، فيقول البدر العينى فى " العمدة " (٤ — ٦٥٠) : . . . أحاديث عائشة فى هذا الباب مضطربة جداً ، لا يتم بها الاستدلال لأحد من الخصوم ، وقد قالت فى رواية : « أهللنا بعمرة » ، وفى أخرى : « فمنا من أهل بعمرة ومنا من أهل بحجة » ، قالت : ولم أهل إلا بحج » ، وفى أخرى : « لا نريد إلا الحج » ، وفى رواية : « وكنت ممن تمتع ولم يسق الهدى اهـ » . فـلم يثبت للناس قدم فى قرانها أو حجتها بافراد ، ومؤلف واحد يختلف كلامه فى الترجيح كما سبق ذكره ، فيشكل على حديثها المدار فى مثل هذا المعترك مع تجاذب شديد بين الروايات تفقهاً وحديثاً .

وأما ثانياً : فكانت معه ﷺ من الكثرة الغامرة ، وأقل ما قيل فيها : أربعين ألفاً من المعتمرين والحجاج ، وفيهم من أمروا بفسخ الحج إلى العمرة من غير

سائق الهدى، فكانوا متمتعين ، وأرى أن هؤلاء هم فى غاية الكثرة ، فكانوا متمتعين والمتمتع عليه الطوافان والسعيان بإجماع الأمة قاطبة . فكيف يكون لهؤلاء طواف واحد وسعى واحد ؟

وأما ثالثاً : فقولها : « وأما الذين جمعوا بين الحج والعمرة فإنما طافوا طوافاً واحداً » التعبير يشمل القارنين والمتمتعين جميعاً ، وإن كان المتبادر سياقاً للقارنين ، فإن التعبير القرآنى هو التمتع بالعمرة إلى الحج يشمل النوعين ، والقران لغةً يشمل التمتع ، ثم الإصطلاح الحادث يفرق بينهما، فلم يبق القطع فى الدلالــة للقران فقط حيث إن المتمتع سائق الهدى مثل القارن ، ولو كان غير سائق الهدى فهما لا يحلان إلا بالطواف يوم النحر . نعم إن من فسخ الحج إلى العمرة حل فى البين بطواف العمرة وسعيها ، ولاريب أن لفظ حديث عائشة فى البخارى من طريق عروة: «فطاف الذين أهلوا بالعمرة ثم حلوا ثم طافوا طوافاً آخر بعد أن رجعوا من منى» ، ليس لكل متمتع ابتداء بل للذين فسخوا حجهم إلى العمرة بأمره ﷺ ولم يكن معهم هدى . فبقى لفظ " جمعوا " شاملاً للقارن والمتمتع سائق الهدى جميعاً ، والله أعلم .

وأما رابعاً : فقول سيدتنا عائشة : « طافوا طوافاً واحداً » الغرض منه الطواف الذى لحل، فالقارن والمتمتع سائق الهدى كل يحل بالطواف يوم النحر ، فكان الطواف لحل منهما جميعاً ، فمدار الحل على الطواف الواحد ، ومن أجل هذا جاء هذا التعبير هكذا، أفاده شيخ مشايخنا محمود حسن الديوبندى، واطمأن إليه شيخنا وشيخنا العثمانى فى " فتح الملهم " .

وأما خامساً : فقولها : « وأما الذين جمعوا بين الحج والعمرة فإنما طافوا طوافاً واحداً » مؤول عند الكل ، فليس هناك طواف واحد ، لا للقارن ولا

للمتمتع ، فلكل واحد منهم عدة أطوفة ، وعلى الأقل ثلاثة كما كان لرسول الله ﷺ ، فتأويله بالطواف الواحد للعمرة والحج معاً ليس بأقرب من تأويله بأن الطواف الواحد لحل منهما جميعاً . فإذن استوت الكفتان للميزان ، فكل واحد أصبح بيده الحجة والبرهان ، والله المستعان .

قال شيخ مشايخنا الشيخ محمود الديوبندى بعد ما لخصناه سابقاً: وظنى أن مقصود عائشة بهذا الحديث ليس بيان وحدة الطواف وتعدده ، بل الغرض الأصلى إثبات التحلل بين الطوافين للمتمتعين ونفيه عن القارنين . فمعنى قولها : « فإنما طافوا طوافاً واحداً » أى إنما طافوا للإحلال منهما طوافاً واحداً ، وهو طواف الإفاضة بخلاف المتمتعين فإنهم حلوا أولاً من العمرة بالطواف الأول ، ثم حلوا من الحج بالطواف الثانى . ويؤيد ما ذكرناه قولها فى طريق الأسود عن عروة عنها : « فأما من أهل بعمرة فحل ، وأما من أهل بحج أو جمع الحج والعمرة فلم يحلوا حتى كان يوم النحر » اهـ . حكاه شيخنا العثمانى فى " فتح الملهم " ، وشيخنا إمام العصر رحمه الله أشار إليه .

قال الراقم: وأنت إذا لاحظت سياق روايات عائشة وألفاظها فى "صحيح مسلم" اتضح لك ذلك اتضاحاً بأنها تعنى بمسألة الحل لا بالتعدد ، فتقول فى رواية : فقال رسول الله ﷺ : « من أحرم بعمرة ولم يهد فليحلل ، ومن أحرم بعمرة وأهدى فلا يحل حتى ينحر هديه ، ومن أهل بحج فليتم حجه » ، وفى أخرى تقول : فقال النبى ﷺ : « من كان معه هدى فليهل بالحج مع عمرته ، لا يحل حتى يحل منهما جميعاً » إلى غير ذلك من كلماتها ورواياتها وتعبيراتها . . . . . .

وأما حديث ابن عمر ! ففيه : أما أولاً :

قد اختلفت رواياتـه مثل حديث عائشة أو قريباً منه ، فتارةً يحـدث : أنه ﷺ كان قارناً فطاف لهما طوافاً واحداً ، وتارةً أخرى يخبر : بأنه كان فى حجة الوداع متمتعاً ، وإنه بدأ بالعمرة ، فقد روى الزهرى عن سالم أن عبد الله ابن عمر قال: « تمتع رسول الله ﷺ فى حجة الوداع بالعمرة إلى الحج ، وأهدى وساق الهدى من ذى الحليفة الخ » ، رواه البخارى ومسلم وغيرهما ، فإن كان متمتعاً سائق الهدى فكيف اكتفى بطواف واحد لهما ؟ وهو خلاف إجماع الأئمة والأمة ، فإن كان لأحد أن يتأول التمتع بالقران كما يتأوله الحافظ فى "الفتح" فلآخر أن يتأول بأن الطواف للقدوم طوافاً واحداً كما تأوله العينى فى "العمدة" ؛ أو يتأول بأن الطواف الواحد للحل منهما جميعاً حيث لم يتحلل بعد أفعال العمرة . وفى لفظ لابن عمر بطريق بكر بن عبد الله عنـــه : « إن النبى ﷺ وأصحابه قدموا ملبين بالحج فقال رسول الله ﷺ : من شاء أن يجعلها عمرة الخ » ، وقد تقدم فى رواية سالم: « بدأ فأحرم بالعمرة » ، وجمع بينهما الطحاوى بأنه أدخل العمرة على الحج وفسخ الحج بالعمرة ولم يطف قبل يوم النحر لحجته ، واكتفى قبل النحر بطوافه للقدوم فى العمرة ولم يعده ، ثم طاف يوم النحر طوافاً للحل كما يدل عليه سياق نافع عن ابن عمر أنه كان إذا قدم مكة يرمل بالبيت ثم طاف بين الصفا والمروة إلى يوم النحر ، وكان لا يرمل يوم النحر ، فدل على أنه إذا أحرم بالحج من مكة لم يطف لها إلى يوم النحر . فلم يكن فى حديثه من حكم طواف القارن . وعند هذه التوجيهات واختلاف التعبيرات كيف يمكن الاستدلال بها لوحدة طواف القارن ؟

وأما ثانياً : فاختلفت روايتـــه رفعاً ووقفاً ، فحديث الباب من طريق عبد العزيز بن محمد ـ وهو الدراوردى ـ عن عبيد الله بن عمر ـ وهو العمرى ـ عنه مرفوعاً ، فيقول الترمذى: ورواه غير واحد عن عبيد الله ولم يرفعه

وهو أصح . فصحح الإمام الترمذی وقفه وخطأ من رفعه . ويقول الحافظ أبو عمر فی " الاستذكار " كما فی " العمدة " (٤ ــ ٦٤٨) : لم يرفعه عن عبيد الله غير الدراوردی ، وكل من رواه عنه غيره أوقفه على ابن عمر ، وكذا رواه مالك عن نافع موقوفاً . وقال أبو زرعة : الدراوردی سیئ الحفظ ، ذكره الذهبی فی " الكاشف " . وقال النسائی : ليس بالقوی ، وحديثه عن عبيد الله منكر . وقال ابن سعد : كان كثير الحديث يغلط اهـ . وهذا الذی يقوله الإمام الطحاوی فی " شرح معانی الآثار " : إن هذا الحديث خطأ ، أخطأ فيه الدراوردی فرفعه ، وإنما أصله عن ابن عمر نفسه ، هكذا رواه الحفاظ عن عبيد الله وقال : وهم مع هذا لا يحتجون بالدراوردی عن عبيد الله أصلاً ، فلم يحتجون به فی هذا اهـ ؟

فلاريب أن رفعه غريب تفرد به وخالف الحفاظ ، وهو منكر عن عبيدالله العمری ، فكيف ساغ لهم الاحتجاج به ؟ وكيف يكون حجة على الخصم ؟ وكيف والطحاوی لم يتفرد بالرد عليه فی هذا بل وافقه الجهابذة من أهل الحديث كابن عبد البر والذهبی ، وقبلهما ابن سعد وأبو زرعة والنسائی وغيرهم ؟ فإن كان هو ثقة فإنما هو فی روايته عن غير الدراوردی لا مطلقاً ، فلا يكون زيادته من قبيل زيادة الثقات ، بل هو غير ثقة فی الدراوردی وإن سلمناه ثقة فی غيره . وأصبح حديث عائشة وهو أصح ما عندهم ، وحديث ابن عمر عندهم أقوى ما يكون نظير حديثه فی رفع اليدين ، فكان أصح ما فی الباب ظاهراً ، وأصبح الاحتجاج به واهياً بعد البحث والتحقيق كما أسلفناه مفصلاً فی رفع اليدين من هذا الكتاب .

فإذا صح كونه موقوفاً فمثل موقوف ابن عمر لا يمكن أن يقاوم أثر ابن مسعود ، فكيف يقاوم أثر علی فضلاً عن حديثيهما المرفوعين ، فإن لم يصح

عندهم عن ابن مسعود وعن على مرفوعاً ولا موقوفاً ، فقد صح عند غيرهم من الكوفيين وهم أعلم بهم منهم، ومن علم حجة على من لم يعلم، وبالله التوفيق .

وأما ثالثاً : فحديث ابن عمر المخرج فى " الصحيح " فى (باب طواف القارن) : « إنه أراد الحج عام نزل الحجاج بابن الزبير ، فقيل له : إن الناس كائن بينهم قتال ، وإنا نخاف أن يصدوك - إلى أن قال - : أشهدكم أنى قد أوجبت حجاً مع عمرتى ، وأهدى هدياً اشتراه بقديد ولم يزد على ذلك فلم ينحر ولم يحل من شئ حرم منه ولم يحلق ولم يقصر حتى كان يوم النحر فنحر وحلق ، ورأى قد قضى طواف الحج والعمرة بطوافه الأول ، وقال ابن عمر : «كذلك فعل رسول الله ﷺ » لا يوافق أحداً من الأئمـة إلا ما تكلفه الحافظ أبو عمر ابن عبد البر لتطبيقه بمذهب مالك فقال : طواف القدوم إذا وصل بالسعى يجزئ عن طواف الإفاضة لمن تركه جاهلاً الخ ، كما حكاه الحافظ ، حيث يدل الحديث أنه لم يطف طواف الإفاضة وإنما الطواف الأول للقدوم أو عند القدوم قبل يوم النحر يغنى عن طواف الإفاضة ، فكيف يستقيم هذا عندهم ؟ وكيف يستدلون بحديث ابن عمر ؟ . والحافظ ابن حجر فى " الفتح " (٣ - ٣٩٦) يرى أنه تحير فى تأويله ثم حمل قوله : " طوافه الأول " على طواف الإفاضة يوم النحر أو على السعى . قال : ويؤيد الثانى حديث جابر عند مسلم « لم يطف النبى ﷺ ولا أصحابه بين الصفا والمروة إلا طوافاً واحداً ، طوافه الأول » وهو محمول على ما حمل عليه حديث ابن عمر المذكور والله أعلم اهـ .

فكأنه متردد متحير فى توجيهه وتأويله . نعم تأويله عندنا - كما قال شيخنا - على ما تأولنا به حديث عائشة بأنه أراد من طواف الحج طواف القدوم للحج مع طواف العمرة ، فأجزأ طواف واحد عنهما جميعاً، ولم يذكر فى الرواية طواف الإفاضة يوم النحر ، وهو مراد ألبتة وإن تركه الراوى عنه ، ويدل

عليه قوله: « كذلك فعل رسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ فعل كذلك حيث طاف يوم القدوم ، وأجزأ ذلك الطواف الأول عن القدوم والعمرة جميعاً ، ثم طاف يوم النحر ، وهذا توضيح ما قاله شيخنا رحمه الله وقدس روحه فى إملائه فى " العرف الشذى" .

ومن غايـة الغرابة تفرد مالك فى عدم طواف الزيارة وسقوطه فى تلك الصورة الخاصة ، وهو ركن لايحتمل السقوط ، وتواترت الروايات بطواف الإفاضة ، وثبوته ثبوتاً قطعياً لا مرد له ، وذلك بتعبير راوٍ لا يدرى ما ذا حدث ، نسى أو أخطأ ؟ فترك المقطوعات بمثله عجيب .

وأما حديث جابر: فهو ما رواه الإمام مسلم فى "صحيحه" (١ — ٤١٤) فى (باب أن السعى لا يتكرر) من طريق أبى الزبير : « أنـه سمع جابر بن عبد الله يقول : لم يطف النبى ﷺ ولا أصحابه بين الصفا والمروة إلا طوافاً واحداً » ، وفى طريق أخرى : « إلا طوافاً واحداً طوافه الأول » . واستدل به الإمام النووى فقال : وفيه دليل لما قدمناه أن النبى ﷺ كان قارناً ، وأن القارن يكفيه طواف واحد وسعى واحد اهـ .

فنقول أولاً : قد ثبت فى أحاديث عائشة وغيرها فى البخارى ومسلم وغيرهما أن الصحابة كان منهم من تمتع ومنهم من قارن ومنهم من أفرد، وقد تحقق كما قررناه سابقاً أن الكثرة الغامرة من المهاجرين والأنصار كانوا متمتعين غير سائقى الهدى، وأن القارنين هم رسول الله ﷺ والخلفاء الأربعة وطلحة والزبير، وقليل ما هم . والمتمتع عليه طوافان وسعيان عنده وعندنا جميعاً ، فكيف يستقيم أن يستدل به مطلقاً إلا ما عند أحمد فى رواية بأن المتمتع ليس عليـه إلا سعى واحد ، فلو كان لأحد أن يستدل بـه لـكان هو ما روى عن

أحمد ، وأما النووى فلا يصح له أن يستدل به لمذهبه ، ورواية أحمد لم يذكره الخرق ولا ابن قدامة فى " المغنى " ، بل ذكر مذهبه كمذهب الجمهور . أنظر " مغنى ابن قدامة " (٣ — ٤٤٢) .

وبالجملة لا يستقيم الاستدلال بمثله لوحدة السعى ، ومثل هذا حديث جابر عند أبى داود فى (باب إفراد الحج) (١ — ٢٤٨) - وأخرجه الطحاوى - يخالف مذهب أبى حنيفة وأصحابه والثورى والأوزاعى ، يدل على وحدة السعى بين الصفا والمروة للمتمتع فى حجة الوداع ، ولفظه : قال : « قدم رسول الله ﷺ وأصحابه لأربع خلون من ذى الحجة ، فلما طافوا بالبيت وبالصفا والمروة قال رسول الله ﷺ : إجعلوها عمرةً إلا من كان معه الهدى ، فلما كان يوم التروية أهلوا بالحج ، فلما كان يوم النحر قدموا فطافوا بالبيت ولم يطوفوا بين الصفا والمروة » . واحتج به ابن القيم لوحدة سعى المتمتع ، ولكن كيف يصح به الاستدلال ، وحديث ابن عباس فى " صحيح البخارى " فيه نص صريح للسعى بين الصفا والمروة مرةً أخرى بعد طواف الزيارة ؟ فأخرج البخارى فى " صحيحه " فى (باب قول الله عزوجل : ذلك لمن لم يكن أهلــه حاضرى المسجد الحرام) من حديث ابن عباس : « إنه سئل عن متعة الحج فقال : أهل المهاجرون والأنصار وأزواج النبى ﷺ فى حجة الوداع وأهللنا ، فلما قدمنا مكة قال رسول الله ﷺ : " اجعلوا إهلالكم بالحج عمرة إلا من قلد الهدى " فطفنا بالبيت وبين الصفا والمروة وأتينا النساء ولبسنا الثياب ، وقال : "من قلد الهدى فإنه لا يحل حتى يبلغ الهدى محله" ، ثم أمرنا عشية التروية أن نهل بالحج ، فإذا فرغنا من المناسك جئنا فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة ، فقد تم حجنا وعلينا الهدى » .

فهذا نص صريح فى تعدد السعى للمتمتعين، وهذا مثبت يقدم على النافى، ويرجح رواية البخارى على أبى داود، فلرواية البخارى ترجيح على رواية أبى داود من جهة كونها أصح ومن جهة كونها مثبته لما نفته رواية أبى داود أو يتأول بأن المراد فى رواية بعض الصحابة لا كلهم، أفاده شيخنا رحمه الله .

ويحتمل أن هؤلاء الذين لم يطوفوا بين الصفا والمروة بعد طواف الإفاضة لأجل أنهم طافوا بالصفا والمروة قبل الرواح إلى منى، بأن يطوفوا بالبيت طواف النفل لأجل تقديم السعى، وتقديم السعى جائز بعد أن يكون مسبوقاً بطواف كطواف القدوم أو طواف النفل، فكان الغرض أنهم لم يعيدوا السعى مرةً أخرى .

وفى " العرف الشذى" من إملاء الشيخ ـ قدس الله روحه ـ ما معناه: أنه ظهرلى فى شرح حديث جابر عند مسلم وما يضاهيه من الروايات: أن السعى الواحد لنسك واحد كاف (أى لا يحتاج إلى سعى آخر)، وهذا أمر متفق بين الأمة . قال: ثم وجدت إشارةً خفيةً من الإمام الطحاوى اه .

قال الراقم : والعبارة فى غاية الاختصار، وربما يكون غرض الشيخ ما قلتــه آنفاً بقولى : " ويحتمل الخ " . وما ذكره الشيخ من إشارة الطحاوى فلعله يريد به ما قال فى (باب القارن الخ) بعد رواية أبى الزبير عن جابر : "وإنما أراد جابر بهذا أن يخبرهم أن السعى بين الصفا والمروة لا يفعل فى طواف يوم النحر ولا فى طواف الصدر كما يفعل فى طواف القدوم"، وليس فى شئ من هذا دليل على أن ما على القارن من الطواف لعمرته وحجته هو طواف واحد أو طوافان اهـ .

قال الراقم: ولعل الغرض أن القارن إذا سعى بعد طواف القدوم لا يسعى

مرة أخرى بعد الإفاضة والصدر . وذكر أرباب المناسك كما فى " اللباب " وشرحه وغيره : إن المستحب للقارن أن يقدم سعى الحج فيسعى بعد القدوم كما أن المستحب للمفرد والمتمتع تأخير السعى إلى ما بعد الإفاضة، وأرجو الله أن أكون مصيباً فى فهم غرض الإمام الطحاوى وغرض الشيخ رحمهما الله والله سبحانه أعلم بالصواب .

وقال شيخ مشائخنا المحمود كما حكاه شيخنا العثمانى فى " فتح الملهم " (٣ ــ ٢٥٣) : حديث جابر أدل على وحدة السعى للمتمتع من القارن ، فكلنا مطالب بالجواب عنه ولدفع المعارضة بين حديثه وحديث ابن عباس فى الصحيح . وشيخنا العثمانى رجح حديث أبى الزبير عن جابر عند مسلم على حديث عطاء عنه ، ثم وجهه توجيهاً آخر فراجعه . وقد طال البحث وطاب ، فأحب أن ألخص مقاصده وآتى بالصفوة واللباب رغبةً فى الضبط ، تيسيراً على الألباب، والله هو الموفق للصواب .

الأول . إن مسألة تعدد السعى والطواف ووحدتهما للقارن خلافية قديمة من أقدم عصورها ، وفى كل جانب جماعة من الصحابة والتابعين كما ذكره الترمذى، فذهب عمر وعلى وابن مسعود وسيدا شباب أهل الجنة وكبار التابعين من أهل الكوفة كعلقمة والأسود والشعبى والنخعى وشريح وغيرهم : إلى التعدد ، وهو مذهب الأئمة وفقهاء الأمصار ، كأبى حنيفة وسفيان والأوزاعى وأحمد فى رواية . وذهب ابن عمر وجابر وعائشة وعطاء والحسن وطاؤس: إلى الوحدة ، وإليه ذهب مالك والشافعي وأحمد فى المشهور .

الثانى : إن هؤلاء اتفقوا جميعاً على أن القارن يطوف طواف القدوم وهو سنة ، وطواف الإفاضة وهو فرض ، وطواف الصدر وهو واجب أو سنة

مثل الواجب، ورسول الله ﷺ طاف ثلاثة أطوفة ، فاتفقوا فى الأخيرين على محمل متفق ، واختلفوا فى الأول ، فعند من قال بالتعدد هو للعمرة ، وتداخل فيه القدوم . وعند القائلين بالوحدة هو للقدوم ، فكان الاختلاف فى تخريج الأول .

الثالث : إن حجة الأولين أخبار وآثار :

منها : حديث الصبى بن معبد التغلبى عند أبى حنيفة فى " مسنده " ، وفى روايته تفصيل كمذهبه، ورواه مختصراً الطيالسى وأحمد واسحاق وابن أبى شيبة وابن حبان وآخرون . وفى رواية أبى حنيفة ابراهيم النخعى عن عمر والصبى مرسلاً ، ولكن مراسيل النخعى مقبولة ، كما حققه ابن عبد البر وغيره . واستدلال الأئمة أبى حنيفة والثورى والأوزاعى وغيرهم أمارة صحة الحديث عندهم .

ومنها : حديث على فى "كبرى النسائى" واعترف الحافظ فى " الدراية " بتوثيق رجاله ، وعلى الأقل أنه حسن ، وتأول الشافعى فى متنه ، وذلك دليل على صحة إسناده عنده .

ومنها : حديث ابن عمر عند الدارقطنى ، وفيه الحسن بن عمارة ، والحديث يصلح شاهداً .

ومنها : حديث عمران بن حصين، وفيه محمد بن يحيى ، وهو ثقة عند ابن حبان .

ومنها : حديث ابن مسعود عند الدارقطنى ، وفيه أبو بردة عمرو بن يزيد، ذكره ابن حبان فى الثقات .

وأما الآثار : فعن على فى "كتاب الآثار" للشيبانى والطحاوى والبيهقى

فى " المعرفة " ، وله أسانيد متعددة ، وسكت عليه الحافظ فى " الدراية " ، وسكوته دليل على قبوله عنده . وعن ابن مسعود عند ابن أبى شيبة ، وسكت عليه صاحب "الدراية" ويكفى للاحتجاج ما عن على وعبد الله ، والكوفيون أعلم الناس بحديثهما . وعن الحسن بن على عند ابن أبى شيبة ، وفيه الحجاج بن أرطاة ، وحديثه حسن ، وسكت عليه فى " الدراية " . وعن الحسين بن على عند ابن حزم فى " المحلى " وإسناده لا بأس به .

وحجة الآخرين أحاديث عائشة وابن عمر وجابر فى " الصحيحين " ، وفى حديث كل من هؤلاء على الرغم من صحة أسانيدها مغامز معنوية وعلل قادحة ، من تعارض الكلمات واختلاف التعبيرات ، وللسابقين محامل صحيحة لها ، يجمع بها وبين الروايات السابقة من غير أى تضاد وتضارب . وحديث ابن عمر مختلف رفعاً ووقفاً ، وخالف الدراوردى فى رفعه من هو أوثق منه ، وروايته عن عبيد الله العمرى منكر عندهم كما يقوله النسائى وأبو زرعة وابن سعد ، فإذا صح موقوفاً فموقوف مثل ابن أم عبد أولى منه بالحكم ، وروايته فى "الصحيح" فى (باب القارن) لا يوافق أحداً من الجمهور ، وحديث جابر فى " صحيح مسلم " فيه لفظ يخالفهم جميعاً ، فكيف يستقيم الاستدلال به ؟ وحديث جابر عند أبى داود يعارضه حديث ابن عباس عند البخارى ، وفيه تعدد السعى للمتمتع ، فيقدم على رواية جابر لكونه أصح .

الرابع : إن تخريج أرباب الصحاح لروايات لا يكون وجهاً للترجيح بأن يكون حجة على الأولين حيث احتجوا بروايات آخرين قبل هؤلاء ، وهؤلاء المؤلفون اختاروا مذهباً فقهياً قبل عهد التأليف ، وانحازوا إلى جهة ، ثم اختاروا روايات لتأييدها فأخرجوها فى كتبهم ، فكيف يكون هذا حجة على السابقين حين ذهبوا إلى ما ذهبوا قبل أن يخلق هؤلاء ؟

الخامس : إن الكثرة الغامرة من المهاجرين والأنصار كانوا متمتعين ، والقارنون أقل قليل ، والمتمتعون عليهم طوافان وسعيان ، فكيف يصح قول عائشة وابن عمر على الظاهر ؟ وأما الذين جمعوا بين الحج والعمرة إنما طافوا طوافاً ، والغرض منه من لم يتحلل فى البين سواء كان متمتعاً سائق الهدى أو كان قارناً ، والأول عليه طوافان وسعيان عند الجميع ، مع أن هذه اللفظة متأولة عند الكل حيث إن الطواف لم يكن واحداً بل ثلاثة .

السادس : إن أهل الكوفة أعلم الناس بحديث على وحديث عبد الله ووصلت أحاديث هؤلاء ناضجة إلى أبى حنيفة ، فهو أحق بها وأهلها ، وأعرف بها من غيرهم ، فليس لأحد أن يزاحمهم أو يقاومهم ، والله ولى التوفيق

السابع : إن الصحابة المشاهدين كان القصد فى روايتهم ما أدى إليه الحس والمشاهدة بالأبصار دون البحث عن الملاحظ والأنظار ، وإنما ذلك وظيفة الفقهاء يكشفون عن الأغراض ويبحثون عن الأسباب وتطبيقها بالقواعد ، ويراعون فى ذلك القرائن الخارجية ، ولا يقتنعون بمحض الكلمات والتعبيرات ولما كان عدم التحلل فى البين للقارنين وسائقى الهدايا وحلوا بطواف واحد لهما جميعاً جاء التعبير هكذا ، فقال : وأما الذين جمعوا بين الحج والعمرة فطافوا لهما طوافاً واحداً ، والمتمتع حل فى البين ، فأفرزوا فى البيان ، كل نسك بطوافه بالبيت وبالصفا والمروة .

الثامن : إنه لما اختلفت الروايات وقع الرجوع إلى أقوال الصحابة وكبارهم ، فالإمام أبو حنيفة ومن وافقهم نظروا إلى مثل عمر وعلى وعبد الله دون عائشة وابن عمر وجابر بن عبد الله ، فاختاروا ما اختاروا . ومن كان هؤلاء أسوتهم لم يخطئوا بل أصابوا المحز وطبقوا المفصل ع :

إذا قالت حذام فصدقوها ٭ فإن القول ما قالت حذام

فائدة : ربما يظن أحد من الجهال ظن سوء على رواة الحديث من هذه الاختلافات المدهشة فى الحجـة الواحدة ، فقد تنبه له فى أقدم العصور مثل الإمام الشافعى ، وأجاب عن هذه الاختلافات بتوجيه يطمئن به قلب المنصف، وها أنا أذكره بلفظ الإمام الخطابى، وإن كنت قد أزحت أمثال هذه الشبه الواهية فى المقدمة ، فأكتفى الآن بما قاله رحمه الله . قال فى كتابه "معالم السنن" (٢ - ١٦٠) : غير أن جماعة من الجهال ونفراً من الملحدين طعنوا فى أحاديث رسول الله ﷺ وفى أهل الرواية والنقل من أئمة الحديث وقالوا : لم يحج النبى ﷺ بعد قيام الإسلام إلا حجـة واحدة ، فكيف يجوز أن يكون فى تلك الحجة مفرداً وقارناً ومتمتعاً ؟ وأفعال نسكها مختلفة، وأحكامها غير متفقة، وأسانيدها عند أهل الرواية ونقلة الأخبار جياد صحاح ، ثم قد وجد فيها هذا التناقض والاختلاف، يريدون بذلك توهين الحديث ، والإزراء به ، وتصغير شأنه ، وضعف أمر حملته ورواته .

قلت: لو يسروا للتوفيق وأعينوا بحسن المعرفة لم ينكروا ذلك ولم يدفعوه، وقد أنعم الشافعى بيان هذا المعنى فى كتابه "اختلاف الحديث" وجود الكلام فيه ، وفى اقتصاصه على كمالـه ، والوجيز المختصر من جوامع ما قاله فيه : إن معلوماً فى لغة العرب جواز إضافة الفعل إلى الآمر به كجواز إضافته إلى الفاعل له ، كقولك : "بنى فلان داراً" إذا أمر ببنائها ، و "ضرب الأمير فلاناً" إذا أمر بضربـه . وروى رجم رسول الله ﷺ ماعزاً وقطع سارق رداء صفوان ، وإنما أمر برجمـه ولم يشهده ، وأمر بقطع يد السارق ، ومثله كثير فى الكلام . وكان أصحاب رسول الله ﷺ منهم المفرد ومنهـم القارن والمتمتع، وكل منهم يأخذ عنه أمر نسكه ، ويصدر عن تعليمه ، فجاز أن يضاف كلها إلى رسول الله ﷺ على معنى أنه أمر بها وأذن فيها ، وكل قال

صدقاً وروى حقاً ، لا ينكره إلا من جهل وعاند ، والله الموفق .

قلت : ويحتمل ذلك وجهاً آخر ، وهو أن يكون بعضهم سمعه يقول : " لبيك بحج " فحكى أنه أفردها ، وخفي عليه قوله : " وعمرة " ، فلم يحك إلا ما سمع وهو عائشة ، ووعى غيره الزيادة فرواها وهو أنس حين قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " لبيك بحج وعمرة " ، ولا تنكر الزيادات في الأخبار كما لا تنكر في الشهادات ، فإنما كان يختلف ويتناقض لو كان الزائد نافياً لقول صاحبه ، فأما إذا كان مثبتاً له وزائداً عليه فليس فيه تناقض ولا تدافع . وقد يحتمل أيضاً : أن يكون الراوي سمع ذلك يقوله على سبيل التعليم لغيره فيقول له : " لبيك بحجة وعمرة " يلقنه ذلك ، وأما من روى أنه تمتع بالعمرة إلى الحج فإنه قد أثبت ما حكته عائشة من إحرامه بالحج ، وأثبت ما رواه أنس من العمرة والحج ، إلا أنـه أفاد الزيادة في البيان والتمييز بين الفعلين بإيقاعهما في زمانين ، وهو ما روته حفصة ، روى عنها عبد الله بن عمر أنها قالت : « يا رسول الله! ماشأن الناس حلوا ولم تحل أنت من عمرتك ؟ فقال : إني لبدت رأسي وقلدت هديي ، فلا أحل حتى أنحر ، فثبت أنه كان هناك عمرة ، إلا أنـه أدخل عليها الحج قبل أن يقضي شيئاً من عمل العمرة فصار في حكم القارن ، وهذه الروايات على اختلافها في الظاهر ليس فيها تكاذب ولا تهاتر ، والتوفيق بينها ممكن ، وهو سهل الخروج غير متعذر والحمد لله اهـ .

قال الراقم : وزد على ذلك أن القوم كانوا في غاية الكثرة كما أشرنا إليه نحو مائة ألف على ما يقال . والعبادة من مناسك الحج لم يعهد لهم علم بأحكامها وكانوا يأخذون المناسك في نفس هذه الرحلـة ، والحديث أسلوبه أسلوب الحديث والخطاب في المجالس ليس على شاكلـة التأليف والكتابة ، فيكون أشياء في الواقع هناك تكون لها مخائل وقرائن لفهم الغرض والعون على إدراك

(باب ما جاء أن يمكث المهاجر بمكة بعد الصدر ثلاثاً)

الحقائق ، وإذا نقل إلى التأليف فقدت تلك المخائل ، فأشكل فهمها ، والإسناد حقيقى ومجازى ، ومنهم قارن ومنهم متمتع ، ولكل منها أحكام مختلفة . فبطبيعة الحال جاء هذا الاختلاف ، فالاختلاف طبيعى غير غريب ، وإنما الغريب فهمهم لإدراك هذه الحقائق الدينية أول مرة ، واتفاقهم على المغزى من المقاصد ، وضبطهم ومشاهدتهم لهذه الأفعال والأعمال ، وبلوغهم إلى غاية من الذكاء والتيقظ . فضبطوا عملاً عملاً ، وفهموا شيئاً شيئاً ، وهذا شئ عجيب وأمر غريب ، وكل ذلك من خصائص هذه الأمة ومبزاتها ، وصفاء طبائع هؤلاء الصحابة الذين تجلت أذهانهم وأفهامهم ببركة صحبته ﷺ ، فوصلوا إلى مرتبة من الذكاء وصفاء القلوب وجلاء الأرواح وتهذيب النفوس ، لا يجارى ولا يبارى ، والله سبحانه ولى التوفيق إلى فهم هذه الحقائق الشرعية وثلج اليقين إلى إدراكها وبلج الجبين بمعانيها ، فكان الأمر كما قال قائلهم ، وهو ابن بابك الكندى :

من أم بابك لم تبرح جوارحه ٭ تروى أحاديث ما أوليت من منن
فالعين عن قرة والكف عن صلة ٭ والقلب عن جابر والسمع عن حسن

فلتكن هذه الحقائق أمام الباحث الخبير . ولتكن هذه الملاحظ بين يدى العدل البصير .

— باب ما جاء أن يمكث المهاجر بمكة بعد الصدر ثلاثاً :—

أخرج الترمذى فى الباب حديث العلاء الحضرمى ، وهو حديث متفق

حدثنا : أحمد بن منيع نا سفيان بن عيينة عن عبد الرحمن بن حميد سمعت السائب بن يزيد عن العلاء بن الحضرمي يعني مرفوعاً قال : « يمكث المهاجر بعد قضاء نسكه بمكة ثلاثاً » .

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وقد روى من غير هذا الوجه بهذا الإسناد مرفوعاً

عليه من رواية البخاري في (باب إقامة المهاجر بمكة بعد قضاء نسكه) من كتاب مناقب الأنصار (١ — ٥٦٠) ومسلم في كتاب الحج . ولفظ البخاري سمعت العلاء الحضرمي قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاث للمهاجر بعد الصدر » . والعلاء الحضرمي اسمه: عبد الله بن عمار، صحابي جليل ، ولاه النبي ﷺ البحرين ، وكان مجاب الدعوة ، ومات في خلافة عمر رضي الله عنهما . هذا ملخص ما قاله في " الفتح" (٧ — ٢٠٨) و " العمدة " (٨ — ١٢٧) .

و " الصدر" بفتح الصاد والدال المهملتين ، ومعناه لغةً هو : رجوع المسافر من مقصده، والشاربة من الورد، وبابه "نصر"، ومثله: " الصدور" ، وأريد به هنا : رجوع الحاج من منى ، والغرض منه طواف الوداع ، ويسمى طواف الصدر ، وكان إقامة المهاجر بمكة حراماً ثم أبيح بعد قضاء النسك ثلاثة أيام . قال النووي : معنى هذا الحديث أن الذين هاجروا يحرم عليهم استيطان مكة ، وحكى عياض أنه قول الجمهور، قال : وأجازه لهم جماعة بعد الفتح، فحملوا هذا القول على الزمن الذي كانت الهجرة المذكورة واجبة فيه . واتفق الجميع على أن الهجرة قبل الفتح كانت واجبة عليهم ، وأن سكنى المدينة كان واجباً لنصرة النبي ﷺ ومواساته بالنفس . وأما غير المهاجرين فيجوز له سكنى أي بلد أراد سواء مكة وغيرها بالاتفاق ، كما في " العمدة "

(باب ما جاء ما يقول عند القفول من الحج والعمرة)

حدثنا علي بن حجر نا اسماعيل بن ابراهيم عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال « كان النبي ﷺ إذا قفل من غزوة أو حج أو عمرة فعلا فدفداً من الأرض أو شرفاً كبر ثلاثاً ثم قال : " لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير ، آئبون تائبون عابدون سائحون لربنا حامدون ، صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده » .

و " الفتح " . واستنبط منه أن إقامة ثلاثة أيام لا تخرج صاحبها عن حكم المسافر ، قاله الشهاب والبدر، وراجع لبعض التفصيل " الفتح " (٧ — ٢٠٨)

ـــ : باب ما جاء ما يقول عند القفول من الحج والعمرة :ـــ

أخرج الترمذى فى الباب حديث ابن عمر ، ورواه البخارى فى الجهاد فى (باب التكبير إذا علا شرفاً) ، ورواه مسلم فى الحج ، ولفظ البخارى ومسلم : « كانا أوفى على ثنية أو فدفد » وفى روايتهما : " ساجدون " بل " سائحون " ، ومعنى " سائحون " من السياحة أى سائرون للمطلوب والمقصود ، ومعنى " الشرف " بفتح الشين المعجمة والراء المهملة المفتوحتين : المكان المرتفع . ومعنى " أوفى " : علا وارتفع . و " الفدفد " بفائين مفتوحتين بينهما دال مهملة ساكنة : الأرض الغليظة ذات الحصى ، وقيل : المكان المرتفع الصلب ، قاله الشارحون من البدر والشهاب والنووى . ومعنى " آئبون " : راجعون

قوله : صدق الله وعده الخ . أى صدق وعده فى إظهار الدين وكون العاقبـــة للمتقين وغير ذلك من وعد الله سبحانه ، إن الله لا يخلف الميعاد ، وهزم الأحزاب وحده أى من غير قتال من الآدميين . والمراد " بالأحزاب "

وفى الباب عن البراء وأنس وجابر . قال أبو عيسى : حديث ابن عمر حديث حسن صحيح .

(باب ما جاء فى المحرم يموت فى احرامه)

حدثنا : ابن أبى عمر نا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : « كنا مع النبى ﷺ فى سفر فرأى رجلاً سقط عن بعيره فوقص فمات وهو محرم ، فقال رسول الله ﷺ : اغسلوه بماء وسدر وكفنوه فى ثوبيه ، ولا تخمروا رأسه فإنه يبعث يوم القيامة يهل أو يلبى » .

الذين اجتمعوا يوم الخندق وتحزبوا على رسول الله ﷺ فأرسل الله عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها ، وقيل : أحزاب الكفر فى جميع المواطن اهـ ، من شرح النووى مختصراً .

قال الشيخ : وذكر النووى استحباب الوقف على كل جملة من هذه الثلاثة . قال الراقم : ولعله قاله فى غير شرح " مسلم " . قال الشيخ : والشافعية لهم عناية فى ذكر الأدعية المأثورة والأذكار المروية فى الصلاة والحج فى متونهم ، وفى كتبهم الفقه ، والحنفية لا يذكرونها فى كتبهم الفقهية (إلا قليلاً منهم كابن الهمام فى "الفتح" ذكر من أدعية الحج قدراً كثيراً) . وصاحب " الهداية " المرغينانى قد ألف كتاباً مستقلاً فى أدعية الحج سماه " عدة الناسك فى عدة من المناسك" ، وكذلك ألف ابن عابدين وأفرده بكتاب سماه : "غنية الناسك فى أدعية المناسك " كما فى " رد المحتار" .

—: باب ما جاء فى المحرم يموت فى إحرامه :—

أخرج فى الباب حديث ابن عباس فى موت المحرم فى إحرامه ، وقد اتفق

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح ، وهو قول سفيان الثورى والشافعى وأحمد واسحاق . وقال بعض أهل العلم : إذا مات المحرم انقطع إحرامه ويصنع به ما يصنع بغير المحرم .

الشيخان على تخريجه ، البخارى فى الجنائز فى عدة أبواب ، فى (باب الكفن فى ثوبين)، وفى (باب الحنوط للميت) ، وفى (باب كيف يكفن المحرم؟) . وفى كتاب جزاء الصيد فى (باب المحرم يموت بعرفة) من طرق مختلفة بألفاظ مختلفة .

و " الوقص " : كسر العنق والأصح هو الثلاثى، وفى " فصيح ثعلب": " وقص الرجل " : إذا سقط عن دابته فاندقت عنقه ، فهو موقوص . وفى لفظ من الإفعال : الإيقاص ، وفى آخر : الإقعاص ، وفى طريق : الإقصاع : بتقديم الصاد على العين .

وتكفينه فى ثوبيه من غير ثالث إكراماً له كما فى الشهيد لم يزد على ثيابه، وزاد البخارى: " ولا تحنطوه " أى: لاتمسوه حنوطاً ، و" لا تخمروا رأسه"، أى : لا تغطوها . وفى " مسلم " زاد: « ولا وجهه » . وقال البيهقى : وذكر الوجه وهم من بعض الرواة ، وهذا فيه نظر .

وقوله : « يهل أو يلبى» معناه : أنه يحشر يوم القيامة على هيئته التى مات عليها ليكون ذلك علامة لحجه ، كالشهيد " يأتى وأوداجه تشخب دماً ". واحتج بهذا الحديث الشافعى وأحمد واسحاق وأهل الظاهر فى أن المحرم على إحرامه بعد الموت، كما يقوله الترمذى، ولهذا يحرم ستر رأسه وتطييبه ، وهو قول عثمان وعلى وابن عباس وعطاء والثورى . وذهب أبو حنيفة ومالك والأوزاعى إلى أنه يصنع به ما يصنع بالحلال ، وهو مروى عن عائشة وابن عمر وطاوس ، لأنها عبادة شرعت فبطلت بالموت، كالصلاة والصيام ، وقال

(باب ما جاء فى المحرم يشتكى عينه فيضمدها بالصبر)

حدثنا : ابن أبى عمرنا سفيان بن عيينة عن أيوب بن موسى عن نبيه

ﷺ : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث » ، كما رواه مسلم حديث أبى هريرة ، وأجيب عن الحديث بأنه من خصائص الرجل ، وورد على خلاف الأصل ، فيقتصر على مورد النص ، ولا سيما وقد وضح أن الحكمة فى ذلك استبقاء شعار الإحرام كاستبقاء دم الشهداء ، فالحديث ليس عاماً بل هو فى ذلك الشخص المعين ، فهو اختصاص له وبشارة . وفى " الموطأ " : «إن عبد الله بن عمر لما مات ابنه واقد وهو محرم كفنه وخمر وجهه ورأسه وقال : لولا إنا محرمون لحنطناك يا واقد » . وفى " المصنف " بأسانيد جياد عن عطاء وعن طاوس وعن الحسن وعن عامر وعن عائشة ما يدل على أنه حلال وأنه ذهب إحرامه ، هذا كله ملخص ملتقط من " العمدة " (٤ ـ ٥٦ و ٥٧) .

واعترض الحنفية والمالكية على الشافعى وأحمد بأن فى "مسلم" : «لا تخمروا رأسه ولا وجهه » مع أنكم لا تقولون بستر الوجه للمحرم فى حياته فكيف بعد موته ؟ فأجابوا بما فى " الهداية " : أن إحرام الرجل فى رأسه وإحرام المرأة فى وجهها ، وكذلك اعترض الحنفية على الشافعية بأن فى حديث الباب غسله بماء وسدر مع أن المحرم الحى لا يغتسل بالماء والسدر ، وهذا دليل على خصوصية الرجل ، كذا قاله شيخنا كما فى " العرف الشذى " .

ـ : باب ما جاء فى المحرم يشكى عينه فيضمدها بالصبر : ـ

الحديث هذا أخرجه مسلم فى " صحيحه " فى كتاب الحج فى (باب جواز

وهب : « إن عمر بن عبيد الله بن معمر اشتكى عينيه وهو محرم فسأل أبان بن عثمان ؟ فقال : اضمدها بالصبر فإنى سمعت عثمان بن عفان يذكره عن رسول الله ﷺ يقول : اضمدها بالصبر » .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح : والعمل على هذا عند أهل العلم ، لا يرون بأساً أن يتداوى المحرم بدواء ما لم يكن فيه طيب .

مداواة المحرم عينيه) من حديث عثمان بن عفان . و " الضمد " من باب " ضرب " و " نصر " ، ومن باب التفعيل ، فى الأصل هو : الشد بالضماد ، والضمادة وهى العصابة ، ثم استعمل فى خلط الدواء بمائع فيمرخ ويطلى بالعضو المئوف . فإن كان ثخيناً يسمى بالضماد ، وإن كان رقيقاً مائعاً يقال له : الطلاء . والغرض أن يسحق الصبر ويخلط بالماء فيقطر فى العين ، فيكون هو القطور إذن ، هذا ملخص ما علمناه من كتب الطب واللغة .

و " الصبر " ككتف بفتح الصاد المهملة وكسر الباء ، وربما يسكن فى ضرورة الشعر . قال فى " القاموس " : عصارة شجر مر ، وزاد فى " التاج " : نبات الصبر كنبات السوسن الأخضر غير أن ورق الصبر أطول وأعرض وأثخن كثيراً . . وأجوده السقوطرى ، قال الراقم : ويسمى بالأردوية : " إيلوا " ، وهو فى غاية المرارة ملين نافع . قال الشاعر :

لا تحسب الحمد تمراً أنت تأكله ٭ لن تلعق المجد حتى تلعق الصبرا

وأما حكمه للمحرم فقال الإمام النووى فى شرح "مسلم" (١ ــ ٣٨٣) : اتفق العلماء على جواز تضميد العين وغيرها بالصبر ونحوه مما ليس بطيب ولا فدية فى ذلك ، فإن احتاج إلى ما فيه طيب جاز له فعله وعليه الفدية . قال : واتفق العلماء على أن للمحرم أن يكتحل بكحل لا طيب فيه إذا احتاج إليه

(باب ما جاء فى المحرم يحلق رأسه فى احرامه ما عليـــه)

حدثنا : ابن أبى عمر نا سفيان بن عيينة عن أيوب وابن أبى نجيح وحميد الأعرج وعبد الكريم عن مجاهد عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن كعب بن عجرة : « إن النبى ﷺ مر به وهو بالحديبية قبل أن يدخل مكة وهو محرم وهو يوقد تحت قدر والقمل يتهافت على وجهه فقال : أتؤذيك هوامك هذه ؟ فقال : نعم ، فقال : احلق وأطعم فرقاً بين ستة مساكين ـ والفرق ثلاثة آصع ـ أو صم ثلاثة أيام . أو انسك نسيكة ، قال ابن أبى نجيح : أو اذبح شاة » .

ولا فدية عليه وأما الاكتحال للزينة فكروه عند الشافعى وآخرين ، ومنعه جماعة ، منهم أحمد واسحاق . وفى مذهب مالك قولان كالمذهبين ، وفى إيجاب الفدية بذلك عندهم خلاف ، والله أعلم ، ومثل مذهب الشافعى فيه مذهب أبى حنيفة رحمهما الله .

وهذا الباب غير مذكور فى "العرف الشذى" .

ـــ : باب ما جاء فى المحرم يحلق رأسه فى إحرامه ما عليه :ـــ

أخرج فى الباب حديث كعب بن عجرة . وهو حديث متفق عليه من رواية " الصحيحين " ، أخرجه البخارى فى كتاب المحصر ومسلم فى الحج ، ولفظ "البخارى": « احلق رأسك، أوصم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين، أو أنسك بشاة » ، وقد استوفى البدر العينى ألفاظ سائر الروايات فى الصحاح الستة وغيرها استيفاءً بالغاً فى " العمدة " (٥ ـــ ٤٩ و ٥٠) .

قوله : أتؤذيك هوامك هذه ؟ هذا سؤال عن تحقيق العلة التى عليها مدار

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم: أن المحرم إذا حلق أو لبس من الثياب ما لا ينبغي له أن يلبس في إحرامه أو تطيب فعليه الكفارة بمثل ما روى عن النبي ﷺ.

الحكم، فلما أخبره بالمشقة أمره بالحلق. و "الهوام" بتشديد الميم جمع: "هامة" وهي ما تدب من الأحناش، وتسمى: الأخشاش. وهي: حشرات الأرض، وأريد بها ما يلازم جسد الإنسان غالباً إذا طال عهده بالتنظيف، وقد وقع في الرواية هذه نفسها: «والقمل يتهافت» فهو المراد بها هنا. و"التهافت" من "الهفت" بسكون الفاء، وهو: تساقط الشيء قطعة قطعة كالثلج والرذاذ ونحوهما. حكاه العيني عن "المحكم".

و "القمل" بفتح القاف وسكون الميم: ما يتولد في بدن الإنسان من العرق والوسخ من دويبة، تسمى بالفارسية. "سپس"، وبالأردوية: "جوں".

و "الفرق" بفتح الفاء وسكون الراء وفتحها: مكيال معرف تسع ثلاثة أصوع. فيكون لكل مسكين نصف صاع. وهل هو من القمح أو مطلقاً؟ فيه خلاف في المذاهب. والقياس في جمع الصاع: "أصوع"، كما ذكره ابن مكي في "تثقيف اللسان". وذكر أن "آصع" من خطأ العوام ولكن ثبت في الرواية، ولعله على القلب. فيكون وزنه أعفل، والصاع يذكر ويؤنث.

ودل الحديث على جواز الحلق للمحرم عند الضرورة وتجب عليه الكفارة المذكورة في الآية وفي الحديث. وهذا أمر مجمع عليه في الأمة، وفي معناه عند الأئمة جميعاً حلق شعر غير الرأس لاشتراك العلة إلا في رواية عن مالك

(باب ما جاء فى الرخصة للرعاة أن يرموا يوماً ويدعوا يوماً)

وإلا عند داود الظاهرى ، فيختص بشعر الرأس فى وجوب الفديـــة ، وأمره بالحلق بأن يحلق بنفسه، وذلك جائز عند الكل، نعم لو حلق المحرم شعر حلال فعليه صدقة عند أبى حنيفة ، وعند مالك والشافعى وأحمد : لا تجب . وإن حلق رأسه من غير ضرورة فعليـــه الدم عند أبى حنيفة والشافعى وأصحابها ، وعليه الفدية عند مالك كما ذكر أبو عمر فى " الاستذكار " . وقد اتفقوا على التخيير بين الأمور الثلاثة من غير فضيلة فى تقديم أحد الأنواع ، وهو نص القرآن الكريم ، وعليه الفقهاء فى الأمصار .

ثم إن مذهب الجمهور أن الإطعام لستة مساكين . ولا يجزئ أقل منها ، وروى عن أبى حنيفـــة جواز الدفع إلى مسكين واحد . ونصف الصاع لكل مسكين من كل شئ من قمح وشعير وتمر مذهب مالك والشافعى وأحمد وعند أبى حنيفة والثورى مخصوص بالقمح ، وما عداه فصاع . وهو روايـــة عن أحمد . وحكى ابن عبد البر رواية عن أبى حنيفة مثل الجمهور ، واستثنى العراقى من عموم التخيير فى كفارة الأذى العبد إذا احتاج إلى الحلق فعليه الصوم فقط ، هذا كله من الجزء الخامس من "العمدة " ملتقطاً بعضه وملخصاً بعضه، وشئ قليل من " الفتح" من الرابع ، ومن شاء التفصيل فليراجعها .

وهذا الباب مثل السابق غير مذكور فى " العرف الشذى"

ـــ: باب ما جاء فى الرخصة للرعاة أن يرموا يوماً ويدعوا يوماً :ـــ

أخرج فيه حديث عاصم بن عدى من طريقين ، من طريق ابن عيينة ومن

حدثنا : ابن أبى عمر نا سفيان عن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم عن أبيه عن أبى البداح بن عدى عن أبيه : « إن النبى ﷺ رخص للرعاء أن يرموا يوماً ويدعوا يوماً » .

طريق مالك، ورجح رواية مالك على رواية ابن عيينة . والحديث أخرجه النسائى فى (باب رمى الرعاة) ، وأبو داود فى (باب رمى الجمار) فى " سننيهما " . والحديث أيضاً أخرجه مالك فى " موطئه " والشافعى فى " مسنده " وأحمد فى " مسنده " وابن حبان والحاكم .

ودل الحديث على أن ترك المبيت بمنى فى ليالى منى إنما هو رخصة لأجل هذا العذر ، وهى رعى الجمال وحفاظة المال مثل ما رخص للعباس لأجل السقاية. والمبيت بمنى فى هذه الليالى سنة مؤكدة عند أبى حنيفة وأحمد فى أصح الروايتين ، وواجب عند مالك والشافعى كما فى "مغنى ابن قدامة " وغيره، فإن ترك المبيت فقال محمد بن الحسن فى "موطئه" : فهو مكروه ولا كفارة عليه ، وهو قول أبى حنيفة والعامة من فقهائنا اهـ . وقال ابن قدامة فى " المغنى" (٣ — ٤٤٩) : لا شئ عليه وقد أساء ، وهو قول أصحاب الرأى اهـ . وعند مالك دم فى ترك ليلة واحدة ، وعند الشافعى دم فى ترك ثلاث ليال ، وفى ليلة درهم ، وفى ليلتين درهمان، كما فى " معالم السنن" للخطابى (٢ — ٢٠٩) .

ثم ههنا مسألتان : مسألة ترك المبيت بمنى ليالى منى ، ومسألة تأخير رمى الجمار عن وقته المسنون ، فوقعت الرخصة بنص الحديث للرعاة فى الأمرين معاً ، وتأخير الرمى بغير مثل هذا العذر فيه دم عند أبى حنيفة كما فى " المؤطا لمحمد " ، نعم التأخير من وقته نهاراً إلى الليلة الآتية قبل الفجر لا يلزم فيه الدم . نعم خلاف الأولى بغير عذر، فإن الليل القابلة فى المناسك فى حكم النهار

قال أبو عيسى : هكذا روى ابن عيينة ، وروى مالك بن أنس عن عبد الله ابن أبي بكر عن أبيه عن أبي البداح بن عاصم بن عدى عن أبيه .

الغابر الماضى كما فى الوقوف وغيره .

قال شيخنا رحمه الله ـ كما فى "العرف الشذى" بتغيير يسير فى ـ : الرعاة لهم رخصة فى رمى الجمار كل يوم وجمع رمى ليومين فى يوم من غير لزوم الفدية عند مالك والشافعى وأحمد وصاحبي أبي حنيفة . ويجب الجزاء عند أبي حنيفة بالتأخير بغير عذر . ثم الجمع جمع تقديم أو جمع تأخير ، ولكن الجمهور على جمع التأخير دون التقديم إلا ما يوهمه رواية فى " موطأ مالك " من جواز جمع التقديم ، وسيأتى شرح الحديث . وكتب المالكية على عدم جواز التقديم . ثم نسب صاحب " البحر " إلى " البدائع " عدم لزوم الجزاء بترك واجب ، ولم أجد التصريح فى " البدائع " . نعم يفهم ذلك منـــه . وفى بعض الكتب : أنه لا جزاء فى ستة واجبات إذا تركت بعذر ، وجمعتها فى شعر فقلت :

سعى وحلق ومشى عند طوفهما • صدر وجمع وزور قبل إمساء
من واجبات ولكن حيث ما تركت • من العوارض فقد قالوا بإجزاء

وذكروا أن ترك هذه الستة ثبت بالنص ، فلا يجب بتركها الجزاء ، فتأخير الرمى أيضاً منصوص ، فإذن لا يجب فيه الجزاء . وعبارة " الهداية " توجب الجزاء مطلقاً ، وإليه تشير عبارة محمد فى " مؤطئـــه " حيث أوجب الجزاء مطلقاً عند أبي حنيفة ، ولم يقيده بعذر أو بغير عذر . وما ذكره الشيخ اللكنوى فى حاشيته نقلاً عن " البناية " للبدر العينى فجوابه ليس فى هذا السياق وإنما هو فى سياق آخر .

والواضح فى الجواب عن حديث الباب على مذهب أبي حنيفـــة : أن

ورواية مالك أصح ، وقد رخص قوم من أهل العلم للرعاة أن يرموا يوماً ويدعوا يوماً ، وهو قول الشافعى .

الرخصة وقعت لأمرين مخافة ضياع المال ورعى الإبل ، أو يحمل على رواية الحسن بن زياد من تأخير رمى الحادى عشر إلى اليوم الثانى عشر إلى ما بعد طلوع الفجر اهـ . هذا ملخص ما أفاده الشيخ رحمه الله كما نقل فى " العرف الشذى " ، ولا حاجة إلى تخريج كل حرف من كلامه بعد ما ذكرنا أولاً .

يقول الخطابى فى " معالم السنن " (٢ ــ ٢١٢) فى حديث عاصم بن عدى : وهذا رخصة رخصها رسول الله ﷺ للرعاء ، لأنهم مضطرون إلى حفظ أموالهم ، فلو أخذوا بالمقام والمبيت بمنى ضاعت أموالهم ، وليس حكم غيرهم فى هذا كحكمهم اهـ . وفى " البدائع " (٢ ــ ١٣٤) : وإذا كان ـ السعى ـ واجباً فإن تركه لعذر فلا شئ عليه وإن تركه لغير عذر لزمه دم ، لأن هذا حكم ترك الواجب فى هذا الباب الخ . ويقول فى (٢ ــ ١٤٢) . . . وهذا أصل عندنا فى كل نسك جاز تركه لعذر أنه لا يجب بتركه من المعذور كفارة ، والله أعلم اهـ . وما ذكره الشيخ من الأشياء الستة من الواجبات فى شعره ما لا يجب بتركها دم من أجل العذر : السعى بين الصفا والمروة ، والمشى بالأرجل فى الطواف والسعى بأن لا يركب ولا يحمل . وحلق الرأس للتحلل ، وطواف الصدر ، والجمع بين صلاتى المغرب والعشاء بمزدلفة ، وطواف الزيارة قبل غروب الثانى عشر من ذى الحجة ، فهذه ستة ، فيجب بتركها الدم من غير عذر ، وبالعذر لا شئ عليه ، وتفصيلها ظاهر من كتب المناسك وكتب الفقه .

قوله : ورواية مالك أصح . يحتمل أن يكون وجه الأصحية أن الراوى عنه ﷺ فى رواية ابن عيينة هو : عدى ، حيث عن أبى البداح عن أبيه ، والراوى

حدثنا : الحسن بن علي الخلال نا عبد الرزاق نا مالك بن أنس قال حدثني عبد الله بن أبي بكر عن أبيه عن أبي البداح بن عاصم بن عدي عن أبيه قال: « رخص رسول الله ﷺ لرعاء الإبل في البيوتة أن يرموا يوم النحر ثم يجمعوا

في رواية مالك هو: عاصم بن عدي ، وعامـــة الروايات تؤيد رواية مالك الإمام، ولكن هذا القدر لا يكفي، وأنه غير ظاهر حيث من قال: "عن أبي البداح ابن عدي" فقد نسبه إلى جده ، كما يقول الحافظ في " التلخيص " ، وكما يقوله البيهقي، كما حكاه الزرقـاني في شرح " الموطأ " ، وكثيراً ما ينسب تارةً إلى الأب، وتارةً إلى الجد ، ويحتمل أن يكون الوجه هو ما يظهر من نقل الزرقاني من أن روايـــة الترمذي وأبي داود من طريق سفيان عن عبد الله ومحمد بن أبي بكر عن أبيهما عن أبي البداح بن عدي، ورواية ابن ماجه من طريق سفيان عن عبد الله بن بكر عن عبد الملك بن أبي بكر عن أبي البداح ، فكأنه وقع سقط في نسخة " الترمذي" التي بين أيدينا ، فإذن وجه ترجيح رواية مالك من عدم ذكر عبد الملك في البين، وذكره في رواية ابن عيينة هو هذا لا غير. ويقول الزرقاني: وأما زعم أن تصحيحه لقوله ابن عاصم وقول سفيان بن عدي، والرد على الترمذي بأن النسبة إلى الجد سائغ "أنا ابن عبدالمطلب" فليس بشيء إذ هذا لا يخفى على الترمذي، وكونه لم يذكر الاختلاف لا يدل على أنه لم يره اهـ . وهذا الذي يقوله شيخنا إمام العصر، كما حكاه في " العرف الشذي " ، فيقول ما ملخصه : فأقول : كيف الفرق بين رواية مالك ورواية ابن عيينة، والقول بأن في سند ابن عيينة " عن أبي البداح بن عدي" وفي رواية مالك " عن أبي البداح بن عاصم بن عدي" ، وهذا القدر لا يكفي للترجيح، وإن كان الترجيح من جهة المتن، فهذا أيضاً غير ظاهر ، بل الترجيح من جهة المتن يكون لرواية ابن عيينة ، فإن رواية مالك فيها كلمة توهم مخالفة جمهور الأئمة ، ورواية

رمى يومين بعد النحر فيرمونه فى أحدهما . قال مالك : ظننت أنـه قال : فى الأول منهما ثم يرمون يوم النفر » .

ابن عيينة ليس فيها ما يوهم خلاف الجمهور

وبالجملة لم أجد وجهاً شافياً لترجيح رواية مالك على رواية ابن عيينة اهـ: فهذا كلام واضح لا غبار عليه ، وعلى ما ذكره الزرقانى ظهر وجه الترجيح بالنسبة إلى إسناد الترمذى فى غير هذه النسخة التى بأيدينا ، فصاحب "التحفة" الشيخ المباركفورى رد على عبارة " العرف الشذى" ذهاباً إلى ما رده الزرقانى فلم يقف على ما قالـه الزرقانى وإلا لم يقل ما قاله . ويا ليت لو وفق إلى الرد النزيه العلمى يرد بقلم يقطر منه الشحناء بلسان يقطر منه البغضاء ، فرحم الله من أنصف وسوى الميزان والله المستعان .

ثم أقول: إن رواية ابن عيينة يدل على ترك الرمى يوماً ولم يدل على الرمى ليومين، ورواية مالك لا يدل على ترك يوم بل للرمى فى اليوم ليومين . فربما يكون هذا وجهاً للترجيح فى المتن أيضاً لرواية مالك ، والله أعلم .

قوله : قال مالك : ظننت أنه قال فى الأول منهما .

هذا يصرح بجواز الرمى ليومين تقديماً ، ولم يقل به أحد كما قال شيخنا ، وهو خلاف ما قاله فى " مؤطئه" حيث يقول: قال مالك: تفسير هذا الحديث . . . . أنهم يرمون يوم النحر ، فإذا مضى اليوم الذى يلى يوم النحر رموا من الغد ، وذلك يوم النفر الأول ، فيرمون لليوم الذى مضى ثم يرمون ليومهم ، لأنه لا يقضى أحد شيئاً حتى يجب عليه ، فإذا وجب عليه ومضى كان القضاء بعد ذلك اهـ .

قال شيخنا : فليؤول قوله : " فى الأول منهما " بالترك فى الأول منهما

وهذا حديث حسن صحيح . وهو أصح من حديث ابن عيينة عن عبد الله ابن أبي بكر .

(باب)

والقضاء في الثاني ، ولا يزاد الرمى في الأول اه . وإذن يتحد مآل قوليه ، أى قوله في "مؤطئه" وقوله في "الترمذي". قال الشيخ : وغالب ظني - بل أقطع - أن هذه الرواية فيها سهو من الراوى ، والصحيح رواية أحمد في " مسنده " ، وفيه : "قال مالك : ظننت أنه في الآخر منهما" . قلت : وهذا هو الموافق لما قاله في " الموطأ " واضحاً مفسراً . ورواية " مسند أحمد " (١٢ — ٢٢٢) من ترتيب " المسند " للساعاتي .

وبالجملة لفظ الحديث ظاهره غير مراد وغير واضح ، ولذا احتاج مالك إلى تفسيره ، فظاهره أنه يدل على أنه يرمون يوم النحر جمرة العقبة ثم يرمون الثلاث يوم النحر ليومين بعده ، ولا ريب أنه غير مراد ، وكذا ما يوهمه من الرمى في الغد بعد يوم النحر لليوم الثاني والثالث تقديماً . وهذا أيضاً غير مراد ، فالمراد الصحيح ما قاله في " موطئـه " ، وما رواه عنه أحمد في " مسنده " فثبتت للرعاء الرخصة في المبيت خارج منى حيث يمكن لهم حفظ إبلهم ورعيها لتشاغل الناس بنسكهم عنها ، ولا يمكنهم الجمع بين رعيها وبين الرمى والمبيت ، فجاز لهم ترك المبيت للعذر والرمى على الصفـة المذكورة . قال الخطابي في " معالمه " (٢ — ٢١٢) : وقال الشافعي نحواً من قول مالك . قال الخطابي : وقال بعضهم : هم بالخيار ، إن شاءوا قدموا وإن شاءوا أخروا اه . فلعل هناك قائلاً بجواز التقديم والله أعلم .

—: باب :—

لم يترجم المؤلف الإمام ، والغرض عن الحديث هو الإبهام في الإحرام

حدثنا : عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث قال حدثني أبي نا سليم بن حيان قال سمعت مروان الأصفر عن أنس بن مالك : « إن علياً قدم على رسول الله ﷺ من اليمن فقال : بما أهللت ؟ قال : أهللت بما أهل به رسول الله ﷺ . قال : لولا أن معي هدياً لأحللت » .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه .

وحديث الباب أخرجه الشيخان في " صحيحيهما " ، كلاهما في الحج . البخاري في (باب من أهل زمن النبي ﷺ كإهلال النبي ﷺ) ، وفي الباب حديث أبي موسى الأشعري عندهما .

دل حديث الباب على جواز الإحرام بالنية المبهمة ، وهو مذهب أبي حنيفة والشافعي . وما قاله النووي : " وفي هذا دليل لمذهب الشافعي ومن وافقه ... ولا يجوز عند سائر العلماء والأئمة اهـ " فغير صحيح ، فكتب الحنفية في الفقه وفي المناسك كلها مصرحة بالجواز . غير أنه يجب على المحرم التعيين قبل الشروع في أفعال العمرة أو الحج . وهو مذهب أحمد كما هو في " مغني ابن قدامة " (٣ — ٢٨٥) : قال : ويصح إبهام الإحرام الخ . وهو مذهب مالك كما في " أقرب المسالك " وشرحه حيث قال : وهو أي الإحرام نية أحد النسكين أو هما أو أبهم ، نعم ذكر صاحب " بلغة السالك " في إحرام الشخص كإحرام زيد فيه قولان .

وبالجملة مذهب أبي حنيفة ومالك وأحمد مثل مذهب الشافعي في جواز الإبهام في الإحرام ، فكيف يقول الإمام النووي : ولا يجوز عند سائر العلماء ، وكذا ما يقوله الحافظ ابن حجر ، فيقول في " الفتح " (٣ — ٣٣٠) : وأما

(باب ما جاء فى يوم الحج الاكبر)

حدثنا : عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث نا أبى عن أبيه عن محمد بن اسحاق عن أبى اسحاق عن الحارث عن على قال : « سألت رسول الله ﷺ عن يوم الحج الأكبر ؟ فقال : يوم النحر » .

مطلق الإحرام على الإبهام فهو جائز . . . . يقول : وهذا قول الجمهور ، وعن المالكية لا يصح على الإبهام وهو قول الكوفيين اه . هذا وفى " البدائع " (٢ — ١٦٣) : ولو لبى ينوى الإحرام ولا نية له فى حج ولا عمرة مضى فى أيهما شاء ما لم يطف بالبيت أشواطاً ، فإن طاف شوطاً كان إحرامه عن العمرة ، ثم استدل برواية على وأبى موسى . . . . ثم قال : فصار هذا أصلاً فى انعقاد الإحرام بالمجهول الخ .

وبالجملة فالمسألة فى إبهام الإحرام أو الإحرام المجهول مسألة اتفاقية بين الأئمة الأربعة .

—: باب ما جاء فى يوم الحج الأكبر :—

أخرج فى الباب حديث على من طريق محمد بن اسحاق بالعنعنة ، وعنعنته غير مقبولة ، وفيه الحارث الأعور وهو ضعيف . ثم اختلف فى الحديث رفعاً ووقفاً ، ورواه ابن عيينة موقوفاً . قال الترمذى : وهذا أصح ، والحديث هذا تفرد به الإمام الترمذى من بين أرباب الأمهات الست .

نعم أخرج البخارى فى " صحيحه " فى معناه حديث ابن عمر فى (باب الخطبة أيام منى) قال : « وقف النبى ﷺ يوم النحر بين الجمرات فى الحجة التى حج بهذا وقال : هذا يوم الحج الأكبر ، فطفق النبى ﷺ يقول : " اللهم

حدثنا : ابن أبي عمر نا سفيان بن عيينة عن أبي اسحاق عن الحارث عن علي قال : « يوم الحج الأكبر يوم النحر »، ولم يرفعه .

وهذا أصح من الحديث الأول ، ورواية ابن عيينة موقوفاً أصح من رواية محمد بن اسحاق مرفوعاً .

اشهد " وودع الناس، فقالوا: هذه حجة الوداع . ووقع في حديث أبي هريرة في " الصحيح " في (باب كيف ينبذ إلى أهل العهد ؟) قال : بعثني أبو بكر فيمن يؤذن يوم النحر . . . . إلى أن قال : ويوم الحج الأكبر يوم النحر . وعزاه الحافظ العيني إلى أبي داود ، وهو في " الصحيح " فليتنبه . أنظر "الصحيح" من الجهاد (١ ــ ٤٥١) . وقد استوفى البدر العيني في " العمدة" (٤ ــ ٧٦٢) جميع ما ورد في هذا الباب فراجعها إن شئت

ثم " الحج الأكبر" اختلفوا في تفسيره ؟ فقيل: الحج هو: الحج الأكبر ، والعمرة يقال لها : الحج الأصغر . وقيل : الحج الأكبر هو الذي كان رسول الله ﷺ واقفاً فيه ، وقيل: عرفة ، وقيل غير هذا . أنظر " العمدة " (٤ ــ ٧٦٢) . وحديث الباب يؤيد القول الأول ، وراجع لإستيفاء الروايات " الدر المنثور " (٣ ــ ٢١١ و ٢١٢) . ولخصها ابن كثير في " تفسيره " في " سورة براءة " . وذكر العيني في " العمدة " (٧ ــ ٢٠٦) : ويوم الحج الأكبر يوم النحر ، هذا قول مالك وجماعة من الفقهاء ، وفيه عرفة ، وإنما قيل : " الأكبر" لأجل قول الناس : " الحج الأصغر" اه .

وبالجملة ليس الحج الأكبر في تعبير القرآن والحديث ما اشتهر على ألسنة العامة من أن الحج الأكبر ما كان فيه الوقوف بعرفة يوم الجمعة . نعم له فضل كبير يدل عليه رواية عن طلحة بن عبيد الله بن كريز ـ بفتح الكاف وكسر

قال أبو عيسى : هكذا روى غير واحد من الحفاظ عن أبي اسحاق عن الحارث عن علي موقوفاً .

الراء ـ أن رسول الله ﷺ قال : « أفضل الأيام يوم عرفة وافق يوم جمعة ، وهو أفضل بن سبعين حجة في غير جمعة » ، أخرجه رزين في " تجريد الصحاح " ، وعليه علامة " الموطأ " . قال الحافظ المحب الطبري في " القرى " (ص ـــ ٣٧٢) : ولم أره في " موطأ يحيى بن يحيى الليثي الأندلسي " فلعله في غيره من الموطآت .

قال : وذكر أبو طالب المكي في كتابه الموسوم بـ " قوت القلوب " عن بعض السلف أنه قال : إذا وافق يوم عرفة يوم جمعة غفر لكل أهل الموقف ، وقد صح أن النبي ﷺ وقف فيه في حجـــة الوداع الخ . وجمع الله سبحانه هذه الفضيلة الشامخة لسيدنا الرسول عليه صلوات الله وسلامه بأن كان وقوفه بعرفة يوم الجمعة ، واستدارة الزمان على تاريخ صحيح كبدئه في الأيام مع عمل النسيئ الذي شوش نظام الدين كل ذلك من شواهده وآياته ، ونزول آية إكمال الدين وإتمام النعمة ، وكل ذلك ذكرى من الذكريات الربانية الإلهية ، تدل على أن لله سراً خفياً وحكمة بديعة خفية في اجتماع هذه المزية ، ولله في خلقه شئون ، وفي حكمه ظهور وبطون .

وطلحة بن عبيد الله بن كريز تابعي ، يروي عن ابن عمر وأبي الدرداء وأم الدرداء وعائشة والحسين بن علي والزهري ، وهو من أقرانه . وقال ابن سعد : كان قليل الحديث . وقال أحمد والنسائي : ثقة ، وذكره ابن حبان في الثقات ، كما في " التهذيب " . فالحديث مرسل ، والمرسل مقبول ، ثم هو في الفضائل لا في الأحكام ، وباب الفضائل أوسع ، وفضل الله أرجى ، واجتماع

(باب ما جاء فى استلام الركنين)

حدثنا : قتيبة نا جرير عن عطاء بن السائب عن ابن عبيد بن عمير عن أبيـه : « إن ابن عمر كان يزاحم على الركنين ، فقلت : يا أبا عبد الرحمن ! إنك تزاحم على الركنين زحاماً ، ما أريت أحداً من أصحاب النبى ﷺ يزاحم

سيد أيام الأسبوع وأفضل أيام السنة لا بد أن يكون لـه فضل كبير ، وغمز الحافظ إياه فى " الفتح " بالضعف فيه نظر ، والله أعلم .

وأفرد هذا الموضوع الشيخ على القارى برسالة سماها : " الحظ الأوفر فى الحج الأكبر " ، وقد طبعت هذه الرسالة فى ضمن تعليقات القاضى حسين عبد الغنى " إرشاد السارى إلى مناسك القارى " (ص ــ ٣١٦ ـ ٣٢٢) فراجعها إن شئت .

ــ: باب ما جاء فى استلام الركنين :ــ

أخرج فى الباب حديث عبيد بن عمير عن ابن عمر ، وقد أخرجه النسائى مختصراً فى " سننـه " فى فضل الطواف بالبيت ، وابن عبيد بن عمير هو : عبد الله كما هو فى رواية "النسائى" ، وعبيد بن عمير بالتصغير فيهما . ويكنى : أبا عاصم ، وهو الليثى الحجازى قاضى أهل مكـة ، وولد فى زمن رسول الله ﷺ ، ويقال : رآه ، وهو معدود فى كبار التابعين ، سمع جماعة من الصحابة ، وروى عنه نفر من التابعين ، ومات قبل ابن عمر . حكاه القارى فى " المرقاة " عن مؤلف " المشكاة " .

ومعنى "يزاحم" : يغالب ، والمفعول المطلق للتأكيد ، أى زحاماً عظيماً . ثم هو يحتمل فى الأشواط كلها أو فى الشوطين : الأول والآخر ، فإنهما آكد .

عليه ؟ فقال : إن أفعل فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إن مسحهما كفارة للخطايا " ، وسمعته يقول : " من طاف بهذا البيت أسبوعاً فأحصاه كان كعتق رقبة " ، وسمعته يقول : " لا يضع قدماً ولا يرفع أخرى إلا حط الله عنه بها خطيئة ، وكتبت له بها حسنة " » .

قال أبو عيسى : وروى حماد بن زيد عن عطاء بن السائب عن ابن عبيد ابن عمير عن ابن عمر نحوه ، ولم يذكر فيه عن أبيه . وهذا حديث حسن .

والشافعى فى " الأم " يقول : ولا أحب الزحام فى الاستلام إلا فى بدء الطواف وآخره ، وأريد به ما لا يتأذى به أحد . وروى الشافعى وأحمد : أنه ﷺ قال لعمر : "إنك رجل قوى لا تزاحم على الحجر فتؤذى الضعيف ، إن وجدت خلوة فاستلمه وإلا فاستقبله وهلل وكبر » . وما يفعله العوام من الزحام بحيث يؤذى الأنام ، فهو موجب لزيادة الآثام . هذا ملخص ما قاله القارى فى " المرقاة " (٣ ـ ٢١٠) ، وراجعه للتفصيل . وحديث ابن عمر هذا رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد ، حكاه فى " العمدة " (٤ ـ ٦٢٢) . ثم المسنون استلام الركنين اليمانيين عند الجمهور ، وهو مذهب ابن عباس وعمر بن الخطاب ، قال ابن المنذر : أكثر أهل العلم لا يسن استلام الركنين الشاميين ، ومذهب معاوية وابن الزبير وجابر بن عبد الله والحسنين وأنس وجابر بن زيد وعروة وسويد بن غفلة استلام كلها ، والشاميين ليسا بركنين أصليين ، فلو رفع جدار الحجر وتم القواعد على بناء ابراهيم لكان يستلمان ، كما حكاه العينى عن التيمى . ثم الأسود فيه فضيلتان : كون الحجر الأسود فيه ، وكونه على قواعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، واليمانى فيه فضيلة واحدة : الثانية ، والشاميين ليس فيهما شئ منهما ، كذا فى " العمدة " و " الفتح " .

واستحب بعضهم تقبيل الركن اليمانى أيضاً ، وذكره الطرابلسى وغيره

(باب ما جاء فى الكلام فى الطواف)

حدثنا : قتيبة نا جرير عن عطاء بن السائب عن طاوس عن ابن عباس :

عن محمد بن الحسن استلام اليمانى وتقبيله كالحجر الأسود . وقال فى "البدائع" : لا خلاف فى أن تقبيله ليس بسنة ، وإذا عجز عن استلام اليمانى لا يشير إليه إلا على رواية محمد . وبالجملة الجمهور على عدم التقبيل كما فى " شرح المناسك" للقارى، وذكر أن استلام الشاميين بدعة مكروهة عند الأربعة .

فائدة : فى "كتاب الحميدى" من حديث عائشة مرفوعاً : « ما مررت بالركن اليمانى قط إلا وجدت جبريل عليه السلام قائماً عنده » ، وعن ابن عباس مثله بزيادة « يا محمد أدن فاستلم » وفى حديث أبى هريرة: « وكل الله به سبعين ألف ملك » . كذا فى " العمدة " ملخصاً (٤ ــ ٦٢٢) .

ــ : باب ما جاء فى الكلام فى الطواف :ــ

أخرج فيه حديث ابن عباس ، وقد أخرجه النسائى عن رجل أدرك النبى ﷺ ، والحديث أخرجه الحاكم فى " المستدرك " من طريق سفيان وفضيل بن عياض . كلاهما عن عطاء بن السائب عن طاوس عن ابن عباس ، ولفظــه : « الطواف بالبيت صلاة إلا أن الله قد أحل فيه النطق ، فمن نطق فيه فلا ينطق إلا بخير» وسكت عنه الحاكم . ورواه ابن حبان فى " صحيحه " ، كما فى "نصب الرأية " . ويقول الحافظ فى "التلخيص" (١ ــ ١٢٩) فى (باب الأحداث): وصححه ابن السكن وابن خزيمة وابن حبان . . . واختلف فى رفعه ووقفه ، ورجحه النسائى والبيهقى وابن الصلاح والمنذرى والنووى . وزاد : إن رواية الرفع ضعيفة ، وفى إطلاق ذلك نظر ، فإن عطاء بن السائب صدوق ، وإذا

« إن النبي ﷺ قال: الطواف حول البيت مثل الصلاة إلا أنكم تتكلمون فيه ، فمن تكلم فيه فلا يتكلم إلا بخير »

قال أبو عيسى . وقد روى عن ابن طاوس وغيره عن طاوس عن ابن عباس موقوفاً ، ولا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث عطاء بن السائب . والعمل

روى عنه تارةً مرفوعاً وتارةً موقوفاً ، فالحكم الرفع ، وأخرجه الحاكم من رواية الثوري عنه ، وهو يروى عنه قبل الاختلاط باتفاق ، هذا تلخيص ما في " التلخيص " . وراجعه للتفصيل .

قوله : مثل الصلاة . قال شيخنا : هكذا عند الفقهاء في عدة من الأحكام كستر العورة والطهارة ، وجواز مرور الطائف أمام المصلي ، كما يدل عليه رواية في " مشكل الآثار " اهـ .

قال ابن عابدين : ذكر في "حاشية المدني": لا يمنع المار داخل الكعبة وخلف المقام وحاشية المطاف ، لما روى أحمد وأبو داود عن المطلب بن أبي وداعة: « إنه رأى النبي ﷺ يصلي مما يلي باب بني سهم والناس يمرون بين يديه وليس بينهما سترة ، وهو محمول على الطائفين فيما يظهر ، لأن الطواف صلاة ، فصار كمن بين يديه صفوف من المصلين اهـ . ومثله في " البحر العميق " ، وحكاه عز الدين بن جماعة عن "مشكلات الآثار" للطحاوي ، ونقله الملا رحمة الله في "منسكه الكبير" ، ونقله سنان آفندي أيضاً في " منسكه " اهـ .

وفي " إرشاد الساري" (ص ـــ ١٠٥) : قال العلامة الشيخ قطب الدين الحنفي في " منسكه " : فرع غريب رأيت بخط تلامذة الكمال ابن الهمام في حاشية " فتح القدير" : إذا صلى في المسجد الحرام ينبغي أن لا يمنع المار ، لما روى أحمد وأبو داود عن المطلب ، فذكر الحديث الذي ذكرنا ، ثم قال : ثم

على هذا عند أكثر أهل العلم يستحبون أن لا يتكلم الرجل فى الطواف إلا لحاجة، أو يذكر الله تعالى أو من العلم .

(باب)

حدثنا : قتيبة نا جرير عن ابن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : « قال رسول الله ﷺ فى "الحجر" : والله ليبعثنه الله يوم القيامة له عينان يبصر بهما ، ولسان ينطق به ، يشهد على من استلمه بحق » .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن .

رأيت فى "البحر العميق" حكى عن ابن جماعة عن "مشكلات الآثار" للطحاوى : إن المرور بين يدى المصلين بحضرة الكعبة يجوز اهـ .

قال الراقم: وفى "مشكل الآثار" (٣ـــ٢٥٠) احتج الإمام الطحاوى برواية المطلب لاغير ، وهو الذى رواه أحمد و. أبوداود، نعم فحوى عبارته: أن المرور لايخص بالطائف بل يعم المار، سواء كان طائفاً أو غيرطائف والله أعلم . وقد مر البحث فى "معارف السنن" (٣ـــ٣٥٣ و ٣٥٤) وأتذكر أن المحدث الفقيه الكنكوهى فى كتابه "زبدة المناسك" أيضاً جنح إلى العموم، والله أعلم . قال الطبرى فى "القرى" بعد رواية الأحاديث المتعلقة بالباب (ص ـــ٢٣٨) فى قوله ﷺ: "الطواف بالبيت صلاة ": دليل على أن الطواف يشترط فيه الطهارة والستارة، وأن حكمه حكم الصلاة إلا فيما وردت فيه الرخصة من الكلام بشرط أن يكون بخير، ثم ذكر من الخير : أن يسلم الرجل على أخيه ويسأله عن حاله وأهله ويأمر الرجل الرجل بالمعروف وينهاه عن المنكر ، وأشباه ذلك من تعليم جاهل أو إجابة مسألة ، وهو مع ذلك كله مقبل على الله تعالى فى طوافه خاشع بقلبه ذاكر بلسانه متواضع فى مسألته ، ويطلب فضل مولاه ويعتذر إليه، فمن كان بهذا الوصف رجوت أن يكون ممن قال رسول ﷺ : « إن الله تبارك و تعالى يباهى بالطائفين» اهـ .

ـــ: باب ما جاء فى الحجر الأسود :ـــ

أخرج فيه حديث ابن عباس ، وقد وافق ابن ماجه الترمذى بإخراجه

(باب)

حدثنا : هناد نا وكيع عن حماد بن سلمة عن فرقد السبخي عن سعيد بن جبير عن ابن عمـر : « إن النبي ﷺ كان يدهن بالزيت وهو محرم غير المقتت » .

من بين الأئمة الستة ، وقد أخطأ صديقنا الشيخ أحمد شاكر المرحوم فى القول بتفرد الترمذى بإخراجه . وقد استوفينا الكلام فى بعض جوانبه قبل أربع وستين باباً فلا نعيده ، وفيه حديث عبد الله بن عمرو ، رواه الحاكم والطبرانى فى " الأوسط" مرفوعاً قال : « يؤتى الركن يوم القيامة أعظم من أبى قبيس ، له لسان وشفتان يتكلم عمن استلمه بالنية ، وهو يمين الله يصافح بها خلقه . قال الحاكم : صحيح ، حكاه الحافظ العينى فى " العمدة " (٤ ـ ٦٠٨) .

وحديث ابن عباس هذا حديث الباب رواه ابن خزيمة فى " صحيحه " ، وصححه أيضاً ابن حبان والحاكم ، وله شاهد من حديث أنس عند الحاكم أيضاً ، قاله الحافظ فى " الفتح" (٣ ـ ٣٦٩) .

وبالجملة فحديث الباب وإن حسنه الترمذى فهو صحيح ، ولـه شواهد صحيحة ، ووافق على إخراجه الترمذى أحمد والدارمى وابن ماجه وابن حبان وابن خزيمة والحاكم . ثم إن لفظ أحمد والدارمى وابن حبان كما يقوله العراقى ويحكيه السيوطى عنه يشهد لمن استلمه بحق . والباء فى " بحق " يحتمل تعلقها بيشهد أو باستلمه ، وذكر الشيخ عبد الحق الدهلوى كلمة " على " فى رواية الترمذى باعتبار تضمين معنى الرقيب والحفيظ اه ، كما حكاه المباركفورى .

ـ: باب :ـ

باب من غير ترجمة ، أخرج فيه حديث ابن عمر ، وقد تفرد به الترمذى

قال أبو عيسى : "مقتت" : مطيب . هذا حديث غريب، لانعرفه إلا من حديث فرقد السبخى عن سعيد بن جبير. وقد تكلم يحيى بن سعيد فى فرقد السبخى، وروى عنه الناس .

من بين الأئمة الستة، وقد عزاه الطبرى فى "القرى" إلى أحمد والنسائى والترمذى، ولم أجده فى " صغرى النسائى" ولعله فى " الكبرى" ، والله أعلم .

و " المقتت" : المطيب ، وهو الذى يطبخ فيه الرياحين حتى تطيب ريحه، كما فى " القرى" للطبرى. وحديث ابن عمر هذا مختلف فيه رفعاً ووقفاً ، كما يدل عليه كلام الحافظ فى " الفتح" (٣ ـــ ٣١٥) ، ويقول :والموقوف عنه أخرجه ابن أبى شيبة وهو أصح . قال : ويؤيده ما تقدم فى كتاب الغسل: أنه قال: «لأن أطلى بقطر أحب إلى من أن أتطيب اه . يريد الحافظ أنه لا بد أن يكون الادهان بالزيت غير مطيب، فإنه كان لا يحتمله أصلاً .

قال المحب الطبرى: ذهب كثير من أهل العلم إلى أن المحرم إذا ادهن بدهن غير مطيب فى غير رأسه ولحيته من جميع جسده لاشئ عليه . وذهب أصحاب الرأى إلى أنه إذا دهن جسده فعليه الفدية، قال:وهذه الأحاديث حجة عليهم اه . قال شيخنا رحمه الله: والجواب عنه أولاً: إن الحديث الصحيح إنه موقوف وليس بمرفوع (كما تقدم فى كلام الحافظ) . وثانياً:إن من عادة المصنف الإمام الترمذى ما قد جربناه: أنه إذا حكم على الحديث بأنه غريب هو لا يكون عنده صحيحاً ولا حسناً، بل يكون ضعيفاً، وإن كان يجتمع عند العامة الغرابة مع الصحة والحسن . وأما ثالثاً : فيحتمل أن يكون الغرض أنه ﷺ ادهن قبل الإحرام وبقى أثره بعد الإحرام، وجاز للمحرم الادهان والتطيب قبل الإحرام بمايبقى جرمه وأثره

بعدالإحرام عندالجمهور: أبي حنيفة والشافعي وأحمد، خلافاً لمالك ومحمد اه . ودليل الجمهور حديث عائشة في "الصحيح" قالت: «كأني أنظر إلى وبيص الطيب في مفرق رسول الله ﷺ وهو محرم» . قال العيني في "العمدة" (٢ــ٣٩): ومما يستنبط منه: أن بقاء أثر الطيب على بدن المحرم إذا كان قد تطيب به قبل الإحرام غير مؤثر في إحرامه ، ولايوجب عليه كفارة، قاله الخطابي . . . . قلت: مذهب أبي حنيفة وأبي يوسف مثل ما قاله الخطابي، وكرهه محمد بمايبقى عينه بعد إحرامه اه .

وقال في (٤ــ٥١٥) ما ملخصه: احتج به أبو حنيفة و أبو يوسف وزفر ، و به قال الشافعي و أصحابه وأحمد والثوري والأوزاعي ، وهوقول عائشة راوية الحديث، و سعد بن أبي وقاص و ابن عباس و ابن الزبير وابن جعفر وأبي سعيد الخدري و جماعة من التابعين بالحجاز والعراق . . . . وقال آخرون: لايجوز، وإليه ذهب محمد بن الحسن ، واختاره الطحاوي ، وهومذهب عمر وعثمان و ابن عمر و عثمان بن أبي العاص، وإليه ذهب عطاء والزهري و ابن جبير و ابن سيرين والحسن، وراجعها لمزيد البيان . وفي (٥ــ١٦) : و عن مالك يحرم ، وعنه في وجوب الفدية قولان ، وفي " بداية المجتهد " لابن رشد مايدل على أن عليه الفدية، ذكره في (باب القول في التروك) ثم ذكر احتجاجه والجواب عنه .

ثم إن رواية الحديث من طريق السبخي يكفي لكون الحديث ضعيفاً، فيقول الحافظ في "التقريب": صدوق عابد ولكنه لين الحديث كثير الخطأ . وفي " التهذيب " عن أبي حاتم: ليس بالقوي، و عن البخاري: في حديثه مناكير ، وقال النسائي والدارقطني : ضعيف، وما إلى ذلك من كلمات .

(باب)

حدثنا : أبو كريب نا خلادبن يزيد الجعفي نا زهير بن معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة : « إنها كانت تحمل من ماء زمزم و تخبر : أن رسول الله ﷺ كان يحمله » .

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

ـ : باب :ـ

أخرج فيه حديث عائشة فى حمل ماء زمزم،وتفرد به الترمذى من بين أرباب الأمهات الست ، و أخرجه الحاكم، وصححه و البيهقى، و الحديث هذا دل على جواز حمل ماء زمزم و أنه ﷺ كان يحمله ، فإذن هوسنة مطلوبة، وقد أخرج الطبرى فى "القرى" عدة روايات من رواية الأزرق وأبى موسى المدينى والواقدى ما ملخصه: إنه ﷺ بعث إلى سهيل بن عمرو يستهديه من ماء زمزم فبعث إليه براويتين،وجعل عليهما كراً غوطياً . "والكر" جنس من ثياب غلاظ . وعن عطاء: « إن كعب الأحبار كان يحمل معه من ماء زمزم ويتزوده إلى الشام»، أخرجه الطبرى عن الواقدى.

قال الشيخ قدس الله روحه: ومن فضائل شرب ماء زمزم قبول الدعاء عند شربه، وعليه واقعة الحافظ ابن حجر ثم ابن الهمام ثم السيوطى، و ذكر حديثاً فى فضله فراجعه. أقول: وقد عقد الشيخ ابن الهمام بعد شرح قول صاحب "الهداية": "ثم يأتى زمزم فيشرب من مائها" فصلاً طويلاً نفيساً فى فضل مائها ومايدور حولها، و ذكر فيه: أن عبدالله بن المبارك شربه لعطش يوم القيامة. وعن جماعة من العلماء: أنهم شربوه لمقاصد فحصلت،منهم صاحب ابن عيينة

(باب)

حدثنا : أحمد بن منيع و محمد بن الوزير الواسطي، المعنى واحد، قالا نا اسحاق بن يوسف الأزرق عن سفيان عن عبدالعزيز بن رفيع قال: «قلت لأنس: حدثني بشيء عقلته عن رسول الله ﷺ، أين صلى الظهر يوم التروية ؟ قال: بمنى، قال: قلت: وأين صلى العصر يوم النفر؟ قال : بالأبطح ، ثم قال: افعل كما يفعل أمراؤك» .

المتقدم ـ حكاه الدينوري في " المجالسة ". والشافعي شربه للرمي، و الحاكم لحسن التصنيف . وشيخنا شهاب الدين العسقلاني شربه أولاً لأن يكون حفظه مثل الذهبي في الحديث، ثم بعد نحو عشرين سنة لرتبة أعلى منه، و شربه الشيخ ابن الهمام للاستقامة و الوفاة على حقيقة الإسلام معها، وذكر أن كل من سأله شيئاً ناله، وبالله التوفيق .

وبالجملة إن شرب ماء زمزم عند بئر زمزم من جملة تلك المقامات الخمسة عشر التي يستجاب فيها الدعاء، ذكرها ابن الهمام وغيره في كتب المناسك، وعلم من ذلك أن الشيخ ابن الهمام من أصحاب الحافظ ابن حجر العسقلاني، فلعله أخذ عنه والله أعلم .

—: باب :—

أخرج فيه حديث أنس في صلاته ﷺ الظهر يوم التروية بمنى والعصر يوم النفر بالأبطح ، والحديث هذا أخرجه الشيخان في "صحيحيهما"، كلاهما في الحج، البخاري في (باب أين يصلي الظهر يوم التروية؟) وفي غيره . و اسحاق واسطي، وشيخه سفيان الثوري كوفي، و عبدالعزيز بن رفيع مكي سكن الكوفة وليس له في "الصحيحين" غير هذا الحديث، و معنى " عقلته " أي: أدركته

قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح، يستغرب من حديث اسحاق الأزرق عن الثورى .

(آخر أبواب الحج)

وفهمته . و "النفر" هو: الرجوع من منى . و " الأبطح" هو مكان متسع بين مكة و منى، وهو المحصب، كماتقدم تفصيله ، و ذكر أبوسعد النيسابورى فى كتاب " شرف المصطفى ": أن خروجه ﷺ يوم التروية كان ضحى، ويدل عليه حديث جابر الطويل، فالمستحب صلاة الظهر بمنى، وهو قول مالك والثورى وأبى حنيفة والشافعى وأحمد و اسحاق وأبى ثور، هذا ملخص ما فى " العمدة " (٤ـ٦٦٧) .

وقد ذكر فى " العمدة " و " الفتح" وجوهاً فى وجه تسمية اليوم الثامن من ذى الحجة بـ " التروية " ، والمشهور أنهم كانوايروون الإبل ، و ذلك لعدم وجود الماء بمنى و مزدلفة و عرفات فى ذلك العهد، و "التروية " تفعيل من: " رويت بالماء أروى"، وبابه سمع.

هذا والحمد لله أولاً وآخراً، والصلوات والسلام على حبيبه عبده ورسوله سيدنا محمد وآله وأصحابه باطناً وظاهراً .

* * * *

تنبيه في أدوار تأليف

"معارف السنن"

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه ، والصلاة و السلام على من بعثه مبشراً ونذيراً و خاتماً بإحسانه ، وعلى آله وصحبه و إخوانه .

المجلس العلمي: قام بتأسيسه الأستاذ المغفور له "محمد بن موسى ميان الإفريقي"، وكان من أصحاب إمام العصرشيخنا رحمه الله مشغوفاً بعلومه، وبنشر ماخص الله إمام العصر من خصائص رائعة في علوم النبوة من الحديث و الفقه والأصول وغيرها، هوالباعث لي على تأليف كتابي "معارف السنن"، وقد قلت فيه في جزء "أبواب الوتر" حيث بدأت بطبعه في أول أمري:

" كان شيخنا الإمام المحدث الكبير الحجة الثقة إمام العصر محمد أنور شاه الكشميري ثم الديوبندي رحمه الله، المتوفى سنة ١٣٥٢هـ أصبح في عهده مسنداً لعلوم الرواية، و مداراً في حل مشكلات العلوم و مشكلات الأحاديث، وكان يلقي في تدريس ما يدرس من الأمهات: "صحيح البخاري" و "جامع الترمذي" أبحاثاً رائعة و تحقيقات نفيسة من جميع جهات الرواية و الدراية حديثاً و فقهاً، وكل ما له صلة من بدائع مسائل العلوم ما كان نتيجة أفكاره الناضجة وآرائه الصائبة التي قضى نحبه في حلها و تحليل غوامضها برهة طويلة من حياته المباركة، وكان يتصدى بأدنى صلة في كل باب إلى فوائد سامية تساوي رحلة .

فكان أصحابه يتلقون ذلك، بيد أنه لم يكن يقوم بضبطجميع ما كان يلقيه إلا من كان متضلعاً من العلوم روايتها و درايتها، ذكياً متوقداً ، قوي الحدس،

بصيراً مستيقظاً، لا يفتر لحـة عن الإصغاء، ولا يغفل طرفة عين من الإستماع ، وقليل ما هم . ثم يحاولون كتابته بعدالفراغ من الدرس أو يقاسون العناء للكتابة فى الدرس، و على كل حال لم يكن الشيخ يراعيهم بطريق الإملاء المعروف لكى يقدروا على الضبط بالكتابة، فلم يكن هناك إملاء ولا استملاء، و إنما كانت كتابات كالمذكرة ، فلم يكن أن يدركوا جميع ما كان يلقيه أو يضبطوا ، وكان أسرعهم كتابة و أقدرهم ضبطـاً من كان يفوت منـه نحو الثلث، ولاريب أن مثله يعد أنجحهم فى المقصود . فمن جملة ما ضبط ما كان يلقيه فى تدريس "جامع الترمذى" ماهو مطبوع باسم " العرف الشذى"، فلا غرو إذا كان فى مثله أخطاء فى الضبط وسهو فى التعبير ونقص فى البيان أو عدم استيفاء لسائر الأطراف، فكان أرباب " المجلس العلمى" الذى كان من أعظم عنايته نشر علوم الشيخ و تقديمها ناصعة الجبين إلى الأمة، يريدون أن يخدم هذا الكتاب بحيث يجبر وهنه، ويسد ثلمته، ويشعب صدعه،و يستدرك ما فات بالمراجعة إلى المصادر والمآخذ، ذكرها الشيخ أو لم يذكر، وبضوء تلك المراجع يرتب تلك المادة الزاخرة بتعبير واضح وأسلوب متين، فأمرونى بالقيام إلى أعباء تلك الخدمة قبل خمس و عشرين عاماً(١)، ونزولاً على رغبتهم بذلت جهدى وقوتى فى استخراج كل دفين من معدنه، والعثور على مأخذه، ولم أقصر فى تصفح الأوراق والبحث عن المظان و إن كانت بعيدة حتى طال بى الخطب و بعدت بى المسافة، فكنت ربما أبقى فى إنشاد ضالة ساعات بل ليالى وأياماً أقرأ مجلدات، و إذا صادفت شيئاً كنت أبتهج له ابتهاجاً، والتزمت إخراج كل مسألة من كل كتاب أحال عليه الشيخ، فكنت مضطراً إلى مراجعة "كتاب سيبويه" و " الرضى" شرح" الكافية" و " دلائل الإعجاز" و " أسرار البلاغة" و " عروس الأفراح" و " كشف الأسرار"

(١) و كتبت هذا قبل نحو سبع سنين .

للبخارى شرح "أصول البزدوى" للفخر الرازى، وما إلى ذلك من أمهات كتب العلوم والفنون، مثل اضطرارى إلى مراجعة أمهات شروح الحديث من "الفتح" و"العمدة" وغيرهما، وفقه المذاهب كـ "شرح المهذب" و"مغنى ابن قدامة" وكتب الرجال . ولولا شبابى ونشاطى فى البحث و شدة حرصى على إبراز جواهر الشيخ من معادنه ومكامنه لم أكد أقوم بأعبائها، وأيم الله إن شرح كل كتاب من أمهات الحديث كان أهون علىّ من تخريج لمثل هذا الكتاب و شرح لكل باب . ولا بأس لو أذكر مثالين يتجلى فيهما إفراغ ذلك المجهود وينكشف القناع عن محيا المقصود .

١ـ قال الشيخ رحمه الله فى صدد توجيه فى بعض المتعارضات من الروايات : "إن هذا من قبيل ذكر كل ما لم يذكره الآخر"، ثم أفاد أن هذه قاعدة مهمة، وكان من المهم أن يعتنى بها أرباب المصطلح ولكن أغفلوها، وقدتعرض لها الحافظ فى " الفتح " فى أكثر من موضع ، فأخذت فى البحث عنها فى تلك الأجزاء الضخمة من " فتح البارى " ، أتصفح كل جزء منه حتى عثرت عليها فى الكتاب كله فوق عشرة مواضع .

٢ـ قال الشيخ رحمه الله فى صدد تحقيق فى اختلاف الصحابة : إنه صدق الإمام أبوزيد الدبوسى حيث قال : كل مسألة اختلف فيها فقهاء الصحابة يصعب الخروج عنها ويشكل أن ينفصل فيها النزاع" هذا ملخص ما أفاده، فأخذت " تأسيس النظر" للدبوسى فقرأته كله فلم أجد فيه ، فخطر ببالى أنه لابد أن يكون فى أحد كتابيه: " أسرار الخلاف " أو " تقويم الأدلة " وكلاهما مخطوط ثم غير موجود، ثم خطر بالبال أن هذه الحوالة ربما أن يكون بواسطة أحد الكتابين "كشف الأسرار" للشيخ عبدالعزيز البخارى، أو "شرح التحرير" لابن أمير الحاج، فأخذت فى مطالعتها حتى صادفت فيهما جميعاً بعد قراءة قدر كثير، فانظر يارعاك الله ! كيف بلغ بى الشوق و أخذ بى النشاط ، ولله درالقائل :

جهد المتيم أشواق فيظهرها ٭ دمع على صفحات الخد ينحدر

فكان من نتيجة هذا البحث أن تم كتاب الطهارة من شرح الترمذى فى حجم أصل الكتاب كله تقريباً ، وبالجملة كنت أطوى مراحله حتى انتهت فى أواخر أبواب الحج إلى نحوألفى صفحة بالقطع الكبير ، فبقيت فى تأليفه أعواماً واستوفيت بقية أبحاث يحتاج إليها شرح الكتاب فى التعليقات ، فعبرت و صورت و قدمت و أخرت ، ولكن مع هذا كله كان نهج التأليف غير عصرى لأمور لاداعى لذكرها ، حتى مضى على ذلك نحو خمسة عشر عاماً ، ثم قمت لاستيناف العمل ، فغيرت أشياء وزدت أشياء ، ورتبت ترتيبا عصرياً واضحاً ، وأسميته : "معارف السنن" ، و راعيت فيه أموراً :

الأول : تخريج كل ما قاله الشيخ و لومن مظان بعيدة عن متناول أهل العلم .

الثانى : استيفاء كل موضوع يكون فيه للشيخ تأليف كـ "نيل الفرقدين" و "بسط اليدين" كلا هما فى مسألة رفع اليدين ، وكتاب "كشف الستر فى مسألة الوتر" و "فصل الخطاب فى مسألة أم الكتاب" أو "نزل الرفاق شرح حديث محمد بن اسحاق" و "خاتمة الخطاب فى فاتحة الكتاب" باللغة الفارسية بتعبير واضح و ترتيب جيد ، ثم التقاط أو تلخيص فى مواضع أوشرح لغوامضه فى مواضع أخرى .

الثالث : توضيح ما أبهمه الشيخ و إيضاح ما أشار إليه بتخريج حوالات و ضم متعلقات حرصاً على تسهيل تلك الفوائد .

الرابع : التقاط نفائس و درر من مذكرة الشيخ المخطوطة من تعليقاته على "آثار السنن" للنيموى أو من برنامجته المخطوطة ما تيسرلى بتخريج و توضيح و ترتيب .

الخامس : كلما طال موضوع و انتشر أو اتسع بحث و استغزر لخصته فى آخر الباب تسهيلاً للتعاطى .

السادس : اجتهدت إلى الغاية فى حسن التعبير و جمال الترتيب لكى لا يتعانى الناظر فى ترتيبه عند البيان .

السابع : أتيت ببيان المذاهب عن مصادرها الموثوقة كـ "عمدة البدر العينى" و "مجموع النووى" و "مغنى ابن قدامة" . و كم كنت أود أن لو عثرت على كتاب أبى بكر ابن المنذر أو كتاب أبى جعفر الطحاوى أو كتاب أبى جعفر الطبرى أو ابن نصر المروزى وغيرها من أمهات كتب الخلاف و هى كثيرة كلها مخطوطة و معدومة ، أو أشياء غيرها يقف بها البصير المحنك و الجذيل المحكك، فلا داعى لذكرها مستوفاة ، و فى سبيل الله ما لاقيت من عناء و كبد أو سهاد و أرق .

ثم من غاية ما رغبت فيه فى هذا التأليف أشياء أحببت أن يكون هذا الشرح متصفاً بها .

١- أوسع شرح لمذاهب الأئمة المتبوعين من مصادرها الموثوقة و بيان تعامل الأمة .

٢- أوثق مصدر لأدلة الإمام أبى حنيفة فى الخلافيات بين الأئمة .

٣- أكمل شرح "لجامع الترمذى" من جهة استيفاء المباحث حديثاً وفقهاً و أصولاً ، و ما إلى ذلك من مهمات علمية .

٤- أحسن شرح لحل المشكلات و توضيح المعلقات بعبارة رائقة وأسلوب رائع .

٥ـ أجمع شرح لأقوال إمام العصر مسند الوقت الحبر البحر محمد أنور شاه الكشميري في أماليه و تآليفه و مذكراته المخطوطة و المبعثرة في مظان منتشرة .

٦ـ أخص كتاب لتسهيل ما تعسر من عبارات إمام العصر الكشميري في رسائله من "فصل الخطاب" و "نيل الفرقدين" و "بسط اليدين" و "كشف الستر" وغيرها .

٧ـ أشمل كتاب يحتوي على فوائد من شتى العلوم ونفائس الأبحاث روايةً و درايةً فقهاً و حديثاً عربيةً وبلاغةً .

٨ـ أبدع تأليف جمع بين جمال التعبير و حسن الترتيب و متانة البحث و رزانة البيان و استقصاء كل باب من غرر النقول لأولي الألباب .

٩ـ أول شرح ظهر إن شاء الله في عالم المطبوعات في شروح الحديث في هذه البلاد بورق جيد و طبع فاخر وثوب قشيب من جمال التنسيق وجودة السبك .

١٠ـ مرجع وحيد لتصحيح ما وقع من الأغلاط في ضبط أمالي الشيخ إمام العصر في أبحاثه و تحقيقاته من أماليه المطبوعة على عدة من الأمهات الست كـ " فيض الباري على صحيح البخاري" أو " العرف الشذي على جامع الترمذي" أو " القول المحمود على سنن أبي داؤد " .

وبالجملة هو بفضل الله وكرمه وحسن معونته وتوفيقه شرح لـ " جامع الترمذي" أغزر مادةً و أجمل تعبيراً وأوفى بحثاً وأكثر جمعاً لغرر النقول بترتيب أنيق .

ومن خصائص هذا الشرح أن غرر النقول من كتب شروح الحديث والفقه الطويلة المبسوطة، اجتنبنا عن نقلها برمتها مخافة السآمة والطول، بل جئت بها بتلخيص جيد و تعبير واضح في نحو ثلث الأصل، لكي يفهمه القارى من غير ترو في التفكير، وفي أقل وقت يجد ضالته المنشودة. ولاريب أن تلخيص مثل كلام الحافظ ابن حجر في كتابه " فتح الباري" أو تلخيص كلام الشيخ ابن الهمام في "فتح القدير" عسير جداً، ليس بأمر هين، ولا أرى بأساً بأن أذكر مثالاً للنموذج. قال الشيخ ابن الهمام في " الفتح" (٢—٣٨١) :

" واعلم أن ظاهر كلام " القدوري " و"الهداية " وغيرهما في قولهم: " مزدلفة كلها موقف إلا وادي محسر"، وكذا: " عرفة كلها موقف إلا بطن عرنة " أن المكانين ليسا مكان وقوف، فلو وقف فيهما لايجزيه كما لو وقف في منى، سواء قلنا: إن عرنة و محسراً من عرفة و مزدلفة أو لا، وهكذا ظاهر الحديث الذي قدمنا تخريجه، وكذا عبارة الأصل من كلام محمد. و وقع في " البدائع ": وأما مكانه بعني الوقوف بمزدلفة - فجزء من أجزاء مزدلفة إلا أنه لاينبغي أن ينزل في وادي محسر. وروى الحديث ثم قال: ولو وقف به أجزأه مع الكراهة، و ذكر مثل هذا في بطن عرنة، أعني قوله: " إلا أنه لاينبغي أن يقف في بطن عرنة، لأنه عليه السلام نهى عن ذلك وأخبر أنه وادي الشيطان اه " ولم يصرح فيه لإجزاء مع الكراهة كما صرح به في وادي محسر، ولا يخفى أن الكلام فيهما واحد، وما ذكره غير مشهور من كلام الأصحاب، بل الذي يقتضيه كلامهم عدم الإجزاء، وأما الذي يقتضيه النظر إن لم يكن إجماع على عدم إجزاء الوقوف بالمكانين هوأن عرنة و وادي محسر إن كانا من مسمى عرفة و المشعر الحرام يجزئ الوقوف بهما ويكون مكروهاً، لأن القاطع أطلق الوقوف بمسماهما مطلقاً، و خبرالواحد منعه في بعضه، فقيده، والزيادة عليه

بخبر الواحد لاتجوز، فيثبت الركن بالوقوف فى مساهما مطلقاً، والوجوب فى كونه فى غير المكانين المستثنيين وإن لم يكونا من مساهما لايجزئ أصلاً وهو ظاهر، والإستثناء منقطع. فقلت: ويقول الشيخ ابن الهمام فى " فتحه " (٢ــ٣٨١) ما ملخصه:

إن ظاهر كلام " القدورى " و" الهداية " وغيرهما: أنه لايجزئ الوقوف بعرفة ولا فى وادى محسر، وإنهما ليسا بمكان الوقوف، سواء كان عرنة من عرفة أو لم تكن، و سواء كان محسر من مزدلفة أو لم يكن، وهو ظاهر الأحاديث، وهو الذى يقتضيه كلام محمد فى " المبسوط "، ولكن صرح فى " البدائع " بالإجزاء مع الكراهة بالوقوف فى وادى محسر، ولكن لم يصرح مثله فى الوقوف بعرنة ـ بالنون ـ . و مقتضى كلامه أن يكون مثله، وما قاله صاحب " البدائع " خلاف ما يقتضيه كلام الأصحاب من عدم الإجزاء. والفصل فيه: إن ثبت كون عرنة من عرفة وكون محسر من مزدلفة صح الوقوف للعمل بالقاطع مع الكراهة لمخالفته أخبار الآحاد وإلا فلا اهـ (١).

قال الراقم: فعسى أن يقدرها من عانى شدائد التأليف وعنى بحل المشكلات والإتيان بالصفوة و اللباب و تلخيص عبارات المحققين المتقنين البارعين. كل ذلك بتوفيق الله و تأييده و معونته و تسديده، وهو سبحانه ولى كل نعمة، والموفق لكل خير و سعادة، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وبالجملة كل هذا مع اعترافى بأن ليس لى فيه من عمل إلا تصفح الأوراق والبحث عن المسألة فى مظانها وغير مظانها، وهذا أمر. والثانى: اجتهادى و عنايتى

(١) و ذلك فى (٦ــ ٤٤٠).

بتلخيص العبارة وقوة تعبيرها وتأثيرها فى النفوس بعبارة واضحة غير معقدة. والثالث: جتهادى فى حسن ترتيبها و جمع المواد المنتشرة بأساوب يعين على الحفظ والضبط لكيلا يحتاج المطالع والمدرس إلى ترتيبها. والرابع: الإتيان بفذلكة البحث إذا طال وانتشر، فهناك جمع ثم ترتيب ثم تعبير ثم تلخيص، فهذه أمور أربعة. وفقنى الله لها بحوله وقوته.

فهذه هى: "معارف السنن"! وما أدراك ماهى "معارف السنن"؟! شرح لأنفاس إمام العصر المحدث الكبير الكشميرى فى درس "جامع الترمذى"، وتوضيح لأماليه، و جمع درره المبعثرة فى مذكراته وتآليفه، بتعبير قاسيت فيه العناء وترتيب طار لأجله الرقاد، واستيفاء لكل موضوع من غرر النقول، عثرت عليها بعد بحث طويل، ولم نعرج فى طرق أبحاث مفروغة فى كتب القوم و تسويد أوراق فى تعديل الرواة و جرحها مايكفى فى مثلها مثل "تهذيب التهذيب" أو "تقريب التهذيب" إلا إذا دعت هناك حاجة، ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

ثم ألفت مقدمة حاوية على فوائد و أبحاث فى غاية من الأهمية، ملئ بها الفراغ الملموس من ترجمة الإمام الترمذى ترجمة واسعة، و منزلة السنة والأحاديث النبوية فى الشريعة المحمدية، و بيان مزية الفقه فى الدين، وما إلى ذلك من فوائد لامحيد عنها للباحث النبيه و المحدث الفقيه، والله سبحانه هو الموفق و المعين، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

ونسأل الله سبحانه أن يتقبله بفضله ويجعله خدمةً للعلم والدين، خالصاً لوجهه الكريم، ويوفقنا لإخراج الكتاب كله وافياً فى صورة جميلة وثوب قشيب، كما نسأل الله أن يتم نعمته علينا بإتمام بقية الشرح على هذا المنوال.

أللهم يسر علينا كل عسير ، فإن تيسير العسير عليك يسير ، و نسألك اليسر والمعافاة فى الدين والدنيا والآخرة .

ثم بداءتى فيه قبل إحدى و ثلاثين سنة وكنت شاباً نشيطاً لا أعرف ملالاً ولا كلالاً، حريصاً فى تصفح الأوراق ، لاأشعر بضجر وسآمة و تعب حيث امتزج النصب بلذة الروح و الفكر ، فكان كل مسألة ينشرح بها الصدر ، كرجل يفوز بضالته المفقودة بعد يأس و قنوط، ولكن لم تجتمع عندى مايحتاج إليه أمثال هذه التأليفات القيمة من مراجع الكتب و مصادر البحث ومآخذ التحقيق فى نشأة أمرى و بداءتى بالتأليف مع إكبابى وعكوفى على الدراسة، وعدم التفرغ للتأليف، و خطب ذلك بطول، فكان مثلى كرجل يعرف السباحة و ألقى فى البحر ولكنه مكتوف اليدين ومصفود الرجلين فرمى به فى البحر مكبولاً مغلولاً، فكيف يسبح و يصل إلى الساحل ناجياً ناجحاً، فضت على ذلك برهة من الدهر ، ثم اجتمع عندى قدر من مراجع البحث لايستهان به ، وأصبحت متفرغاً للتأليف، بيد أنى مشغول البال من ناحية حياتى من بؤس وعناء، و مع هذا فقد وصلت إلى أواخر كتاب الحج فى نحو سبع سنين مع فترات فى البين ، ثم عاقتنى عن التأليف عوائق واضطررت إلى مغادرة البلاد و بالهجرة من الهند إلى باكستان، وأحاطت بى أعمال و أشغال لاقبل لى بها، فخرج من قلبى قصد الإتمام واشتغلت بدراسة للكتب و إدارة للمعهد، وتذليل لصعاب و عقبات تحول دونها إلى أن جاء أوان طبعه .

ومن عجيب ما يحكى ومن لطيف تدبير الله عزوجل، لما طبع "جزء الوتر" وبلغ إلى علماء الحرمين الشريفين فأعجبوا به، و وقع موقع القبول، وهب عليه من نسماتهم ريح الصبا والقبول . ومن أعز أصدقائى وخلانى العالم الجليل الزاهد العابد فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ حسن محمد مشاط المالكى قد ألح على بطبع ما تم

من الكتاب بعد إعجابه "بجزء الوتر"، فاعتذرت إليه بأنه انقلبت الأحوال و تغيرت الظروف و أصبحت أصول الدين على وهى وخفاء، فالأمة لاتحتاج ـ والظروف هذه ـ إلى أمثال هذه التأليفات، ثم إنى لاأقدر على نفقات الطبع، وطبع أمثال هذه يحتاج إلى ثروة و غناء، ولم أتعود بأن أبوح بأمثال هذه الحوائج إلى أثرياء وأغنياء ولكن زاد إصراره على وقال: ولا بد أن تعزم وتجتهد فى تيسير الأسباب، فقد جرب أن ثلاثة أشياء من: النكاح، والحج، و طبع الكتاب، إذا دفع الرجل إلى تدبيره ، فالله سبحانه يوفقه إلى الإنجاز ، ويمن عليه بتيسير الأسباب، فقمت من عنده متفكراً فى الأمر، وكانت هذه المحادثة والمحاورة فى المسجدالحرام، فأتيت البيت الحرام، وطفت لهذا الغرض الوحيد، وتشبثت بأستار الكعبة عند الملتزم، و دعوت الله سبحانه والهاً مناجياً سائلاً إن كان فى نشر هذا الكتاب مصلحة للعلم والدين و رجاء لأن تنتفع به الأمة، والحالة هذه ، فأنت القادر على طبعه و نشره، فأنت تقدر ولا أقدر و تعلم ولا أعلم و أنت علام الغيوب ، فدعوت الله بمثل هذه الكلمات فيما أتذكر، ورجعت بلادى، و بمجرد وصولى جاءنى خطاب من صديق لى صالح من آل ميان من إفريقيا الجنوبية، يحث عزمى على طبع الكتاب و نشره، فاعتذرت إليه بما اعتذرت عند ذلك الشيخ فضيلة الأستاذ المشاط، فأجابنى بتكفل نفقات الطباعة . ثم كتب إلى بعد سنة وما فوقها بأنه رأى رؤيا تشرف فيها برؤية الشيخ إمام العصر رحمه الله فى رؤيا طويلة، ومن جملة ما رآه أنه سأله عن طبع كتاب فى علم الحديث ينتفع به الأمة ، فأشار إليه الشيخ بطبع ما ألفه البنورى، و ذلك فى نفس تلك الأيام التى دعوت الله فيها عند الملتزم، فاستجاب الله عزوجل دعاء الملتزم، وتمثل التدبير الإلهى فى إعلام أحد عباده بالقيام إلى نشر الكتاب، فله الحمد كما ينبغى لجلال وجهه وعظيم سلطانه . وكنت وصلت فى التأليف إلى وسط كتاب الحج إلى الباب الخامس والأربعين، وقد مضت برهة طويلة نحو ستة و عشرين عاماً، وكم خطر بالبال إكماله ولكن

لم تكن الظروف ملائمة والفرصة مفقودة، فازداد إصرار المخلصين على تكملة الشرح، و خصوصاً أبواب الحج، فعدت إلى عزم إكمال أبواب الحج الباقية، وهي أحد وسبعون باباً، و أبواب الحج كلها مائة وستة عشر باباً . ثم إلى تكملة بقية الشرح إن ساعدت الحال، فعدت والعود أحمد، ولكن عدت إلى التأليف وسني بلغ إلى أربع وستين، وفقدت كل ما أجده من طبيعتي من قوة وهمة وعزم وصحة و فراغ و نشاط، و ظهر في كل من هذا فتور و قصور، فعدت والصحة مختلة والقوة متوانية والهمة قاصرة والفرصة مفقودة، والأشغال متوافرة، فأحتاج كل حين إلى استجمام القريحة و إراحة الطبيعة، فازدحمت أشغال وأعمال والطبيعة في كل حال تشعر بالكلال، وليس هذا إلا مثل تكليف الأعرج بالصعود إلى قلل الجبال .

وعلى كل حال فرغت بحمد الله من تكملة "أبواب الحج" بارتجال واستعجال، لم أتمكن من التروي والتأني، فأكتب والناشر بالمرصاد يختطف كل ما تم من تأليف عدة صفحات يأخذه للتصفيف والطبع.

وبالجملة ليس الأمر كمن تأني أدرك ماتمنى ولكن من أفرغ المجهود فقد أعذر، وجهد المقل دموعه، ودمعة من عوراء غنيمة باردة، والله ولي التوفيق .

تنبيه آخر: كل ماكتب من التاريخ في آخر كل جزء إنما هو تاريخ الطبع دون تاريخ التأليف .

فهرس أبحاث الجزء السادس
من
معارف السنن

الموضوع	الصفحة

قد طبع فى "ايجوكيشنل بريس" كراتشى — الباكستان — (١٣٩٩هـ)